مصطفى عبد الله بعيو

# المختار في مراجع تاريخ ليبيا

## الجزء الثاني

دار الطليعة .. بيروت

خالد علي بورقيق



https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

# المختار
# في مراجع تاريخ ليبيا

الطبعة الاولى
١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م

مُصطفى عبد الله بعيُو

# المختار في مراجع تاريخ ليبيا

## الجزء الثاني

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

« فيها كتب قيمة »

قرآن كريم

# الإهداء

الى ابني تميم وابنتي ياسمين .

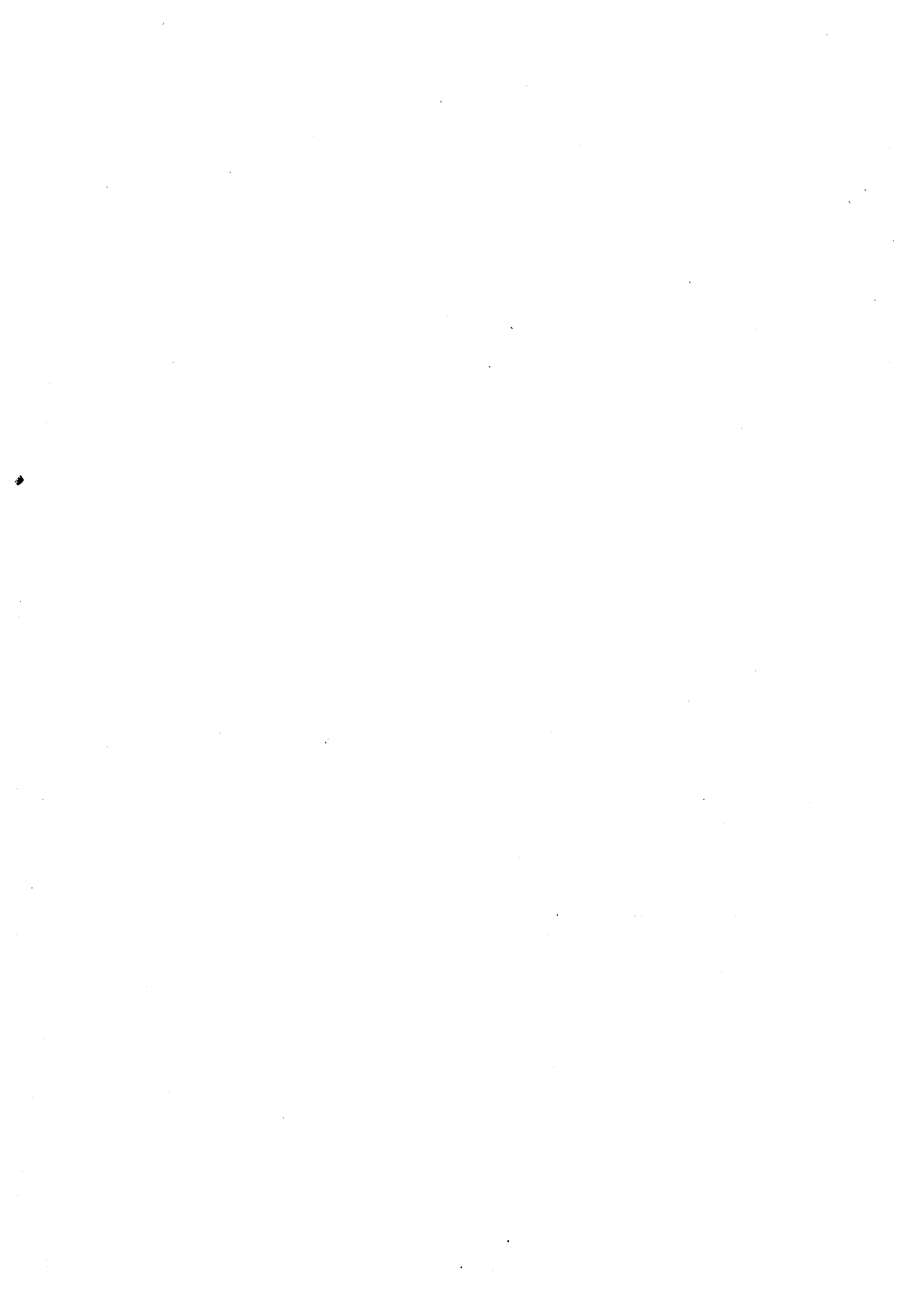
عندما كنت في سنكما عشت محروما من بلادي في هجرة امتـــدت عشرين عاما واستغرقت رحلتها حوالي العامين من مسراته الى الاسكندرية عبر الصحراء وواحاتها المنتشرة من الغرب الى الشرق . ولم تكن رحلة الهجرة بالسيارة او الطائرة بل كانت على ظهور الأبل وأحيانا على الاكتاف.

وعندما كانت أمكما في سنكما عاشت هي الاخرى لاجئة بين‌الاسكندرية والقاهرة بعد أن فرت أسرتها من درنة أمام زحف قوات المحور في الطريق الى وادي النيل في أوائل الحرب العالمية الثانية .

أما الآن فانتما تعيشـان في بلدكما وتنعمان بخيراتها للجهود التي بذلها من سبقكما . بقي عليكما المحافظة على هذه النعمة وتنميتها حتى يتـــم تسليمها الى ابنائكما على أحسن ما يكون .

حقق الله الآمال الكبار فيكما ووفق أمثالكما للخير والصواب .

**المؤلــف**



# مقدّمة

خرج الجزء الاول من «المختار في مراجع تاريخ ليبيا» في ١٣٨٦ هـ الموافق ١٩٦٧ م. وقد سبق لي أن بينت في مقدمة الجزء الاول الاسباب التي دفعتني الى اخراج هذا الكتاب والتي ما زلت اعتقد انها تدفعني الى متابعة هذا الجهد العلمي المتواضع . وقد استقبل الجزء الاول عند خروجه باهتمام من أصحاب الدراسات العلمية الشيء الذي دفعني الى مواصلة الجهد مستفيدا من الملاحظات التي جاءتني من الكثيرين . ولقد اعطيت هذه الملاحظات كل اهتمامي . وانعكس هذا الاهتمام في اعطاء فكرة أوسع ما تكون عن المراجع التي شملها هذا الجزء الذي جاء في حجمه اكبر بكثير من الجزء الاول نتيجة لهذا التوسع في التعريف بالمراجع المذكورة .

وكان في النية أن أسجل هنا الكثير من الملاحظات العامة عن هـذه المراجع ولكني رأيت ان اترك هذا للقارىء نفسه مكتفيا بابداء الملاحظات الآتيـة :

١ ـ أن الكثير من الحقائق التاريخية في هذا الجزء من الكتاب قد جاءت متكررة بشكل يلفت النظر . ولم يكن هذا عن عمد في حد ذاته ولكنه جاء نتيجة لما في هذه المراجع من معلومات متشابهة بحكم تشابه الموضوع أو بحكم اعتمادها على مصادر واحدة أو متشابهة أو بحكم أن بعضها قد نقل عن البعض الآخر . وكان لا مناص من هذا التكرار حتى تبدو أهمية الكتاب واضحة بوضوح محتوياته وما فيه من معلومات أو آراء .

٢ ـ ان «المجلـة الجغرافية» التـي تصدر في لندن باسـم «The Geographical Journal» قد اخـذت اهتمامـا خاصا مـن دراسة المراجع التي شملها هذا الجزء . وقد قمت بمراجعة كل ما كتبته هـذه المجلة العلمية عن ليبيا أو بعض اجزائها منذ خروجها في أواخر القـرن الماضي حتى ١٩٥٨ اي لفترة تزيد عن الستين سنـة . واذا كانت

الامكانيات لم تساعدني على متابعة ما جاء في هذه المجلة بعد ١٩٥٨ الا في أعداد قليلة استطعت الحصول عليها فإني على ثقة بأن الايام كفيلة بتعويض ما فات منها وملاحقة ما يجد فيها . والحق يقال أن هذه المجلة تعتبر من أهم المجلات العلمية التي لها وزنها في الاوساط العلمية والتي يمكن اعتبارها من المصادر الهامة في الموضوعات التي تتناولها .

٣ ــ ان هذه المراجع يمكن تقسيمها الى عدة مجموعات متباينة من حيث الطابع العام الغالب عليها . فبعض هذه المراجع قد تناول تاريخ ليبيا العام بخطوطه العريضة . وبعضها قد أعطى اهتماما خاصا لدراسة الرحالة الاوربيين وجهودهم في الكشف الجغرافي وعلاقة هذه الجهود بتاريخ ليبيا في الفترات المعاصرة لمجيء هؤلاء الرحالة . وبعض هذه المراجع يفيد في دراسة تجارة القوافل والنشاط الاقتصادي العام في مختلف العصور وموارد هذا النشاط . وقد وجدت تجارة الرقيق والحركة الانسانية العامة المقاومة لها اهتماما من بعض هذه المراجع فأولاها أصحابها اهتماما خاصا. وقد اهتمت بعض هذه المراجع بدراسة الجهاد البحري الذي قامت به بلاد الشمال الافريقي وفي مقدمتها ليبيا وإن كانت هذه الكتب قد تناولت هذا النوع من النشاط البحري على أنه «قرصنة» . وسيجد القارىء الكثير من هذه المراجع قد اهتم بأحوال ليبيا في أواخر العهد العثماني الثاني والصراع الدولي الذي قام حولها وجهود الرحالة الاوربيين في هذا الخصوص . وبعض هذه المراجع القت الضوء على نشاط القنصليات الاوربية في ليبيا والتقارير التي كان يبعث بها القناصل الى المسئولين في بلادهم عن ليبيا وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وقد اعطت بعض المراجع اهتماما لدراسة المقدمات التي مهدت للغزو الايطالي مع دراسة هذا الغزو وما اقترن به من سياسة الابادة . وبعض هذه المراجع دافعت عن التوسع الايطالي وحبذته وحاولت تبرير ما اقترن به من فظائع وأعمال وحشية . وبعضها الآخر هاجم ما قامت به ايطاليا من اعمال من اجل بسط سيادتها على البلاد والتوغل فيها ورد الفعل الذي ابداه اهالي البلاد من مقاومة للغاصب وأعماله العدوانية . وبعض هذه المراجع تناولت السياسة التي اتبعتها ايطاليا في استعمار البلاد وحركة التوطين التي قامت بها خصوصا في عهد ولاية بالبو Balbo . وكان للمراجع التي اهتمت بدراسة الحدود الليبية وتاريخها وما بُذل حولها من جهود دولية نصيب لا بأس به .

وقد اعطت بعض المراجع اهمية خاصة لدراسة احوال بعض واحات

ليبيا ودورها الهام في الحياة الاقتصادية للبلاد وما كان يجري فيها من نشاط تجاري والوضع الاجتماعي العام الذي كان يسودها وخاصة واحة غدامس وواحة غات وواحة مرزق التي لها اهميتها في تاريخ البلاد حتى انها اصبحت جديرة بأن تسمى باسم «مدن القوافل» Caravan Cities . وكل واحة منها تستحق دراسة خاصة وقد توفرت المصادر وان كانت هذه الدراسة تحتاج الى زيارة لهذه الواحات وغيرها للاطلاع على بقايا معالم الحياة التي كانت تسودها والتي ما زال بعضها مستمرا الى اليوم وسيبقى مستمرا ما بقيت الحياة فيها .

واذا كانت غالبية هذه المراجع باللغة الانجليزية فان بعضها باللغة الفرنسية كما ان بعضها الآخر قد تُرجم الى اللغة الانجليزية من اللغة الايطالية او غيرها . واذا كانت غالبية هذه المراجع ايضا من تأليف الرجال فان النساء قد اشتركن بعدد محترم من هذه المراجع ، وكان لكتابات بعضهن أهمية خاصة في بعض الجوانب التاريخية خصوصا ما جاء منها متعلقا بوصف الاسواق والمعالم الاثرية والحياة الاجتماعية المنزلية .

والملاحظ ان الكتّاب الامريكيين قد ساهموا بنصيب طيب في هذه المراجع خصوصا في أواخر العهد العثماني الثاني وبداية العهد الايطالي . وقد شاهدت هذه الفترة عددا لا بأس به من الرحالة الامريكيين الذين سجلوا لنا انطباعاتهم عن البلاد فيما تركوه لنا من مؤلفات قيمة .

بقي ان اذكر اني بدأت في اعداد هذا المجلد بعد ظهور الجزء الاول من الكتاب في ١٩٦٧ وان كنت لم اتفرغ له تماما الا في أواخر ١٩٦٩ وطيلة ١٩٧٠ والنصف الاول من ١٩٧١ .

وبقي عليّ ايضا ان اشكر أولئك الذين تفضلوا عليّ بملاحظاتهم عن الجزء الاول وفي مقدمتهم استاذي الفاضل الدكتور أحمد عزت عبد الكريم استاذ التاريخ الحديث بجامعتي القاهرة وعين شمس سابقا والمدير السابق لجامعة عين شمس واستاذي الفاضل الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة استاذ التاريخ الاسلامي بالجامعات المصرية سابقا وصديقي الدكتور نيقولا زيادة استاذ التاريخ بالجامعة الامريكية ببيروت . اما اخي وزميلي الاستاذ خليفة التليسي في دراسة التاريخ فله خالص الشكر على ما وجدته عنده من عون كبير في الاستفادة من بعض المصادر الايطالية التي احتجت اليها لاكمال بعض الصور اللازمة لبعض المراجع المذكورة . والحق يقال أن ما يبذله الاستاذ خليفة التليسي من جهد في ميدان الدراسات التاريخية الليبية شيء يبعث على الارتياح والفخر وان كان الكثير من جهوده لم

ينشر بعد لاسباب خارجة عن ارادته .

وعليّ ان اسجل العون الذي وجدته في المكتبة الحكومية بمدينة طرابلس والمشرفين عليها . وعليّ ايضا الا أنسى ما قدمته لي مكتبة شركة «اويزيس» للنفط Oasis من خدمة في الاستفادة من المصادر الموجودة بها . وقد سهل لي المستر فيليب وورد Philip Ward منسق خدمات المكتبة مهمة الاستفادة من المكتبة فله جزيل الشكر على كريم مساعدته وعلى جهوده التي يبذلها في الدراسات الليبية .

**المؤلف**

طرابلس الغرب الجمعة ١٢ ربيع اول ١٣٩١ هـ

الموافق ٧ مايو ١٩٧١ م

1 — Complete History of The Piratical States of Barbary . London, Printed For R. Griffiths at The Dunciad in St. Paul's Church - Yard, 1750 . 368 PP.

صدر كتاب «تاريخ كامل لدول القرصنة البحرية في الشمال الافريقي» في مدينة لندن في ١٧٥٠ م . ومؤلف الكتاب غير معروف الاسم ولكنه كان شخصا مقيما في بلاد الشمال الافريقي كما جاء في صفحـــة عنوان الكتاب . وقد تناول المؤلف تاريخ بلاد الجزائر وبلاد تونس وليبيا والمملكة المغربية والحالة التي كانت عليها هذه الاقطار في وقت المؤلف . وتحدث المؤلف في كتابه ايضا عن قوى هذه الدول ومصادر الدخل فيها وسياستها وتجارتها شارحا كلامـــه برسم لمدينة الجزائـــر وخريطة لبلاد الشمال الافريقـــي .

ويقع هذا الكتاب في ٣٦٨ صفحة وقد أطلعت عليه في ربيع ١٩٥٦ بمكتبة المتحف البريطاني بمدينة لندن حيث يوجد تحت رقم 2 .٢٢٢ 9061 كما توجد نسخة من هذا الكتاب بالمكتبة العامة لمدينـــة نيويورك تحت علامـــة BKE .

ومع ان صفحات الكتاب التي تخص تاريخ ليبيا قليلـــة العدد الا ان الكتاب يفيد في فهم الاحوال العامة التي كانت تسود بلاد الشمال الافريقي في ذلك الوقت وقد كانت بحريتها على أشد ما تكون من النشاط فـــي ميدان الجهاد البحري حتى ان المؤلف جعل هذا الجهاد البحري جزءاً من عنوان الكتاب .

يبدأ المؤلف كلامه عن تاريخ ليبيا بالاشارة الى كثرة التغييرات فـــي السلطة الحاكمة أسوة بما كان سائدا في بقية بلاد المغرب . وهكذا تشابهت مسارح الاحداث مع اختلاف في الممثلين (ص ٣١٣) . وبعد ذلك يعطينا المؤلف اشارة خاطفة عن نوع الحكم في البلاد . كان الوضع فيها اسوة بما

كان في تونس والجزائر تحت حماية السلطان العثماني في مقابل دفع الاتاوة السنوية . وبعد ذلك ينتقل المؤلف الى الحديث عن مدينة طرابلس عاصمة القرهمانليين ويعطينا وصفا لها وأهم معالمها مع الاشارة الى ضواحي المدينة وازدهار ديارها التي كان يقوم بخدمة حدائقها والعناية بها الاسرى المسيحيون الذين كان يتم اسرهم اثناء نشاط البحرية الليبية . ويشير المؤلف ايضا الى وجود منظمة الرهبان المعروفين «بالفرنسسكان» في مدينة طرابلس ونشاط هؤلاء الرهبان والمؤسسات التي كانت تابعة لهم .

وبعد ذلك يتحدث المؤلف عن بلدة قابس كجزء من ليبيا في العهد القرهمانلي في ذلك الوقت (ص ٣١٤) كما يتحدث عن بلدة زوارة . وهكذا نجد المؤلف يركز كتابته على بعض المدن البحرية في غربي ليبيا دون بقية اجزاء البلاد . ويبدو ان هذا الاتجاه جاء نتيجة لاهتمام المؤلف بمتابعة اخبار نشاط البحرية الليبية الشيء الذي كان يشغل اذهان الاوربيين في ذلك الوقت .

ويتناول المؤلف الوضع الاقتصادي للبلاد ويحدد مصادره مشيرا الى أهمية الغنائم البحرية كمورد اساسي لحكومة ليبيا في ذلك الوقت . ويقوم المؤلف بعمل مقارنة بين اقتصاديات ليبيا واقتصاديات جارتها تونس.

هذه هي خلاصة الصفحات القليلة العدد التي خصصها المؤلف للكلام عن ليبيا ومع ذلك فهي هامة بحكم ان صاحبها كان معاصرا لفترة هامة من تاريخ ليبيا وقد كان المؤلف يقيم في بلاد الشمال الافريقي الشيء الذي مكنه من الاستماع او الاطلاع شخصيا على الكثير مما كان يجري في منطقة الشمال الافريقي .



2 — A Recent Journey In Tripoli And Cyrenaica. The Geographical Journal, XL (November, 1912) , 532 - 37 .

نشرت «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر في نوفمبر ١٩١٢ مقالا بعنوان «رحلة حديثة في طرابلس وبرقة». وقد سجلت المجلة في هذا المقال بعض الملاحظات من الرحلة التي قام بها م. جورج ريموند M. George Rémond المراسل لصحيفة المصور الفرنسية Illustration في ربيع ١٩١٢ . وقد أخذت «المجلة الجغرافية» ملاحظاتها من أعداد «المصور» الفرنسية التي نشرت وصفا كاملا للرحلة . كانت رحلة م. جورج ريموند بطول

الساحل الليبي من تونس الى مصر . وفي رأي «المجلة الجغرافية» أن هذه المسافة لم يقطعها احد منذ عهد الرحالة الالماني الدكتور بارث Barth (١٨٤٦) . وجاء في المقال ان الجزء الممتد من الطريق بطول الساحل بخليج سرت لم يعبره اي رحالة أوربي لسنوات كثيرة . وكان الرحالة الالماني جرهارد رولفس Gerhard Rohlf's (١) آخر من قام بهذه الرحلة في ١٨٧٩ م ومن بعده جاء الرحالة فرويد Freud في ١٨٨١ م. (٢) .

يبدأ المقال باعطاء وصف للرحلة التي قام بها الرحالة من بلدة دهيبات Dehibat على الحدود التونسية حيث يوجد طريق صعب يؤدي الى بلدة نالوت في ليبيا . هذا الطريق يسير مع سفح الجبل بواسطة ممر حجري . وهناك في نالوت قام ضباط الحامية العثمانية باستقبال الرحالة الذي قدر سكان البلدة باربعة آلاف نسمة ولكنه لاحظ أن معظم السكان كانوا غائبين عن البلاد لاشتراكهم في الحرب ضد القوات الايطالية الغازية. ويعطينا الرحالة وصفا لبلدة نالوت في ذلك الوقت . ومن نالوت استمرت الرحلة الى الجوش التي يعطينا الرحالة وصفا لها . ومن هناك الى بلدة شكشوك ثم الى فساطو ومنها الى جادو حيث يوجد القائمقام ممثل السلطات العثمانية . ويصف الرحالة جادو بأن بيوتها كانت اكثرها مهدمة مبعثرة فوق هضبة صخرية حول المقر الحكومي الذي كان بمثابة المركز للبلدة . ويعطينا الرحالة وصفا للطريق الذي سلكه ويبدي اهتماما خاصا بالحالة الزراعية في المنطقة التي اخترقها . ويمر الرحالة بعد ذلك بقرية الزنتان التي وصل اليها بعد مسيرة خمس ساعات . وبعد عين الرومية يصل الرحالة الى يفرن . ويذكر الرحالة ان اهل يفرن قد جاءوا مهاجرين من سوريا ولا أدري من اين استقى هذه المعلومات ولم يسق الدليل على قوله هذا . ويتحدث عن يفرن على انها كانت مركزا للسنجق العثماني او ما يعرف بالمحافظة في وقتنا الحالي . وكانت نالوت وغدامس وفساطو وزوارة والجوش تابعة للادارة العثمانية في يفرن وقد تم ضم زوارة والجوش اخيرا الى يفرن حسب ما جاء في كلام الرحالة . وهو يقدر عدد

---

١ ــ من مواليد ١٨٣١ وقد مات في ١٨٩٦ حسب ما جاء في كتالوج مكتبة بتلر بجامعة كولومبيا بمدينة نيويورك . قام بزيارة واحة الكفرة في زي طبيب باسم «مصطفى بـك» في ١٨٧٩ م.

٢ ــ من يريد معلومات اكثر عن رحلة هذا الرحالة يمكنه الرجوع الى :
L'Esploratore, Milan, 1883 . راجع البحث رقم ١١ .

سكان المنطقة بستين الف نسمة . وعندما يصل الرحالة الى بلدة غريان يعطينا وصفا لها ثم يواصل رحلته الى مدينة طرابلس . وهكذا نجد م. جورج ريموند يصل الى مدينة طرابلس قادما من تونس بواسطة الطريق الداخلي الوعر تاركا الطريق الساحلي الاكثر سهولة .

وبعد ان قام الرحالة م. جورج ريموند بزيارة بعض المسئولين الاتراك واصل رحلته الى الشرق قاصدا الخمس . وقد وصل الى بلدة مسلاته في اول مارس ١٩١٢ وهو يعطينا وصفا لها ولبيوتها واسواقها وقلعتها القديمة المتهدمة . والغريب ان المقال لم يذكر لنا شيئا عن زيارة الرحالة لاطلال لبدة بل يقفز بنا الى بلدة ظليتن حيث يسجل لنا وصفا لموقعها مع الاشارة الى مقام الولي الشهير عبد السلام الاسمر . وبعد مسيرة عشر ساعات فيما بعد ظليتن يصل الرحالة الى مسراته ويعطينا وصفا لها مسجلا ملاحظته بخصوص اتساع شوارعها وهدوئها وبيوت المسئولين فيها وسوقها للحبوب . ويحدد موقعها من البحر على اساس انها تبعد عنه بمسافة ميلين ونصف . اما ميناء قصر أحمد او ميناء أبي شعيفة فانهما يبعدان عنها بثمانية أميال الى الشرق منها . وهو يعتبر مسراته واحة من الحجم المعتبر وأن عدد سكانها يتراوح فيما بين ٦٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠ نسمة .

وبعد مسراته يواصل الرحالة م. جورج ريموند رحلته الى مدينة بنغازي بطول ساحل خليج سرت ويعتبره طريقا طويلا صعبا خصوصا وأن موارد المياه والامدادات فيه قليلة وان وجدت فهي توجد في اماكن معينة بالذات . وفي حديثه عن طريق الرحلة بطول خليج سرت يشير الرحالة الى أعمدة التلغراف القائمة بطول الطريق الساحلي . ويسجل لنا وجود محطة صغيرة للتلغراف في المكان المعروف باسم «بورتمة» Burtema كما كانت توجد محطة أخرى للتلغراف في ثمد حسان . وعند مرور الرحالة ببلدة سرت يعطينا وصفا لها ويذكر ان سرت الجديدة لم يمض على تشييدها اكثر من اربع سنوات . اما القصر الحكومي فيذكره الرحالة على أنه قد شيد منذ ١٨ سنة مضت بالنسبة لوقت مجيئه اليها . اما سرت القديمة فقد تهدمت وغطت الرمال بقاياها وقد كان قائمقام بلدة سرت اثناء مرور الرحالة بها هو محمد باشاغا .

ويستمر الرحالة في السير شرقا ويمر بمكان يُعرف بقصر المدينة وربما كان يقصد المكان المعروف بسلطان اذ كثيرا ما كان يرد اسم هذا المكان باسم مدينة سلطان . وفي هذا المكان يذكر الرحالة انه وجد محطة للتلغراف . ويواصل الرحالة السير مارا بالمقطاع الذي كان يعتبر الحد

الاداري في ذلك الوقت بين برقة وطرابلس . ويصف الرحالة منطقة بشر ووفرة المياه والاشجار فيها . ويفيدنا الرحالة بأن محطات التلغراف كانت قائمة ومستمرة في الطريق على مسافات تبلغ حوالي ٦٠ ميلا . وعند مروره ببلدة اجدابيا يشيد بنشاط قائمقامها ويعطينا وصفا لبلدة اجدابية كمركز لتجارة المواشي وكمركز لنشاط القوافل الى مدينة بنغازي .

وبعد وصول الرحالة الى بنغازي نجده لا يعطينا وصفا لها اسوة ببقية المراكز العمرانية الاخرى التي مر بها ولكنه يستمر في سيره صاعدا الجبل الاخضر مارا بسيدي رافع (البيضاء) وشحات حتى مدينة درنة ومنها الى مرطوبةنحو الشرق مارا بخليجالبمبة والتميمي حتىوصل الى ميناء طبرق. ومن هناك يواصل الرحالة رحلته مارا بكمبوت الى قصر السلوم حيث كانت ترابط القوات المصرية الانجليزية بعد ان استلمته . ومن ميناء السلوم اخذ الرحالة سفينة «غفر السواحل» الى ميناء الاسكندرية .

وبالمقال خريطة جغرافية قد بين عليها الكاتب خط سير الرحلة . والمقال لا يفيد كثيرا باستثناء اعطاء بعض المعلومات التي تصور لنا الموقف اثناء الغزو الايطالي . ويؤخذ على المقال انه لا يعطينا المعلومات الكافية عند مرور الرحالة بمدينة بنغازي وبقية المراكز البشرية الاخرى التي مر بها حتى وصوله الى ميناء السلوم .

***

3 — Banse, Ewald; Tripolis. Weimer : Alexander Dunker Verlag. 1912. The Geographical Journal, XL ( November, 1912 ) . P. 553 .

نشرت «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر في نوفمبر ١٩١٢ عرضا قصيرا للكتاب «طرابلس» لمؤلفه الاستاذ الالماني ايوالد بانز Ewald Banse والملاحظ ان المؤلفات التي كتبت باللغة الالمانية تعتبر قليلة بالنسبة للكتب الاخرى التي كتبت بالايطالية او الفرنسية او الانجليزية عن ليبيا خصوصا ما يتعلق منها بالفترة التي جاءت قبيل الغزو الايطالي .

يقول كاتب المقال ان الكتب الحديثة التي تناولت مدينة طرابلس الغرب كانت قليلة العدد ولكن مع هذا فأحسن هذه المؤلفات ما تركه الرحالة الذين اتخذوا من مدينة طرابلس نقطة لانطلاقهم جنوبا عبر الصحراء الى السودان

الغربي . ويرحب كاتب المقال بكتاب ايوالد بانز الذي جاء نتيجة للابحاث التي قام بها لدراسة الحياة في مدينة طرابلس وعادات أهلها وتقاليدهم الاجتماعية . وقد تحصل المؤلف على معلوماته في هذا الخصوص اثناء اقامته لعدة شهور في مدينة طرابلس منذ سنوات قليلة مضت قبل تاريخ اخراج الكتاب . ويذكر كاتب المقال ان هذا الكتاب له قيمته لدارسي الاثنولوجية والجغرافية بسبب ما ستتعرض له المدينة من تغيرات نتيجة للادارة الايطالية التي اصبحت صاحبة الكلمة في طرابلس . هذا ويختم الكاتب مقاله بأن الكتاب يعطي صورة صادقة عن الحياة في مدينة طرابلس ايام الحكم العثماني لها . والكتاب مزود بعدد من الصور والرسوم الممتازة التي تذكرنا بما فعله المؤلف الانجليزي المشهور ادوارد وليم لين Edward William Lane (١٨٠١ – ١٨٧٦) في كتابه المعروف باسم «المصريون المعاصرون» Modern Egyptians الذي صدر في ١٨٣٦ واعطانا فيه المؤلف وصفا شاملا لمصر ، وقد ضم مائة رسم ورسم اصبحت كلها الآن أثرا ادبيا رفيعا . بهذه المقارنة يحاول كاتب المقال اظهار اهمية كتاب ايوالد بانز لقراء اللغة الانجليزية وعليّ ان اشير به لقراء اللغة العربية . ولا شك أن الدارسين لاحوال ليبيا بصفة عامة ومدينة طرابلس الغرب بصفة خاصة يمكنهم الاستفادة من هذا الكتاب اذا كانوا يعرفون اللغة الالمانية بشكل يمكنهم من الاستفادة منه وبذلك يمكنهم الاحاطة بوجهة النظر التي كانت عند بعض الكتّاب الالمان الذين ابدوا اهتماما بليبيا كآخر ولاية عثمانية في الشمال الافريقي .

وبعد ان اخرج الدكتور ايوالد بانز كتابه هذا في ١٩١٢ نجده يقوم بنشاط علمي آخر في ميدان الكشف الجغرافي في الصحراء الليبية . وقد نشرت «المجلة الجغرافية» «The Geographical Journal» في عددها الصادر في ابريل ١٩١٤ وفي تقريرها الشهري بذلك العدد ما يفيد أن المؤلف قد بدأ رحلته العلمية بخصوص كشف الصحراء الليبية بالاتجاه الى واحة سيوة التي اختارها نقطة بداية لرحلته سالكا طريقا جديدا . وقد نشر معلوماته التي حصل عليها في رحلته هذه في المجلة الالمانية Petermans Mitteilungen بعدديها مارس وابريل سنة ١٩١٤ مع خريطة للمنطقة التي ارتادها .

4— Barnby, H.J., The Prisoners of Algiers. An Account of The Forgotten American- Algerian War 1785 - 1797. London, Oxford University Press, New York, Toronto, 1966. xii, 343 PP.

هذا كتاب عن «مساجين مدينة الجزائر» . وهو تقرير عن الحـــرب الجزائرية الامريكية المنسية فيما بين ١٧٨٥ و١٧٩٧ . وقد صدر هـــذا الكتاب في لندن ونيويورك وتورنتو في ١٩٦٦ . ومؤلف الكتاب هـــو الاستاذ ج.هـ. بارنبي G.H. Barnby .

واذا كان هذا الكتاب في مجموعه يتناول دراسة العلاقات الجزائرية الامريكية في أواخر القرن الثامن عشر على اساس دراسة الحرب البحرية بين الدولتين في تلك الفترة فان الكتاب يفيد في دراسة الاحوال السائدة في بلاد الجزائر في ذلك الوقت ويفيد ايضا في دراسة تاريخ نشاط بحرية بلاد الشمال الافريقي في البحر الابيض المتوسط وفي مقدمتها البحرية الليبية في عهد يوسف باشا القره مانلي التي كانت تمثل الجناح الشرقي لبحرية دول الشمال الافريقي . ولهذا كان الكتاب مفيدا لاولئك الذين يريدون دراسة الجهاد البحري الذي قامت به بلاد الشمال الافريقي . وسيجد قارىء الكتاب الكثير من المعلومات التي توضح له بعض الاحداث التي ساهمت فيها البحرية الليبية . والواقع أن دراسة نشاط البحرية لأي قطر من اقطار الشمال الافريقي لا يمكن فهمها تماما الا بدراسة نشاط بحرية الاقطار المغربية ككل بحكم ما كان بينها من تعاون احيانا أدى بها الى الانتصار او بحكم ما كان بينها من تخاذل احيانا أدى بها الـــى الهزيمة والانكسار . ويوم ان تعاونت بحرية هذه الاقطار كمجموعة متماسكـــة عجزت أمامها البحرية الاوربية والبحرية الامريكية فيما بعد لأن البحرية الاوربية والبحرية الامريكية كانت غير متعاونة بل كانت متضاربة حتى اذا اتحدت الدول الاوربية بعد مؤتمر فينا ١٨١٥ ومؤتمر اكس لاشابل في ١٨١٨ وقررت اتخاذ موقف موحد تجاه بحرية دول الشمال الافريقي نجحت في هدفها وحققت أغراضها . وقد ساعدها على ذلك ما حل ببحرية بلاد الشمال الافريقي من فرقة وعدم تعاون، الشيء الذي مهد للغزو الفرنسي فيما بعد لبلاد الجزائر في ١٨٣٠ م. والكتاب يحتوي على الكثير مـــن المعلومات القيمة التي تفيد في دراسة نشاط البحرية الليبية في عهـــد يوسف باشا القرمانلي ونشاط سفارته في لندن في هـــذا الخصوص ونشاط البعثات الامريكية الدبلوماسية لتسوية العلاقات بين يوسف باشا

والولايات المتحدة الامريكية .

لقد عرف المؤلف كيف يستفيد من المصادر التاريخية القديمة المعاصرة للاحداث التي تناولها في كتابه وعرف ايضا كيف يستفيـــد من الكتب الاخرى التي سبقته في تناول هذا الموضوع . وقد زود المؤلف كتابـــه بقائمة من المراجع التي تفيد كل من يريد الاستزادة في دراســـة نشاط بحرية بلاد الشمال الافريقي وعلاقة هذه البلاد مع غيرهـــا من الدول الاوربية والامريكية .

هذا والكتاب غزير في مادته مكتوب بطريقة علمية وهو مزود ببعض الصور التاريخية التي تفيد في دراسة نشاط بحرية بلاد الشمال الافريقي وخاصة صور بعض ضباط البحرية الامريكية الذين كان لهم دور هام في هذا النشاط وان كنا بالأسف لا نجد صورا لقادة بحرية الشمال الافريقي الذين اسهموا في هذا النشاط . وبالكتاب ايضا بعض المعلومات الطريفة الخاصة بمعاملة الاسرى الذين كانوا يقعون في الاسر وكيف كان يستعان بهم في الوظائف بل وكيف كان يصل بعضهم الى أعلى المناصب مثل الاسير الامريكي جيمس كاثكارت James Cathcart الذي تولى اعلى مناصب حكومة الجزائر بتعيينه رئيس كتّاب البحرية الجزائرية (ص ١٤٧) . وقد كان هذا الاسير أحد أسرى السفينة الامريكية « ماريـــا » «Maria» التي استولت عليها البحرية الجزائرية في صيف ١٧٨٥ في البحر الابيض المتوسط والتي كان اسرها سببا في توتر العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية وبلاد الجزائر .

***

5 — Beer, George Louis, African Questions At The Paris Peace Conference. New York, The Macmillan Company 1923. xliv, 628 PP.

هذا المجلد عن «المسائل الافريقية في مؤتمر السلام بباريس» خرج الى السوق في مدينة نيويورك ١٩٢٣ وقد نشرته شركـــة ماكملان للنشر . والكتاب من تأليف الاستاذ جـــورج لويس بير George Louis Beer وهو من المؤرخين الامريكيين المعروفين بنشاطهم في ميدان التاريخ . وقد توفي هذا المؤلف يوم ١٢ مارس سنة ١٩٢٠ بعد ان انهكته اعمال مؤتمر

السلام الذي عقد في باريس في أعقاب الحرب العالمية الاولى لتسوية بقاياها وكان له دور كبير في اعمال هذا المؤتمر اذ كان رئيسا لقسم المستعمرات في الوفد الامريكي الى مفاوضات السلام كما كان العضو المناوب في لجنة الانتداب . وقد ترك المؤلف عدة مؤلفات تاريخية وان كان قد مات في الثامنة والاربعين من عمره . مات المؤلف بعد ان أعد كتابه هذا وقبل ان يتمكن من نشره ولهذا قام زميله الاستاذ لويس هربرت جري Louis Herbert Grey الذي كان سكرتيرا لقسم المستعمرات بنشر الكتاب في ١٩٢٣ بعد ان كتب للكتاب مقدمة قيمة .

يفيدنا الكتاب في دراسة موضوع المطالب الايطالية التي تقدمت بها ايطاليا الى مؤتمر الصلح في باريس بخصوص تعديل حدود مستعمرتها في ليبيا بشكل يفيدها في الاتصال بالمناطق الافريقية بالسودان . واذا كانت المعلومات الخاصة بالحدود الليبية قد جاءت مبعثرة في الكتاب مع قلتها الا ان الباحث يستطيع بسهولة تتبعها وحصرها مع ان فهرس الاسماء بالكتاب لم يأت وافيا ولهذا لا يمكن الاعتماد عليه تماما في هذا الخصوص.

بالكتاب بعض الخرط التاريخية التي تفيد في بحث موضوع الحدود الليبية وما أدخل عليها من تعديل مع ضرورة ملاحظة ان المؤلف كان يعالج ما كان قائما في ذلك الوقت دون الرجوع الى السوابق المعروفة .

***

6— Bermann, Richard ; Historic Problems of The Libyan Desert. The Geographical Journal, LXXXIII (June 1934), PP.456-70.

هذا بحث القاه الدكتور ريتشارد برمان Dr. Richard Bermann عن «المشاكل التاريخية للصحراء الليبية» في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بلندن مساء يوم ٨ يناير ١٩٣٤ بعد ان فرغ زميله الرحالة بنديرل Penderel من القاء بحثه عن الجلف الكبير (٣) .

واذا كان البحث الذي القاه بنديرل عن هضبة الجلف الكبير هو عبارة عن وصف مختصر لاهداف ونتائج البعثات العديدة التي كان هدفها الجلف

٣ ـ راجع البحث رقم ٥٩ .

الكبير ومن بينها الرحلة التي قام بها هو نفسه فان بحث الدكتور ريتشارد برمان يعطينا صورة عن الحالة التي كانت عليها منطقة الجلف الكبير منذ ان وجدت منذ آلاف السنين .

خلاصة القول ان بحث الدكتور ريتشارد برمان هو بحث تاريخي لمنطقة الجلف الكبير في الوقت الذي كان فيه بحث الرحالة بنديرل بحثا جغرافيا يصف ما هو كائن وموجود في منطقة الجلف الكبير .

يبدأ الباحث موضوعه بالاشارة الى فضل صديقه الرحالة المجري لاديسلوس ادوارد دي الماسي Ladislaus Edward de Almasy في اثاره اهتمامه بالصحراء الليبية اذ كان هذا الرحالة المجري اعتاد قضاء فصل الشتاء في مصر والسودان وأصبح أحد الرواد الذين كانوا يتجولون بالسيارة في الصحراء وكان كلما عاد من جولته الصحراوية اخذ يتحدث عن نشاطه في الكشوف الصحراوية وما لبث ان اصبح مولعا بقضية واحة « زرزورة » Zerzura التي كان موضوع حقيقتها غامضا وقد كثرت الاقوال حول وجود بعض الاراضي الخصبة في الصحراء الى الغرب من نهر النيل . وقد تحدث الكتّاب العرب طيلة العصور الوسطى عن واحة مختفية وأن اسمها كان «زرزورة» ومعناها واحة العصافير الصغيرة . وقد جاء ذكرها لأول مرة في القرن الثالث عشر (ص ٤٥٦) . ويسجل لنا الرحالة بعض الاقوال التي جاءت حول هذه الواحة . ويذكر لنا بأن إ.ج. ويلكينسون I. G. Wilkinson كان اول اوربي يسمع عن اسم «زرزورة» وقد ذكرها في كتابه المنشور في ١٨٣٨ م عندما تحدث عن مواطني واحة الداخلة الذين تحدثوا له عن واحة تقع الى الغرب من طريق القوامل بين واحة الفرافرة وواحة البحرية وأنها كانت تسمى «زرزورة» ويستمر الباحث في تسجيل بعض الآراء التي ذكرها الكاتب الاوربي ويلكينسون حول هذه الواحة الغامضة وتحديد موقعها .

وقد انتهى الرحالة المجري «الماسي» بأن هذه الواحة لا بد وانها تقع في منطقة الجلف الكبير وانه اذا استطاع اكتشافها وتحديد موقعها فان الكثير من النقط الغامضة في تاريخ افريقية يمكن شرحها بسهولة منذ بداية حملة قمبيز في التاريخ القديم حتى الهجوم الذي قام به السنوسيون بزعامة السيد أحمد الشريف السنوسي على صحراء مصر الغربية اثناء الحرب العالمية الاولى . ويقول الكاتب ان التاريخ يسجل حدوث عدة غارات قامت بها جماعات سوداء من الغرب على الواحات المصرية في صحرائها الغربية طيلة القرون الماضية فاذا كانت هذه الجماعات قد جاءت

من الكفرة او من تيبستي فكيف استطاعت عبور الصحراء وهي خالية من الماء والمرعى لمسافات بعيدة .

على هذا الاساس من الافتراض بخصوص كشف الغموض حول واحة «زرزورة» وتحديد موقعها وافتراض وجودها في الجلف الكبير نظـــم الرحالة المجري دي الماسي مع السير روبرت كلايتون ايست كلايتون (٤) Sir Robert Clayton - East Clayton والمستر باتريك أ. كلايتون (٥) Patrick A. Clayton بعثة كشفية في ١٩٣٢ استطاعت كشف اجزاء كبيرة من هضبة الجلف الكبير . وقد تكررت هذه البعثات الكشفية الى هذه المنطقة فيما بعد وكان من بينها بعثة بدأت اعمالهـــا يوم ١٤ مارس ١٩٣٣ م من القاهرة وقد وصل الباحث مع بعض رفاقه الى واحة الكفرة واعطانا وصفا لها ولأحوالها . وعند كلامه عن منطقة جبل العوينات يتكلم الباحث عن الكشوف الأثرية التي وجدها زميله الرحالة دي الماسي في بعض الكهوف حيث عثر على رسوم ملونة على جدرانها . وبعد ذلك جاءت بعثة برئاسة الاستاذ ليو فروبنيس Leo Frobenius من مدينـــة فرنكفورت للاهتمام بهذه الرسوم الحائطية ودراستها لأهميتها .

خلاصة القول ان الباحث حاول ان يكشف الغموض حول حقيقة واحة «زرزورة» وتحديد موقعها واستعراض الاقوال التي قيلت في هـــذا الخصوص مع الاهتمام بالرسوم الحائطية الملونة التي اكتشفها زميله الرحالة دي الماسي .

وبعد القاء هذا البحث دارت مناقشة بين الحاضرين بخصوصـــه وبخصوص البحث الذي سبقه والذي القاه زميله بنديرل(٦) Penderel بقي ان نقول ان الدكتور برمان Dr. Bermann صاحب هذا البحث التاريخي كان نمساوي الجنسية (ص ٤٦٤) وأنه قد زود بحثه بالصور التوضيحية وأحدث الخرط الجغرافية في ذلك الوقت .

---

٤ ـ راجع البحث رقم ٦٤ .

٥ ـ راجع البحث رقم ١٤ .

٦ ـ راجع البحث رقم ٥٩ .

7 — Bovill, E. W. ; Colonel Warrington. The Geographical Journal, June, 1965, PP. 161 - 66.

كاتب هذا المقال هو الاستاذ إ.و. بوفيـــــل E.W. Bovill وقد سبق لنا التعريف به وببعض نشاطه العلمي في الجزء الاول من هذا الكتاب (٧) . ولكن بقي علينا ان نذكر ان هذا الكاتب قد توفي في أواخر ١٩٦٦ م .

أما موضوع المقال فهو «الكولونيـــل ورنجتون» Colonel Warrington القنصل العام لبريطانيا في مدينة طرابلس وقد وصل اليها يوم ٣٠ نوفمبر ١٨١٤ (ص ١٦٢) في عهد يوسف باشا القره مانلي . والمقال ترجمة لحياة هذا القنصل الذي قام بدور اساسي في حياة البلاد ونجـــح في كسب صداقة يوسف باشا وعرف كيف يخدم المصالح البريطانية في ليبيا وكان له فضل كبير في الكشف عن الآثار القديمة في لبدة وغيرها وقد حمل الكثير منها الى المتحف البريطاني في لندن . وبفضل حمايته للرحالـــة والمبعوثين البريطانيين استطاع الكثير منهم الوصول الى السودان الغربي عبر الصحراء الكبرى . وكان التنافس قويا بينه وبين القنصل الفرنسي في سبيل الوصول الى نهر التيجر عبر الصحراء الكبرى .

خلاصة القول ان تاريخ ليبيا في عهد يوسف باشا القره مانلي بعد مجيء الكولونيل وارنجتون اليها في ١٨١٤ لا يمكن فهمه على حقيقته دون معرفة الادوار التي لعبها هذا القنصل ويكفي أن نعرف دوره الخطير في المنازعات العائلية التي حلت بالأسرة القرەمانلية في آخر عهد يوسف باشا والتي ساهمت في آخر الامر في انهاء الحكم القرەمانلي في ليبيا والعودة بها الى الحكم العثماني المباشر .

ويختم الكاتب مقاله عن الكولونيل ورنجتون بذكر تاريخ وفاته على انه كان يوم ١٧ أغسطس ١٨٤٧ في بلدة بتراس Patras ببلاد اليونان حيث كان يقيم توماس ود Thomas Wood كقنصل لبريطانيا هناك . وقد سبق لتوماس ود ان شغل وظيفة نائب قنصل لبريطانيا في مدينة بنغازي عندما كان ورنجتون قنصلا عاما بمدينة طرابلس وكان توماس ود قـــد تزوج بالارملة ايما وارنجتون Ema Warrington ابنة القنصل البريطاني بعد ان قتل زوجها الرحالة الانجليـــــزي جوردن لانج Gordon Laing

---

٧ ـ راجع البحث رقم ١٥ والبحث رقم ١٦ في الجزء الاول من هذا الكتاب .



المؤلف أمام قبر الكولونيل هارنمر س. ورنجتون القنصل البريطاني في مدينة طرابلس موضوع هذا المقال . لوحة القبر تسجل تاريخ الوفاة على انه كان يوم ١٢ ديسمبر ١٨٤٣ عكس ما جاء في مقال الاستاذ إ.و. بوفيل .

ثم تزوج مرة ثانية باختها .

وفي المقبرة الموجودة على شاطىء البحر بالقرب من نادي الصيد بمدينة طرابلس يوجد قبر هـ. س. ورنجتون H.C. Warrington وقد زرت قبره ووقفت عليه شخصيا في ركن من المقبرة العامة مع عدد من افراد أسرته الذين ماتوا ودُفنوا معه في هذه المقبرة فكيف نوفق بين ما قاله الكاتب في هذا المقال ووجود هذا القبر في مدينة طرابلس ؟

بقي أن نقول أن الكاتب قد ذكر في مقاله ان وفاة الكولونيل وارنجتون كانت يوم ١٧ اغسطس ١٨٤٧ مع ان اللوحة المثبتة على قبره تذكر ان وفاته كانت يوم ١٢ ديسمبر ١٨٤٣ .

***

8— **Bradford, Ernle; The Great Siege. London : Hodder And Stoughton, 1962. 256 PP.**

مؤلف هذا الكتاب «الحصار الكبير» هو أرنل برادفورد Ernle Bradford وهو من مواليد ١٩٢٢ وقد التحق بخدمة البحرية البريطانية في ١٩٤٠ بعد قيام الحرب العالمية الثانية . وأمضى المؤلف معظم فترة الحرب في البحر الابيض . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي ١٩٥٠ على وجه التحديد اشترى المؤلف مركبا شراعيا وأمضى سنتين ونصفا وهو يتجول في البحر الابيض بمركبه . ومنذ ١٩٥٣ عبر ارنل برادفورد المحيط الاطلسي ثلاث مرات . وللمؤلف اهتمام بالكتابة وبجمع المجوهرات والقطع الاثرية . وقد كتب عدة كتب عن هواياته كما كتب عن التاريخ القديم والفخار . وكتابه هذا هو «الحصار الكبير» ويقصد به حصار جزيرة مالطة في ١٥٦٥ م. وقد عرف المؤلف جزيرة مالطة لأول مرة في ١٩٤٢ وذلك اثناء الحصار الكبير الثاني الذي تعرضت له الجزيرة في تاريخها . وقد صمدت له الجزيرة صمودا اثار اعجاب الجميع رغم ما قامت به قوات المحور من محاولات يائسة للقضاء على المقاومة فيها وبالتالي الاستيلاء عليها .

بدأ المؤلف في كتابة مؤلفه هذا في ١٩٦٠ وانتهى منه في ١٩٦١ وهو تاريخ الطبعة الاولى لهذا الكتاب . اما الطبعة الثانية فقد كانت في ١٩٦٢ وهي التي نقوم باستعراضها في هذه الصفحات . وهناك طبعة أخرى لهذا

الكتاب ضمن سلسلة «A Penguin Book» وقد صدرت الطبعة الاولى لهذا الكتاب في هذه السلسلة في ١٩٦٤ واعيدت الطبعة للمرة الثانية في ١٩٦٦ م.

يلاحظ المؤلف في مقدمته للكتاب بأن موضوع حصار مالطة الكبير في ١٥٦٥ لم يكتب عنه الشيء الكثير باللغة الانجليزية مع ان تبعية هذه الجزيرة لبريطانيا تعود الى ١٨١٤ ايام حروب نابليون بونابرت . وفي نفس الوقت كانت المكتبة الفرنسية والايطالية والاسبانية غنية بهذا الموضوع .

واذا كان الغرض من الكتاب هو دراسة الدور الذي قامت به جزيرة مالطة في ذلك الصراع البحري الذي ساد البحر الابيض بين القوات العثمانية وحلفائها من جهة والقوات الاسبانية وحلفائها من جهة أخرى فان المؤلف قد ركز بحثه حول موضوع الحصار الذي تعرضت له الجزيرة في ١٥٦٥ بعد ان صمم العثمانيون الاستيلاء عليها والقضاء على قوة فرسان مالطة الذين كانوا يقومون بمعاكسة العثمانيين في البحر الابيض خصوصا بعد ان تم طردهم من جزيرة رودس وتم لهم الاستقرار في جزيرة مالطة. ومن جزيرة مالطة اخذ فرسان القديس يوحنا يضايقون البحرية العثمانية خصوصا بعد أن تم لهم الاستيلاء على مدينة طرابلس وضواحيها بعد ان تنازل لهم عنها شارل الخامس ملك اسبانيا . ولما نجح العثمانيون في طرد فرسان مالطة من مدينة طرابلس ١٥٥١ اشتد الصراع بين الطرفين وصمم العثمانيون على الاستيلاء على جزيرة مالطة وكان ذلك في ١٥٦٥ . وكان درغوت باشا واليا على ليبيا وكان له الدور الاساسي في هذا الحصار البحري الذي فرضه العثمانيون حول جزيرة مالطة . وكاد درغوت باشا ينجح في الاستيلاء على الجزيرة ولكنه استشهد وعاد اصحابه بجثمانه ليدفن في جامعه بمدينة طرابلس .

يفيد الكتاب في دراسة تاريخ بعض الشخصيات العثمانية التي كان لها دور كبير في تاريخ البحرية العثمانية وفي مقدمة هؤلاء درغوت باشا الذي يرتبط تاريخ نشاطه البحري بتحرير مدينة طرابلس من فرسان مالطة وبأعماله في ليبيا كوالٍ عثماني عليها وبحملته البحرية التي ساهم بها في حصار جزيرة مالطة ١٥٦٥ وبدفنه في جامعه الذي شيده بمدينة طرابلس.

والواقع ان درغوت باشا يستحق دراسة تاريخية خاصة به ولا يكفي ما جاء في هذا الكتاب بخصوصه وان كان ما كتبه المؤلف في هذا الخصوص يلقي الضوء على الكثير من جوانبه التاريخية ويكفي ان نذكر ان هذا الكتاب يسجل لنا رأي قادة البحرية المسيحية وسكان السواحل الاوربية في هذا

6/10/1956

## Bir Bakıma

# Turgut Reis!

**Orhan Seyfi ORHON**

İstanbul Belediye Meclisi Büyük Türk Denizcisi Turgut Reis'in kemiklerini Libya çöllerinden İstanbul'a getirmeğe karar verdi. Meclisin en güzel kararlarından birinin bu olduğuna şüphe yok! Muğla vilâyetinin köylerinden birinde doğmuş bir Türk gemicisinin ana vatan topraklarına, mezarında hasret çekmesine daha fazla tahammül edemezdik. Onun yeri gençliğinde hizmetine girdiği Büyük Reis Barbaros'un bulunduğu yerdi. Onunla birlikte Boğazın sularının sesini duymadan ruhunun tam bir huzura kavuşmıyacağı muhakkaktı.

Turgut Reis'e talihi gençliğinden beri garip cilveler göstermişti. Hayatının ilk gençlik yılları rençberlik ve çobanlıkla geçmişti. Bir gün, bir korsan gemisine tayfalıkla girdikten sonra Cezayir'e giderek Barbaros Hayreddin'in maiyetine girmişti. 1538 de Preveze harbine katılıp yararlıklar göstermişti.

Bir gün, küçük donanmasıyle Korsika'da dinlenirken baskına uğrayıp esir edilmiş, üç yıl ayağından zincire bağlı, kırbaçlar altında Venedik gemilerinde forsa olarak çalıştırılmıştı. Barbaros, bütün Ceneviz limanlarını basacağını söyliyerek onu kurtarmıştı.

Osmanlı Devletinin hizmetine girdiği zaman da talihinin cilvesine uğramaktan kurtulamamıştı. Malta şövalyelerini sindirerek Akdeniz boylarını titreten bu ünlü Reis'e Devlet, şanına lâyık olandan çok küçük bir mevki vermişti. Rüstem Paşa'nın kibirli muamelelerine dayanamıyarak çekip gitmiş, Tunus Beyinin hizmetine geçmişti. Fakat Kanuni onu tekrar çağırmış, hediyeler göndererek gönlünü almıştı.

Ama, yine talihinin cilvesinden kurtulamadı: Hükümdar, Trablus'u fethederse kendisini vali yapacağını vaadetmişken Trablus'u zaptından sonra oraya Hadım Murat Paşa tayin edilmişti. Turgut Reis, bir gün Edirne'de Padişahın atının dizginini tutarak bu vaadini hatırlatmış, böylece kendisine on sene süren Trablus Valiliği verilmişti!

Talihinin son kahpece cilvesi, Malta muhasarasında burçların birinden atılan bir kurşun oldu. Onu çok ağır yaralıyarak seksen yaşında ecelin pençesine teslim etti. Nâşı beş gemilik bir filoyla Trablusgarp'a götürülerek defnedildi.

İşte, o tarihten beri Büyük Türk Gemicisi Muğlalı Turgut Reis Libya çöllerinde uyumaktadır. Şimdi Ana Vatana geliyor! Artık bu elemli bahtın ona gülümsemesi gerekti!

Şair Yahya Kemal'in istediği gibi Turgut Reis'in mezarı, Barbaros'un karşısında olmalı! Biri Beşiktaş'ta ebedi uykusunu uyurken, öbürü de onun karşısında, Üsküdar'da tam bir huzur içinde yatmalı! Bir âbide de ona dikildikten sonra deniz bayramlarımızda Boğazdan geçen gemiler, bu iki Büyük Türk Denizcisini bir arada selâmlamalıdır!

Türkiye Kızılay Cemiyeti Umumî

ما جاء في الصفحة الثانية من جريدة «ظفر» التركية الصادرة بتاريخ ٦ اكتوبر سنة ١٩٥٦ بخصوص نقل رفاة «الريس درغوت» من مدينة طرابلس الى موطنه الاصلي في تركيا .

القائد البحري باعتباره يفوق سلفه خير الدين بربروســة وباعتبار ان المسلمين المعاصرين له كانوا يطلقون عليه لقب « سيف الاسلام المسلول » (ص ٩٠) . وبمناسبة ذكر هذا القائد أود ان اسجل الحقائق التاريخية الآتيــة :

اخبرني احد اصدقائي من الطلبة الاتراك الذين كانوا يدرسون معي في جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك ان جريدة «ظفر» التركية «Zafer» الصادرة بتاريخ ٦ اكتوبر ١٩٥٦ بمدينة انقره العاصمة التركية قد نشرت في صفحتها الثانية خبرا حول « الريس درغوت » مفاده ان هناك تفكيرا حول نقل رفاة هذا البطل الاسلامي من مدينة طرابلس ليدفن في مسقط رأسه باحدى الولايات التركية . والحقيقة ان هذا الخبر أزعجني وطلبت منه تزويدي بهذه الصحيفة التركية . ولما ترجم لي احد الاصدقاء ما جاء بخصوص هذا القائد في هذه الصحيفة كتبت رسالة الى سفيرنا في انقرة في ذلك الوقت المرحوم علي أسعد الجربي (٨) طلبت منه التدخل فــي الموضوع لايقاف اي محاولة في هذا الخصوص معتمدا على النقط الآتية :

١ ـ ان الريس درغوت في نشاطه البحري وقد استشهد وهو فــي الثمانين من عمره لم يكن يمثل الجانب التركي لأن العثمانيين في ذلــك الوقت لم يعرفوا التعصب للجنسية الطورانية بل كانوا يحكمون ويفتحون باسم الاسلام والمسلمين . وكان درغوت يمثل قمة هذا التفكير وهو يواجه البحرية الاسبانية وحلفاءها . وكان رفقاؤه يشاركونه هذا الاتجاه وقــد عادوا به الى مدينة طرابلس لدفنه هناك باعتبارها جزء من الوطن الاسلامي العام الذي كان درغوت يعمل على رفعة شأنه ولو كان الشعور التركــي

---

٨ ـ ولد بمدينة درنة ١٩٠٣ من أب كان موظفا بالادارة العثمانية المحلية . وكان ابوه من اصدقاء المرحوم عزيز باشا المصري . ذهب علي اسعد الجربي للدراسة في اسطنبول والتحق بمعهد «دار الشفقة» وكان المرحوم ساطع الحصري مديرا لهذا المعهد . لم يتم علي اسعد الجربي دراسته وعاد الى الوطن بعد ان عادت اسرته الى درنة بعد ان هاجر ابوه الى فلسطين وسوريا على اثر الاحتلال الايطالي للبلاد في سنة ١٩١١ . واشتغــل بالتدريس والادارة وكان له دور كبير في حياة البلاد السياسية وكان يتقن اللغات التركية والايطالية والفرنسية والانجليزية . وكان كثير القراءة والاطلاع ، شيق الحديث . توفي مساء السبت ١٩ ابريل ١٩٦٩ في مدينة طرابلس ونقل جثمانه الى مدينة بنغازي صباح الاحد التالي ودفن هناك بعد عصر ذلك اليوم في مقبرة سيدي عبيد الجنوبية .

سائدا بين اخوانه وزملائه لعادوا به الى موطنه الاصلي .
٢ ـ ان درغوت باشا عندما استشهد في حصاره لجزيرة مالطة كان قد اتى على رأس حملته البحرية من مدينة طرابلس وكان يرافقه في حملته الكثير من الليبيين وبعض البلاد الاخرى . ولم يأت درغوت باشا مباشرة من شواطىء الاناضول وعلى رأس قوة بحرية تركية صميمة وان كـــان السلطان العثماني في ذلك الوقت قد أرسل بعض قواته البحرية للاشتراك مع درغوت باشا في حصاره لجزيرة مالطة .
٣ ـ انه في ١٩٥٦ كان قد مضى على دفن درغوت باشا في جامعــه بمدينة طرابلس الغرب ما يقرب من الاربعمائة سنة ولهذا اصبح جامعـــه وقبره من اهم معالم المدينة وليس من السهل التخلي عن هذا التراث الذي اصبح ركنا هاما من اركان المدينة فضلا عما لقبر هذا الشهيد من مكانــة خاصة في نفوس أهل البلاد .
٤ ـ ان استمرار وجود قبر درغوت باشا في مدينة طرابلس فيه ما يذكر الجميع بتلك العلاقات التاريخية بين البلدين وقت ان جاء العثمانيون الى ليبيا لا كفاتحين بل كمخلصين بعد ان بدأ الاسبان وحلفاؤهم يزحفون الى الشمال الافريقي وبعد أن تم لهم طرد المسلمين من الاندلس وبعد ان استنجد اهل البلاد بالعثمانيين لتخليصهم من الاسبان وفرسان مالطـــة الذين حلوا محل الاسبان .
وقد اهتم السفير بهذا الموضوع وكتب اليّ رسالة بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥٧ جاء فيها بخصوص نقل رفاة درغوت باشا ما يأتي :
«اما فيما يختص بالرئيس طورغوت فان امر نقل رفاته الى تركيا أثير في وقت مضى ولكنه قُبِرَ في مهده وأصبح نسيا منسيا . وطورغوت قائد اسلامي قبل ان يكون قائدا تركياً بالنسبة للدور الذي عاش وجاهد فيه وما كان في الواقع سلاطين آل عثمان عندما وصلوا الى اسوار فيينا يعدّون انفسهم قوادا اتراكا بل كانوا يرون في انفسهم صفة الاسلام وعلى رأس هؤلاء السلطان محمد الفاتح والسلطان سليمان القانوني» .
وعاد السفير يؤكد ما جاء في رسالته السابقة بخصوص نقل رفـــاة درغوت باشا في رسالة أخرى بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٥٨ :
«وأما فيما يختص بنقل رفاة المرحوم البطل السيد طورغوت فيمكن ان تتطمئنوا انه ليس هناك شيء من هذا وان اثير الموضوع سابقا فانه قد دفن نهائيا وبهذه المناسبة أقول ان فخامة رئيس الجمهورية التركية زار ضريحه وارتجل فيه خطبة جاءت آية في البلاغة فيها معنى التآخي بين العـــرب

والترك في التاريخ وخاطب الرئيس ضريحه بأن بطولته كانت بفضل من آزره وجاهد وإياه من ابناء ليبيا البررة الابطال وطلب اليه ان ينام مستريح البال لانه في أرضه وبين اخوانه وذويه .

هذا كما ان فخامة الرئيس امر بترميم الضريح على أسس فنية حديثة وبالفعل سافر من هنا اثنان من المهندسين المختصين بالمعمار الاسلامي وهذا كله يبعث على طمأنينتكم وراحة بالكم» .

وأخيرا بقي ان نقول ان الكتاب مزود بقائمة بالمراجع التي اعتمد عليها المؤلف في دراسته للموضوع كما ان الكتاب مزود بفهرس للاسماء التي ورد ذكرها الى جانب عدد من الخرط والرسوم التاريخية التوضيحية .

***

9— Braun, Ethel; The New Tripoli And What I saw In The Hinterland. London, Adelphi Terrace; Leipsic, Inselstrasse 20 , 1914. 302 PP.

هذا الكتاب «طرابلس الجديدة وما رأيت في دواخلها» من تأليف الكاتبة اثل برن Ethel Braun وهي سيدة انجليزية قامت بزيارة مدينة طرابلس في اكتوبر ١٩١٣ وان كانت الطبعة الاولى للكتاب قد صدرت في ١٩١٤ . وعندما جاءت الكاتبة الى مدينة طرابلس كان على رأس الادارة الايطالية الجنرال جاريوني Garioni . وكان قد مضى عامان على الغزو الايطالي للبلاد . ولهذا كان للكتاب أهمية خاصة من حيث اعطاء وصف هام لمدينة طرابلس واسواقها ومعالمها في آخر العهد العثماني الثاني وبداية العهد الايطالي ولم يكن قد مضى وقت طويل يسمح للايطاليين باحداث ما ادخلوه من تغييرات عليها . وقد اهتمت الكاتبة بصفة خاصة بالحديث عن اسواق المدينة وأهم مظاهر هذه الاسواق والحركة التجارية فيها . وقد اجادت في تسجيل ملاحظاتها والادلاء بها ويبدو أن طبيعة المرأة من حيث الحرص على معرفة الاسواق وما بها من مشتريات كان من أهم العوامل التي ساعدتها في اعطاء هذه المعلومات الحية . واعطت الكاتبة ايضا اهمية خاصة للحديث عن قوس ماركو اورليو المعروف بقوس الرخام حاليا في منطقة باب البحر بالقرب من جامع قورجي وقامت بوصفه وصفا دقيقا مع الاهتمام بدراسة ما عليه من نقوش .

واهتمت الكاتبة بتزويد كتابها بثمانية وخمسين صورة لأهم المعالم التي لفتت انتباهها . ولقد أصبح لبعض هذه الصور قيمة تاريخية لانها تسجل لنا بعض معالم المدينة التي اختفت نتيجة لما حدث لها من تغيير وتطور حضاري بحكم الزمن ومروره .

***

10-British Administration, Department of Agriculture. Survey of Land Resources In Tripolitania. Tripoli, 1950. 156 PP.

أصدرت ادارة الزراعة في عهد الادارة البريطانية لما كان يعرف باسم ولاية طرابلس في ذلك الوقت ، كتابا باسم «مسح لموارد الارض في ولاية طرابلس» وذلك في ١٩٤٥م. وقد أعيد طبع هذا الكتاب في١٩٥٠ . ويقول مراقب الزراعة ر.ل. روب R.L. Robb في ذلك الوقت وهو من الرجال العسكريين في الخطاب المرفق بالكتاب والمرفوع الى رئيس الادارة البريطانية البريجادير ت. و. بلاكلي T.R. Blackley بتاريخ أول أغسطس ١٩٤٥ انهذا التقرير قد أعده الكابتنج.و. رولاند J.W. Rowland ضابط الابحاث في ادارة الزراعة وقد تفرغ لمساعدته عدد من موظفي الادارة البريطانيين والايطاليين وان كان جميع موظفي ادارة الزراعة قد تعاونوا في حدود امكانياتهم في اخراج هذا التقرير الذي جاء معبرا عن وجهة نظر ادارة الزراعة في مجموعها .

هذا التقرير الزراعي عن المناطق الغربية في ليبيا يفيد كل من يريد دراسة التاريخ الاقتصادي للبلاد ودراسة التطور الزراعي لها والاحوال الزراعية التي كانت سائدة في البلاد في العهد الايطالي ثم في عهد الادارة البريطانية . وبالتقرير الكثير من الاحصائيات التي تفيد في الدراسة فضلا عن المعلومات التاريخية التي تتعلق ببعض انواع الاشجار التي استوطنت البلاد كشجرة الزيتون التي يقول التقرير باحتمال دخولها الى البلاد على يد الفينيقيين عندما جاءوا الى الجزء الغربي من ليبيا وانشأوا مراكزهم التجارية على الساحل والتي كان من بينها المدن الثلاثة وهي لبدة وأويا وصبراتة .

وبالكتاب مجموعة من الخرط الجغرافية التي تبين مصادر المياه الجوفية ومستوياتها مع ملاحظة ان بعض هذه الخرط مرفقة بالكتاب

وبعضها الآخر منفصل عنه في غلاف . والكتاب في جملته وثيقة علمية رسمية يمكن الاعتماد عليها في دراسة الوضع الزراعي وتطوره مع الكثير من المعلومات الاخرى التي تفيد في دراسة تاريخ البلاد في العهد الايطالي وفي عهد الادارة البريطانية .

***

11— C., F.R.; Italians In Tripoli And Cyrenaica The Geographical Journal, XLII (July, 1913), 67 - 8 .

نشرت «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر في يوليو ١٩١٣ نقداً بقلم ف.ر.س. لأحد الكتب التي خرجت الى السوق في ١٩١٢ والتي تحدثت عن الرواد الايطاليين في ليبيا وعلاقة هؤلاء الرواد بالجمعية الايطالية للكشوف الجغرافية والغرفة التجارية لمدينة ميلانو في ايطاليا فيما بين ١٨٨٠ و١٨٩٦ م .

يحتوي الكتاب الايطالي على الكثير من المواد المختلفة لعدد من البعثات الايطالية التي عهد اليها في ١٨٨١ للقيام بالكشف في منطقتي طرابلس وبرقة والجهات الداخلية فيها لصالح الاقتصاد الايطالي . ويتبين من عنوان المجلد الايطالي ان الرحلات الايطالية العلمية واقامة الايطاليين المبعوثين في المناطق الساحلية فيما بين تونس ومصر كانت محدودة بستة عشر سنة فيما بين ١٨٨٠ و١٨٩٦ . وهي بذلك تكون قد جاءت تالية لابحاث الرحالة الالماني رولفس **Rohlf's** في ١٨٧٩ .

وبهذا المجلد عدة فصول تتناول طرابلس وبنغازي ودرنة . وهناك فصل كتبه ج.أ فروند G.A. Freund يصف فيه الطريق الساحلي من بنغازي الى طرابلس ماراً بخليج سرت . وهناك مقالة قصيرة كتبها الاستاذ ج. سكوينفورث G. Schweinfurth الذي يعالج فيها زيارة قام بها لميناء طبرق . وعندما انتهى هذا الرحالة الالماني من رحلته عاد الى بلاده

---

9 — Pioneri Italiane in Libia. Relazioni dei delegati della Sociata Italiana de Esplorazioni Geographiche e Commerciali di Milano 1880 - 1896. Milan : Vallardi, 1912 . 599 PP.

عن طريق ايطاليا حيث سلم نتائج ابحاثه الى المسئولين في ايطاليا اذ انه قام بهذه الرحلة لحساب الحكومة الايطالية .

أما الكابتن كامبريو Camperio فيحكي لنا زيارته الاولى لطرابلس في ١٨٨٠ م ورحلته التالية مع السنيور مامولي Mamoli لبرقة . أما السنيور ب. لونجو P. Longo فقد كتب مقالة عامة عن الطريقة السنوسية . ويجب ان نلاحظ ان الاحصائيات والمعلومات المعطاة في مختلف الروايات قديمة بعض الشيء ومعظمها يعود الى ثلاثين سنة سابقة . ويبدو هذا واضحا فيما كتبه السنيور د. كروس D. Kraus عن واحة غات التي خصص لها الفصل الثالث من الكتاب . وقد اعترف السنيور كروس بأنه لم ير واحة غات وان مصدره الاساسي في هذا الخصوص كان أحد امراء غات واسمه الحاج عثمان بن عمر الذي كان محل ثقته للاعتماد عليه في تسجيل معلوماته عن غات . ولم تكن واحة غات في ذلك الوقت مركزا للانتاج بل كانت مركزا للتبادل بين بورنو Bornou وبلاد الهوسا Hausland في الجنوب ومدينة تمبكتو وواحة توات Tuat في الغرب . اما من جهة الشمال فقد كانت غات تتعامل مع مدينة طرابلس وتونس والجزائر وغيرها من المدن الساحلية شمالا . اما من جهة الشرق فقد كانت على اتصال بواحة مرزق وواحة أوجلة ومصر . وكانت غات تقيم معرضين كبيرين كل سنة . كان أحد هذين المعرضين يقام في فصل الصيف وأما الآخر فقد كان يقام في الشتاء . وكانت واحة غات تستورد العاج والعبيد وريش النعام من الجنوب. وكانت غات تعيد تصدير ريش النعام الى طرابلس . وكانت قيمة هذا الريش تقدر بحوالي ٤٠٠٠٠٠ فرنكا او ١٦ الفا من الجنيهات الاسترلينية في كل سنة . ويقول السنيور كروس Kraus ان واحة غات ربما كانت المدينة الوحيدة في الامبراطورية العثمانية التي اقيم فيها سوق علني لتجارة العبيد . وكان الاتراك على علم بحركة تجارة العبيد القائمة فيها ولكنهم كانوا يخشون التدخل لمنعها حتى لا يثيروا النفوس ضدهم. وكان عدد العبيد الذين يستوردون سنويا غير معروف بالضبط ولكن من المؤكد انه كان لا يقل عن الألفين .

ويعطينا كروس Kraus قائمة بالرحالة الاوربيين الذين زاروا بلدة غات . وبمراجعة هذه القائمة نجد ان عدد الرحالة قد زاد على ١١ رحالة. وكان أحدث هؤلاء الرحالة ثلاثة بالذات بالنسبة لذلك الوقت وهم الرحالة

الفرنسي هنري دو فرير(١٠) H. Duveyrier والرحالة الالماني إ. فون باري E. Von Bary والرحالة الالماني الآخر ل. فون كسيلاغ الذي زار غات في ١٨٧٩ . أما الرحالة البريطانيون فقد كان من بينهم كلابرتون ولتر أودني Clapperton Walter Oudney وجيمس ريتشردسون James Richardson (١٨٥٠) (١١) .

ويحتوي المجلد الايطالي على ١٤٠ صورة صغيرة للايضاح وهي تختلف في أهميتها وقيمتها التاريخية بالنسبة لما جاء في المجلد ولكن الملاحظ انها من النوع الصغير الحجم الشيء الذي يقلل من الاستفادة منها .

بقي ان نقول ان ما جاء في هذا المجلد من حقائق تاريخية يتعارض والقول الشائع في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من ان البلاد كانت مغلقة أمام الرحالة الاجانب . واذا كان هناك فرمان سلطاني قد صدر في ١٨٨٠ بخصوص الرحالة الاجانب فانه قد صدر للتنظيم ولحماية هؤلاء الرحالة بدليل ان الكثير منهم قد جاء الى البلاد وتجول فيها . واذا كانت الحكومة التركية قد فكرت في منع هؤلاء الرحالة من دخول البلاد فليس عليها لوم وقد كان معظم هؤلاء الرحالة طليعة للاستعمار الاوربي كما يتبين لنا ذلك من هذا المجلد ومن عنوانه بالذات . هذا ويجب ان نلاحظ ان معظم الرحالة كانوا يحيطون أعمالهم بالتهويل والشك في الاشياء التي لم يألفوها بحكم ما تعودوه ولرغبتهم في التأكيد على الجانب البطولي في اعمالهم لكسب التقدير والاعجاب وان كان هذا على حساب الحقيقة والواقع .

وأخيرا فان هذا المجلد الايطالي موضوع النقد الذي نشرته «المجلة الجغرافية» الانجليزية موجود بالمكتبة الحكومية بمدينة طرابلس .

---

١٠ ـ يمكن الرجوع الى البحث رقم ٢٧ في الجزء الاول من هذا الكتاب لمن يريد معلومات اكثر عن هذا الرحالة الفرنسي .

١١ ـ يمكن الرجوع الى البحث رقم ٦٥ في الجزء الاول من هذا الكتاب لمن يريد معلومات اكثر عن هذا الرحالة الانجليزي.

12—C., F.R., The Central Sahara. The Geographical Journal. May, 1909. P. 582 .

نشرت «المجلة الجغرافية» الانجليزية في عددها الصادر في مايو ١٩٠٩ نقداً علميا للأستاذ ف. ر. س. لكتاب «حدودنا الصحراوية . دراسة للتنظيم العسكري» . وقد ألف هذا الكتاب كل من الكابتن أرنو Arnaud واللفتنانت م. كورتيي Cortier وتم نشر هذا الكتاب في باريس في ١٩٠٨ اي قبيل الغزو الايطالي لليبيا وفي وقت كان الخلاف فيه بين السلطات العثمانية في ليبيا والسلطات الفرنسية في تونس والجزائر قد بدأ بشأن مناطق النفوذ التابعة لكل منهما خصوصا بعد أن تغلغلت فرنسا بنفوذها في الصحراء الكبرى .

هذا والكتاب (١٢) يفيد في دراسة الجهود التي بذلها الاوربيون في التغلب على مصاعب الصحراء الكبرى في سبيل الوصول الى السودان وتأمين المواصلات بين الساحل الافريقي المطل على البحر الابيض المتوسط ووسط افريقية .

***

13—Carpenter, Frank G. ; From Tangier To Tripoli. Morocco , Algeria, Tunisia, Tripoli and The Sahara. New York, 1925. xiv, 273 PP.

مؤلف هذا الكتاب هو الرحالة الامريكي فرانك ج. كاربنتر Frank G. Carpenter وقد قام برحلته في بلاد الشمال الافريقي مبتدئا من طنجة الدولية في ذلك الوقت ماراً ببقية بلاد مراكش والجزائر وتونس وأخيرا الاجزاء الغربية من ليبيا حتى وصل مدينة طرابلس وذلك في العهد الايطالي . وقد نشر الرحالة كتابه في نيويورك بالولايات المتحدة الامريكية في ١٩٢٥ بعد عودته اليها بعنوان « من طنجة الى طرابلس . مراكش . الجزائر . تونس . ليبيا والصحراء الكبرى» . ويذكر المؤلف ان وزارة الخارجية الامريكية قد زودته برسائل توصية الى ممثليها في بلاد الشمال الافريقي لتقديم المساعدة له . وفي هذه الاشارة ما يكفي لفهم

---

12 — E. Arnaud and M. Cortier; Nos Confins Sahariens, Etude d'Organisation Militaire. Paris : Emile Larose. 1908 .

الغرض من هذه الرحلة .

يحتوي الكتاب على ثمانية وعشرين فصلا وقائمة بالمراجع التي اعتمد عليها في كتابه . وكثير منها كان من المؤلفات الامريكية . وبالكتاب فهرس بالاسماء وعدد كبير من الصور التي التقط المؤلف بنفسه الكثير منها . ويهمنا من هذا الكتاب الفصل الخامس والعشرون الذي يتحدث فيه المؤلف عن مدينة طرابلس التي كانت نهاية مطافه ببلاد الشمال الافريقي . والمؤلف في حديثه عن مدينة طرابلس يشير الى موضوع اسر السفينة الامريكية « فيلادلفيا » Philadelphia ولكن بطريقة فيهـــا الكثير من طمس الحقائق خصوصا عندما يصف اهل البلاد بأنهم كانوا شبــــه متوحشين «Semi Savages» عندما قاموا بهذا العمل . وليس هنا مجال الرد على مثل هذا القول ولكن يكفي ان نعرف ان «السفينة فيلادلفيا» هي التي جاء اصحابها الى ميناء طرابلس للاعتداء عليها ولم يذهب اهل طرابلس الى المياه الامريكية وقاموا بأسر هذه السفينة وعادوا بها الى بلادهم . وما كان لأهالي طرابلس ان يفعلوا معها ومع اصحابها الا ما فعلوه وما كان علينا ان ننتظر منهم ان يستقبلوها بالاحضان والترحاب !!

ويعطي المؤلف وصفا عاما مختصرا للبلاد الليبية مع مقارنة مساحتهـا ببعض الولايات الامريكية ولكنه يبالغ عندما يذكر لنا ان سكان ليبيا في ذلك الوقت كانوا حوالي ستة ملايين (ص ٢٣٤) ولا ندري من اي مصدر استقى الكاتب مثل هذه المعلومات . ويذكر المؤلف ايضا ان سكان مدينة طرابلس كانوا اكثر من ٧٠ الف نسمة (الصورة المقابلة لصفحة ٢٣٨) .

يتحدث المؤلف عن مدينة طرابلس ويعطي لنا وصفا عاما لها مشيرا الى أهميتها كمركز لتجارة القوافل مع بلاد السودان وغيرها حتى انه يسميها بمدينة القوافل Tripoli a City of Caravans (ص ٢٣٥) . وفي الواقع ان مدينة طرابلس استمرت تعتمد على القوافل في اتصالها بالجهــــات الداخلية في ليبيا وفيما ورائها اذ ان الطرق الساحلية والمتفرعة منها لم تتم بعد في ذلك الوقت وكانت السيارات محدودة العـــــدد ومحدودة الامكانية في التحرك ووصل اطراف البلاد . ولا ينسى المؤلف ان ينشـر صورة لقوس ماركو اورليو ويذكر لنا في الصورة المنشورة له انه كـــان مستعملا كناد ليلي في المدينة Cabaret (ص ٢٣١) . وهذا الوصف الذي سجله لنا المؤلف لمدينة طرابلس يفيد في دراسة التطور العمرانـــي والاجتماعي لمدينة طرابلس بصفة خاصة وبقية البلاد بصفة عامة .

اما الفصل السادس عشر فيخصصه المؤلف للحديث عن واحات ليبيا

ويشيد بعناية الاهالي بسوانيهم (ص ٢٤٢) التي قام بزيارة بعضها في منطقة المنشية المحيطة بمدينة طرابلس . وهنا نجد المؤلف يقدر عدد سكان ليبيا بمليون او اكثر . وهكذا نجد المؤلف يناقض نفسه وقد سبق له أن قدر عدد سكان ليبيا بستة ملايين (ص ٢٣٤) . ويعود المؤلف هنا مرة ثانية للحديث عن اهمية مدينة طرابلس في تجارة القوافل مع بلاد السودان ويشير الى المحاولات التي بذلها الفرنسيون في سبيل تحويل تجارة القوافل الى مدينة قابس في جنوبي تونس كمركز وصل بين الموانىء الاوربية والمناطق الافريقية الداخلية . والمعلوم انه كان لحكومات تونس بعد استقلالها وفي الستينات الاولى من هذا القرن محاولات جادة في سبيل ربط الموانىء التونسية الجنوبية بالمناطق السودانية لاحياء التجارة مع بلاد السودان بعد أن نالت استقلالها .

ويسجل لنا المؤلف انطباعاته عن الاخبار والقصص التي استقاها من تجار القوافل الذين كانوا يتعاملون مع المناطق الداخلية والمصاعب التي كان يصادفها رجال القوافل . ويتحدث المؤلف عن أهم مراكز هذه القوافل مبتدئا بمرزق ويعطينا وصفا لهذه الواحة مع تقدير عدد سكانها ويذكرها على انها كانت عاصمة لفزان وقد استمر وضعها الاداري كذلك الى ان اتخذت الحكومة الايطالية واحة هون مركزا للادارة العسكرية للمناطق الجنوبية . وبذلك اخذت مرزق تفقد أهميتها بهذا التحول الاداري حتى اذا انتهت تجارة القوافل في اواخر العهد الايطالي فقدت مرزق أهميتها تماما كمركز تجاري هام يصل بلاد السودان بمدينة طرابلس ويقوم بتوزيع التجارة على بقية الواحات في الطريق الى الساحل الشمالي او بلاد السودان جنوبا .

وبعد مرزق يتحدث المؤلف عن واحة غات وأهميتها التجارية وما كان يقوم فيها من اسواق اتخذت صفة العرض السنوي الذي يحضره التجار من معظم المناطق المجاورة . وبعد ذلك يتحدث المؤلف عن واحة غدامس وأهميتها في تجارة القوافل .

وبانتهاء المؤلف من حديثه عن أهم الواحات الجنوبية في ليبيا من حيث الاهمية التجارية يعود لاتمام الكلام عن أهم المدن الساحلية كمدينة بنغازي ومدينة درنة ولكن بطريقة مختصرة وهو لا ينسى ان يشير الى جملة وليم ايتون William Eaton على مدينة درنة في ربيع ١٨٠٥ .

وفي هذا الفصل يتحدث المؤلف عن تجارة نبات الحلفا وكيفية جمعها واحضارها الى موانى التصدير والاغراض التي تستعمل فيها والبلاد التي

تقوم بتصنيعها والوكالات التجارية التي تقوم بجمعها للمصانع البريطانية.
وبعد الانتهاء من زيارة مدينة طرابلس قام الرحالة الامريكي بالسفر الى جزيرة مالطة في الطريق الى مدينة الاسكندرية بعد ان اعطى القارىء وصفا عاما للبلاد التي مر بها وبعد ان أثار الكثير من النقط التاريخية دون محاولة القيام بدراستها وتحليلها . وهكذا جاء الكتاب في جملته عامـــا يصلح للقراءة العامة دون التخصص وان كان قد سجل لنا وصفا لأهـــم معالم البلاد في فترة من العهد الايطالي الذي عرفته ليبيا في العشرينـــات من القرن الحالي .

***

14– Clayton, P.A.; The Western Side of The Gilf Kebir. The Geographical Journal, LXXXI (March, 1933), PP. 254 — 59 .

هذا المقال نشرته «المجلة الجغرافية» الانجليزية بعددها الصادر في مارس ١٩٣٣ بخصوص الجانب الغربي من منطقة الجلف الكبير . والكاتب هو ب. ا. كلايتون وهو غير روبرت كلايتـــون Robert Clayton الذي تناولنا الكلام عنه في مكان آخر من هذا الكتاب (١٣) .
كان المستر ب. ا. كلايتون يعمل موظفا بمصلحة المساحة المصرية (١٤) في الثلاثينات من هذا القرن وقبل قيام الحرب العالمية الثانية بالذات . وكانت هذه المصلحة من أهم المصالح المصرية الحساسة التي تتحكم في الاراضي المصرية والتي تمكن موظفيها بحكم عملهم من معرفة الكثير عن مصر وجيرانها والتي تمكنهم ايضا من التنقل فيها بكل سهولة دون شك او ارتياب . وكان كلايتون هذا بحكم وظيفته وبحكم رغبته في ارتياد الصحراء المصرية واستكشاف صحاريها استطاع ان يحقق الكثير من الخدمات للقـــوات البريطانية عندما التحق بها برتبة رائد اثناء الحرب العالمية الثانية . وقد وجد ب.ا. كلايتون في نشاط الامير المصري كمال الدين حسين مـــا ساعده على ارتياد الصحارى المصرية وكشف اسرارها . وكان مـــن بين

---

١٣ ــ راجع البحث رقم ٦ والبحث رقم ٦٤ .
١٤ ــ راجع البحث رقم ٥٩ .

المناطق التي قام بارتيادها منطقة الجلف الكبير التي تقع بالقرب من الحدود الليبية الشرقية الجنوبية . وقد كانت هذه المنطقة حتى ١٩٢٣ غير معروفة تماما . وفي تلك السنة اي في ١٩٢٣ قام أحمد حسنين بك بعبور جزء من المنطقة التي تبعد عن منطقة الجلف الكبير اثناء رحلته المعروفة لكشف جبال اركنو Arkenu والعوينات Uweinat .

ويتناول الكاتب ب.ا. كلايتون في مقاله هذا الجهود والخطوات التي تمت في سبيل كشف منطقة الجلف الكبير قبل قيامه هو وبعض الزملاء برحلة تشفية الى هذه المنطقة في شتاء سنة ١٩٣٠ – ١٩٣١ . ويذكر هذا الرحالة في مقاله هذا (ص ٢٥٥) بعض المعلومات عن اهالي واحة الكفرة الذين اضطروا الى هجر واحتهم بعد ان استولى عليها الايطاليون واجبروا اهلها على الهرب وقد تعرضوا للموت وهم هائمون على وجوههم في الصحراء يحاولون الوصول الى وادي النيل وكيف اشترك هو وزملاؤه في تقديم المساعدات مما كانوا يحملونه لانقاذ هؤلاء الهاربين من الموت المحقق ويستمر الكاتب في وصف الرحلة والمصاعب الى صادفها هو وزملاؤه وكيف تم التغلب عليها .

ويعود الكاتب ليتحدث عن الرحلة التي قام بها بالاشتراك مع الرحالة المجري الماسي Almàsy في ١٩٣٢ لارتياد الصحراء الغربية المصرية وقد نظمها السير روبرت ايست كلايتون (١٥) Sir Robert Clayton East Clayton للوصول مرة ثانية الى منطقة الجلف الكبير واعادة دراستها والوقوف على معالمها من الجو باستعمال الطائرة . وقد انضم الى هذه المجموعة بنديرل Penderel بخلاف السائقين والمساعدين .

ويصف الرحالة رحلته والمناطق التي ارتادها في الجنوب الشرقي من ليبيا وهي منطقة جبال العوينات وان كان لم يجد سكانا هناك . وقد اجبرتهم الحاجة الى الماء على ارسال دي الماسي De Almàsy الى الكفرة لاحضار الماء اللازم وقد نجح في مهمته لحصوله على تأشيرة من السلطات الايطالية لدخول ليبيا . وكانت واحة الكفرة قد سقطت في أيدي الايطاليين ويقوم بادارة شئونها الميجر روللي Major Rolle . واعطانا الكاتب بعض المعلومات عن احوال الكفرة في ذلك الوقت وقد استمدها من زميله دي الماسي الذي ذهب اليها لاحضار الماء المطلوب .

---

١٥ – راجع البحث رقم ٦٤ .

ويتحدث الكاتب هنا (ص٢٥٩) عن خرافة وجود واحة باسم «زرزورة» Zerzura معروفة عند بعض سكان واحة الكفرة دون ان ينجح احد في تحديد موقعها . شغلت هذه الخرافة بال الكثيرين من الرحالة وعلى راسهم الرحالة المجري دي الماسي .

زود الكاتب مقاله ببعض الصور التي اخذت لبعض معالم المنطقة المرتادة كما زود بحثه بخريطة توضيحية لمنطقة الجلف الكبير وخريطة صغيرة لمصر تحدد موقع هذه المنطقة بالنسبة لبقية البلاد المصرية .

بقي ان نقول ان كلايتون الثالث هو البريجادير جنرال السير جلبرت كلايتون Brigadier General Sir Gilbert Clayton وقد عُرِفَ اثناء العمليات الحربية في الشرق الاوسط اثناء الحرب العالمية الاولى ، وكان له دور كبير في ادارة فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى كما كان له دور كبير في ادارة المخابرات البريطانية في منطقة الشرق الاوسط واستمر يلعب دوره الخطير حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

***

15 — Couper, H.S.; Further Notes On The Tripoli Hill Range. The Geographical Journal, IX (June, 1897). PP. 620 - 38 .

كان موضوع هذا المقال رحلة قام بها كوبر الى تلال ترهونة وما يجاورها وذلك في ١٨٩٧ . وكان لكوبر ثلاث رحلات وقد اتخذ من مدينة طرابلس مركزا لنشاطه وقد سبق ان قام برحلته الاولى في ١٨٩٥ كما قام برحلته الثانية في ١٨٩٦ .

قسم الكاتب موضوع المقال الى تسعة أجزاء . ففي الجزء الاول يستعرض الكاتب رحلته من طرابلس الى الخمس ووادي ترغلات عن طريق ترهونة ومنطقة الجفارة ومسلاته . وهو في هذا الجزء يشير الى كثرة الاماكن الإثرية في هذه المنطقة ولكنه يعزو الى النظام العثماني السائد في ذلك الوقت صعوبة القيام بأي كشف علمي او نشاط كشفي .

ترك الكاتب مدينة طرابلس يوم ٢ مارس لانه اعتاد ان يقوم بنشاطه العلمي في مثل هذا الشهر من كل عام . وفي هذا الجزء من المقال يعطي الكاتب اهمية خاصة لوصف الاودية الكثيرة التي تجري الى الشرق من مدينة طرابلس كما انه يصف في هذا الجزء منطقة مسلاته وما كانت تتمتع

به من حياة وازدهار خصوصا في ميدان انتاج الحلفا التي كانت تصدر من ميناء الخمس في ذلك الوقت والتي كانت مركزا لتجارة الحلفا على الساحل الشرقي . وفي هذا الجزء من المقال يشير الكاتب الى حقيقة جغرافية هامة وهي انه حتى ١٨٩٦ لم تنشر اي خريطة جغرافية يمكن ان يعتمد عليها اي رحالة في زيارة هذه المنطقة اذا استثنينا خريطة الدكتور بارث Dr. Barth ولم تبذل اي محاولة لاخراج خريطة جغرافية صحيحة يمكن الاعتماد عليها . وحتى خريطة بارث لم تخلُ من العيوب اذ انها تظهر ثلاثة او اربعة أودية على الخريطة ولكن تحديد موقعها لم يكن دقيقا . اما الخرط التي اعدتها وزارة الحربية لطرابلس فانها كذلك لم تكن دقيقة وبالتالي غير مفيدة حتى بالنسبة لاسماء بعض الاماكن الساحلية حيث وجد الرحالة كوبر أن تحديد اغلبها لم يكن صحيحا بالمرة .

وفي هذا الجزء دراسة لنشأة بلدة الخمس والظروف التي أدت الى وجودها وأهمية هذه البلدة وقد تنبأ بأهميتها في المستقبل . وبعد الخمس واصل الرحالة السير الى الشرق الى ما بعد سوق الخميس ، ومن هناك عاد في مركب الى مدينة طرابلس حيث وجد الاهالي يحتفلون بنهاية شهر رمضان المبارك وقد وصل الى مدينة طرابلس في ١٢ ساعة ونصف .

أما الجزء الثاني من هذا المقال فقد تناول فيه الكاتب دراسة الجغرافية الطبيعية لسلسلة التلال الممتدة من ترهونة ومسلاته شرقا الى نالوت غربا مع وصف لأودية هذه المنطقة ومعالمها ومناقشة ما كتبه الكتّاب السابقون بخصوصها . ويعطي الكاتب أهمية خاصة للكلام عن آثار لبدة التي كانت معالمها ظاهرة للعيان رغم اكداس الاتربة والرمال التي كانت تغطيها ثم ينتقل الكاتب للكلام عن قبائل ترهونة وقد حصرها في ٣٦ قبيلة . وفي هذا الجزء ايضا اعطى الكاتب اهتمامه لتجارة الحلفا وكيف بدأت في القرن التاسع عشر وموطن نمو هذا النبات الطبيعي وطريقة جمعه ونقله الى مينائي الخمس وطرابلس والارباح التي كان يجنيها الاهالي من جمع هذا النبات . وقد كانت هناك ثلاث شركات تقوم بجمع نبات الحلفا ومن بين هذه الشركات الثلاث شركة انجليزية .

ويختم الكاتب هذا الجزء من بحثه بنبذة تاريخية مختصرة عن مدينة طرابلس والفتح الاسلامي لها وتحديد مكان الربوة التي عسكر عليها عمرو بن العاص وجنوده قبل الاستيلاء نهائيا على المدينة ثم يعطي الكاتب قائمة بالاقسام الادارية للبلاد .

يفيد هذا المقال في دراسة الاوضاع السائدة في الاقليم الغربي من ليبيا قبيل عهد الاحتلال الايطالي كما يفيد في فهم عناية الاوربيين بدراسة الاحوال الليبية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .



16— Cowper, H.S.; Notes On a Journey In Tarhuna And Gharian, Tripoli. The Geographical Journal, VII (February, 1896) . PP. 150 - 163 .

موضوع هذا المقال الرحلة التي قام بها كوبر في منطقتي ترهونة وغريان بطرابلس وذلك في شهري مارس وابريل من سنة ١٨٩٥ . والمقال عبارة عن عرض للمحاضرة التي القاها الرحالة في الجمعية الجغرافية الملكية . وقد بدأ المحاضر بلفت نظر المستمعين الى قلة المعلومات عن هذه المنطقة رغم وقوعها على ساحل البحر الابيض المتوسط ورغم ما تحويه من ثروة علمية في ميدان الحضارة البشرية التي لم يكشف عنها بعد حتى ذلك الوقت . وقد اشار الكاتب الى مرور بعض الرحالة والمكتشفين بها في السنوات السابقة صحبة القوافل التجارية المتجهة جنوبا ولكنهم لم يعطوا اي اهتمام لدراسة وبحث هاتين المنطقتين مع انهما من أهم اجزاء الشمال الافريقي (ص ١٥٠) . ويعلل الكاتب هذا الاهمال الذي أستمر طيلة السنوات العشرة السابقة لذهابه بسياسة العثمانيين التي اتبعوها منذ ١٨٨٠ بخصوص وضع العقبات أمام الرحالة الاوربيين حتى لا يتجولوا في البلاد . ويقول الكاتب ان اهداف الرحالة الاوربيين كان أغلبها محصورا في ميدان الاركيولوجية .

ويقول كوبر انه اختار منطقة ترهونة التي تقع على الحافة الشرقية من السلسلة الجبلية مسترشدا في ذلك بما كتبه من قبله كل من بارث Barth وفون باري Von Bary مستعينا في رحلته بأحد المواطنين من تلك المنطقة. بدأ الكاتب رحلته من مدينة طرابلس يوم ٢١ مارس١٨٩٥ متجها نحو الجنوب الشرقي الى ترهونة ثم متجها نحو غريان للعودة منها الى مدينة طرابلس . وقد اعطانا الكاتب وصفا جغرافيا للمنطقة التي اخترقها حتى تلال ترهونة مع العناية بالآثار الرومانية والمعالم الجغرافية كالوديان والتلال والكثبان الرملية وانواع النباتات ومناطقها . ولم ينس

الكاتب ان يسجل لنا حالة وادي الرمل من حيث جريان الماء فيه في ذلك الوقت . يعطي الرحالة وصفا لمنطقة ترهونة وسكانها ونظام معيشتهم وأنواع مساكنهم والاسلحة التي كانوا يستعملونها في ذلك الوقت وأهمها بندقية «أم صوانة» وحرفة الاهالي من حيث الاعتماد على الرعي والزراعة ولم ينسَ المحاضر ان يشير الى الشجرة المعروفة من الاهالي باسم «الخضراء» حيث انها كانت الشجرة الوحيدة في منطقة ترهونة باستثناء تلك الاشجار التي كانت تنمو على التلال المجاورة .

ويشير المحاضر الى عزلة الاهالي وعدم المامهم بمظاهر الحضارة الاوربية مع انهم يعيشون على بعد مسافة قريبة من الساحل وقد ذكر المحاضر أمثلة يستدل بها على هذه الحالة .

اعتمد كوبر كثيرا على ما ألفه الرحالة الالماني بارت Barth الذي زار البلاد من قبله . ولهذا نراه يستشهد بأقواله أو يصحح ما جاء بها من اخطاء بخصوص ذكر اسماء بعض المناطق (ص ١٥٦) . وقد وصف الرحالة منطقة غريان وقارن بينها وبين ترهونة من حيث المعالم الجغرافية وثروة الاهالي وطرق معيشتهم .

عاد كوبر الى مدينة طرابلس يوم ٣ ابريل وبذلك يكون قد امضى في رحلته هذه ١٤ يوما مكنته من ان يعطي لنا وصفا لمنطقة وادي المجينين وقد أعجب بها وهو في طريق العودة الى مدينة طرابلس . وقد عاد الرحالة ومعه عينة من الحديد الخام الذي اكتشفه اثناء رحلته . وقد الحق المحاضر بحثه بخريطة جغرافية وضح عليها خط سيره وقد نشرتها المجلة في آخر هذا العدد الذي نشرت فيه المحاضرة . هذا وقد زود كوبر المقال بعدد من الصور الفتوغرافية لتوضيح بعض الافكار وقد قام بأخذ هذه الصور اثناء رحلته .

ولهذا المقال أهمية خاصة فهو اول مقال تنشره هذه المجلة العلمية الانجليزية عن ليبيا وقد تناول أحد مناطقها الجغرافية الهامة . والمقال يعطي معلومات تفيد فيدراسة الاوضاع الاجتماعية والاقتصاديةوالسياسية السائدة في ليبيا في أواخر العهد العثماني الثاني . وبالمقال معلومات تلقي الضوء على اهتمام الاوربيين بالساحل الافريقي الشمالي وتوجيه الانظار الى ليبيا البقية الباقية من املاك الدولة العثمانية في الشمال الافريقي . ويفيد المقال في دراسة اهتمام الرحالة الاوربيين وخاصة الانجليز منهم بالساحل الليبي ، وهو حلقة متممة للجهود التي بدأها هؤلاء الرحالة في

القرن التاسع عشر ، وفي دراسة رحلة كوبر دراسة لهذه الجهود وعلاقتها بليبيـا .

وأخيرا بقي ان نقول ان القارىء للمحاضرة لا بد وأن يأخذه الشك في الاهداف التي من اجلها جاء هذا الرحالة وفي الملاحظات التي سجلها الكثير مما يؤيد هذا الشك .

***

17- Cowper, H.S.; The Hill of The Graces. London : Methuen of Co., 36 Essex Street, W.C., 1897. xxii, 327 PP.

هذا الكتاب «تل الاهات الجمال» من تأليف الرحالة الانجليزي هـ.س. كوبر وهو من مواليد ١٨٦٥ . ظهر هذا الكتاب في لندن في ١٨٩٧ وقد سبق للمؤلف ان اخرج كتابين احدهما عن رحلته «عبر بلاد العرب التركية» Through Turkish Arabia مبتدئا من البحر الابيض المتوسط الى مدينة بومبي بالهند ماراً بالدجلة والفرات والخليج العربي .

والكتاب الذي نستعرضه جاء نتيجة لرحلتين قام بهما المؤلف فـي ربيع ١٨٩٥ وفي ربيع ١٨٩٦ لمدينة طرابلس ولمنطقة المرتفعات الممتدة من غريان الى ترهونة ومسلاتة ومدينة لبدة الاثرية على ساحل البحر . وقد شجعه على القيام بهاتين الرحلتين الى ليبيا الصداقة التي كانت تربطه بالمستر ت.س. جاجو T.S. Jago القنصل العام لبريطانيا في مدينة طرابلس في ذلك الوقت . واستطاع المؤلف القيام بزيارة غريـان وترهونة ومسلاته رغم ان السلطات العثمانية كانت قد منعت الاوربيين من التجول في الجهات الداخلية منذ ١٨٨٠ وهو بذلك يشير الى الفرمـان السلطاني الذي صدر في هذا الخصوص . ويجب ان نأخذ في الاعتبار الاوضاع السياسية التي كانت تحيط بالبلاد بعـد ان احتلت القوات الفرنسية تونس في ١٨٨١ وبعد ان احتلت بريطانيا مصر في ١٨٨٢ وقد بدأت الاطماع الاوربية تتجه الى ليبيا . اذا عرفنا هذه الاوضاع السياسية الدولية أمكنا فهم مغزى الفرمان السلطاني الذي صدر في ١٨٨٠ بخصوص منع الاوربيين من القيام بأي نشاط تجوالي في البلاد . ومع هذا فان هذا المنع لم يطبق تماما اذ استطاع الكثير من الرحالة من التوغل في البلاد وفي

مقدمتهم كوبر نفسه الذي نجح في تحقيق غرضه بتحايله وتغيبه عن مدينة طرابلس لمدد قصيرة لا تزيد عن عدد من الايام حتى لا يلفت انتباه المسئولين بتغيبه . ويقول المؤلف ا نالغرض الاساسي من هذه الزيارات التي قام بها خلسة الى الداخل كان دراسة الآثار الموجودة بكثرة في المرتفعات التي قصدها وقد اشار بعض الرحالة الى بعضها اثناء مرورهم بها . ويقول المؤلف انه لم يكن من اهداف الرحالة الذين استطاعوا التوغل في داخل البلاد قبل فرمان المنع دراسة مثل هذه الآثار بل كان هدفهم الاساسي كشف الطرق التي تؤدي الى اواسط افريقية . وكان هؤلاء الرحالة يكتفون بتسجيل وجود الآثار اذا عثروا عليها صدفة في طريقهم دون القيام بدراستها . ولكن المؤلف يشيد بالدور الذي قام به كل من الرحالة الالماني الدكتور هنري بارث Dr. Heinrich Barth والرحالة الالماني الآخر الدكتور ادوين فون باري Dr. Edwin Von Bary في الاهتمام بدراسة الآثار التي مرا بها في هذه المنطقة وهما في الطريق الى اواسط افريقية .

وهناك ترجمة عربية لهذا الكتاب قام بها الاستاذ انيس زكي حسن وقد قامت مكتبة الفرجاني في مدينة طرابلس بنشر هذه الترجمة . ونلاحظ على هذه النسخة المعربة خلوها من ذكر سنة النشر وكثرة الاخطاء في اسماء الاماكن والاشخاص وعدم سلاسة الاسلوب وخلوها من الهوامش الضرورية لشرح الكثير من الحقائق الجغرافية والتاريخية التي اصبح من الضروري شرحها اما بحكم العامل الزمني بعد ان مرت هذه الاعوام الطويلة على ظهور الكتاب باللغة الانجليزية وإما لضرورة تصحيح بعض الآراء والحقائق التي التبس أمرها على المؤلف بحكم امكانياته المحدودة في ذلك الوقت . وعلى كل فان المجهود الذي بذل في الترجمة والنشر يعتبر مساهمة كبيرة في التعريف بالتراث التاريخي للبلاد .

نعود الى كتابنا في صورته الانجليزية فنقول انه بالاضافة الى مقدمة المؤلف التي بيّن فيها الاهداف من اخراج كتابه هذا والصعاب التي صادفها في سبيل انجاح رحلته والاشخاص الذين ساعدوه في اخراج هذا الكتاب والمراجع والمصادر التي استفاد منها خصوصا ما تركه بعض الرحالة الذين سبقوه في هذا الميدان فان الكتاب يحتوي على سبعة أقسام . كان القسم الاول منها خاصا بمدينة طرابلس . وفي هذا القسم يعطينا المؤلف معلومات دقيقة ومنظمة عن الاحوال السائدة في مدينة طرابلس في أواخر القرن التاسع عشر مع اعطاء وصف للمدينة ولاسوارها وأبوابها وأهم شوارعها واحيائها وأسواقها . وهو يقدر عدد

سكان المدينة ومنطقة المنشية المحيطة بها بعدد يتراوح ما بين سبعين الفا وثمانين الفا . ويعطي المؤلف وصفا لعادات وتقاليد اهل المدينة ولاسيما في شهر رمضان وقد عاش المؤلف رمضانين في مدينة طرابلس وسجل لنا ملاحظاته عن احوال اهل البلاد في شهر الصيام .

وفي هذا القسم يعطي المؤلف بعض الصفحات للحديث عن يهود المدينة وأحوالهم الاجتماعية ونشاطهم التجاري . ويتحدث المؤلف عن الجالية المالطية ونشاطها ويستطرد من ذلك الى الكلام عن التسامح الذي شاهده في مدينة طرابلس بخصوص معاملةالمسيحيين من جانب السلطات العثمانية التي كانت حريصة على مراعاة شعور المسيحيين في اعيادهم . ويختتم المؤلف كلامه عن مدينة طرابلس بالحديث عن تجاره ريش النعام وكيفية تسويقها وهو في ذلك يعطينا معلومات طريفة ودقيقة تفيدنا في دراسة هذا النوع من التجارة عندما كانت تمثل نشاطا هاما حتى أواخر العهد العثماني للبلاد .

اما القسم الثاني من هذا الكتاب فقد تحدث فيه المؤلف عن رحلتيه الى تلال ترهونة وغريان وما شاهده في هذه المنطقة مع اعطاء فكرة عن النظام الاداري العثماني للبلاد في ذلك الوقت . وقد اعطى المؤلف أهمية خاصة للحديث عن نبات الحلفا وكيفية جمع هذا النبات وبيعه .

وفي القسم الثالث يتحدث المؤلف عن الجغرافية الحديثة والقديمة لسلسلة المرتفعات الشرقية ويعطي وصفا لمنطقة مسلاتة وأطلال لبدة وما سجله بعض الرحالة السابقين حول وادي كعام .

اما القسم الرابع من الكتاب فقد خصصه المؤلف للحديث عن الاصنام وقصتها وقد بدأ بتعريف هذا النوع من الآثار . وهو يذكر لنا كثرة بقايا هذه الاعمدة المنصوبة وانتشارها في هذه التلال التي قام بزيارتها والتي كانت في الظاهر الغرض الاساسي من رحلته .

ويخصص المؤلف القسم الخامس من كتابه للحديث عن الخمس وأهميتها الاقتصادية كمركز لجمع وتصدير الحلفا التي كانت من اهم صادرات البلاد في أواخر القرن التاسع عشر . وكلامه في هذا الخصوص يفيد في دراسة التاريخ الاقتصادي للبلاد . وبعد حديثه عن مدينة الخمس وإبراز أهم معالمها في ذلك الوقت ينتقل الى الحديث عن اطلال لبدة ويقارن ما شاهده ببعض ما كتبه السابقون عنها . ويشير المؤلف الى سياسة السلطات العثمانية في منع القيام بأي حفريات في لبدة لأخذ الآثار منها وان كان الكثير من الاوربيين قد نجحوا في تهريب عدد كبير منها بعد

اغراء أهل البلاد الذين كانوا يعملون على بيعها للاجانب . ولكن الكثير من الآثار التي وجدت تعرضت للنقل والكسر بسبب الجهل بها . وقد استطاع المؤلف ان يحصل على بعضها وأن يعود بها الى بلاده كما نجح غيره وفي مقدمتهم قناصل بعض الدول الاوربية . ولولا سياسة المنع التي اتبعتها السلطات العثمانية لتسربت آثار لبدة بأكملها الى الخارج .

وعند الكلام عن المرتفع المعروف باسم «المرقب» الواقع الى الغرب من الخمس في الطريق الى مدينة طرابلس نجد المؤلف يخطىء في معرفة هذه التسمية ويذكر في هامش الكتاب انها «المركب» مع ان هذه التسمية جاءت من ارتفاع المكان الذي يساعد على المراقبة ورؤية الاشياء البعيدة . ومن هنا جاءت هذه التسمية . ويقوم المؤلف باعطاء ملاحظاته ودراساته الاثرية حول هذا المكان الهام بحكم موقعه على الساحل وارتفاعه وقربه من مدينة لبدة . وقد استعانت السلطات المسئولة منذ اقدم العصور على الاستفادة من هذا الموقع الاستراتيجي الهام .

ويخصص المؤلف الفصل السادس للكلام عن الاماكن التي زارها في ربيع ١٨٩٥ في منطقتي مسلاتة وترهونة وبقايا الآثار التي شاهدها في هاتين المنطقتين . ويختم المؤلف هذا الفصل بذكر الآثار التي شاهدها كل من الدكتور هنري بارث Dr. Henry Barth وزميله الدكتـــور ادوين فون بـــاري Dr. Edwin Von Bary . وقد قام الاول منهما بزيارة هذه الجهات وسجل مشاهداته في الجزء الاول من كتابه الذي نشره في ١٨٥٧ باسم رحلات وكشوف في شمالي ووسط افريقية .

«Travels And Discoveries In North And Central Africa» .

اما ادويـــن فون باري فقد نشر ابحاثه باللغة الالمانية عن اصنام وقبور سلسلة مرتفعات الساحل الطرابلسي وقد نشرت الترجمة الفرنسية في الجزء الثاني من المجلة العلمية المعروفة باسم «Revue d'Ethnographie» والتي صدرت في باريس في عام ١٨٨٣ .

اما القسم الاخير من هذا الكتاب وهو القسم السابع فقد تحدث فيه المؤلف عن مستقبل طرابلس «ليبيا» واستعرض وجهات النظر المختلفـة بخصوص تقرير مصير هذه البلاد ووجهة النظر لكل من فرنسا وايطاليا في السعي للحصول عليها وأهميتها لايطاليا بالنسبة لوقوعها على ساحل البحر الابيض وبين الاملاك البريطانية في مصر والسودان والاملاك الفرنسية في تونس والجزائر . ولم ينسَ المؤلف ان يذكر لنا أهميتها ايضا بالنسبة للدولة العثمانية . وأهمية هذا الفصل لا تقتصر على استعراض الاطماع

الاوربية في ليبيا في ذلك الوقت وموقف بريطانيا من هذه الاطماع بل في الاهتمام الواضح الذي ابداه هذا المؤلف في هذا الشأن خصوصا اذا عرفنا انه ما جاء الى ليبيا وما نزل في ضيافة القنصل البريطاني الا وهو مزود بتعليمات معينة لاستقصاء بعض الحقائق عن ليبيا لتقديمها الى الجهات المختصة عند عودته الى لندن . والمعلومات التي يذكرها المؤلف في هذا القسم قد تبدو لنا الآن معلومة ومعروفة ولكنها في الواقع كانت في غاية الاهمية في وقتها قبل نشر الكثير من الحقائق والمعلومات .

وبآخر الكتاب ملحق ذكر فيه المؤلف أهم المراجع التي استعان بها في دراسته وكتابة مؤلفه هذا وكلها مصادر أولية بالنسبة لموضوعه . اما الملحق الثاني فهو خاص بالايام التي أمضاها في رحلتيه وتاريخ تنقلاته اليومية . وهناك فهرس باسماء الاماكن والاشخاص . وبآخر الكتاب خريطة واضحة المعالم والاسماء لبعض مناطق غريان وترهونة ومسلاته وهي بعض الجهات التي قام بارتيادها . وزود المؤلف كتابه بخريطة لمدينة طرابلس وأهم معالمها وهي تشرح لنا الكثير من معالم المدينة في أواخر العهد العثماني الثاني .

هذا والكتاب غني بالرسوم الايضاحية والصور التاريخية وقد التقط المؤلف بنفسه الكثير منها واستعان بها في توضيح ما ذكره من معلومات . بقي ان نقول ان المؤلف كان سهلا في أسلوبه سلسا في افكاره وتحليلاته. وقد كان لهذا الكتاب صدى علمي كبير ظهر واضحا في بعض أعداد المجلة المعروفة باسم «المجلة الجغرافية»The Geographical Journal. وهناك استعراض لما جاء في هذه المجلة بهذا الخصوص في هذا الجزء من هذا الكتاب (١٦) .



18— Currey,Muriel; Italian Foreign Policy 1918 - 1932. London, 1932. xviii, 330 PP.

هناك ثلاثة عوامل رئيسية تتحكم في تكييف السياسة الخارجية لأي

---

١٦ – راجع الابحاث التي جاءت تحت الارقام ١٥ ، ١٦ ، ٨٦ في هذا الجزء من الكتاب.

دولة وتحدد اتجاهها العام . وهذه العوامل الاساسية الثلاثة هي الموقع الجغرافي للدولة وما به من عيوب وحسنات والعامل الثاني هو الامكانيات الاقتصادية التي تمكن الدولة من تحقيق اهدافها وأخيرا التراث التاريخي وتطوره . وعلى هذا الاساس من القواعد المسيرة للاحداث التاريخية قام الاستاذ ميوريل كوري Muriel Currey باخراج كتابه عن «السياسة الخارجية الايطالية فيما بين ١٩١٨ و١٩٣٢» . وقد نشره في لندن في ١٩٣٢ في الوقت الذي كان فيه الحزب الفاشستي بزعامة موسوليني Mussolini يتولى الامور في ايطاليا ويوجه سياستها العامة.

يحتوي الكتاب على ستة عشرة فصلا بخلاف المقدمة والتقديم والخاتمة وفهرس اسماء الاماكن والاشخاص وان كان هذا الفهرس ناقصا لا يساعد تماما على كشف الكثير من المعلومات اذا اردنا الاستعانة به .

يتناول الكتاب تاريخ السياسة الخارجية الايطالية في فترة هامة من تاريخ ليبيا الحديث . ومع ان فصول الكتاب يدور معظمها حول موقف ايطاليا من دول حوض البحر الابيض المتوسط والأسس التي كانت تتحكم في السياسة الايطالية نحو دول هذه المنطقة الا ان بعض فصول الكتاب تتناول موضوع السيادة البحرية والمؤتمرات الدولية التي عقدت لتسوية وجهات النظر المختلفة للدول البحرية والتي يهمها وضع البحر الابيض المتوسط وفي مقدمتها كل من بريطانيا وفرنسا . وقد كان السنيور موسوليني يرى ان بلاده كانت سجينة لهذا البحر بسبب تحكم بريطانيا في مداخله وأجزائه الوسطى بما كان لها من ممتلكات ومناطق للنفوذ .

هناك الكثير من المعلومات التي تفيد في دراسة الدور الذي ساهمت به ليبيا في تكييف السياسة الخارجية الايطالية في تلك الفترة التي حددها مؤلف الكتاب وان جاءت هذه المعلومات مبعثرة في فصول الكتاب المتعددة . ولهذا كان من الضروري على من يصدر نفسه لدراسة الاوضاع الليبية وأثرها في تكييف السياسة الايطالية في العهد الفاشستي من الرجوع الى هذا الكتاب للاستفادة منه . وعلى القارىء ان يحذر الاعتماد تماما على فهرس الاسماء لانه جاء غير كامل .

19— Daniels, Charles; The Garamantes of Southern Libya. Stoughton Wisconsin, The Cleander Press, U.S.A., 1970. 47 PP.

هذا كتيب عن قبائل الجرامنت التي كانت تسكن حول مدينة جرمة القديمة بوادي الاجال في فزان . مؤلف هذا الكتيب هو تشارلز دانيلز Charles Daniels وقد نشره في ١٩٧٠ . والكتيب رغم قلة عدد صفحاته له اهمية خاصة اذ استطاع مؤلفه ان يلقي الاضواء على الكثير من جوانب قبائل الجرامنت وقد زود بحثه بالخرط التوضيحية والصور والرسوم وقائمة بالمراجع الهامة التي اعتمد عليها المؤلف في بحثه .

الكتيب عبارة عن رسالة عامة عن قبائل الجرامنت وقد اتخذ المؤلف عنوانا لكل جزء من رسالته لتحديد خط سير الرسالة . ويبدأ المؤلف بتقديم للرسالة يوضح فيه كيف انها كانت قد أعدت في الأصل لجمعية الاستكشاف البترولية الليبية في ١٩٦٩ . وهو في هذا التقديم يذكر جهود أولئك الذين سبقوه في تناول هذا الموضوع من المؤرخين القدماء والمحدثين . وبعد ذلك يعطي المؤلف صفحة واحدة لكلمته العامة عن الجرامنت ثم ينتقل الى الحديث عن المعالم الجغرافية للمنطقة التي كان يسكنها الجرامنت مع اعطاء وصف عام لها وما كتبه الجغرافيون قديما عنها . ويخصص المؤلف ثمان صفحات من كتيبه لاستعراض تاريخ هذه القبائل معتمدا على ما كتبه من سبقه من المؤرخين مع ذكر اسمائهم ومؤلفاتهم . ويعطي المؤلف عدة صفحات للحديث عن الجانب الانثروبولوجي لهذه القبائل وعاداتها . ويختم المؤلف كتيبه بصفحات عن التنظيم السياسي والاجتماعي الذي كانت تعيش عليه هذه القبائل ووضعها الاقتصادي في ذلك الوقت .

خلاصة القول ان هذه الرسالة الصغيرة تفيد في دراسة تاريخ ليبيا القديم كما تفيد في تفسير الكثير من المعالم الاجتماعية التي يشاهدها الانسان في وادي الاجال بفزان .



20– Day, John R.; Railways of Northern Africa. London, Arthur Barkar Limited, 1964. 144 PP.

صدر هذا الكتاب في لندن باللغة الانجليزية في ١٩٦٤ وعنوانه

«سكك حديد شمالي افريقية» والمؤلف هو جون ر.دي John R. Day .
والواقع ان المؤلف في كتابه هذا لا يتحدث عن سكك حديد بلاد الشمال الافريقي فقط ولكنه يتحدث عن هذا النوع من المواصلات في معظم القارة الافريقية فهو يخصص فصلا للكلام عن السكك الحديدية في تنجانيقا وآخر عن افريقية الشرقية البريطانية (سابقا) وفي الفصل الثالث يتحدث عن السكك الحديدية في السودان ثم يتحدث في الفصل الرابع عن السكك الحديدية في اثيوبيا ويخصص الفصل الخامس للسكك الحديدية في مصر . اما الفصل السادس فخاص بساحل البحر الابيض في الوقت الذي يخصص فيه الفصل السابع للكلام عن السكك الحديدية في مراكش . وهكذا بالنسبة لبقية الفصول .

والملاحظ ان المؤلف لا يخصص من كتابه الا ثلاثة فصول هي الفصل الخامس والفصل السادس والفصل السابع للكلام عن السكك الحديدية في بلاد الشمال الافريقي اذا اعتبرنا مصر جزءاً من هذا الاصطلاح الجغرافي الذي عادة لا يُطلق الا على البلاد الواقعة الى الغرب منها . وهكذا جاء عنوان الكتاب مخالفا للموضوعات التي تناولها .

ويبدو ان مؤلف الكتاب قد تخصص في دراسة موضوع السكك الحديدية ونشأتها في بلاد العالم . ويتبين لنا هذا الاتجاه بوضوح اذا عرفنا انه قد اخرج سبعة كتب في هذه الدراسة بخلاف هذا الكتاب الذي نقوم باستعراضه في هذه السطور . وبعض هذه الكتب قد اخرجها بالاشتراك مع غيره كما يتبين من قائمتها المنشورة في صفحة الغلاف الداخلي بالكتاب .

واذا كان الكتاب فيجملته يتناول عرض تاريخ جانبهام من المواصلات في بعض الاقطار الافريقية الا ان المؤلف نجح في اثارة انتباه القارىء ورغبته في معرفة الكثير من المعلومات عن تاريخ المواصلات وتطورها في افريقية بصفة عامة وبلاد الشمال الافريقي بصفة خاصة . ويعطينا المؤلف معلومات طريفة في هذا الخصوص قد لا ينتبه اليها القارىء بحكم الحياة اليومية .

ويهمنا من هذا الكتاب الفصل السادس الذي يتحدث فيه المؤلف عن السكك الحديدية في ساحل البحر الابيض المتوسط وهو يعني بذلك الساحل الليبي والتونسي والجزائري اذا عرفنا ان المؤلف قد أفرد الفصل الخامس لمصر والفصل السابع لمراكش . ورغم قلة المعلومات الواردة في هذا الفصل بالنسبة لما يتعلق بليبيا الا انها جاءت حاوية لبعض التفاصيل التي قد يصعب الحصول عليها في خضم الكتب والتقارير . وبدراسة هذه

المعلومات يمكن استخلاص الحقائق الآتية :

**أولا** : ان الايطاليين بنوا شبكة السكك الحديدية في برقة فيما بين ١٩١٧ و١٩٢٧ وكان يوجد منها ثلاثة خطوط قصيرة هي :

١ ـ فرع طوله ميل ونصف في مدينة بنغازي كمحطة رئيسية لبرقة.
٢ ـ فرع طوله ٦٧ميلا يتجه شمالا بشرق ليربطما بين بنغازي والمرج.
٣ ـ فرع طوله ٣٥ ميلا يتجه الى الجنوب من بنغازي الى سلوق .

**ثانيا** : ان هذه الخطوط البسيطة تضررت كثيرا في الحرب العالمية الثانية فيما بين ١٩٣٩ و١٩٤٥ وقد تعطلت عن العمل ولكنها استأنفت العمل في مارس ١٩٤٨ باشراف الادارة العسكرية البريطانية .

اما بخصوص منطقة طرابلس فيمكننا تلخيص الحقائق الآتية :

**اولا** : ان الايطاليين بدأوا بانشاء خط للسكك الحديدية لربط مدينة طرابلس بالعزيزية وذلك في اول مايو ١٩١٣ م وكان طول هذا الخط ٣١ ميلا . وكان الغرض من انشاء هذا الخط خدمة العمليات الحربية الايطالية لمساعدة الجند في زحفهم الى الداخل .

ثانيا : انشأ الايطاليون خطا للسكك الحديدية يربط مدينة طرابلس ببلدة تاجوراء شرقا وكان طوله ١٣ ميلا . والملاحظ ان بعض الخرط القديمة توضح هذا الخط على انه ممتد الى مدينة الخمس وان كان في الواقع ان امتداد هذا الخط لم يتعد بلدة تاجوراء .

ثالثا : انشأ الايطاليون خطا يمتد من مدينة طرابلس الى بلدة زوارة غربا وقد بلغ طوله ٧٣ ميلا .

وهذه السكك الحديدية بناها المهندسون الايطاليون الذين جاءوا مع الحملة الايطالية لخدمة أغراض هذه الحملة . وقد سلمت هذه الخطوط الى مصلحة السكك الحديدية الايطالية التي قامت بالاشراف عليها حتى ١٩٢٢ عندما تم تسليمها الى حكومة الولاية في ليبيا . وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م كان هناك خط للسكك الحديدية فيما بين مدينة طرابلس وزوارة غربا وخط آخر طوله ٦٠ ميلا يربط مدينة طرابلس ببلدة غريان عن طريق العزيزية . وكان هناك خط آخر يربط مدينة طرابلس ببلدة تاجوراء شرقا . وهناك في منطقة الفرناج كان يوجد خط فرعي طوله عشرة اميال يتجه شمالا الى ساحل الملاحة وفرع آخر طوله خمسة اميال يتجه جنوبا الى قلعة عين زارة . وكانت هناك عدة فروع صغيرة أخرى هي فرع الغيران على بعد خمسة اميال الى الغرب من مدينة طرابلس وفروع ارصفة الميناء . وكان بمدينة الخمس خط معزول طولـه ميلان

ونصف يربط المدينة بتلال لبدة الاثرية . والملاحظ ان كل هذه الخطوط كانت فردية ومن النوع الضيق .

وكانت هناك دراسات لتطوير هذه السكك الحديدية وكان أهم هذه الدراسات ما يتعلق منها بانشاء خط حديدي طوله ١٥٠ ميلا ليبدأ من تاجوراء وينتهي عند الخمس وهكذا يتم ربط هذه المدينة المشهورة بآثارها بمدينة طرابلس ومن الخمس يستمر الخط شرقا الى مسراته . وكان هناك مشروع خط طوله ١١ ميلا يبدأ من قلعة عين زارة الى ابن غشير ومشروع خط آخر طوله ٢٥ ميلا ليربط زوارة بمركز بسيدا Pisida على الساحل غربا .

ويقول المؤلف ان السكك الحديدية في منطقة طرابلس أصيبت بخسائر كبيرة من جراء الغارات الجوية التي كان يقوم بها السلاح الجوي الايطالي والالماني بعد ان انسحبت قوات المحور أمام تقدم الجيش الثامن البريطاني.

وعندما دخلت القوات البريطانية مدينة طرابلس في يناير ١٩٤٣ اسرعت فرقة المهندسين بالجيش البريطاني الى اصلاح فروع السكك الحديدية بالميناء لاستخدامها في انزال البضائع ونقلها للتخزين . وادخلت التعديلات اللازمة على الخط الحديدي الذي يربط زوارة بمدينة طرابلس للاستفادة منه في العمليات الحربية . وقد اخذت قوات الحلفاء تطارد قوات المحور بعد الاستيلاء على مدينة طرابلس للحاق بها في تونس . وقامت فرقة المهندسين بقوات جنوبي افريقية بنقل بعض اجزاء من الخط الحديدي الذي كان يربط مدينة طرابلس بغريان الى خط طرابلس زوارة لمده غربا فيما بعد زوارة الى تونس .

وفي يونيو ١٩٤٤ استطاعت ادارة النقل بالجيش البريطاني ان تعيد افتتاح بعض خطوط السكك الحديدية لاستعمال المدنيين في ولاية طرابلس . ولكن هذه الفروع بدأت تفقد أهميتها وتختفي من الوجود بالتدريج حتى انه في يوليو ١٩٦٣ لم يكن هناك خط منها سوى الخط الذي يربط مدينة بنغازي بالمرج . وحتى هذا الخط اختفى فيما بعد . وهكذا حلت سيارات النقل بأنواعها المختلفة محل هذه السكك الحديدية، خصوصا بعد ان انتشرت الطرق الممهدة وتم تحسينها .

وفي أوائل الستينات ظهرت بعض الآراء التي تطالب بربط فزان بالساحل بسكة حديدية خصوصا بعد ان انتشرت الاقوال بوجود مادة الحديد الخام هناك . ولكن هذا المشروع لم يتم تحقيقه . وقد اخذت هذه الفكرة تخرج الى الوجود من جديد. وأخذت بعض الصحف تشير في

مقالاتها الى هذا المشروع . وكان في مقدمة الداعين الى ضرورة مد السكك الحديدية بالبلاد واحياء ما كان قديما منها الدكتور علي أحمد عيسى استاذ علم الاجتماع ورئيس قسم الاجتماع والفلسفة بكلية الآداب بالجامعة الليبية بعد ان كان استاذا ورئيسا لقسم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية . ولم يقتصر الدكتور علي عيسى على الاشارة الى هذا الموضوع في احاديثه الخاصة بل تعدى ذلك الى الكتابة والنشر في بعض صحف بنغازي في أواخر سنة ١٩٦٩ وأوائل ١٩٧٠ . والمعروف ان النقل بالسيارات اخذ ينتشر في جميع انحاء العالم وأخذ يحل محل السكك الحديدية . ولعل الدكتور علي عيسى كان في آرائه متأثرا بالمدرسة الانجليزية التي اعطت اهتمامها الى المواصلات الحديدية وان كان النقل بالسيارات بدأ ينافس السكك الحديدية في بريطانيا نفسها .

وبمناسبة الحديث عن السكك الحديدية في ليبيا لا بد من الاشارة الى الموضوعات الآتية :

اولا : ان البلاد شاهدت اول خط للسكك الحديدية في سنة ١٩٠١ . وكان هذا الخط قصيرا وقد بناه الاتراك في مدينة بنغازي للعمل فيما بين الميناء وبين المحجر الخاص باستخراج الكلس من ضاحية البركة التي اختارها الاتراك سكنا لعلية القوم منهم ومن العائلات الليبية وفي مقدمتهم متصرف البلاد العثماني . وقد شيد الاتراك ثكنة عسكرية كبيرة هناك في سنة ١٩٠٢ (★) . وكان المسئولون العثمانيون يستعملون هذا الخط في تنقلاتهم بين البركة حيث يسكنون وبين دوائرهم الحكومية في المدينة .

ثانيا : انه نتيجة للعمليات العسكرية في الحرب العالمية الثانية قامت القوات البريطانية وحلفاؤها بمد خط السكة الحديدية المصرية التي كانت تصل مدينة الاسكندرية ببلدة مرسي مطروح الى مدينة طبرق في ليبيا . وكان هذا الخط الحديدي مفردا مع وجود اجزاء مزدوجة في المحطات التي تقع على طول المسافة حتى تسهل عملية مناورات القطر الحديدية اذا تقابلت . وكان هذا الخط لا يسير بحذاء الساحل امتدادا لما عليه الحال فيما بين الاسكندرية ومرسي مطروح بل كان يبتعد عن الساحل حتى يصعد هضبة السلوم متجها الى ميناء طبرق ماراً بعدة محطات حتى يصل

---

(★) فرانشسكو كورو ، ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني . تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي . دار الفرجاني . طرابلس (بدون تأريخ) ص ١٣٤ .

شاطىء الميناء . وقد استمر هذا الخط الحديدي مستعملا فيما بعد الحرب حتى قامت السلطات العسكرية البريطانية في برقة ببيع القضبان الحديدية في المسافة الواقعة فيما بين طبرق والهضبة العليا من السلوم على الحدود المصرية . وكان يسمح لبعض المدنيين بتصريحات خاصة بالسفر بالقطار الذي كان يغادر القاهرة اسبوعيا صباح كل أحد متجها الى ليبيا . وكان على هذا القطار بعد ان يصل الى محطة كفر الدوار ان يتجه نحو الشمال الغربي الى بلدة العامرية بالصحراء الغربية دون المرور على بقية المحطات الاخرى التي كانت تقوم فيما بين كفر الدوار ومدينة الاسكندرية ومنها الى العامرية . وبعد وصول هذا القطار الى محطة سملا التي تقع الى الشرق من مرسي مطروح كانت تقوم عملية التفتيش يوم الاحد مساء . وبعد ذلك يستأنف القطار سفره مدفوعا بقاطرة خلفية بالاضافة الى القاطرة الساحبة نظراً لارتفاع الهضبة في صعود مما كان يترتب عليه بطء سير القطار طيلة الليل . وكان هذا القطار يصل الى مشارف اطلال مدينة طبرق قبيل ظهر يوم الاثنين التالي . وبعد ظهر ذلك اليوم يبدأ القطار رحلة العودة الى القاهرة حيث يصلها يوم الثلاثاء مساء . وقد سافرت بهذا الخط في صيف ١٩٤٤ وفي صيف ١٩٤٥ م.

ونتيجة لضعف حركة النقل بهذا الخط توقفت عملية تسيير القطر فيما بعد مرسي مطروح غربا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . ولكن الحكومة المصرية حاولت تجديد استعمال هذا الخط فيما بعد وقام وزير المواصلات في الجمهورية العربية المتحدة الاستاذ فتحي رضوان بالسفر بالسكة الحديدية الى نهاية هذا الخط فيما فوق هضبة السلوم على الحدود المصرية الليبية وذلك في سنة ١٩٥٥ معلنا استئناف تسيير هذا الخط الحديدي لربط البلدين وتنشيط حركة المبادلة التجارية بينهما .

ثانيا : ان الحديث عن السكك الحديدية ومشروعاتها في ليبيا يحتم علينا الاشارة الى بعض الاتجاهات الاوربية بخصوص انشاء مواصلات حديدية في ليبيا فيما قبل الغزو الايطالي للبلاد في أواخر ١٩١١ وان كان هذا الاتجاه لم يأخذ طريقه الى حيز التنفيذ .

كان الرحالة الالماني رولفس Rohlf's الذي قام بعدة رحلات في ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر أول من فكر في مد خط حديدي يصل سواحل ليبيا بأواسط افريقيا عن طريق فزان ، وقد كان رأي الرحالة الايطالي الكابتن م. كامبريو Cap. M. Camperio الذي زار ليبيا في ١٨٨٠ ان مشروع رولفس كان اكثر ملائمة وأقصر طولا وأقل نفقات مما اقترح

حول مد هذا الخط من الساحل الافريقي الى وسطها (١٧) .
كان ملك بلجيكا في ذلك الوقت يبدي اهتماما بالقارة الافريقيـــة الغامضة وقد أوفد الكابتن رامساتر Ramassater وهـــو من سلاح المهندسين لدراسة مشروع مد سكة حديدية من مدينة طرابلس الـــى بورنيو . وقد وجد ـ طبقا لما ذكره جاليوفي Gagluiffi خطا غربيـــا وطريقا غربيا من شأنه ان يجعل نفقات المشروع أقل مما لو اتبع الطريق الذي يمر بسوكنة حيث يتحتم اجتياز وعبور بعض الجبال المرتفعـــة نوعـــا (١٨) .
ان الخط الذي درسه رامساتر ينطلق من مدينة طرابلس ماراً بـــأم الخيل في منطقة مزدة . ومن هناك الى وادي الشاطىء ففدوة ومرزق . والمرحلة الاولى من هذا الخط تميل الى الغرب اكثر من الخط الـــذي اقترحه رولفس في السابق . وتبلغ المسافة من مدينة طرابلس الى مرزق بواسطة الطريق التقليدي المار بواحة سوكنة حوالي ٥٣٠ ميلا . أما الطريق الذي درسه المهندس البلجيكي فلا يزيد عن ٥٠٠ كيلومترا (١٩) .
فكر الالمان في ربط ميناء طبرق بميناء الاسكندرية بخط حديدي . ولكن الغزو الايطالي لم يسمح للالمان بتحقيـــق مشروعهم هـــذا (٢٠) . وبعد الغزو الايطالي تجدد التفكير في تنفيذ هذا المشروع بطريقة أخرى .
لم تكن ايطاليا عند غزوها للبلاد في أواخر ١٩١١ تتوقع مقاومة عنيفة من الاهالي . ولكنها ادركت ما تورطت فيه بعد ان تبينت لها حقيقـــة الموقف . وقد وجد المجاهدون العون يصل اليهم عبر الحدود الليبيـــة الشرقية والغربية . وكان لايطاليا جهود كبيرة لايقاف هذا العون . وكان من بين هذه الجهود التي قامت بها الاتصال بخديوي مصر عباس الثاني ومفاوضته في شراء خط سكة حديد مريوط الذي كان ملكا خاصا له والذي كان يبدأ من محطة المكس في غربي مدينة الاسكندرية . وكانت ايطاليا تدّعي في

---

17 — Pionieri Italiaini in Libia Relasioni dei delegati della Società Italiana di Esplorasioni Geografiche e Commerciali 1880 - 1890 . Milano : Casa Editrice Vallardi 1912. P. 210 .

١٨ ـ المصدر السابق .
١٩ ـ المصدر السابق .
٢٠ ـ راجع البحث رقم ٩٦ .

مشروعها هذا اعطاء الفرصة لخديوي مصر للتخلص من هذا المرفق الذي كان لا يغطي نفقاته . ولكن ايطاليا كانت تهدف الى التحكم في منطقة مريوط والصحراء الغربية المصرية التي كان يتسرب عن طريقها العون الى المجاهدين في ليبيا . وكانت ايطاليا تهدف ايضا من شراء هذا الخط القيام بمده الى مدينة بنغازي . وبتحقيق هذا المشروع يتم لايطاليا ربط مدينة السويس على البحر الاحمر بمدينة بنغازي على البحر الابيض المتوسط وبالتالي تفادي المرور بقناة السويس بالنسبة لنشاطها التجاري وما تدفعه من رسوم مع اختصار في الوقت بالنسبة للحركة التجارية بين الموانىء الايطالية والبحر الاحمر . وقد نشرت جريدة الاهرام المصرية يوم ٧ فبراير ١٩١٣ م خبر المشروع الايطالي بخصوص مد سكة حديد مريوط الى مدينة بنغازي . وذكرت ان نفقاته قد قدّرت بمبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات المصرية في ذلك الوقت كما قدّرت المدة اللازمة لتنفيذ هذا المشروع بثلاثة أعوام او اربعة .

وتستمر جريدة الاهرام في اعطاء معلومات اكثر عن هذا المشروع عندما اخذت تذكّر القراء بأن المفاوضات كانت دائرة منذ مدة بين الخاصة الخديوية وجماعة من الماليين الطليان لتأليف شركة مصرية ايطالية لهذا الغرض . وقالت الاهرام أن سمو الخديوي سيتنازل عن سكة مريوط لهذه الشركة عقب تأليفها . ولكن المشروع لم يتحقق لقيام الحرب العالمية الاولى وعزل الخديوي عباس الثاني .

***

21 — De Bisson, Léon; La Tripolitaine et La Tunisie. Paris, Ernest Leroux, Editeur, 28 rue Bonaparte, 1881. 147 PP.

ألف الاستاذ ليون دي بيسون Léon De Bisson كتاب «طرابلس الغرب وتونس» باللغة الفرنسية . وقد صدر الكتاب في باريس في ١٨٨١ اي في السنة التي احتلت فيها القوات الفرنسية الايالة التونسية . وبالكتاب معلومات عن الايالتين الطرابلسية والتونسية وهي اشبه بالمعلومات الضرورية للمسافر . ويبدأ المؤلف كتابه باعطاء وصف جغرافي للبلاد واقسامها الادارية «طرابلس ، برقة ، غات ، فزان ، واحة أوجلة» . ولهذا فالكتاب يفيدنا في دراسة النظام الاداري المعمول به في فترة من

العهد العثماني الثاني مع اهتمام المؤلف باعطاء بعض المعلومات الاساسية بخصوص حدود البلاد .

وبعد هذا العرض الجغرافي يعطينا المؤلف ملخصا تاريخيا للبلاد ثم ينتقل بعد ذلك الى الكلام عن مدينة طرابلس مع وصف احوالها . وهكذا بالنسبة لبقية المعالم العمرانية والادارية والزراعية والتجارية والاحوال الاقتصادية بصفة عامة .

ولا ينسى المؤلف ان يعطي بعض الاهتمام لجزيرة جربة وعلاقتها التاريخية بالبلاد كما يهتم المؤلف بموضوع الحدود الليبية التونسية ويمدنا ببعض المعلومات الهامة في هذا الخصوص .

ومعلومات الكتاب وان كانت تبدو عامة في ذلك الوقت الا ان الكثير منها اصبح عاملا هاما في دراسة تاريخ البلاد في أواخر القرن التاسععشر .

***

22 — De Mathuisieulx, H.M.; A Travers La Tripolitaine. Librairie Hachette Et Cie. Paris, 79 Boulevard Saint - Germain , 1912. VII, 302 PP.

قام الاستاذ هنري مهير دي ماثويسي Henri Méhier de Mathuisieulx بزيارة مدينة طرابلس والمناطق المجاورة لها في ربيع ١٩٠١ م أي في السنة الاولى من القرن العشرين . وقد نشر هذه الرحلة في كتاب له باسم «عبر طرابلس» . ونحن في هذه الصفحات نستعرض هذا الكتاب في طبعته الثانية التي صدرت في باريس ١٩١٢ اي بعد الغزو الايطالي لليبيا. وقد أهدى المؤلف هذا الكتاب الى المسيو لاكو Lacau الذي كان قنصلا عاما لفرنسا في مدينة طرابلس اثناء قيام المؤلف برحلته .

وبخلاف المقدمة يحتوي الكتاب على ستة فصول الى جانب ذلك العدد الكبير من الرسومات والصور التي يمكن ان تعتبر في وقتنا الحالي مصدرا اساسيا في فهم الكثير من الحقائق التاريخية عن بعض الاماكن الهامة في البلاد . وزود المؤلف كتابه بخريطة تبين خط سيره في الرحلة حيث بدأ بزيارة مدينة طرابلس ومنها الى غريان ومن هناك الى يفرن ثم اتجه شمالا الى البحر الى بلدة زوارة التي عاد منها الى مدينة طرابلس على الساحل الغربي متجها الى مدينة الخمس . ومن هناك عاد مرة أخرى الى مدينة

طرابلس عن طريق مسلاته وترهونة .

وتذكر مقدمة الكتاب ان ليبيا كانت مقفلة تماما أمام الاوربيين من جانب السلطات العثمانية منذ اكثر من خمسة وعشرين سنة وقد تمكن بعض الرحالة من عبورها بسرعة في الطريق الى اواسط افريقية . ولهذا كانت ليبيا غير معروفة تماما للفرنسيين مع قربها لأوربا بعكس الكثير من البلاد الاخرى الافريقية الآسيوية التي كانت معروفة اكثر حسب رأي الكاتب . ولعله كان في كلامه هذا يشير الى الفرمان السلطاني الذي صدر في ١٨٨٠ م بخصوص الحصول على الاذن السلطاني في سبيل قيام اي اجنبي برحلة داخلية في البلاد وذلك حتى تضمن الحكومة سلامة هؤلاء الرحالة وعدم تعرضهم لأي خطر خصوصا وأن الاطماع الاجنبية بخصوص ليبيا كانت قد أخذت تتضح في أواخر القرن التاسع عشر . ومن حق الحكومة العثمانية ان تتخذ الاحتياطات اللازمة في سبيل ضمان سلامة أملاكها .

يذكر الرحالة في الفصل الاول من الكتاب وصوله الى مدينة طرابلس يوم ٢٣ أبريل ١٩٠١ وكان حافظ باشا واليا على البلاد . والمؤلف يعطينا وصفا حيا للحياة الاجتماعية والسياسية في المدينة ويشير الى المنفيين السياسيين الذين كان الباب العالي يقوم بالتخلص منهم عن طريق النفي الى طرابلس واحيانا كان النفي الى مرزق عاصمة فزان في ذلك الوقت. ويلاحظ المؤلف ان هؤلاء المنفيين السياسيين كانوا من الالبان والارمن والاكراد ومن مقدونيا .

ويستمر المؤلف في الفصل الثاني من الكتاب في الحديث عن معالم مدينة طرابلس ومنطقة المنشية ويشير الى صدى العدوان الفرنسي على تونس في ١٨٨١ بين الاهالي والسلطات العثمانية ويعطينا وصفا لما حدث في ذلك الوقت نقلا عن احد الفرنسيين الذين عاصروا تلك الاحداث الدولية وكيف قامت المظاهرات في البلاد معبرة عن سخطها .

ويتناول المؤلف في هذا الفصل قوس ماركو اورليو Marc - Aurèle المعروف بقوس الرخام بالوصف على انه من أهم المعالم الاثرية للمدينة وقد تحول الى «كابريه» وينشر له صورة فوتوغرافية تبين حقيقة ما آل اليه هذا الاثر الروماني . والواقع ان هذا الاثر قد لفت انظار جميع الذين زاروا مدينة طرابلس في مختلف العصور لدرجة يمكنّا معها ان نعتبر الحديث عن هذا الاثر الروماني من وجهة نظر هؤلاء الرحالة تصلح ان تكون موضوعا خاصا للدراسة وتتبع ما آل اليه هذا الاثر في مختلف العصور التاريخية.

ومن الموضوعات التي تناولها الكاتب في هذا الفصل القوة العسكرية التركية الموجودة في ذلك الوقت وقد قدّرها بثمانية آلاف رجل وكانت موزعة بين طرابلس حيث توجد نصف القوة وبين برقة وفزان . ويعطي المؤلف اهمية خاصة لدراسة احوال الحامية العثمانية في ليبيا .

ويبدأ الفصل الثالث بالكلام عن تجارة طرابلس وقد كلفته الغرفة التجارية في كل من باريس وليون بدراسة الاوضاع التجارية في مدينة طرابلس في ذلك الوقت . وقد قام المؤلف بالاتصال بعدد من التجار الاوربيين واليهود المقيمين في المدينة للحصول على المعلومات المطلوبة . ويسجل المؤلف النشاط التجاري لأهالي كل من واحة غات وغدامس والذي ساهم في تعزيز المكانة التجارية لمدينة طرابلس حتى انها اصبحت الواسطة الوحيدة للاتصال فيما بين تشاد واسواق الصناعات الاوربية في القرن التاسع عشر ولكنه يعود ويشير الى الضعف الذي اخذ ينتاب تجارة القوافل عبر الصحراء في أواخر القرن التاسع عشر حتى انها اصبحت لا تتعدى الألف جمل سنويا حسب تقديره لصعوبة الحصول على احصائيات رسمية . ويحاول المؤلف ان يذكر اسباب هذا التدهور الذي أصاب هذا النشاط التجاري . ويذكر المؤلف البيوت التجارية التي كانت تتحكم في تجارة القوافل عبر الصحراء والتي اتخذت لها مدينة طرابلس مركزا . ويقول ان معظمها كان في يد تجار من العثمانيين والعرب واليهود وبعضها في أيدي بيوت انجليزية وايطالية . ولا يوجد منها بيت فرنسي وان كانت العلاقات التجارية بين طرابلس وفرنسا قائمة في ذلك الوقت . ويقدر المؤلف صادرات طرابلس الى فرنسا بثلاثة ملايين ونصف مليون من مجموع صادراتها التي كانت تُقدّر بعشرة ملايين فرنك. وقد قدّر المؤلف واردات طرابلس من المنتوجات الفرنسية بمليونين من عشرة ملايين فرنك فرنسي (ص ٨٩) . ولا ينسى المؤلف ان يثير موضوع الاستفادة من قابس كمركز لنشاط تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى .

خلاصة القول ان ما كتبه المؤلف في هذا الفصل بخصوص النشاط التجاري لمدينة طرابلس يفيد في دراسة التاريخ الاقتصادي للبلاد بصفة عامة ودراسة تجارة القوافل واهتمام الفرنسيين بهذا النوع من التجارة بعد استيلائهم على تونس .

وبهذا الفصل معلومات طريفة عن تجارة العبيد الذين كانوا يقعون في الأسر اثناء الصراع البحري بين ليبيا وبقية الدول الاوربية المعادية . وبهذا الفصل ايضا معلومات طريفة عن نظام البريد ودور «البوستة البحرية»

الايطالية والفرنسية في توزيع البريد على اصحابه . ويتحدث المؤلف في هذا الفصل عن بعثة الفرنسسكان وتاريخها ونشاطها في مدينة طرابلس والمدرسة الكاثوليكية للبعثة وأثرها في التعليم مع صورة لأطفال هـذه المدرسة ومعلميها . وما جاء في هذا الخصوص يفيد في دراسة التاريخ التربوي للبلاد وأثر مثل هذه المدرسة في المجتمع الليبي . وفي هـذا الفصل ايضا يشير المؤلف الى أهمية الدور الذي لعبته ليبيا اثناء الحملة الفرنسية على مصر وكيف استفاد نابليون من الموقع الجغرافي لليبيا في الاتصال بفرنسا . وبعد ذلك يتحدث المؤلف عن الصحافة الايطالية التي كانت تصل الى مدينة طرابلس ويشير بصفة خاصة الـى الجورنال دي سيشيليـا «Le Giornale de Sicilia» الصادرة بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٠١ وما كتبته في هذا العدد بخصوص الضباط الفرنسيين الذين كانوا يكثرون من زيارة ليبيا بدون ازيائهم العسكرية الشيء الذي اثار مخاوف الاوربيين وخاصة الايطاليين منهم .

بهذا الشكل نجد المؤلف قد خصص ثلاثة فصول من فصوله الستـة التي ضمنها كتابه للحديث عن مدينة طرابلس وأحوالها وما كان يسودها من نشاط تجاري وسياسي وعلاقات قائمة مع غيرها مع الاشارة الـى الكثير من النواحي السياسية والاجتماعية والعسكرية التي لعبت دورها في تاريخ البلاد .

ويبدأ المؤلف في الفصل الرابع بالكلام عن الرحلة الى جبل غريـان واصفا الطريق ومعالمه مع اعطاء بعض المعلومات عن بيوت غريان وما عرفت به من طابع خاص من حيث استغلال جوف التلال لحفر البيوت وتشكيل الغرف والفضاء الداخلي لكل بيت . كل ذلك مع تزويد صفحات الكتاب بالصور التوضيحية . اما الفصل الخامس فهو وصف للرحلة في جبل يفرن وتسجيل لما شاهده الرحالة من آثار وأماكن جغرافية متجها الـى الساحل الشمالي نحو زوارة ومنها على الساحل مارا بآثار صبراته الى مدينة طرابلس .

وخصص المؤلف الفصل السادس والاخير من كتابه لتسجيل مشاهداته عن رحلته الى الشرق من مدينة طرابلس بطول الساحل حتى بلدة الخمس حيث اقام فيها ثلاثة ايام متخذا منها مركزا لزيارة اطلال لبدة . ويعطينا المؤلف معلومات طيبة عن أحوال الخمس ونشاطها التجاري وخاصة في

ميدان جمع الحلفا وتصديرها لأوربا والاهمية الادارية للخمس كمتصرفية وحاميتها التركية . ويعود الرحالة بعد ذلك الى مدينة طرابلس ماراً بمسلاته وترهونة مسجلا مشاهداته عن هذه المنطة كما فعل في بقية الجهات التي مر بها .. ومن طرابلس اخذ الرحالة الباخرة عائدا الى مارسيليا .

ويختم المؤلف كتابه بذكر النتائج التي وصل اليها في رحلته هذه بخصوص الآثار وكمياتها ونوعها والاهمية الاقتصادية للبلاد ومستقبلها الزراعي . ومع ان المؤلف لم يتعرض لبرقه في كتابه هذا الا انه يشير الى اهمية ميناء اليمبة ويقارن بينها وبين ميناء بنزرت في تونس من حيث الاهمية وما يتوقعه من استيلاء بريطانيا عليه . وكان المؤلف يفضل ان يبقى الاتراك جيرانا للفرنسيين في تونس على ان تستولي اي قوة أخرى على ليبيا . وطالب المؤلف السلطات العثمانية بالسماح للعلماء الاوربيين بزيارة البلاد للقيام بابحاثهم العلمية في ميدان الآثار ويشكر السلطات العثمانية على السماح له بهذه الرحلة .

ولا شك ان هذا الرحالة قد عاد الى بلاده بمعلومات أخرى هامة رأى من المفيد ان يرفعها الى حكومته والجهات الاخرى المختصة دون ان يشير اليها هنا مراعاة لمصلحة بلاده . وقد كان التنافس على أشده بين بعض الدول الاوربية وخاصة فرنسا وايطاليا بخصوص تقرير مصير ليبيا التي كانت تمثل البقية الباقية من املاك الدولة العثمانية في الشمال الافريقي.

وأخيرا بقي ان نقول ان المؤلف قد نجح في اثارة الكثير من النقط التاريخية التي تفيد في دراسة تاريخ البلاد في مختلف الميادين مع سهولة في الاسلوب واهتمام بتوضيح نقاطه بالصور التي التقطها والتي أصبح الكثير منها يعتبر من الوثائق التاريخية .

ولهذا الكتاب عرض بالمجلة الجغرافية في عددها الصادر بتاريخ ديسمبر ١٩٠٣ (٢١) .

---

٢١ ـ راجع البحث رقم ٨٠ في هذا الجزء من الكتاب .

23 — De Mathuisieulx, H.M., La Tripolitaine D'Hier Et De Demain. Paris, Librairie Hachette Et Cie 79, Boulevard Saint - Germain, 1912. VIII, 222 PP.

هذا كتاب آخر للاستاذ هنري مهير دي ماثويسي H.M. Mathuisieulx عن رحلته في ليبيا باسم «طرابلس الأمس والغد» . وقد أصدرت مكتبة هاشت بباريس الطبعة الثالثة لهذا الكتاب والتي نستعرضها في الصفحات الآتية في ١٩١٢ . واذا كان كتابه الاول «عبر ليبيا» (٢٢) قد جاء نتيجة لرحلته الاولى في ١٩٠١ فان هذا الكتاب قد جاء ايضا نتيجة للبعثات التي ترأسها في ليبيا من ١٩٠٣ الى ١٩٠٧ . والرحلات التي قام بها المؤلف في هذه السنوات هي موضوع هذا الكتاب لان رحلته في ١٩٠١ لم تمكنه من رؤية كل الساحل والهضاب الداخلية (ص ٢) . ويعود المؤلف هنا مرة أخرى ليؤكد ما سبق ان قاله في كتابه السابق بخصوص موقف السلطات العثمانية من الرحالة الاجانب ومنعهم من زيارة ليبيا والتجول في انحائها الداخلية وقد سبق لنا مناقشة هذا المنع وان كانت زياراته المتعددة لهذه الولاية العثمانية فيها ما يناقض هذا الادعاء المطلق .

يحتوي الكتاب على سبعة فصول بالاضافة الى الملحق الذي به بعض المعلومات والحقائق الجغرافية . ويبدأ المؤلف باستعراض عام لتاريخ ليبيا القديم في الفصل الاول من الكتاب متناولا في ذلك المراجع التاريخية القديمة والرحالة الذين زاروا ليبيا . وبعد ذلك يتحدث عن الساحل الغربي لليبيا ومراكزه التجارية الثلاثة المتمثلة في أويا «طرابلس» وصبراته ولبدة . وعند كلامه عن مدينة «أويا» يشير الى السياسة الرومانية في افريقية . وبعد الكلام عن صبراته ولبدة يستعرض تاريخ ليبيا العام منذ مجيء الوندال الى الشمال الافريقي حتى مجيء الاتراك . وأخيرا يختم هذا الفصل بالكلام عن تغلغل الرومان في الجهات الداخلية من البلاد .

اما الفصل الثاني فيتحدث فيه المؤلف عن سهل الجفارة والجبل مبتدئا بالكلام عن المقابر القديمة في ضاحية قرقارش على الطريق الساحلي الى الغرب من مدينة طرابلس . وكانت قرقارش أولى المحطات التي وقف عندها عندما بدأ رحلته يوم ٢٠ مارس ١٩٠٣ . وبعد ذلك ينتقل المؤلف

---

٢٢ ـ راجع البحث رقم ٢٢ .

الى الكلام عن صبراته القديمة وأهميتها . ويعبر المؤلف سهل الجفارة صاعداً الجبل الى «شكشوك» ومنها الى جادو ويقف بنا هنا ليتحدث عن البربر وأصولهم التاريخية والحاجة الى دراسة تاريخهم وعلاقتهم بالحكم العثماني والحامية العثمانية التي كانت تتكوّن من ۸۰۰ رجل في جادو . ويستمر الرحالة في تنقلاته حتى يصل الى نالوت .

ويخصص المؤلف الفصل الثالث للحديث عن رحلته في منطقة الحمادة متجها الى منطقة الساحل الشرقي حيث توجد مسراته وظليتن . كل ذلك بعد ان اعطانا وصفا لأهم معالم الحياة والآثار الرومانية الموجودة في الجبل الغربي . ومن الصورة المنشورة بالكتاب (ص ٦٤) نستنتج ان رحلة الاستاذ هنري مهير دي ماثويسي كانت في جماعة كبيرة وان السلطات العثمانية قد ساعدت على ترتيب مثل هذا الاستعداد المطلوب لرحلته .

وعند وصوله الى مسراته يعطينا المؤلف وصفا شيقا لبيت الضيافة الذي انزل فيه والاستعدادات التي تمت لاستقباله ويحدثنا عن قائمقام مسراته واتقانه للغة الفرنسية وقد كان من الشبان الاتراك . وقدّر المؤلف عدد سكان مسراته في ذلك الوقت بثلاثين الفا . ويتناول المؤلف في حديثه عن مسراته موقعها الجغرافي بالنسبة للبحر وتاريخها لاسيما في العصور الوسطى حيث كان لها نشاط كبير في الميدان التجاري مع الدول الاوربية ذات السفن التجارية ومع اواسط افريقية . وكان لتجار البندقية علاقات تجارية قوية مع مسراته وكانت اسواقها عامرة بالبضائع. ويقول المؤلف ان البنادقة كانوا يتحدثون عن زيت مسراته وأهميته «L’hüile de Misurata» كما كان يتحدث الفرنسيون عن زيت نيس «L’huile de Nice» (ص ۸۱) . ويستمر المؤلف في الحديث عن الاهمية التجارية لمسراته ويذكر قوافل الحجاج القادمة من المغرب والجزائر والتي كانت تمر بمسراته في الطريق الى مكة . ويتناول المؤلف ايضا أهمية هذه المدينة في طريق القوافل بين طرابلس وبنغازي . ويعطينا المؤلف فكرة عن احوال الزراعة فيها . والواقع ان ما كتبه المؤلف بخصوص مسراته يفيد في دراسة تاريخ هذه المدينة كمركز تجاري هام . وعلى من يريد ان يؤرخ لمدن ليبيا وأهم مراكز الحياة فيها ان يستفيد مما كتبه هذا المؤلف سواء في كتابه الاول او هذا الكتاب .

وبعد مسراته يعطينا المؤلف فكرة واضحة عن ظليتن وأحوالها في ذلك الوقت . وبعدها يستمر في رحلته ماراً بالساحل حتى يصل الى مدينة طرابلس بعد مسيرة ثلاثة ايام ومنها يعود الى فرنسا .

ويخصص المؤلف الفصل الرابع من هذا الكتاب للحديث عن البعثة الثالثة التي ترأسها وأتى بها الى ليبيا في ١٩٠٤ . وفي هذه المرة يصل الرحالة الى طرابلس ويتخذ منها بداية لتحركاته . وفي هـذه المرة يقوم الرحالة بزيارة ترهونة ومنطقة مزدة مرة أخرى . ويختم هذا الفصل بتحبيذ استيلاء الاجنبي على المنطقة واستغلالها .

وهكذا نجد المؤلف قد قام بثلاث رحلات على التوالي في سنة ١٩٠١ وفي سنة ١٩٠٣ وفي سنة ١٩٠٤ واخيرا في ١٩٠٦ لعمل الدراسات اللازمة بخصوص المناطق الغربية في ليبيا . وقد تناول رحلته الاولى التي قام بها في سنة ١٩٠١ في كتابه الاول «عبر ليبيا» . وخصص هذا الكتاب لرحلاته الثلاث التالية . وبقي على المؤلف ان يقوم بدراسة أخرى لمنطقة برقة ولهذا نراه يأتي مرة رابعة الى مدينة طرابلس في ربيع ١٩٠٦ ليتجه منها الى بنغازي بطريق البحر وقد وصل اليها بعد رحلة استغرقت ٣٨ ساعة . وفي بنغازي نزل الرحالة في ضيافة القنصل الفرنسي المسيو فيرنازا Vernazza . ويعطينا الكاتب وصفا لمدينة بنغازي وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية . وقد زود المؤلف كتابه هذا ببعض الصور التاريخية لمدينة بنغازي . ومن أهم هذه الصور صورة الجامع العتيق الذي ما زال قائما في ميدان البلدية (ص ١١٦) وصورة أكوام الملح التي حلت محلها الآن الحديقة القائمة عند ناصية شارع عمر المختار. ويستمر المؤلف في وصف اهم المراكز العمرانية الواقعة على الساحل كتوكرة وطلميثة وسوسة حتى مدينة درنة حيث توقف فيها وأمضى بعض الوقت . ومنها واصل الكاتب رحلته شرقا بطريق البر الى طبرق .

اما الفصل السادس فيخصصه المؤلف للكلام عن الجبل الاخضر حيث يعطي أهمية خاصة لدراسة آثار مدينة قورينا (شحات) ومدرستها الفلسفية وفترة ازدهار المدينة وانحطاطها . ولا ينسى المؤلف ان يزودنا باسماء الرحالة الاوربيين الذين ساهموا في الكشف عن آثار الجبل الاخضر عامة ومدينة قورينا بالذات منذ القرن الثامن عشر .

ويسجل المؤلف في هامش الكتاب (ص ١٤١) خبر مجيء بعثة امريكية بعد رحلته الى قورينا للقيام بالحفريات اللازمة للكشف عن آثارها. ويشير المؤلف الى مقتل احد افراد هذه البعثة الامريكية على يد احد اهالي المنطقة ولكنه لم يذكر لنا تفاصيل هذا الحادث واسبابه بل اكتفى بمجرد الاشارة اليه وربما كان ذلك لان الاخبار لم تصل اليه بالتفصيل قبل اعادة طبع

الكتاب . وما زال قبر هذا الامريكي موجودا على سفح احد تلال شحات وقد تمكنت من الاهتداء اليه والوقوف عليه في ١٩٦٢ . وهو لا يبعد كثيرا عن متحف التماثيل الموجود في شحات. ورغم عوامل التعرية ما زال اسم القتيل منقوشا واضحا على القبر واسمه هربرت فلتشر دي كو . Herbert Fletcher Décout وهو من مواليد ١١ اكتوبر ١٨٨٠ وان كان رقم الصفر غير واضح تماما بفعل عوامل التعرية . اما تاريخ مقتله فكان بشحات يوم ١٠ مارس ١٩١٠ . وقد سجلت الشاعرة الحاسية اسم هذا القتيل في بيت لها عندما اخذت تستحث قومها على الجهاد ضد الايطاليين عندما غزوا البلاد في ١٩١١ باعتبار ان القتيل كان طليعة لهذا الغزو ولا فرق بينه وبينهم وان اختلفت الجنسية وانهم جاءوا ليثأروا لقتيلهم فقالت مع تحريف بسيط الحقته باسم القتيل :

ها دوم هل داكوم          على شيخهم ما طولوا

ومعنى هذا البيت ان هؤلاء الغزاة الايطاليين هم أهل داكوم وأنهم قد جاءوا الى البلاد ولم يغيبوا لان القتيل كان شيخا لهم وقد أتوا ليثأروا لـه (٢٣) .

وبمناسبة الحديث عن هذا القتيل الامريكي افادني الاستاذ ريتشارد جودتشايلد Richard Goodchild الذي كان يشغل وظيفة مراقب الآثار في شحات حتى ١٩٦٦ قبل ان يترك البلاد للالتحاق بجامعة ميتشجان Michigan الامريكية في خريف ١٩٦٦ ، انه عثر على صندوق مقفل لم يمس به اوراق ورسائل هذا الامريكي الذي قدم شحات موفدا من جامعة ميتشجان للقيام بالتنقيب عن الآثار في اطلال شحات . ويبدو ان التقارير العلمية التي كان يبعث بها بقيت تنتظر عودته لاتمام بحثها ونشرها. وقد وعد الاستاذ جودتشايلد بمتابعة الموضوع الا انه ترك جامعة ميتشجان بعد اختياره استاذا بجامعة لندن لآثار الولايات الرومانية ابتداء من العام الدراسي ١٩٦٧ — ١٩٦٨ . ولكن الاستاذ جودتشايلد لم يعش طويلا اذ سرعان ما فارق الحياة في ١٩٦٨ بعد ان ترك ثروة علمية كبيرة في ميدان دراسة الآثار والتاريخ القديم وخاصة فيما يتعلق بالفترة الاغريقية والرومانية في ليبيا . ولم يقدر له الاشتراك ببحثه في المؤتمر التاريخي

---

٢٣ — روى لي هذا البيت الاستاذ محمود مخلوف المحامي في بنغازي نقلا عن احد مشايخ الحاسة . والاستاذ محمود معروف بحفظه للشعر وروايته .

الذي اعدته الجامعة الليبية (١٦ مارس ١٩٦٨ – ٢٣ مارس ١٩٦٨) وكان بحثه عن «الطرق الرومانية في ليبيا وعلاماتها»
«Roman Roads of Libya and Their Milestones»

وكانت وفاته خسارة علمية لا تعوض ولا أدري بعد وفاته ماذا تم بخصوص التركة العلمية التي خلفها «داكو» عالم الآثار الامريكي الذي قتل في شحات في ١٩١٠ قبل ان ينشر ابحاثه ونتائج رحلته . وكان جودتشايلد قد عثر على هذه التركة العلمية موضوعة في صندوق في احدى الحجرات السفلى بأحد مباني الجامعة .

ويُعتبر الفصل السادس من أهم فصول هذا الكتاب وهو بمثابة الخاتمة وخلاصة النتائج التي وصل اليها في جولاته المتعددة في انحاء ليبيا . ولهذا نراه يختار لهذه الخلاصة عنوانا يدل على أهمية ما جاء في هذا الفصل الاخير من كتابه . يختار المؤلف لهذا الفصل العنوان التالي «ليبيا الغد» اي ما كان يتوقعه لهذه البلاد من مستقبل على ضوء النتائج التي وصل اليها في رحلاته . ويلخص المؤلف هذه النتائج في أهمية ميناء مدينة طرابلس وميناء البمبه وميناء طبرق ويقارن بين الميناءين الاخيرين وميناء بنزرت في تونس من حيث الاهمية . وبخصوص الاهمية الزراعية لمناطق ليبيا المختلفة نراه يتوقع الكثير من النتائج الطيبة اذا بذلت الجهود المطلوبة . اما النتيجة التي وصل اليها فكانت أهمية مدينة طرابلس كمنفذ لتجارة السودان . والنتيجة الرابعة كانت تجارة القوافل وما يتعلق بها من نشاط واسواق . اما النتيجة الخامسة فكانت اهمية ميناء قابس ومحاولة الاستفادة منها كمنفذ لتجارة القوافل مع السودان كمنافس لمدينة طرابلس في هذه الاهمية التجارية . واخيرا يقول المؤلف انه تلقى نبأ الغزو الايطالي لليبيا وهو يكتب السطور الاخيرة في هذا الكتاب ولهذا يقوم باعطاء مقارنة بين القوتين الايطالية والعثمانية والمصير المنتظر لهذه الحرب القائمة بين الطرفين .

وفي نهاية الكتاب ملحق خاص يضم عدة بيانات مفيدة. أولها ملاحظات جيولوجية عن ليبيا قام بكتابتها الاستاذ فيلا Vélain الاستاذ بجامعة السوربون في باريس . وثانيها وصف قام به المؤلف نفسه لقطاعات ناتئة في الجهات الغربية من ليبيا مع تعيين نوع الصخور المشار اليها من جانب شتانيزلا ميوني Stanislas Meunier .

ومن أهم البيانات التي شملها هذا الملحق ما ذكره المؤلف بخصوص احدى القوافل التجارية التي كانت برئاسة المرحوم مختـــار بن زقلام .

وعائلة ابن زقلام من العائلات الطرابلسية المعروفة وقد اشتهر بعض أفرادها بنشاطهم التجاري مع السودان وهي من منطقة النوفليين بناحية المنشية بمدينة طرابلس وقد كان احد رجالها «سالم» يعيش في مدينة الاسكندرية وقت هجرتنا اليها (١٩٢٤–١٩٤٤) . وكان له نشاط تجاري بين الاسكندرية وطرابلس ونيجيريا اسوة ببعض العائلات الطرابلسية التي حافظت على هذه العلاقات التجارية بعد توقف حركة القوافل وأصبحت تعتمد على الاتصال البحري .

لقد قامت قافلة المرحوم مختار زقلام من مدينة طرابلس في ديسمبر ١٨٩٩ متجهة الى زندر Zinder وكانو Kano في شمالي نيجيريا عن طريق غات Ghat واير Air . وعادت هذه القافلة الى مدينة طرابلس في يناير ١٩٠٣ سالكة طريق الذهاب . وهكذا استغرقت هذه الرحلة التجارية اربع سنوات . وقد قطعت هذه القافلة رحلة الذهاب في مدة كان بيان ايامها كالآتي :

| | |
|---|---|
| من طرابلس الى غات | ٥٠ يوما |
| استراحة في غات | ٣٠ يوما |
| من غات الى أير | ٤٥ يوما |
| استراحة في أير مع تبديل الجمال بأخرى | ٢٧٠ يوما |
| من أير الى زندر | ٢٠ يوما |
| استراحة في زندر | ٤ ايام |
| من زندر الى كانو | ٧ ايام |
| اقامة في كانو | ٧٣٠ يوما |

وهناك في أير Air هاجم الطوارق القافلة التي استطاعت النجاة بفضل ما كان مع رجالها من بنادق من نوع المارتينيMartini . وكان عددها اربعين بندقية . ولكن القافلة فقدت عشرة من جمالها اثناء المعركة . ولم تفقد القافلة أحدا من رجالها . ولقد تعطلت القافلة في أير Air اكثر من اللازم لعدم سهولة الحصول على جمال جديدة لاستبدالها بالجمال التي وصلت بالقافلة في قدومها من الشمال .

وفي زندر Zender توقفت القافلة لبيع المناديل والسكر للقوات الفرنسية التي كانت ترابط هناك . والملاحظ ا نهذه القافلة بعد ان وصلت الى غات لم تواصل الرحلة بمفردها بل انضمت اليها ١٥ قافلة أخرى قادمة من مدينة طرابلس عبر جبل نفوسة قاصدة كانو . وفي أير Air انضمت الى الجميع عشرة قوافل أخرى وبذلك اصبحت هذه القوافل في

مجموعها تضم ثلاثة آلاف جمل وان كان المؤلف قد وضع علامة استفهام حول هذا العدد . لقد ركزت القوافل على اقليم أير Air اكثر من المناطق الاخرى لان هذه القوافل كانت تحمل كميات كبيرة من ملح الصحراء الى السودان . اما البضائع الاوربية التي اخذها معه مختار بن زقلام الى السودان في هذه الرحلة فقد كانت حمولة اربعين جملا على اساس ١٧٥ كيلوجراما حمولة لكل جمل من جمال قافلته . وكان بيان هذه البضائع كالآتي :

١ – ٢٠٠٠ كيلوجرام من الحرير من انتاج ليون بفرنسا من اللون الاحمر وبعض الكمية كانت من اللون الاخضر . وقد تم شراء الحرير من مدينة طرابلس على اساس ثمانين فرنكا للخمسين كيلوجرام ، وقد باع الحاج مختار بن زقلام كمية الحرير على اساس ٢٢٠ فرنكا لكل كيلوجرام.

٢ – ٣٠٠٠ كيلوجرام من قطع السكر الكبيرة المستديرة من صناعة مارسيليا . وكان الشراء على اساس ٢٢ فرنكا لكل ٥٠ كيلوجرام ولكن البيع تم على اساس ٦٦ فرنكا .

٣ – ٢٠٠ حزمة من الورق الاصفر للف البضائع من صناعة مارسيليا وتريستا وايطاليا وكان ثمن الشراء اربعة ونصف من الفرنكات لكل حزمة وقد تم البيع على اساس ٩ فرنكات .

٤ – ٦٠٠ قطعة من الاقمشة القطنية الانجليزية الصنع ذات طول يتراوح ما بين ٢٤ و٣٠ ياردة. وكان ثمن الشراء يتراوح ما بين ١٥ سنتيما و٢٥ سنتيما . وقد تم بيع القطعة على اساس سعر يتراوح ما بين ٨ و١٦ فرنكا للقطعة .

٥ – ٢٠٠ طزينة من المناديل الملونة من القطن المصنوع في انجلترا، وكان الشراء على اساس ٤٫٤٠ فرنكا ، ولكن المؤلف لم يذكر لنا ثمن بيع هذا الصنف من البضاعة .

٦ – ٤٠ قطعة من نسيج القطن الملون المصنوع في انجلترا . وكان طول كل قطعة يتراوح ما بين ١٥ و٢٠ ياردة . وكان الشراء على اساس يتراوح ما بين ١٠ و٢٠ سنتيما للياردة الواحدة وقد تم البيع على اساس يتراوح ما بين ٦ و١٢ فرنكا للقطعة الواحدة .

٧ – توابل تشمل الكركم والقرنفل والبهار وزهر الآس ، الى جانب العطور والشاي وكان الشراء على اساس يتراوح ما بين ٣ فرنك و٤ فرنك للأقة الواحدة (١٢٥٠ جراما) . وقد تم البيع على اساس يتراوح ما بين ٤ و٥ فرنكا لنصف الكيلو . وقد اخذ معه الحاج مختار كمية قليلة من

القهوة ولكن المؤلف لم يذكر لنا ثمن شرائها او بيعها .

٨ ـ وكان من بين البضاعةايضا اقمشة جوخية من الصناعة النمساوية مختلفة الالوان (احمر . ازرق . اخضر . اصفر)، وكلها لصناعة البرانيس، وكانت الكمية تسمح لصناعة مائة برنوس ، وكان الشراء على اساس ١٢ فرنكا للبرنوس الواحد . وقد تم البيع على اساس يتراوح ما بين ٢٠ و٣٠ فرنكا للبرنوس الواحد .

٩ ـ وقد اخذ الحاج مختار زقلام كمية قليلة من الخرز الزجاجي ولكن المؤلف لم يبين لنا ثمن الشراء او ثمن البيع .

ويذكر المؤلف ان المبلغ الاجمالي الذي دُفع كثمن لشراء هذه البضائع من مدينة طرابلس كان ٣٣٢٠٠ فرنكا .

عادت القافلة من كانو بعد ان تجددت جِمالها وبعد ان أضيف اليها عشرون جملا . وكانت هذه الجمال قد وصلت في ذلك الوقت من الشمال مع القوافل الجديدة التي وصلت الى كانو . وكان ترتيب العودة للقافلة كما يأتي :

| | |
|---|---|
| من كانو الى زندر | ٨ ايام |
| استراحة في زندر | ٣٠ يوما |
| من زندر الى داميرجو | ٥ ايام |
| استراحة في داميرجو | ٨ ايام |
| من داميرجو الى جاميرون | ١ يوم |
| من جاميرون الى فراك | ١ يوم |
| استراحة في فراك | ٣ ايام |
| من فراك الى ارجك | ١ يوم |
| من ارجك الى الجاوين | ٤ ايام |
| من الجاوين الى تورايت | ١ يوم |
| من تورايت الى لارا | ٣ ايام |
| استراحة في لارا | ١ يوم |
| من لارا الى بلاد اجمورا | ٥ ايام |
| استراحة في اجمورا | ٢٠ يوما |
| من اجمورا الى نازوا | ٥ ايام |
| استراحة في نازوا | ١ يوم |
| من نازوا الى تادنت | ٦ ايام |
| استبراحة في تادنت | ٢ يوم |

| | |
|---|---|
| من تادنت الى شيجوبري | ٥ ايام |
| استراحة في شيجوبري | ٢ يوم |
| من شيجوبري الى جانت | ٥ ايام |
| استراحة في جانت | ٢ يوم |
| من جانت الى اسكوا | ٣ يوم |
| استراحة في اسكوا | ١ يوم |
| من اسكوا الى غات | ٦٠ يوما |
| من غات الى تزينوف | ١ يوم |
| من تزينوف الى تويللا | ٢ يوم |
| من تويللا الى عوينات | ١ يوم |
| من عوينات الجنوبية الى حسي | ١٢ يوما |
| استراحة في الحسي | ١ يوم |
| من الحسي الى العوينات الشمالية | ١ يوم |
| من العوينات الشمالية الى تابوينا | ٨ يوم |
| من تابوينا الى توجيا | ١ يوم |
| من توجيا الى مزدة | ٥ ايام |
| استراحة في مزدة | ١ يوم |
| من مزدة الى زارث | ٣ يوم |
| من زارث الى الرابطة | ١ يوم |
| من الرابطة الى العزيزية | ٢ يوم |
| من العزيزية الى جنزور (طرابلس) | ١ يوم |

وهكذا قطعت القافلة المسافة بين كانو ومدينة طرابلس في ستة شهور. والملاحظ ان قافلة الحاج مختار قد استغرقت في العودة مدة أطول عما استغرقته في الذهاب كما ان عدد المراحل التي قطعتها والاستراحات التي قامت بها كان اكثر مما كان عليه الحال في ذهابها جنوبا . ويقول المؤلف انه في الظروف الاخرى التي لا توجد فيها عوائق لا تأخذ القافلة اكثر من ١٩ يوما من كانو الى آير و٤٠ يوما من آير الى غات و٤٠ يوما من غات الى مدينة طرابلس . ومعنى ذلك ان القافلة تسير بسرعة تزيد ثلاث مرات عما رأيناه في الحالة السابقة .

ويعطينا المؤلف نقلا عن الحاج مختار عدة ملاحظات عن بعض المحطات التي سبق ذكرها من حيث المياه والامن وما يمكن ان يتعرض له المسافر

كما انه يعطينا قائمة مفصلة للبضائع التي احضرها معه الحاج مختار بن زقلام من السودان مع بيان قيمة الشراء وقيمة البيع .

ويمكن القول ان هذه البيانات المفصلة عن تجارة القوافل باعطاء هذا النموذج من أحسن ما كُتب في هذا الخصوص عن تجارة القوافل ولم يسبقه احد في هذا الميدان فيما أعلم حتى الآن .

ان الكتاب يُعتبر من احسن المصادر لدراسة تاريخ ليبيا وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وخاصة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ويكشف الكتاب عن مدى الاهتمام الذي اعطته السلطات الفرنسية لدراسة احوال ليبيا وقد كانت تنظر اليها بعين الطمع محاولة الاستيلاء عليها وان كانت ايطاليا المنافسة لها قد فازت بها في نهاية الامر في خريف سنة ١٩١١ . وكان للكتاب صدى كبير في الاوساط العلمية والسياسية لدقة معلوماته والبيانات التي ذكرها . وقد طُبع عدة مرات، وكان له عرض في «المجلة الجغرافية» The Geographical Journal بعددها الصادر في نوفمبر ١٩١٢ .

بقي ان نقول ان هناك ترجمة ايطالية كاملة للكتاب الاول لهذا المؤلف وكتابه هذا باستثناء الفصل الاول والفصل الاخير منه . وهكذا جاءت الترجمة الايطالية حاوية للكتابين باستثناء هذين الفصلين وقد حل محلهما فصل آخر اضافه المترجم عن ليبيا الحديثة باعتبار الوقت الذي صدرت فيه الترجمة ، وهذه الترجمة الايطالية خرجت في مجلد واحد وقد قام بها الاستاذ لويجي كوفينو Luigi Cufino الذي كان سكرتيرا للجمعية الافريقية الايطالية . وقد صدرت الترجمة في ميلانو في ١٩١٢ . وبمراجعة الترجمة الايطالية نجد المترجم قد تناول في الفصل الذي اضافه الاحتلال الايطالي ودوافعه والاوضاع الجغرافية والمصادر الطبيعية والقيمة الاقتصادية وكانت هذه الاضافة بتوقيع المترجم نفسه (٢٤) .

---

٢٤ ـ اطلعت على النسخة الايطالية عند الاستاذ خليفة التليسي وقد ساعدني على اعطاء هذه النبذة القصيرة عنه والترجمة الايطالية باسم :

H. M. De Mathuisieulx
Attraverso
La Libia

اثارت رحلات دي ماثيويسي Mathüisieulx حسد الرحالة الايطاليين الذين لم يتمكنوا من التجول في ليبيا . وكان الرحالة الايطالي تومياتي Tumiati من بينهم اذ انه عندما جاء الى مدينة طرابلس في عهد رجب باشا منعه الباشا من التنقل في داخل البلاد . واستطاع تومياتي ان يقابل رجب باشا . وكان بينهما حوار يدل على ذكاء رجب باشا وحكمته وادراكه لاطماع الدول الاوربية في ليبيا . وفي اثناء هذه المقابلة احتج تومياتي على منعه من التنقل في داخل البلاد في الوقت الذي سمحت فيه سلطات الولاية للرحالة الفرنسي دي ماثيويسي من التجول بحرية تامة في مختلف مناطق ليبيا . وكان رد رجب باشا على هذا القول بأن الرحالة الفرنسي جاء الى مدينة طرابلس ومعه اذن من السلطات العثمانية في اسطنبول بالتجول في ليبيا . وعندما ذكر تومياتي ان الرحالة الفرنسي دي ماثيويسي قد نشر بعض الخرط التي لها علاقة بالدفاع عن الولاية والاوضاع الحربية فيها . كان رد رجب باشا انه لهذا السبب رأى ان يمنع تومياتي وغيره من التجول في داخل البلاد .

وأخيرا استطاع تومياتي الرحالة الايطالي ان يحصل على اذن بالتجول في ليبيا عن طريق تدخل السفارة الايطالية في اسطنبول . وقد كان مجيئه الى مدينة طرابلس يوم ٥ يناير ١٩٠٥ واستطاع ان يقوم بزيارة يفرن والرومية ومسلاته وبنغازي . واهتم تومياتي بدراسة العادات والتقاليد السائدة في البلاد . وقد غلبت على رحلته المنشورة الناحية الفنية وقد نشر رحلته باسم :

(Nell' Africa Romana: Tripolitane, Milano, 1905)

---

Tradazione Con Agguinte
Sulla
Libia Odierna
Per Cura di
Luigi Cufino
Segretario della Società Africana d'Italia
Volume Riccamente illustrato
Casa Editrico
Dottor Francesco Vallardi    Milano 1912. XII, 264 PP.

والملاحظ ان مقدمة هذا الكتاب الذي اخرجه الرحالة الايطالي تومياتي تشير الى الغزو الايطالي في ١٩١١ وهذا يؤكد لنا ان الكتاب قد نُشر فيما بعد الغزو الايطالي وليس في ١٩٠٥ كما جاء في صفحة عنوان الكتاب(٢٥).

***

24 — De ProroK; Byron Khun; Mysterious Sahara. The Land of Gold, of Sand, and of Ruin. London, John Murray, Albemarle Street, W., 1932. XX, 248 PP.

صدر كتاب «الصحراء الكبرى الغامضة» في ١٩٣٢ لمؤلفه الاستاذ بيرون خون دي برورك . والواقع ان الاساتذة الفرنسيين الذين اهتموا بدراسات الشمال الافريقي والصحراء الكبرى كانوا من احسن من كتب في هذه الناحية لاهتمامهم بهذه الدراسات خصوصا بعد ان احتلت فرنسا الجزائر في ١٨٣٠ واخذت تتغلغل في الصحراء الكبرى جنوبا الى السودان الغربي . وقد زاد اهتمام هؤلاء الاساتذة الفرنسيين بعد ان اصبحت تونس ومراكش ضمن نطاق الامبراطورية الفرنسية وبعد ان انشأت فرنسا مستعمرات لها في السودان الغربي .

يحتوي الكتاب على عشرة فصول بخلاف المقدمة والخاتمة وقائمة المراجع الى جانب الصور الايضاحية والخريطتين الجغرافيتين مع ملاحظة وجود بعض الاخطاء في تحديد المواقع الجغرافية لبعض الاماكن كما هي الحال في الخريطة الجغرافية الاخيرة التي يُذكر فيها طرابلس Tripoli على انها تشمل المنطقة الواقعة الى الجنوب من المنطقة الساحلية الممتدة من مرسي مطروح الى خليج السلوم .

يبدأ المؤلف في المقدمة بذكر العوامل التي جعلته يهتم بالكشوف الجغرافية والمناطق التي قام بارتيادها . وكان من بين هذه المناطق الشمال الافريقي والصحراء الكبرى . وقد جاء كتابه هذا خلاصة لمجهودات علمية استمرت عشر سنوات . ويشيد المؤلف بالشخصيات والجمعيات العلمية

---

٢٥ ـ بخصوص ما جاء عن الرحالة الايطالي تومياتي Tumiati مستخلص بمساعدة الاستاذ خليفة التليسي فله الشكر .

التي ساعدته في مهمته الكشفية وكلها من مستوى عال في هذا الميدان ولها شهرة كبيرة في الدراسات الصحراوية والتشجيع عليها .

يتحدث المؤلف في الفصل الاول عن «شهداء الصحراء الكبرى» وهو يعني بذلك الرحالة الذين فقدوا حياتهم او تعرضوا للاخطار اثناء قيامهم برحلاتهم الكشفية في الصحراء . والمؤلف عندما يتحدث عن هؤلاء الرحالة يحصر كلامه في الرحالة الاوربيين فقط مع ان الكثير من سكان الشمال الافريقي لاقوا حتفهم في الصحراء قبل ان يقوم الرحالة الاوربيون بنشاطهم او معهم كمرافقين لهم في القيام بمهمتهم . والمعروف ان الاوربيين بدأوا يجمعون معلوماتهم الاولية عن الصحراء الكبرى والسودان من سكـــان الشمال الافريقي خصوصا أولئك الاشخاص الذين كانت لهم خبرة سابقة بالصحراء وما ورائها بحكم نشاطهم التجاري ومصاحبتهم للقوافل التـــي كانت تربط تلك المناطق بالموانىء الساحلية . ولا شك ان الكثيرين من هؤلاء التجار قد لاقوا حتفهم في الصحراء وأصبحوا شهداء لها بسبب العطش او الضياع في الصحراء او التعرض للنهب والسلب والقتل كما حـــدث لبعض هؤلاء الرحالة الاوربيين الذين حرص المؤلف على حصر اسمائهـــم وتخصيص هذا الفصل لهم كشهداء للصحراء مع ان اكثرهم ان لم يكن أغلبهم كانوا طليعة للتوسع الاوربي وممهدين له او رسلا للتبشير الـــى جانب الاهداف العلمية التي كان يتعلل بها بعضهم .

ويحاول المؤلف اعطاء كشف باسماء الرحالة الاوربيين الذين كان لهم نشاط في حركة الكشف الصحراوي . ويبدأ المؤلف بالرحالة الانجليز ثم يعطينا اسماء الرحالة الالمان الذين ساهموا في هذا الميدان ولكنه يذكر لنا ان القائمة الالمانية لابطال الصحراء قليلة (ص ٨ـ٩) . ومع هذا يأتي المؤلف ببعض الاسماء . والملاحظ ان المؤلف يعطي اهتمامه الاكبر للرحالـــة الفرنسيين . وربما كان هذا راجعا الى كثرة عددهم واتساع نشاطهم بعد ان خضعت بلاد الشمال الافريقي للحكم الفرنسي الذي تغلغل في الصحراء الكبرى وإمتد حتى شمل السودان الغربي . وربما كان هذا لأصله الفرنسي حسب ما يتبين من اسمه وربما كان هذا ايضا لتأثره بالمساعدات التـــي قدمت اليه وقد كان معظمها من السلطات الفرنسية الحاكمة في الشمال الافريقي وبعض العلماء والرحالة الفرنسيين الذين سبقوه في هذا المضمار وكان لهم جهد كبير في هذا الخصوص .

وفي حديث المؤلف عن شهداء الصحراء الكبرى من الفرنسيين يعطينا وصفا لنهاية بعضهم والطريقة التي ماتوا بها . وهو في هذا يؤرخ للتوسع

الفرنسي في الصحراء الكبرى وفي بلاد الطوارق على وجه الخصوص . وبهذا الوصف يعطينا المؤلف فكرة عن المقاومة التي وجدتها فرنسا من الطوارق اثناء التوسع الذي اخذت تمارسه بعد احتلالها للجزائر في ١٨٣٠ وبعد ان خضعت لها تونس في ١٨٨١ ومراكش في ١٩١٢ .

ويسجل المؤلف ملاحظاته الهامة بخصوص سرعة انتشار الاخبار في الصحراء وهي ظاهرة هامة تلفت الانتباه خصوصا اذا عرفنا ان المواصلات الاخبارية لم تكن قد تقدمت وانتشرت كما هي عليه الآن (ص ١٥) . وفي هذا الفصل يعطي المؤلف وصفا لبعض البطولات التي ظهر بها بعض هؤلاء الذين لاقوا حتفهم في الصحراء الكبرى وفي مقدمتهم الجنرال لابرين General Laperrine الذي مات وهو يحاول عبور الصحراء في اول محاولة عسكرية من هذا النوع . وقد سقطت طائرة هذا الجنرال وأصيب بجراح في الوقت الذي نجا فيه بقية رفقائه . وقد فضّل ان يتنازل عن حصته في الماء والطعام لرفاقه الاصحاء حتى يواصلوا الحياة ومحاولة النجاة بعد ان تأكد لديه استحالة ذلك بالنسبة لنفسه بسبب الجروح التي اصابته (ص ١٢-٢٢) .

وفي الفصل الثاني يتناول المؤلف موضوع رحلته العلمية الى مناطق سكان الكهوف في الصحراء متخذا تونس مركزا لتحركاته . وقد بدأ الاتجاه اولا الى منطقة مطماطا الجبلية حيث ترك لنا وصفا لهذه المنطقة بمساكنها المنحوتة في الجبال والتي تنتشر ايضا فيما يعرف بالجبل الغربي في غربي ليبيا حتى بلدة غدامس . وفي دراسة هذا الفصل فهم الكثير من الحقائق التاريخية التي تساعد في دراسة الاوضاع المتشابهة الموجودة في منطقة غريان وبقية الجبل الغربي .

وفي الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن بعثته الى منطقة هجار Hoggar المعروفة بجبالها وحيث تعيش بعض قبائل الطوارق ولهذا كان كلامه في هذا الخصوص يفيد في دراسة الطوارق بصفة عامة لاسيما وأن بعض قبائل الطوارق تعيش في الجنوب الغربي من ليبيا وحول واحة غات بالذات . والملاحظ ان المؤلف يتابع دراسة موضوع الطوارق في الفصل الرابع الذي اختار له عنوان «شعب اللثام» . والمؤلف في كلامه عن الطوارق يحمل عليهم ويصف لنا تحركاتهم السريعة في الصحراء وموقفهم من التغلغل الفرنسي هناك . ويتناول المؤلف موضوع اللثام عند الطوارق كما يتناول لغة الطوارق وكتابتهم الخاصة بهم والتي يعتقد المؤلف انها تعود

الى الخط الليبي القديم . ويشير المؤلف الى انتشار القراءة والكتابة بين نساء الطوارق . وبهذا الفصل معلومات لا بأس بها عن عادات وتقاليد الطوارق والحياة الاجتماعية عندهم . ويستعرض المؤلف بعض الاقوال التي قيلت في أصل قبائل الطوارق ويناقشها ويقوم بعمل مقارنة بينهم وبين الهنود الحمر في امريكا الشمالية وموقف كل منهما من الحضارة الطارئة عليهم .

ويتحدث المؤلف في الفصل الخامس عن اكتشاف قبر الملكة تين هينان Tin Hinan احدى ملكات قبائل الطوارق . وقد اعتبر كشف هذا القبر وما به من ادوات زينة وحلى ومجوهرات من أهم الاكتشافات الاثرية في تاريخ الصحراء الكبرى . وقد ساعد اكتشاف هذا القبر على دراسة تاريخ قبائل الطوارق . ويعطي المؤلف وصفا لقبر هذه الملكة وكيفية حفره والاشياء التي عثروا عليها وقد ملأت ٤٨ صندوقا .

وفي الفصل السادس يتحدث المؤلف عن الانطباعات الصحراوية التي حصل عليها من رحلاته وخبرته بالصحراء وبعواصفها وتلالها الرملية وحرارتها وما يلاقيه الانسان فيها من عطش وتهديد بالموت .

ويخصص المؤلف الفصل السابع من كتابه للحديث عن موضوع «مدن الصحراء الميتة» . ويذكر المؤلف ان من اهم مشاكل الاكتشاف في الصحراء الكبرى التي لفتت انتباهه لعدة سنوات كان تتبع الطرق القديمة للتجارة وطرق القوافل في الصحراء الكبرى . وقد سبق للمؤلف ان نشر مقالا عن «الطرق القديمة للتجارة من قرطاجة الى داخل الصحراء» (٢٦) في المجلة الجغرافية الامريكية في ١٩٢٥ . وهذا موضوع هام يفيدنا في دراسة تجارة القوافل وتاريخها .

ويتحدث المؤلف في هذا الفصل عن المدن القديمة التي غطتها رمال الصحراء والجهود التي اشترك بها في الكشف عن بعضها . ويبدأ بالحديث عن أعمال الحفريات للكشف عن مدينة كارانيس بمنطقة الفيوم . ويذكر المؤلف انه كان هناك طريق قديم للقوافل يصل طيبة عاصمة مصر الفرعونية والتي تقع في الصعيد بقرطاجة في شمالي افريقية . وكان هذا الطريق

---

26— Prorok, «Ancient Trade Routes from Cartage into the Sahara», American Geographical Journal, 1925.

يمر بواحة اوجله والجبال السوداء بالقرب من واحة سوكنة . ومن واحة سوكنة يتجه فرع الى واحة غدامس . وفي ص ٢٣٤ يتحدث عن قبائل الجرمنت بفزان وكيف كانوا يستخدمون الثيران لجر العجلات في الصحراء ، وكيف كان الرحالة الالماني الدكتور هنري بارث اول من اكتشف النقوش الصخرية التي اعطتنا فكرة عن الطريقة التي كان يسافر بها قدماء فزان قبل وصول حيوان الجمل . وبعد ذلك يشير المؤلف الى آثار جرمة عاصمة قبائل الجرمنت بفزان .

ومع ان المؤلف قد خصص هذا الفصل للكلام عن المدن الاثرية في الصحراء الا انه لم يعط اي اهتمام لصبراته ولبدة وشحات وغيرها وان كان قد اكتفى بالاشارة الى اسماء بعضها . ولهذا كان ما كتبه المؤلف في هذا الخصوص لا يفيد كثيرا في دراسة آثار هذه المدن القديمة وان كان المؤلف قد اعطى اهتماما اكثر لبعض المراكز الاثرية فيبقية الشمال الافريقي وفي بعض المناطق الصحراوية الداخلية .

وينتقل المؤلف الى الحديث عن معبد الاله آمون في الفصل الخامس، وهو يقصد بذلك الحديث عن واحة سيوة التي تقع على الحدود الليبية الشرقية في داخل الاراضي المصرية . والحديث عن واحة سيوة يبدأ بالاشارة الى أهميتها كحلقة هامة في طريق القوافل الذي كان يربط طيبة عاصمة مصر الفرعونية والتي تقع على نهر النيل في صعيد مصر بقرطاجة في الشمال الافريقي وبقية واحات فزان . ويشير المؤلف الى الطريق الذي سلكه الاسكندر المقدوني في زيارته لواحة سيوة بعد غزوه لوادي النيل . ويقول المؤلف انه بدأ يفكر في ضرورة زيارة منطقة واحة سيوة ودراستها بعد ان نجح في اكتشاف قبر الملكة تين هينان Tin Hinan في سنة ١٩٢٦ ولهذا نراه يصل الى مدينة الاسكندرية . ومن هناك يبدأ الرحلة الى واحة سيوة ماراً بآثار القديس مينا St. Menas التي تقع على مسافة ٧٥ ميلا الى الجنوب الغربي من الاسكندرية ، وقد سبق للاستاذ كوفمان Kaufmann الالماني ان نجح في الكشف عنها قبل الحرب العالمية الاولى . ويستمر المؤلف في الاشارة الى المعالم الاثرية الموجودة بطول الطريق الى واحة سيوة حتى اذا وصل الى هذه الواحة نجده يعطينا وصفا لها ولآثارها وللحياة الاجتماعية فيها . ويستمر المؤلف في وصف واحة سيوة وتقاليد أهلها وعاداتهم في الفصل التاسع من هذا الكتاب . وبعد ان اتخذ المؤلف واحة سيوة مركزا لدراساته قام بدراسة البحيرات المنتشرة حول هذه الواحة في الصحراء سواء ما وجد منها في

داخل الحدود الليبية الى الغرب من واحة سيـــــوة او تلك البحيرات المنتشرة في الشرق من واحة سيوة ، ودراسة هذه البحيرات كان موضوع الفصل العاشر في هذا الكتاب .

وللكتاب خاتمة يبين فيها المؤلف المناطق التي ما زالت في حاجة الى الكشف والدراسة خاصة منطقة جبال تيبستي . وقد عبَّر المؤلف عن أمله في عبور الصحراء الكبرى من المحيط الاطلسي الى البحر الاحمر آخـذا بالاعتبار المناطق التي لم يتم كشفها في هذه المنطقة المذكورة. ويذكر المؤلف ان هناك مئات من المدن والمراكز العمرانية التي تنتظر الكشف والدراسة.

بقي ان نقول الملاحظات الآتية عن هذا الكتاب :

١ ـ انه جاء نتيجة جهود طويلة في البحث والدراسة والرحـــلات لسنوات عديدة ومع هذا كان الكتاب عاما باستثناء بعض الوقفات الخاصة كما فعل في واحة سيوة والمنطقة المجاورة لها .

٢ ـ ان المؤلف اكتفى بالاشارة العابرة العامة دون التعمق في اعطاء المعلومات ومع هذا فان الكثير من هذه الاشارات تلفت الانتباه وهي بمثابة مفتاح لدراسات مفيدة عن بعض الموضوعات .

٣ ـ اهتم المؤلف بالجهود الفرنسية والعلماء الفرنسيين وان كان لم يغفل فضل الرحالة الالماني الدكتور هنري بارث الذي قام ببعثته موفدا من طرف الحكومة البريطانية .

٤ ـ الكتاب في جملته يصلح ان يكون للقراءة العامة وللمبتدىء الذي يريد ان يأخذ صورة اجمالية قبل ان يدخل في التفصيلات بالنسبـــة لدراسة تجارة القوافل وجهود الرحالة الاجانب الذين كان لهم نشاط في هذا الميدان ودراسة الحضارة الانسانية ومخلفاتها في الصحراء الكبرى بصفة عامة .

***

25 — Diolé, Philippe; Sahara Adventure. Translated From The French by Katherine Woods. New York City 1956. 185 PP.

قام الرحالة فيليب ديولي Philippe Diolé بعدة رحلات في القارة الافريقية مخترقا اياها من الشمال الى الجنوب ومن شرقي القارة الـى غربيها . وقد أعطى الصحراء الكبرى اهتماما خاصا طيلة العشرين سنة

التي امضاها في السفر والرحلات . وتمكن المؤلف ان يخرج عـدة كتب هامة ضمنها بعض ما وصل اليه من معلومات طريفة اثناء قيامه بالكشف.

ومن بين هذه المؤلفات التي اخرجها كتابه «مغامرة صحراوية» وقد اخرجه باللغة الفرنسية ولكن كاتريـــن وودز Katherine Woods قامت بترجمته الى اللغة الانجليزية ونشرته في مدينة نيويورك في ١٩٥٦ ، وهذا الكتاب جاء نتيجة لرحلة قام بها المؤلف الى منطقة تاسيلي والاهجار وفزان بالصحراء الكبرى . وقد وجد المؤلف هذه المناطق «الصحـــراء الجميلة في العالم» The Beautiful Desert in the World . ولم يستعمل المؤلف في رحلته هذه وسائل النقل الحديثة من طيارة او سيارة ولكنـه استعمل الجمل في رحلته مستعينا بأخد المواطنين في سفره .

يحتوي الكتاب على ١١ فصلا بخلاف المقدمة وقائمة المراجع التـــي جاءت مختصرة ولكنها شارحة لأهمية المصادر التي اعتمد عليها وكلهـــا مصادر فرنسية تبين لنا الجهد العلمي الذي بذله الفرنسيون في كشف الصحراء الكبرى ومعرفة اسرارها . وقد كان للكثير من العلماء الفرنسيين المقدرة على الحياة في الصحراء والتكيف حسب ظروفها لأعوام طويلة ، ويكفي ان نشير الى الضابط الفرنسي الذي التقى به هذا الرحالة هناك والذى لم يترك الصحراء طوال عشرين سنة متتالية حتى اجازاته السنوية المستحقة كان يفضل ان يقضيها في الصحراء دون الذهاب الى وطنـــه فرنسا (ص ١٧) . وبالكتاب عدد كبير من الصور لبعض المعالم الاثرية التي شاهدها الرحالة كما زود كتابه بخريطتين جغرافيتين للرحلة التي قام بها.

يفيد الكتاب في دراسة تاريخ منطقة فزان وخاصة جرمة عاصمـــة قبائل الجرامنت في العصر القديم. ويفيد ايضا في دراسة مرزق وأهميتها السياسية والاقتصادية في العهد العثماني فيما قبل مجيء الايطاليين الذين اتخذوا من واحة هون مركزا للادارة العسكرية الايطالية للمناطق الجنوبية في ليبيا . هذا وقد اعطى المؤلف اهمية للحديث عن بلـدة سبها ايام ان كانت عاصمة لولاية فزان عندما قام المؤلف برحلته . وقد سجل لنا الكثير من انطباعاته عنها ووصف لنا احوالها السياسية والاقتصادية . وفـــي حديث المؤلف عن منطقة فزان الكثير من المعلومات التي تفيد في دراسة تجارة القوافل ومراكزها وتطورها على مر العصور قبل تلاشيها نهائيا .

هذا ويجب ان نذكر ان المؤلف لا يتعمق في كتابه بل يكتفي باثارة بعض النقاط والاشارة اليها بطريقة عامة . ولهذا جاء الكتاب خفيفا في قراءته

موجزا في معلوماته وان كان قد نجح في اعطائها الطابـــع المثير الملفت للاهتمام .

***

26 — Elderkin, Kate Mck.; From Tripoli to Marrakesh, Massachusetts (U.S.A), 1944. xvi, 303 PP.

صدر هذا الكتاب «من طرابلس الى مراكش» في الولايات المتحـــدة الامريكية في ١٩٤٤ اي اثناء قيام الحرب العالمية الثانية وقد تم طرد قوات المحور نهائيا من ليبيا في بداية ١٩٤٣ . والكتاب من تأليف السيدة كيت ماك الدركين Kate Mck Elderkin التي جاءت صحبة زوجها الى مدينة طرابلس قبل الحرب العالمية الثانية بعد ان زارت اسبانيا وايطاليا ومصر واليونان وجزر بحر ايجه . وكانت المؤلفة وزوجها من المولعين بدراســة معالم الحضارة القديمة بحكم تخصصهما في علم الآثار. وكان وصول المؤلفة الى مدينة طرابلس في فصل الربيع وقد اتخذت منها منطلقا الى الغرب حتى وصلت الى مراكش في بلاد المغرب . حرصت المؤلفة على تدويـــن ملاحظاتها والتقاط الصور لأهم المعالم الاثرية واستطاعت ان تزود كتابها بالكثير من هذه اللوح الاثرية الفنية . واذا كانت المؤلفة قد ركزت اهتمامها على الفن المسيحي في عصوره الاولى الا انها اعطت اهمية لعصر البيزنطيين وخلفائهم وعصر العرب .

ولم تكن الكاتبة تهدف من هذا الكتاب الى تقديم مادة علمية للاخصائيين في هذا النوع من الدراسة . ولم تكن تهدف ايضا الى اخراج دليـــــل سياحي يساعد أولئك الذين يريدون زيارة المنطقة التي قامت بمسحهـــا ولكنها كانت تهدف الى تقديم مادة تصلح ان تفيد أولئك الذين كانـــوا يخدمون في قوات الحلفاء الذين قدّر لهم ان يحاربوا في الشمال الافريقي كما تصلح ان تفيد أولئك الذين يقومون بزيارة هذه المنطقة في الشمال الافريقي بتقديم اساس تاريخي لهم .

يحتوي الكتاب على تسعة فصول ومائة وثلاث وثلاثين لوحة فنية لأهم معالم آثار البلاد التي قامت بزيارتها . وبالكتاب قائمة بالمراجع التـــي اعتمدت عليها المؤلفة الى جانب فهرس الاسماء . ويهمنا من هذا الكتاب

الفصل الاول الذي جاء بعنوان «مسرح الشمال الافريقي» وهو بمثابة مقدمة جغرافية وتاريخية عامة لبلاد الشمال الافريقي لتفسير أهم الاحداث التاريخية التي شهدتها هذه المنطقة .

اما الفصل الثاني فقد خصصته المؤلفة للحديث عن طرابلس الغرب أي الاجزاء الغربية من ليبيا وان كانت الكاتبة قد اهتمت بالحديث عن مدينة طرابلس وأهم معالمها الاثرية كقوس الرخام ومسجد قورجي ومتحف الآثار وما يضم من بقايا قطع الفسيفساء التي عثر عليها في «دار بوك عميرة» التي ما زالت بقاياها تقع بالقرب من بلدة ظليتن على ساحل البحر . وبعد ذلك تنتقل الكاتبة الى الحديث عن آثار لبدة وقد ذهبت اليها بالسيارة لزيارة ومشاهدة معالمها كما ذهبت لزيارة بقايا مدينة صبراته وسجلت لنا وصفا عاما لآثارها كما فعلت في زيارتها لآثار لبدة .

وفي الفصل الثالث اخذت الكاتبة تتحدث عن المنطقة الساحلية الشرقية لتونس بعد ان مرت بالمنطقة الغربية في ليبيا في الطريق الى تونس . وهكذا تستمر الكاتبة في الحديث عن بقية بلاد الشمال الافريقي في بقية الفصول التي لا تخلو من بعض الفائدة بخصوص دراسة بعض الجوانب التاريخية في ليبيا كما حدث في الفصل السادس عندما اخذت تتحدث عن ابيوليوس Apuleius الاديب وزواجه من السيدة الغنية في مدينة أويا Oea (طرابلس) التي أقام فيها مريضا وهو في الطريق الى الاسكندرية . وكان زواجه بهذه السيدة نقطة تحول في تاريخ حياته، وقد اثار عليه هذا الزواج اقرباء زوجته الذين اتهموه بالسحر والشعوذة للاستيلاء على ثروتها . وانتهت محاكمته التي عقدت في مدينة صبراته بالبراءة لبراعته في الخطابة .

الكتاب في جملته قليل الاهمية بالنسبة للدراسات التاريخية الا اذا اخذناه على انه مصدر لوصف بعض أجزاء البلاد في أواخر العهد الايطالي وأنه يعطي وصفا عاما لأهم المعالم الاثرية في غربي ليبيا في أواخر العهد الايطالي .

27 — Evans - Pritchard, E.E.; The Cyrenaica - Tripolitania Boundary. The Geographical Journal , May - June 1946. PP. 169 - 70 .

كتب هذه الرسالة الاستاذ إ.ا. ايفنز برتشرد (٢٧) وموضوعهـا «الحدود البرقاوية الطرابلسية» وذلك في عدد مايو — يونيو ١٩٤٦ من «المجلة الجغرافية» . ويبدأ الكاتب رسالته بالاشارة الى عدد المجلة الصادر في مايو — يونيو ١٩٤٥ والذي نشر فيه رسالته بخصوص مستقبل برقة كما انه يشير الى عدد سبتمبر — اكتوبر ١٩٤٥ للمجلة الذي كتب فيه المستر كندي شو Kennedy Shaw رسالته بخصوص مستقبل ولاية طرابلس . ويقول الكاتب انه يود ان يضيف بعض الملاحظات الاخرى بخصوص مسألة الحدود بين ولايتي طرابلس وبرقة .

كانت أولى هذه الملاحظات احتمال وضع الولايتين تحت ادارة واحدة تختارها الامم المتحدة ، وهو في هذا الاحتمال يتفق مع المستر كندي شو بأن هذا الترتيب ربما كان احسن ما يكون . ولكن هناك احتمال ايضا بأن تكون هاتان الولايتان تحت ادارة واحدة على ان تكون لكل منهما ادارة خاصة . وبعد ذلك يأخذ الكاتب ايفنز برتشرد في ذكر المصاعب التي تحول دون قيام ادارة واحدة للولايتين ثم يأخذ في الكلام عن موضوع الحدود بين الولايتين ويناقش ما اقترحه المستر كندي شو في هذا الشأن بخصوص الحد المقترح والممتد من تيبستي الى البحر الابيض .

والملاحظ ان الاستاذ ايفنز برتشرد يعود في مقاله هذا ويؤكد بأنه لم يكن هناك على الاطلاق حد واضح محدد بين برقة وطرابلس ، وكلاهما قد خضع لسيادة اجنبية واحدة من جانب تركيا اولا ثم ايطاليا فيما بعد . ولهذا كان الحد بينهما مجرد ملاءمة ادارية ويستدل على ذلك باستعراض التطور التاريخي للتبعية الادارية لمنطقة سرت . ويختـم ايفنز برتشرد استعراضه باقتراح خط للحدود بين الولايتين رداً على الخط المقترح من المستر كندي شو (٢٨) . هذا وليس من الضروري ان نعيد هنا ما جاء في تعليقنا على ما كتبه المستر كندي شو لتشابه الموقف بين الكاتبين . لهذا نحيل القارىء الكريم الى تعليقنا على ما كتبه المستر كندي شو في استعراضنا لبحثه (٢٩) .

---

٢٧ — راجع ما جاء بخصوصه في الجزء الاول من هذا الكتاب .

٢٨ — راجع البحث رقم ٦٩ في هذا الجزء من الكتاب .

٢٩ — راجع المصدر السابق .

28 — Evans - Pritchard, E.E.; The Sanusi of Cyrenaica. London, Oxford University Press, 1949. V, 240 PP.

هذا الكتاب «سنوسيو برقة» من تأليف الاستاذ الدكتور إ.ا. ايفنز بريتشرد . وقد سبق لنا التعريف به وببعض مؤلفاته التي أصدرها عن برقة (٣٠) . ويجب ان نلاحظ ان هناك شخصا آخر اسمه ايفنز بريتشرد وقد كان من رجال الشرطة في ولاية طرابلس في عهد الادارة البريطانية وكان مديرا للسجون في الولاية . وقد تعرفت عليه في ربيع ١٩٥٢ وأفادني بأنه لا يمت بصلة القرابة للاستاذ المؤلف وان كان بدوره من هواة الاطلاع والقراءة .

كانت الطبعة الاولى لهذا الكتاب في ١٩٤٩ وقد اعيد طبعه للمرة الثانية في ١٩٥٤ ثم تجددت طبعاته فيما بعد دون ادخال اي اضافة او تغيير عليه . وللكتاب ترجمة عربية قام بها الاستاذ عمر الديراوي أبو حجلة لحساب مكتبة الفرجاني بمدينة طرابلس التي قامت بنشره دون ذكر تاريخ النشر كما جرت العادة ان يكون . ومع تقديرنا الكبير للمجهود الذي بذل في تعريب هذا الكتاب ونشره الا ان كثرة الاخطاء في الترجمة والاسماء قد قللت من هذا المجهود الكبير نوعا ما .

ويحتوي الكتاب على ثمانية فصول بخلاف المقدمة والملحق الخاص بالاسماء التي وردت في الكتاب والملحق الذي يحوي قائمة المراجع التي اعتمد عليها المؤلف في دراسته . وبعض هذه المراجع باللغة الايطالية وبعضها الآخر باللغة الفرنسية . وهناك مجموعة أخرى باللغة الانجليزية ومجموعة باللغة العربية . وقد زود المؤلف كتابه ببعض الصور والخرط الجغرافية اللازمة .

يستعرض المؤلف في الفصل الاول من الكتاب أصل الطريقة السنوسية ومنشأها وانتشارها منذ ١٨٣٧ حتى ١٩٠٢ اي منذ ان بدأ مؤسس الطريقة نشاطه حتى استلام السيد احمد الشريف زعامتها في ١٩٠٢ . ولكن الترجمة العربية للكتاب والتي سبق الاشارة اليها قد حددت هذه الفترة كالآتي (١٨٣٧ — ١٩٢٠) وهو خطأ مطبعي على ما يبدو ولكنه خطير في معناه وقد يعرض القارىء العربى الى الالتباس وعدم فهم للاحداث

---

٣٠ — راجع ما كُتب عنه في الجزء الاول من هذا الكتاب والبحث رقم ٢٧ في هذا الجزء.

التاريخية اذا لم يطلع على النسخة الانجليزية .

ويتناول المؤلف في الفصل الثاني من كتابه موضوع «بدو برقة» . ويبدأ المؤلف كلامه عن قبائل برقة وحياتهم الاجتماعية باعطاء وصف جغرافي للمنطقة والعوامل الطبيعية التي تحكمت في تكييف السكان بالشكل الذي اصبحوا يعيشون عليه . ويفيد هذا الفصل في دراسة التوزيع القبلي لبرقة وخصائص كل منها وعلاقة هذه القبائل بجيرانها .

اما الفصل الثالث فقد خصصه المؤلف للحديث عن انتشار الدعوة السنوسية بين قبائل ليبيا وزواياها السنوسية وتوزيعها القبلي . وهو في ذلك يقوم بمقارنة بين انتشار هذه الدعوة في المدن الليبية الساحلية والمناطق القبلية . وبما ان الطريقة السنوسية قد اتخذت برقة قاعدة لنشر تعاليمها في بداية العهد العثماني الثاني لذلك نجد المؤلف يتحدث في الفصل الرابع عن النظام الاداري العثماني الذي كان يسود البلاد حتى مجيء الغزو الايطالي والعلاقة التي كانت تحدد موقف كل من السلطات العثمانية من الدعوة السنوسية وموقف رؤساء هذه الدعوة من هذه السلطات العثمانية والاسس التي كانت تحكم هذه العلاقات بين هذين الطرفين . ولهذا علينا ان نرجع الى هذا الفصل من الكتاب عند دراسة النظام الاداري العثماني للبلاد في العهد العثماني الثاني وأهم مظاهر هذا النظام .

ويفيد الفصل الخامس والفصل السادس والفصل السابع في دراسة الغزو الايطالي لليبيا الذي بدأ في ١٩١١ بصفة عامة والمقاومة التي ابداها الاهالي لهذا الغزو حتى ١٩٣٢ وما تخلل ذلك من محادثات واتفاقيات بين السلطات الايطالية ورؤساء حركة المقاومة وخاصة في منطقة برقة . والمؤلف في هذه الفصول يعطي معلومات قد استقاها من مصادر مختلفة كانت المصادر الايطالية من أهمها . ومع هذا استطاع المؤلف ان يعطي صورة صادقة لحقيقة المقاومة الوطنية والدور الذي لعبته أمام الغزو الايطالي . وهو في ذلك يستعرض جهود بعض الشخصيات الليبية التي عاصرت هذه الاحداث وكان لها دور هام فيها . وكيف لعبت دور «الولاء المزدوج» في سبيل خدمة قضية البلاد او خدمة مصالحها . والواقع ان موضوع «الولاء المزدوج» الذي اظهره بعض الليبيين اثناء الغزو الايطالي وحكمهم للبلاد يستحق دراسة خاصة بما له من حسنات او مساوىء . فهناك من تعاون مع السلطات الايطالية دون ان يقوم بأذية اي شخص بل كان عونا للكثيرين من اهل البلاد وخاصة من كان يقع في اسر السلطات

الايطالية من المجاهدين . وهو في تعاونه هذا حاول خدمة بلاده بالتقليل من بطش الايطاليين ودفع الاذى عن الاهالي . ومنهم من تعاون مع السلطات الايطالية خوفا على حياته بعد انسدت أمامه طرق الهجرة الى الخارج وكان في تصرفاته مدفوعا بهذا العامل او عامل تفويت الفرصة على اعدائه الذين كانوا يحاولون الوشاية به والانتقام منه لاسباب شخصيـــة او عائلية او قبلية . وهؤلاء الذين تعاونوا مع السلطات الايطالية على هذين الاساسين يمكن التسامح معهم بل واكبار الجهود التي بذلها بعض رجال الفئة الاولى في سبيل خدمة البلاد والمحافظة على ضمان استمرار عنصر الوجود فيها. اما أولئك الذين تعاونوا مع السلطات الايطالية حتى ينجحوا في الانتقام من اعدائهم او الحصول على بعض المناصب او بعض الغنائم التافهة فان موقفهم يجب النظر اليه على أساس آخر خصوصا وأن اصحاب هذه الفئة قـــد سببوا للبلاد الكثير من المتاعب ولولاهم ما استطاعت القوات الايطالية فرض سلطانها النهائي على البلاد . ويكفي ان نعلم الدور الكبير الذي لعبتـــه «القوات المرتزقة» في ضرب المقاومة الوطنية والتغلب عليها بعد ان عجزت الجنود الايطالية بمفردها في القيام بهذه المهمة . اما تلك الفئة التي حافظت على ولائها للسلطات الايطالية حتى بعد خروجها من ليبيا في ١٩٤٣ فـــي الحرب العالمية الثانية بل وذهبت الى حد المطالبة بعودة الحكم الايطالي للبلاد عندما اصبحت قضية ليبيا موضوعا للمساومات الدولية بعد ان تخلت ايطاليا عن مستعمراتها في معاهدة الصلح التي عقدتها في ١٩٤٧ فان تقدير موقفها ودوافعه لا يمكن ان يكون جزءاً من التقييم العام الذي نحن بصدده خصوصا اذا عرفنا ان هذه الفئة كان لها ممثلون قد ذهبوا الى منظمة الامم المتحدة يطالبون بعودة الحكم الايطالي للبلاد ويقارعون حجج الوفود الليبية التي ذهبت الى ليك سكسس لتطالب باستقلال البلاد . وقد تعمد بعض هؤلاء الظهور في أروقة الامم المتحدة كأفراد في الوفد الايطالي وهم يرتدون الزي الليبي امعانا في الافصاح عن رغبتهم فـــي المطالبة بعودة البلاد الى الحكم الايطالي . ولكن الله خيب مسعاهم بعد ان فضح نواياهم .

ويتحدث المؤلف في الفصل الاخير من هذا الكتاب عن مظاهر الحكم الايطالي في برقة في الفترة الواقعة فيما بين ١٩٣٢ و١٩٤٢ وهي الفترة التي بدأت بانتهاء المقاومة الوطنية بعد شنق زعيمها عمر المختار يوم ١٦ سبتمبر ١٩٣١ حتى دخول القوات البريطانية الاخير للبلاد في أواخر١٩٤٢ بعد هزيمة قوات المحور في معركة العلمين في الحرب العالمية الثانية .

خلاصة القول ان الكتاب يفيد في دراسة اجزاء كثيرة من تاريخ ليبيا الحديث وخاصة فيما يتعلق بفترة العهد العثماني الثاني وفترة الحكم الايطالي . وهناك عرض لهذا الكتاب بقلم الاستاذ ن. باربر N. Barbour نشرته «المجلة الجغرافية» The Geographical Journal في عددها الصادر في مارس ١٩٥٠ تحت عنوان «عرب برقة» The Arabs of Cyrenaica (٣١) وقد قام الاستاذ ن. باربر وزوجته بابحاث اجتماعية بين سكان برقة. وقد اصبح فيما بعد استاذا لعلم الاجتماع في جامعة مانشستر عندما دعي لالقاء بعض المحاضرات العلمية في كلية الآداب بالجامعة الليبية في بنغازي سنة ١٩٦٨ .



29 — Fisher, W.B.; Problems of Modern Libya. The Geographical Journal, June 1953. PP. 183 - 99.

نشرت «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر بتاريخ يونيو ١٩٥٣ مقالا للاستاذ و.ب. فيشر W.B. Fisher حول «مشاكل ليبيا الحديثة» وقد درس الاستاذ فيشر في جامعة باريس وتخرج فيها ، وهو يحمل دكتوراه الجامعة في الجغرافية . وكان تلميذا للاستاذ ديمانجو Demangeon بجامعة باريس . وله عدة ابحاث ومقالات علمية وفي مقدمتها كتابه الجغرافي الذي تحدث فيه عن منطقة «الشرق الاوسط» Middle East وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات . وكانت طبعته الاولى في ١٩٥٠ وقت ان كان المؤلف محاضرا في جامعة ابردين Aberdeen في بريطانيا . وكان للاستاذ المذكور نشاط علمي في بعض الجامعات الامريكية وفي جامعة الخرطوم بالسودان . وقد دعته الجامعة الليبية في ١٩٦٦ لالقاء بعض المحاضرات في مادة الجغرافية لطلبة قسم الجغرافية بكلية الآداب والتربية في بنغازي . وساهم في الموسم الثقافي للكلية بالقاء محاضرة

---

31—N. Barbour; The Arabs of Cyrenaica. The Geographical Journal, March 1950, PP. 96 - 98.

عامة اثناء هذه الزيارة . وكان الاستاذ الزائر في ذلك الوقت يرأس قسم الجغرافية بجامعة درهام Dūrhām بانجلترا . وهو يعتبر من الاخصائيين في منطقة الشرق الاوسط .

كان هذا البحث الذي نشرته المجلة الجغرافية قد القاه الكاتب محاضرة بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية في لندن مساء يوم ٣ مايو ١٩٥٢ . وكان الدكتور فيشر في ذلك الوقت يشغل وظيفة محاضر بجامعة ابردين وقد جاء على رأس بعثة علمية في ١٩٥١ الى برقة موفدا من جامعته . وكان هذا البحث خلاصة للدراسات التي قام بها اثناء وجوده في برقة . وقد اهتم بابراز العوامل الجغرافية التي تسود البلاد وتتحكم فيها وتؤثر في حياة أهلها ولم يكن النفط قد اكتُشف وخرج للوجود بل لم يكن اول قانون للنفط قد صدر بعد .

يعطي المؤلف اهمية خاصة لدراسة مخلفات الاستعمار الايطالي ووجود بقاياهم في ولاية طرابلس في ذلك الوقت بعد ان خلت منهم كل من برقة وفزان . ويعطي المؤلف استعراضا عاما للنظام الايطالي بخصوص الاستفادة من الاراضي وتوزيعها على المزارعين الايطاليين الذين اتت بهم ايطاليـــا للاستيطان في البلاد .

وبعد القاء هذا البحث دارت مناقشة اشترك فيها بعض الحاضرين وقد اثاروا بعض الجوانب التي تفيد في دراسة احوال ليبيا في نهاية الحكم الايطالي وفيما بعد الحرب العالمية الثانية . وبعض هذه الاسئلة تكشف لنا الانطباعات التي كانت تسيطر على افكار بعض الحاضرين بخصوص ليبيا ومستقبلها في ذلك الوقت .

والملاحظ أن المحاضر عندما سئل عن العملة المتداولة في ليبيا في ذلك الوقت أجاب بان ليبيا تدخل في المنطقة الاسترلينية وأن مصرف باركليز Barclays كان يقوم بعملية الاصدار . وقد عرفت البلاد نشاط هذا المصرف بدخول القوات البريطانية اثناء الحـــرب العالمية الثانية . والغريب ان هذا المصرف في بداية عهده بمدينة طرابلس كان يتقاضى بعض الفائدة على المبالغ التي يدخرها اصحابها فيه . ولم يكن في البلاد مصرف آخر غيره يقوم بالاعمال المصرفية ولم تكن المصارف الايطاليـــة قد عادت لاستئناف نشاطها في البلاد . ولم يكن مصرف ليبيا قد تأسس بعد . وقد بدأ مصرف باركليز اعماله في مدينة طرابلس في مبنى مصرف رومـــا بميدان الشهداء حتى اذا استأنف مصرف روما نشاطه انتقـــل مصرف باركليز الى المبنى الذي شغلته فيما بعد وزارة الخارجية بعد ان انتقلت منه

الادارة البريطانية لشئون العدل . وقد استمر مصرف باركليز يشغل هذا البناء حتى انتقل الى المبنى الحكومي الذي بني فيما بعد في شارع الاستقلال وبقي يشغل البناء حتى تم تلييبه بعد ثورة الفاتح من سبتمبر سنة ١٩٦٩ .

وذكر الاستاذ المحاضر في اثناء اجابته عن العملة المتداولة في البلاد بأن الجنيه المصري كان هو العملة المتداولة . والواقع ان هذا صحيح في ذلك الوقت بالنسبة لولاية برقة . والمعروف ان القوات البريطانية عندما دخلت برقة سمحت بتداول الليرة الايطالية في اول الامر مع تداول العملة المصرية . ولكنها عادت وسحبت العملة الايطالية وابقت على الجنيه المصري في السوق لولاية برقة . اما في ولاية طرابلس فقد اختلف الحال عندما اصدرت السلطات البريطانية العسكرية عملة خاصة بولاية طرابلس عُرفت بين الاهالي بعملة «الشلين» ولكن السلطات البريطانية العسكرية عادت وسحبت هذه العملة وأحلت محلها عملة خاصة بولاية طرابلس باسم «ليرة الادارة العسكرية» Military Ad. Lire . وكانت تُعرف بين الجميع باسم « المال » M.A.L على اساس الحروف الاولى من كلمات اسمها . وكانت هذه العملة على اساس ٤٨٢ ليرة عسكرية لكل جنيه استرليني . وقد استمر العمل بهذه العملة حتى تم سحبها في ١٩٥٢ وتم استبدالها بالجنيه الليبي وكسوره. اما في ولاية فزان فقد استعملت الادارة الفرنسية عملة «الفرنك» الجزائري على اساس تبعية هذه العملة للجزائر (٣٢) .

وبالبحث المنشور خريطة جغرافية للبلاد تتضح أهميتها بدراسة الحدود الجنوبية للبلاد كما أوضحتها هذه الخريطة .

***

30— Fisher, W.B.; The Middle East.A Physical, Social and Regional Geography. London, Methuen, 1950. xiii, 514 PP.

سبق لنا اعطاء بعض المعلومات العامة عن المؤلف الاستاذ الدكتور

---

٣٢ ـ من يريد تفصيلات اكثر فعليه مراجعة كتاب ظهور وتطور النقود والمصارف في ليبيا للاستاذ عبد الرحيم محمد النعاس . مؤسسة الفرجاني ، طرابلس (بدون تاريخ) .

و.ب. فيشر W.B. Fisher صاحب كتــاب «الشرق الاوسط» . وهذا الكتاب عبارة عن دراسة طبيعية اجتماعية واقليمية لمنطقة الشرق الاوسط . لقد عاش المؤلف عدة سنوات في منطقة الشرق الاوسط في اثناء الحرب العالمية الثانية وبذلك اتيحت له فرصة دراسة المنطقة وجمع ما أمكن جمعه من معلومات عنها . ولقد وجد هذا الكتاب رواجا كبيرا حتى انه طُبع عدة مرات وانتشر بين دارسي جغرافية منطقة الشرق الاوسط وطلبة الجامعات الاوربية والامريكية .

يقدم المؤلف كتابه بمقدمة يشرح فيها المعنى المقصود من عبارة «الشرق الاوسط» ومنشأ هذه العبارة بعينها . ويذكر المؤلف آراء بعض الجغرافيين في هذا الاصطلاح الجغرافي . ويحاول المؤلف ان يقوم باعطاء تحديد لمنطقة «الشرق الاوسط» واعطاء قائمة باسماء البلاد التي تدخل في نطاق هذا الاصطلاح الجغرافي وهنا نجد المؤلف يدخل ولاية برقة مــع بقية البلاد الاخرى من افريقيا وآسيا وأوربا التي تدخل في مضمون هذا الاصطلاح الجغرافي .

والمؤلف في فصله لولاية برقة عن بقية البلاد الليبية ليدخلها في نطاق هذا الاصطلاح الجغرافي يعكس لنا رأي بعض القادة والسياسيين والمفكرين البريطانيين الذين كانوا يرون مصلحة بلادهم في تمزيق ليبيا وعــــدم وحدتها . والمؤلف في نظرته هذه يعتمد على أسس قد تبدو لأول وهلــة معقولة وقد سبق لنا ذكر هذه الأسس ومناقشتها في كتاب آخر (٣٣) .

ويهمنا من هذا الكتاب بصفة خاصة الفصل التاسع عشر حيث يتكلم المؤلف عن «وادي النيل والاراضي التي تحده» . وبعد ان تكلم المؤلف عن شبه جزيرة سيناء والهضاب الشرقية لمصر ووادي النيل والصحراء الغربية لمصر يتحدث اخيرا عن هضبة برقة (ص ٤٨١ ــ ٤٨٩) حيث يعطينا وصفا مركّزا لجغرافية المنطقة مع الاهتمام بأهم مدن برقة وخاصة مدينة بنغازي ومدينة طبرق ومدينة درنة وأهمية كل منها . ويختم المؤلف كلامه بالاشارة الى احتمالات المستقبل بالنسبة لبرقة في ذلك الوقت مما يؤكد ان المؤلف قد فرغ من تأليف كتابه قبل قرار الامم المتحدة بخصوص استقلال ليبيا في نوفمبر ١٩٤٩ مع ان الكتاب قد صدرت طبعته الاولى في ١٩٥٣ .

---

٣٣ ــ مصطفى عبد الله بعيو ، دراسات في التاريخ اللوبي . الاسكندرية ١٩٥٣ .

31— Forbes, Rosita; Across The Libyan Desert to Kufra The Geographical Journal. August, 1921. PP 81 - 101 .

صاحبة هذا المقال «عبر الصحراء الليبية الى الكفرة» هي السيدة روزيتا فوربس . وهي رحالة انجليزية وقد سبق لها أن قرأت هذا المقال كبحث في اجتماع للجمعية الجغرافية الملكية بلندن يوم ٢٣ مايو ١٩٢١ .

قامت السيدة روزيتا فوربس برحلتها الى واحة الكفرة في شتاء ١٩٢٠ – ١٩٢١ . وقبل ان تبدأ باعطاء وصف لرحلتها تناولت باختصار الوضع السائد في ليبيا بصفة عامة اثناء قيامها بالرحلة . ولهذا يعتبر ما قالته في هذا الصدد مفيدا عند الكتابة عن تاريخ البلاد في تلك الفترة . والملاحظ ان هذه الرحلة قد جاءت بعد نهاية الحرب العالمية الاولى وبعد فشل الهجوم الذي قام به السيد احمد الشريف على القوات الانجليزية في مصر بتحريض من الاتراك وحلفائهم الالمان لفتح جبهة غربية للقوات البريطانية التي كانت ترابط على قناة السويس لمواجهة القوات العثمانية في زحفها على مصر من الشرق . ولا شك أن اخبار هذا الهجوم الذي قام به السيد احمد الشريف ضد القوات البريطانية قد أثار انتباه الكثيرين ومن بينهم السيدة روزيتا فوربس التي كانت قد أمضت اكثر من ١٨ شهرا وهي تستعد للذهاب الى الكفرة لدراسة الحركة السنوسية في مركزها الرئيسي . وقد قرأت الكثير مما كتبه الرحالة عن هذه الحركة . ويبدو انها كانت اكثر تأثرا بما كتبه الرحالة الالماني رولفس Rohlfs عن الكفرة التي زارها في ١٨٧٩ متنكرا في زي طبيب باسم «مصطفى بك» . وتشير الرحالة الى واحة الكفرة كمركز هام لتجارة القوافل للمنطقة الشرقية من الصحراء الكبرى بحكم تحكمها في الطرق الى واداي ودارفور وفزان ومصر وبرقة . وتشير الرحالة الى قيام تجارة لا بأس بها قبل الحرب العالمية الاولى في العاج والجلود والريش . وكانت هذه التجارة تمر بوادي الكفرة في الطريق الى الشمال .

وعندما صممت السيدة روزيتا فوربس على زيارة واحة الكفرة اتجه تفكيرها اولا الى تحقيق هذا المشروع بالوصول اليها عن طريق فزان عبر واو الصغير Wau Seghir . وجاءت الى مدينة طرابلس في شتاء ١٩١٩ – ١٩٢٠ واتفقت مع احد تجار نيجيريا على ان يزودها بالجمال اللازمة حتى واحة مرزق . وفي ربيع ١٩٢٠ ذهبت الى السودان لرؤية عما اذا كانت المحاولة أسهل لو تمت الرحلة من دارفور . ولكن المعلومات

التي جمعتها سواء من الخرطوم او غيرها أقنعتها بأن أسهل طريق عليها ان تسلكه هو الطريق الشمالي. وعلى هذا الاساس بدأت اتصالاتها بالجهات والاشخاص الذين كان في امكانهم تقديم المساعدة اللازمة لانجاح رحلتها .

وصلت الرحالة ورفاقها في سيارات من نوع الكاميون الى بلدة اجدابية يوم ١٨ نوفمبر ١٩٢٠ . وهناك في اجدابية وجـــدت من الضروري ان تواصل رحلتها ومعها أحمد بك حسنين كاثنين من بدو مصر في مهمـــة سرية من اجل الصالح الاسلامي العام . واتخذت السيدة روزيتا فوربس اسم «خديجة» اسما لها وتزودت هي وأحمد بك حسنين بالاوراق اللازمة للتعريف بها . وكلها توصي بالمعاملة الحسنة . وبعد ان أعدت كل ما يلزمها للقيام بالرحلة بدأت مسيرتها صباح يوم ٨ ديسمبر ١٩٢٠ بعد ان تنكرت في الزي الليبي كما فعل زميلها المصري أحمد بك حسنين .

تصف الكاتبة رحلتها من اجدابية الى واحة أوجلة وكيف انها اضطرت الى الاستعانة بالنجم القطبي الشمالي او ما يسميه اهل ليبيا «بالجدي» حتى اذا وصلت الى أوجلة مساء يوم ١٧ ديسمبر سجلت وصفا دقيقـــا للواحة وأحوالها في ذلك الوقت واعطت القارىء صورة ناطقة عنها من حيث طريقة بناء المساكن والجوامع وتحدثت عن قبر الصحابي الجليل عبد الله بن ابي السرح . وأشارت الى لغة اهالي أوجلة البربرية والتي لا يتكلمها اهالي واحة جالو مع انها تبعد مسافة نصف يوم عنها في الوقت الذي يتحدث فيه اهالي واحة سيوة اللغة البربرية . ولم تحاول الرحالة تعليل هذه الظاهرة او القاء اي ضوء عليها بل اكتفت بتسجيلها .

وتعطي الرحالة في مقالها هذا بعض المعلومات عن بعض قبائل ليبيا اذ ذكرت قبيلة الفواخر على انها كانت تعيش في منطقة الزويتينة كما ذكرت قبيلة زوية وقبيلة المغاربة على انهما كانتا تعيشان في المنطقة الممتدة من اجدابية الى واحة أوجلة بينما كانت قبيلة الاواجلة تعيش في واحة أوجلة نفسها وقبيلة المجابرة تعيش في واحة جالو . اما السكان الاصليون لواحة الكفرة فقد كانوا من التبو قبل ان تأتي اليها قبيلة زوية من فزان منذ مائتي سنة بالنسبة لمجيء الرحالة . وكانت الكفرة قبل مجيء «زوية» اليهـــا تعرف باسم تازر Tazer . وتشير الرحالة في مقالها الى ما كان يبديه أفراد قبيلة زوية من حذر معها . وقد كان هذا الحذر من أهـــم المصاعب التي صادفتها في الرحلة . اما الصعوبة الثانية فقد كانت كثرة الخصومات بين رجال القافلة وما كان يحدث بينهم من نزاع لاسباب تافهة.

وتقول الكاتبة انها استفادت من الرحالة الالمانـــي رولفس Rohlfs

الذي كان اول من زار واحة الكفرة من الاوربيين بقراءة كتابه عن الكفرة . ولكنها تقول انها حتى وصولها الى واحة بزيمة Buseima لـم تستطع الاهتداء لأي اثر لهذا الرحالة بين المسنين من اهالي المنطقة . وعلينا ان نذكر ان الرحالة الانجليزي بروس Bruce كان اول اوربي يشير الـى واحة الكفرة وان كان لم يصل اليها اثناء زيارته لبرقة في القرن الثامن عشر الميـلادي .

وصلت الرحالة الى واحة جالو يوم ١٩ ديسمبر ١٩٢٠ وقد اعطتنا وصفا لها كما فعلت في السابق مع واحة أوجلة وان كانت قد اشادت هنا باستقبال المجابرة لها بفضل الجهود التي بذلها قائمقام الواحة «حميدة بك زيتون» وما عنده من تعليمات .

تركت الرحالة واحة جالو بعد ان استعدت للمرحلة الجديدة يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٢٠ . وبعد وقفة عند بئر بوطفل Buttafel للتزود من مياهه العذبة استمرت القافلة تسير متجهة الى واحة تازربو . وهنا نجد الرحالة تعطينا وصفا مختصرا لأعمال الرحالة الالماني رولفس الذي زار الكفرة في ١٨٧٩ بقافلته الكبيرة وجمالها الكثيرة وحمولتها المتنوعة من الهدايـــا والبضائع والمواد الغذائية . وتصف الكاتبة رحلتها والصعوبات التـــي صادفتها بعد بئر بوطفل حيث تعرضت القافلة الى نقص في كمية المياه الشيء الذي أصبح يهدد القافلة بالهلاك الى جانب ظهور علامات التعب على رجال القافلة . وأخذت جمال القافلة تفقد قوة متابعة السير لقلة التغذية مع حمولتها الكبيرة . وبدأ مرشد القافلة يفقد معالم الطريق ولم يعد في وسعه الاهتداء الى الاتجاه الصحيح وقد زاد السراب من متاعبه .

ورغم كل هذه المتاعب استمرت القافلة في رحلتها واستطاعت الوصول الى واحة بزيمة Buseima بدلا من الوصول الى واحة تازربو . وتعطي الرحالة وصفا مختصرا لهذه الواحة كما فعلت في الواحات السابقة . وهنا في هذه الواحة استطاعت روزيتا فوربس ان تتحسس بقايا أخبار الرحالة الالماني رولفس بعد ان أعدت وليمة دعت اليها أعيان عائلـــة «الفكرون» وآخرين . وأثناء الحديث مع هؤلاء الاعيان ذكر لها اثنان من المسنين ما يتذكرانه من معلومات عن الرحالة «النصراني» والذي سميت باسمه بئر تقع في النهاية الشمالية للواحة . وقد ذكر لها هذان الرجلان كيف اخذ الرحالة «النصراني» ثعبانا ووضعه في زجاجة . وتحدث هذان الرجلان بتفصيلات أخرى وأكدا لها بأنه لم يصطحب معه أي أوربي آخر . وأخبرها احد المدعوين بأن أهالي واحة بزيمة كانوا ما زالوا يؤرخون بهذه العبارة

«العام الذي جاء فيه النصراني ...» . وقد أمضت السيدة روزيتا فوربس يومي ٦ ، ٧ يناير ١٩٢١ في استكشاف واحة بزيمة حيث وجدت بقايا آثار قبيلة التبو .

وتعود الكاتبة للحديث مرة أخرى عن قبيلة التبو فتذكر انها كانت قبيلة وثنية وقد اختفت سلطتها منذ حوالي ١٥٠ سنة على اثر الهجمات المتتالية التي قامت بها قبيلة غـــوازي فاواي **Ghawazi Fawai** وقبيلة زوية . وقد اتمت زوية عملية الغزو واستولت على جميع واحات التبو ومنها واحة تازير **Tazer** التي اصبحت تُعرف فيما بعد باسم واحة «الكفرة» بالنسبة للحالة الدينية التي كان عليها سكان الواحة قبل استيلاء زوية عليها . وكان على قبيلة التبو اما التراجع الى موطنها الاصلي في جبال تيبستي او اعتناق الاسلام وقبول التبعية لقبيلة زوية . والملاحظ ان عدد التبو قد اخذ في التناقص سنويا بعد ان سيطرت قبيلة زوية على واحات الكفرة . وتذكر الكاتبة ان عدد التبو في واحة الكفرة عندما قامت برحلتها كان حوالي المائة نسمة كما كان هناك مثل هذا العدد في واحـــة ربيانة . وتسجل الكاتبة وصفا مختصرا لجماعات التبو والجنس البشري الذي تنتمي اليه ولا تنسى ان تعطينا وصفا لعاداتها وتقاليدها . وكانت واحة بزيمة تنتج احسن انواع التمور في ليبيا ولذلك كانت القوافل تأتي اليها من واحة جالو لأخذ محصول التمر في هذه الواحة . وكان موظف الضرائب يأتي من واحة الكفرة لاستلام عشر التمور والمحاصيل الاخرى التي كانت تنتجها .

بهذا العرض المختصر تأتي الكاتبة على نهاية الجزء الاول من هذا البحث الذي نجد له تتمة في العدد التالي من المجلة . والملاحظ ان الكاتبة قـــد زودت هذا المقال بعدد من الصور لرحلتها الجغرافية . ويمكن القول ان الرحالة قد وجدت عدة مصاعب اثناء رحلتها هذه . ويمكن تلخيص هذه المصاعب في حالة الخوف التي كانت تهددها او بتعبير آخر كانت تتوهمه رغم ما اخذته من احتياطات لازمة من اسلحة وحراس وتوصيات المسئولين عليها . ويجب الا ننسى ان الرحالة قد تنكرت في زي امرأة مسلمة . وهذا ما كان يزيد في تعقيد الامور لو تم كشف حقيقتها . وكان الأولى بها الا تفعل ذلك حتى لا تثير غضب الناس عليها اذا نجحوا في كشـــف حقيقتها . وعلينا ألا ننسى ان الكاتبة قد بالغت في اعطاء صورة المخاوف التي انتابتها شأن كل الرحالة الذين قاموا بمثل مجهودها . ومما زاد في صعوبة مهمتها انها استعانت ببعض الخرط غير الدقيقة مما عقّد الامور .

عليها وأوقعها في بعض المتاعب . ولم تكن خريطة هذه المنطقة المرتادة قد تم التحقق منها بل كان عليها ان تقوم بهذا المجهود العلمي بنفسها . وقد نجحت الى حد كبير من حيث تحديد الموقع واعطاء وصف دقيق لهـــا مستفيدة من المعلومات التي جمعتها وما شاهدته وما قرأته وخاصة ما كتبه الرحالة الالماني رولفس Rohlfs .

وعلينا ان ننتقل الى الجزء الثاني من المقال لاتمام الفائدة . اما من يريد التوسع في دراسة هذه الرحلة فعليه الرجوع الى كتابها في هذا الخصوص (٣٤) .

كانت روزيتا فوربس الانجليزية الجنسية ثاني امرأة أوربية تقوم برحلة كشفية في ليبيا بزيارة واحة الكفرة . وقد سبقتها الآنسة الكسين تين Alexine Tinne الهولندية الجنسية (٣٥) والتي قتلت وهي في الطريق الى واحة غات بعد ان تركت مرزق . ولكن هذه الرحالة الهولندية لم تترك لنا كتابا يسجل لنا نشاطها بعكس الحال فيما يتعلق بالسيـــدة روزيتا فوربس التي عادت سالمة لبلادها .

***

32 — Forbes, Rosita; Across The Libyan Desert to Kufra. Geographical Journal. September, 1921. PP. 161 - 78 .

هذا المقال هو بقية البحث الذي نشرته السيدة روزيتا فوربس فـــي العدد السابق من «المجلة الجغرافية» بتاريخ اول أغسطس ١٩٢١ والذي سبق استعراضه في الصفحات السابقة .

تستأنف الكاتبة رحلتها متجهة الى الكفرة بعد ان تركت واحة بزيمة صباح يوم ٨ يناير ١٩٢١ . وتعطي الكاتبة وصفا للطريق كما فعلت في السابق وتكثر في هذا الجزء من المقال من الكلام بمرارة عن المعاملة التي وجدتها حتى وصلت الى واحة الكفرة . وهناك اخذت علما بما تبقى من

---

34 — Rosita Forbes; The Secretof The Sahara:Kufra. London, Cassell and Company, 1921 .

٣٥ ـ راجع البحث رقم ٣٥ .

معلومات حول الرحالة الالماني رولفس الذي نجـــا من الهلاك بأعجوبة . واستطاعت الكاتبة ان تعطي وصفا واضحا لواحة الكفـــرة من الجانب الجغرافي والاجتماعي . وقامت باعطاء وصف لبعض بيوت الواحة وكيف كانت هذه الواحة رغم بعدها عن العالم قد وفرت لأهلها الاكتفاء الذاتي .

وبعد الانتهاء من دراسة مجموعة واحات الكفرة صممت الرحالة على العودة رأسا الى واحة الجغبوب شمالا وهي مسافة تحتاج الى خمسةعشر يوما للسير بالقوافل بعد اعداد الجمال لمثل هذه الرحلة الطويلة الشاقة الى جانب ضرورة اختيار الخبير الذي يتقن معرفة معالم الطريق التـــي تجنب القافلة اي متاعب عسيرة . وعندما وصلت الرحالة الى واحـــة الجغبوب قامت باعطاء وصف لها . ولم تكن الجغبوب في نظر الرحالـــة مركزا سياسيا او تجاريا كالكفرة او جالو . ولكنها كانت تتمتع بوجود مركز جامعي للدراسات العلمية . وتقول السيدة روزيتا فوربس انهـــا وجدت الجغبوب عكس ما كان يتحدث عنها الرحالة الفرنســـي هنري دوفريير Henri Duveyrier في كتابه عن مؤسس الدعوة السنوسية . وتؤكد الكاتبة بأنه لم يسبق لأي أوربي الوصول الى زاوية الجغبوب . وتذكر انها وجدت بعثة ايطالية بريطانية قد جاءت لمقابلة المسئولين في الجغبوب . وكانت هذه البعثة برئاسة الميجر اركاري Major Arcari وزميله الميجر براملي(٣٦) Major Bramley من مصلحة الحدود المصرية. وقد عسكرت هذه البعثة في حدود ربع ميل من القبة البيضاء لجامــع الجغبوب . وقد قام الدكتور جون بول Dr John Ball مدير المساحة للصحاري المصرية بتحديد خطي طول وعرض قبة الجغبوب . وتقـــول الكاتبة انها مدينة لهذا الجغرافي في خرائطها الاولى لبعثتها الى واحة الكفـــرة .

بهذا الشكل أنهت الرحالة بحثها وقد زودته بعدد من الصور لرحلتها كما فعلت في الجزء الاول من هذا البحث الذي سبق استعراضه . بقي ان نقول ان المجلة قد زودت البحث بخريطة جغرافية لهذه الرحلة ، وهـــي توضح تماما المعالم التي جاء ذكرها في البحث .

وبعد ان انتهت السيدة روزيتا فوربس من القاء بحثها علّق الجنرال

---

٣٦ ـ كان يعيش في بلدة برج العرب في الصحراء الغربية المصرية فيما قبل الحرب العالمية الثانية ، وكان له دور في المعارك الحربية في ليبيا اثناء الحرب العالمية الثانية.

السير جيلبـــــرت كلايتـــــون (٣٧) General Sir Gilbert Clayton على هذا البحث بقوله ان السيدة فوربس قد اضافت صفحة جديدة في تاريخ وسط افريقية وان هذه المنطقة التي زارتها كانت مجهولة تماما . وبهذه الرحلة اصبح هناك فكرة عما يوجد بالمنطقة واستطرد يقول انه لا يتوقع اي خطر كبير يأتي من هذه المنطقة .

وبعد ذلك علق الدكتور هاجارث Dr. Hagarth علـى المحاضرة فأثنى عليها وأشاد بجهود الرحالة كما أشاد بجهود أحمد حسنين بـــك رفيقها في الرحلة . وما جاء في تعليق الدكتور هاجارث يفيد في دراسة تجارة القوافل ومصيرها بعد تحريم تجارة الرقيق . وفي تعليق الكولونيل السير روبرت ساندرز Colonel Sir Robert Sanders على المحاضرة ما يفيد في دراسة الدور الذي لعبته ليبيا في الحرب العالمية الاولى . وختم المعلق كلامه بأنه اعتبر هذه المحاضرة التي القتها السيدة روزيتا فوربس أهم محاضرة سمعها في حياته حتى ذلك الوقت . واذا كان هذا القول لا يخلو من المبالغة الا انه كان يصور أهمية المحاضرة وما فيها من معلومات اعتبرت جديدة للجغرافيين الانجليز في ذلك الوقت .

وفي تعليق الميجر ر.ب.ديرنـــــي Major R.B. Durney بعض الحقائق التاريخية التي تكشف الدور الذي ساهمت به ليبيا فـــي الحرب العالمية الاولى . ولما جاء دور المستر و.ج. هاردنج كنـــج (٣٨) W.J. Harding King كان كلامه منصبا على واحة الكفرة كمركـــز للمواصلات بين ليبيا ومصر والسودان .

***

33 — Foreign Office, Turkey. Diplomatic And Consullar Reports. Trade of Tripoli For The Year 1901. London, July 1902. 9PP.

اعتادت وزارة الخارجية البريطانية اصدار سلسلة من التقارير عـــن

---

٣٧ ـ اصبح مديرا للمخابرات البريطانية في منطقة الشرق الاوسط اثناء الحرب العالمية الثانيـــة .

٣٨ ـ راجع البحث رقم ٤٤ .

البلاد التي لها فيها معتمدون سياسيون . وكان قناصل بريطانيا يقومون باعداد هذه التقارير ويواظبون على تزويد حكوماتهم بها . وكانت بريطانيا تنشر بعض هذه التقارير وتحتفظ ببعضها لسريتها او لأهميتها الخاصة بالنسبة لسياستها العامة خصوصا عندما كان التوسع الاستعماري والاقتصادي من أهم الاهداف التي يهتم بها هؤلاء القناصل .

ومن بين هذه التقارير الهامة التقرير الذي اصدرته وزارة الخارجية البريطانية في يوليو ١٩٠٢ عن تجارة طرابلس في ١٩٠١ . وقد صدر هذا التقرير تحت رقم ٢٨٤٣ ضمن المجموعة السنوية الخاصة بتركيا والتي كانت تصدر باسم «التقارير الدبلوماسية والقنصلية» ويتبين من مراجعة قائمة التقارير المثبتة في الصفحة الداخلية من الورقة الاخيرة لغلاف التقرير ان هناك تقرير سابق قد صدر عن بنغازي تحت رقم ٢٨٣١ . وقد أعد تقرير طرابلس نائب القنصل البريطاني المستر ديكسون Dickson وبعث به الى وزارة الخارجية التي تسلمته يوم ١٣ يونيو ١٩٠٢ .

والتقرير رغم قلة صفحاته يحتوي على معلومات مركزة عن حركة السفن والملاحة في ميناء طرابلس وعن تجارة البلاد واقتصادياتها. ويتناول التقرير موضوع تجارة القوافل مع المناطق الداخلية . وفي هذا التقرير استعراض لصادرات البلاد ووارداتها ونشاطها الزراعي وما فيها من اشغال عامة . ويختم نائب القنصل تقريره هذا باعطاء بعض الاحصائيات التي لها علاقة بحركة الملاحة والشحن والبضائع المصدرة والمستوردة وقيمة هذه البضائع والميزان التجاري بين البلاد وغيرها من الدول التي كانت تتبادل معها النشاط التجاري .

هذا التقرير يعتبر من أهم المصادر التاريخية لدراسة اوضاع البلاد في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين رغم قلة عدد صفحاته . وهو يعطينا الموضوعات التي كان يهتم بملاحظتها قناصل بريطانيا ويبلغونها الى حكوماتهم حتى تكون على علم بأحوال البلاد التي يعمل فيها ممثلوها وحتى تقوم بتكييف سياستها وموقفها من هذه البلاد على ضوء ما يصلها من هذه التقارير وغيرها .

بقي ان نقول ان على الباحث ان يستعين بما كتبه القناصل والدبلوماسيون من تقارير عن البلاد ومعظمها موجود في المكتبات الخاصة الملحقة بوزارات الخارجية الى جانب وجود الكثير منها في المكتبات العامة الدولية كمكتبة المتحف البريطاني في لندن ومكتبة الكونجرس بواشنطون

والمكتبة الوطنية في باريس .

***

34 — Furlong, Charles Wellington; The Gateway To The Sahara, Observations And Experiences In Tripoli. New York, 1909. XXV, 306 PP.

صدر كتاب «المدخل الى الصحراء الكبرى . ملاحظات وخبرات في مدينة طرابلس» بمدينة نيويورك في ١٩٠٩ . ومؤلف الكتاب هو تشارلز ولنجتون فورلنج Charles Willington Furlong ، وهو امريكي الجنسية . وقد جاء الى مدينة طرابلس في يونيو ١٩٠٤ بعد ان سبق له ان زار مراكش . وكانت زيارته لمدينة طرابلس في عهد ولاية رجب باشا. وقد اجتمع الرحالة به واثنى عليه وشكر له المساعدات التي قدمتها له السلطات الحاكمة لتمكينه من القيام بمهمته . وقام المؤلف بكتابة هذا الكتاب ليعطينا وصفا لمدينة طرابلس وأحوالها وعادات أهلها وتقاليدهم وأهمية هذه المدينة كمدخل رئيسي للصحراء الكبرى. واعطى المؤلف اهمية خاصة لكشف بقايا السفينة الامريكية فيلادلفيا Philadelphia التي وقعت في اسر البحرية الليبية في عهد يوسف باشا القرهمانلي اثناء الحرب البحرية الليبية الامريكية . ولكن القوات البحرية الامريكية استطاعت ان تحرقها بعد ان فشلت في استردادها وكان ذلك في ١٨٠٤م. ومعنى هذا ان مؤلف الكتاب جاء الى مدينة طرابلس بعد مائة سنة من وقوع الحادث ليستكشف بقايا هذه السفينة .

وبقراءة الكتاب نجد ان المؤلف قد اهتم بدراسة القوافل التجارية التي كانت تربط مدينة طرابلس بداخل القارة الافريقية . وقد استعان المؤلف في توضيح بعض اجزاء الكتاب بالصور والرسوم والخرط الجغرافية . والملاحظ ان الكثير من هذه الصور أصبح يمثل أهمية تاريخية خاصة لدراسة تاريخ معالم المدينة وما حل بها من تطور ونمو فيما بعد .

يحتوي الكتاب على اربعة عشرة فصلا بخلاف المقدمة والكلمة التاريخية التي بدأ بها الكتاب . وفي نهاية الكتاب قوائم ببعض الكلمات التي سمعها المؤلف اثناء زيارته للمدينة وقد قدم شرحا لها بالانجليزية . واخيرا نجد

فهرسا للاسماء التي وردت بالكتاب .

يقدم المؤلف فصول كتابه بنبذة تاريخية عن مدينة طرابلس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى ذلك الوقت الذي جاء فيه الرحالة الى المدينة . ولكن الملاحظ ان هذه النبذة قد جاءت مختصرة جدا لا تصلح ان تكون الا مجرد اشارة الى بعض المعالم التاريخية الهامة . وقد وقع المؤلف مثل غيره من الكتاب في خطأ تحديد بداية زمن تأسيس الاسرة القرهمانلية كدولة حاكمة اذ ذكر سنة ١٧١٤ بداية لتأسيس الدولة القرهمانلية مع ان التاريخ الصحيح هو ١٧١١ م.

خصص المؤلف الفصل الاول من الكتاب لاعطاء وصف جغرافي عام لمدينة طرابلس وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وبدأ المؤلف بالاشارة الى سيطرة بريطانيا على مصر في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تسيطر على الجزائر وقد اخذت في السيطرة على تونس في ١٨٨١ وتتهيأ للسيطرة على المغرب وقد تم لها ذلك في ١٩١٢ . وهكذا كانت ليبيا بموقعها الجغرافي فاصلا بين منطقتي نفوذ لدولتين متنافستين في التوسع ومد النفوذ . وقد تم الاتفاق بينهما في ١٩٠٤ وهي السنة التي قام فيها المؤلف بزيارة مدينة طرابلس . ويعزو المؤلف حرية البلاد وعدم خضوعها للاحتلال الاوربي الى اسباب ثلاثة هي :

اولا : عزلة البلاد عن الطريق الرئيسي للتجارة في البحر الابيض ، وهو يعني بذلك بعد البلاد عن المضايق التي تتحكم في طرق الملاحة بالبحر الابيض بالاضافة الى الموقع الجانبي لسواحلها . ولم تكن المواصلات الجوية قد ظهرت للوجود حتى يمكن للسواحل الليبية السيطرة على البحر الابيض .

ثانيا : صحراوية البلاد وعدم خصوبة هضابها بالنسبة لبقية بلاد الشمال الافريقي .

ثالثا: انها كانت آخر ولاية في الامبراطورية العثمانية بشمالي افريقيا. وهو يعني بذلك ان استمرار بقائها كان بسبب التنافس حولها كآخر ولاية عثمانية في هذه المنطقة . وهكذا ساهم هذا التنافس في تأخير تقرير مصيرها .

كان المستر وليم ريلي William Riley قنصل مملكتي النرويج وهولنده في استقبال المؤلف بناء على توصية من صديق له . ولم يكن للولايات المتحدة الامريكية قنصل في مدينة طرابلس في ذلك الوقت . وبعد نزوله من السفينة التي اقلته الى ميناء طرابلس وبعد اجراء التفتيش

الجمركي بدأ المؤلف يسجل انطباعاته .

أقام المؤلف في فندق كان يوجد بشارع «الاربع عرصات» الذي كان يعتبر اهم شوارع مدينة طرابلس القديمة في أواخر العهد العثماني الثاني. وكانت احدى العائلات الايطالية تدير هذا الفندق . وتكشف لنا هـــذه الملاحظة رغم بساطتها كيف اخذ النشاط الاقتصادي الايطالي يعرف طريق التغلغل في البلاد . وقد قدر المؤلف عدد الايطاليين والمالطيين الذين كانوا يقيمون في مدينة طرابلس في ذلك الوقت بعدة مئات .

يشير المؤلف الى بعض بقايا الآثار الرومانية من أعمدة وقطع للرخام استعملها السكان فيمداخل بيوتهم كما يشير الىكشف القبرين الرومانيين على بعد ميل من مدينة طرابلس . ولعله يشير بذلك الى المقابر الرومانية بقرقارش الى الغرب من مدينة طرابلس . ولكن المؤلف يعطي اهتماما خاصا لقوس ماركوس اورليوس Marcus Aurelius الذي شيد في ١٦٤م. وينشر للقوس صورة وقد كان مستعملا كدكان لبيع السمك المقدد والتوابل والاشياء الجافة الاخرى .

وفي وصف المؤلف لمدينة طرابلس يشير الى النشاط السياسي فيها وما كان يجري على ألسنة رجال الحامية العثمانية ورجال الاعمال مـــن احاديث كما يشير الى نفي بعض رجال الدولة العثمانية الى طرابلس الغرب وخاصة بلدة مرزق بعيدا في الصحراء . ويشير كذلك الى قلعة طرابلس حيث كان يسجن من تريد السلطات العثمانية عقابه . والغريب ان سجن القلعة ظل مستعملا حتى فيما بعد مجيء الايطاليين عندما قامت بسجن الكثير من زعماء المقاومة في دهاليز القلعة المعروفة بظلامها .

ويستمر المؤلف في الفصل الثاني من كتابه في وصف احوال مدينة طرابلس والكارثة التي حلت بها في فبراير ١٩٠٤ نتيجة لكثرة الامطـــار وزحف وادي المجينين عليها حيث تسببت المياه المتدفقة في هلاك ثمانين من سكانها وسقوط الكثير من بيوت المدينة . وقد نشر المؤلف صورة لما حل بأحد احياء مدينة طرابلس بسبب مياه الامطار . وقد تضررت البيوت وتحولت الى اكوام من الاطلال . وفي هذا الفصل يتحدث المؤلف عن نظام الحراسة الليلية الذي كان متبعا في مدينة طرابلس . ويصف المؤلف بيتا كان بناه يوسف باشا القرمانلي لزوجته المفضلة . ويقع هذا البيت في شارعالاربع عرصات. وقد شغله المستر وليم ف.ر William F. Riley قنصل النرويج وهولنده بالمدينة . وما زال هذا البيت موجودا الى يومنا هذا . وقد سبق لي زيارته في صيف ١٩٤٥ وقت ان كان مؤجرا كمخزن

لأحد تجار المدينة لتخزين بالات الاقمشة قبل توزيعها على تجار القطاعي. وقد لاحظت اثناء زيارتي له انه لا يزال يحتفظ ببقايا بعض زخرفته التي تدل على ما كان عليه هذا البيت من فخامة وأبهة بالنسبة لبيوت عصره .

وفي هذا الفصل يتحدث المؤلف عن دخل البلاد من الضرائب ويذكر ان متوسط دخل الضرائب على المحاصيل الزراعية كان ٥٤٠٠٠٠ دولارا في السنة طيلة العشر سنوات السابقة لسنة اقامته في مدينة طرابلس . ويقول ان الولاية كانت ترسل الى الباب العالي ما يساوي ٤٠٨٠٠٠ دولارا في السنة . ويقول المؤلف ان تجارة طرابلس كانت في المتوسط ما قيمته ٣٨٥٠٠٠٠ دولارا. وكانت صادرات البلاد توازي وارداتها بانتظام ملحوظ.

وفي الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن ضواحي مدينة طرابلس اي ما كان يعرف فيما وراء سور المدينة القديمة بالمنشية وما وراء المنشية حيث يعطي المؤلف اهمية خاصة للحديث عن النشاط الزراعي وأهم مظاهره ومشاكله . واذا كان الفصل الرابع قد خصصه المؤلف للحديث عن خادمه «سالم» الذي جاء من احدى قبائل «الهوسا» «Hausa» بالسودان الغربي فانه يذكر بعض المعلومات التي تفيد في دراسة المجتمع الليبي في مدينة طرابلس في ذلك الوقت وتجارة القوافل .

اما الفصل الخامس فهو خاص بالطوارق المعروفين بلثامهم والذين يكثرون في ليبيا حول واحتي غدامس وغات . وينتشرون في بقية الصحراء الكبرى الواقعة الى الغرب والجنوب والجنوب الغربي في فزان . وهم بحكم طبيعتهم واستعدادهم ونشاطهم كانوا يتحكمون في تجارة القوافل التي تمر بهذه المنطقة الواسعة من الصحراء الكبرى . ويقول المؤلف ان القوافل التجارية التي كانت تخرج من مدينة طرابلس عبر الصحراء حيث تقيم هذه القبائل في طريقها الى السودان الغربي كانت تقوم برحلتها في مدة عامين . وبهذه المناسبة يتحدث المؤلف عن الاخطار التي تتعرض لها تجارة القوافل وعن أهم طرق هذه القوافل ومدى سلامة بعضها والبضائع التي كانت تحملها هذه القوافل . ويذكر المؤلف ان اكبر قافلة غادرت بلدة كانو Kano في شمالي نيجيريا كانت تضم ١٣ الف جَمل بخلاف ما كان يرافقها من حمير وماعز وغنم .

يقدم المؤلف دراسة حول الطوارق وأصولهم ولغتهم وعقيدتهم الدينية ومن اين جاءت اليهم واحوالهم الاجتماعية ومكانة المرأة في هذا المجتمع وكيف كانت غالبية نساء الطوارق يعرفن القراءة والكتابة ويقمن بتعليم اطفالهن . ويذكر المؤلف ان الطوارق عرفوا نظام الطبقات ولهذا نرى

مجتمعهم ينقسم الى اربع طبقات واضحة المعالم . وبهذا الفصل معلومات اخرى تفيد في دراسة قبائل الطوارق وعاداتهم وتقاليدهم واتصالهم بالعالم الخارجي .

ويأتي بعد ذلك الفصل السادس وهو من أهم فصول هذا الكتاب بل هو أهمها على الاطلاق . وهذا الفصل خاص بالكشف عن بقايا الفرقاطة الامريكية المعروفة باسم «فيلادلفيا» Philadelphia . قام المؤلف بزيارة القلعة حيث مقر الوالي التركي . وقام بجولة في انحائها وأطل منها على الميناء البحري حيث جنحت السفينة الامريكية واجبرتها البحرية الليبية ومدافع القلعة على التسليم بعد ظهر يوم ٣١ اكتوبر ١٨٠٣ . ويقول المؤلف انه صرف معظم وقته طيلة بقائه في مدينة طرابلس في صيف ١٩٠٤ للحصول على معلومات حول أسر هذه السفينة وتدميرها وتحديد موقع بقاياها . وفي سبيل الوصول الى هذه المعلومات اتصل المؤلف بممثلي مختلف الحكومات الاوروبية في مدينة طرابلس وراجع العديد من الملفات الرسمية وتقارير القناصل والصحف الخاصة . ولكنه يعترف بأن جهوده طيلة اسابيع كثيرة كانت غير مجدية . وأخيرا علم ان احد الملحقين بالقنصلية الفرنسية استطاع ان يعثر في الوثائق المحلية الموجودة في المعبد اليهودي على مادة تاريخية قيمة . ولهذا صمم المؤلف على ان يقوم بفحص ارشيف المعبد اليهودي اذا تمكن من ذلك . ونتيجة لهذا الاتجاه الذي حدده المؤلف رتب القائم بالقنصلية البريطانية المستر الفرد ديكسون Alfred Dickson مقابلة للمؤلف مع الربي موردیكاي كوهين Mordecai Kohen امين مكتبة المعبد اليهودي .

وهنا يصف المؤلف هذ المقابلة التي تمت يوم ١٤ يوليو ١٩٠٤ بصحبة طيار Tayar المترجم الشاب وكيف وجد الربي اليهودي يكاد يكون مدفونا في اكوام من الكتب القديمة في مكتبة المعبد اليهودي (٣٩) . وبعد ان يعطي المؤلف وصفا لهذا الربي اليهودي يذكر ان ذلك الربي قد رجع الى المصادر الموجودة في المكتبة واخرج كتابا باللغة التركية مكتوبا بالحروف العربية كما كان الحال قبل ان يأتي اتاتورك ويدخل استعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية . وكان عنوان الكتاب «تاريخ طرابلس الغرب». ذكر هذا المصدر التركي باختصار ظروف حرق السفينة الامريكية

---

٣٩ ــ اين ذهبت هذه الكتب وكيف ومتى ذهبت ؟

في الميناء . اما المصدر الثاني الذي اعتمد عليه هذا الربي في البحث فقد كان مخطوطا عن التاريخ المحلي للبلاد . وقد قام الربي بنفسه بجمعه من اوراق ويوميات احد الربيين القدماء واسمه ابرام هالفون Abram Halfoon وقد عاش معظم حياته في مدينة طرابلس ولكنه مات في القدس منذ ثمانين سنة مضت قبل مجيء المؤلف الى مدينة طرابلس . ومعنى هذا ان وفاة الربي ابرام هالفون كانت حوالي ١٨٢٤ اي في عهد يوسف باشا القرهمانلي. وكانت هذه المخطوطة تحوي معلومات تغطي فترة الحرب البحرية التي قامت بين ليبيا والولايات المتحدة الامريكية . وهي تكشف بعض التفاصيل الجديدة بخصوص السفينة فيلادلفيا . ولكن نظرا لترجمة المخطوطة من العبرية الى العربية فالفرنسية فالانجليزية فان وجهة نظر مؤلف المخطوطة التاريخية لم تتضح تماما للمؤلف لتعدد الترجمة . ولكنه استطاع ان يثبت في كتابه بعض المعلومات المفيدة عن كيفية وقوع السفينة فيلادلفيا في الاسر وعن اسماء بعض رؤساء البحرية الليبية الذين ساهموا في هذا العمل . وهم الرؤساء البحريون «زريق» Zurrig والدغيس Dghées وتريز Trez وروماني Romani والمغربي El - Mograbi .

وينقد المؤلف بعض المعلومات التي وردت في هذه المخطوطة مثل حزن القنصل الامريكي لوقوع هذا الحادث للسفينة الامريكية مع ان الولايات المتحدة الامريكية قد سبق لها ان سحبت قنصلها قبل وقوع هذا الحادث بمجرد اعلان الحرب بين الدولتين . وقد كان المستر نيسن Mr. Nissen القنصل الهولندي مكلفا برعاية المصالح الامريكية في طرابلس . وربما كان صاحب المخطوطة العبرية يعنيه عندما اشار اليه . وتقول المخطوطة ان القنصل الامريكي حاول ابرام اتفاقيات مشابهة لما تم توقيعه بين الباشا وقنصل السويد . ولكن هذه المساعي باءت بالفشل لأن الباشا بالغ في الاموال المطلوب دفعها اليه كجزية . ولهذا امر يوسف باشا باحراق السفينة الامريكية . ويبدو ان هذا القول قد نشرته السلطات الليبية بين الاهالي لتبرر به ما حدث من احراق للسفينة «فيلادلفيا» مع ان حريقها تم على يد بعض المغامرين الامريكيين الذين تسللوا الى داخل الميناء لنسفها بعد ان عجزت البحرية الامريكية عن سحبها واستردادها من الأسر . وقد اعتبر الاميرال نلسن Nelson قائد البحرية البريطانية نجاح الامريكيين في احراق السفينة اعظم عمل بطولي في ذلك العصر . واذا كان هذا القول فيه تقدير كبير للمغامرة التي قام بها الفدائيون الامريكيون فانه ايضا يعتبر تقديرا للبحرية الليبية وقوة لها شأنها في ذلك الوقت .

ويستمر المؤلف في البحث عن المصادر الاخرى التي يمكن ان تفيده في القاء الضوء على حادث هذه السفينة فيهتدي الى احد كبار السن الذي قص عليه ما سمعه من والده الذي عاصر وشاهد عملية اسر السفينة «فيلادلفيا» واحراقها . وكان صاحب هذه الرواية هو الحاج العواشي El Ouachi . وقد اثبت المؤلف روايته وعواطفه نحو هذا الحادث التاريخي . كل ذلك مصحوبا بصورة فوتوغرافية له .

استطاع فورلنج Furlong ان يحدد مكان بقايا السفينة «فيلادلفيا» وأن يستعين بعدد من الغواصين للوصول اليها وان يعثر على بعض بقاياها التياخذ منها ما وضعهفي المتحف البحري فيمدينة انابوليس Annapolis بالولايات المتحدة الامريكية . وختم المؤلف هذا الفصل الهام بخريطة جغرافية لميناء مدينة طرابلس وقد بيَّن عليها موقع بقايا السفينة « فيلادلفيا » .

ويخصص المؤلف الفصل السابع من كتابه هذا للحديث عن صيد الاسفنج في ساحل طرابلس الغرب وجهود الغواصين من اليونان في هذا الخصوص ونوعية الاسفنج الليبي وقيمته في الاسواق العالمية . وكل هذه المعلومات تفيد في دراسة التاريخ الاقتصادي للبلاد ومواردها في العهد العثماني الثاني .

واذا انتقلنا الى الفصل الثامن نجد المؤلف يتحدث عن نبات الحلفا وجامعيها . ولقد كانت حرفة جمع نبات الحلفا وتسويقها وتصديرها الى الخارج من أهم موارد الرزق للكثيرين من الليبيين العاملين في الجهات الغربية من ليبيا . وكانت هذه العملية على أشد نشاط لها في العهد العثماني الثاني لما كانت تتمتع به الحلفا الليبية من سمعة طيبة في الاسواق الاوربية خصوصا الاسواق البريطانية واسواق السويد حيث كان يعمل منها أجود أنواع الورق ولاسيما اوراق العملة . والملاحظ ان تجارة الحلفا وجمعها استمرت حتى قيام الادارة البريطانية في البلاد بعد طرد القوات الايطالية وان كان تصديرها قد قل عما كان عليه في أواخر العهد العثماني الثاني . ويكفي ان نعرف ان ميناء الخمس كان من أنشط الموانى الليبية في تصدير محصول الحلفا وأن هناك مكان معين في ميناء طرابلس مخصص لتصدير الحلفا وهو ما كان يعرف «بسقالة الحلفا» حيث يوجد الآن اللسان الداخل في الميناء أمام تمثال الغزالة . وقد تحول المكان الى منتزه ووقوف السيارات الخاصة بالمتنزهين . وكانت بنغازي والخمس وظليتن وطرابلس من أهم الموانى الليبية لتصدير الحلفا . وكان لها سوق

خاص في مدينة طرابلس اسوة ببعض الاسواق الاخرى المتخصصة . وهذا الفصل كسابقه يفيد في دراسة التاريخ الاقتصاديللبلاد ومواردها ودراسة موضوع الحلفا كمورد لدخل البلاد في أواخر العهد العثماني الثاني وما طرأ على هذا المورد من تطور في مصانع بريطانيا والسويد بسبب المنافسة التي وجدتها «الحلفا» من مادة لب الاخشاب في صناعة الورق .

ويعتبر الفصل التاسع من اهم ما كتب عن تجارة القوافل وأهميتها بالنسبة لتاريخ الاقتصاد الليبي . وهو في هذا الفصل يستعرض أهم طرق تجارة القوافل وعلاقتها بالبلاد وأثر الموقع الجغرافي للبلاد في تحكمها في تجارة القوافل . وقد استعان بخريطة جغرافية للبلاد لتوضيح معالم هذه الطرق . وخلاصة القول ان المؤلف أجاد في تناول هذا الموضوع ومـــا يتعلق به . ومن المفيد جدا الرجوع الىهذا الفصل لمن يريد دراسة موضوع تجارة القوافل او دراسة حيوان الجمال وتأثيره في تطور المواصـــلات وبالتالي في العلاقات التجارية بين ليبيا وجيرانها . ويفيد هذا الفصل ايضا في دراسة التاريخ الاقتصادي للبلاد وفي الكشف عن الكثير مـــن الحقائق العلمية التي لعبت دورها الهام في علاقات ليبيا مع جيرانهـــا الجنوبيين .

واذا كان المؤلف يستعرض في الفصل العاشر من كتابه بعض أحداث السفر في الصحراء فان ما جاء في هذا الفصل من معلومات بشأن التجارة فيما بين مدينة طرابلس وبلاد السودان الغربي يفيد في دراسة تجـــارة القوافل ونوعية البضائع التي كانت تحملها هذه القوافل وأهم مصادرها والاسواق العالمية التي كانت تصدر اليها بعد وصولها الى مدينة طرابلس. وفي هذا الفصل معلومات مفيدة عن تجارة العبيد .

اما الفصل الحادي عشر فيعطي معلومات قيمة عن حيوان الجمل ودوره في حياة الصحراء بصفة خاصة وتجارة القوافل بصفة عامة وأنواع هذا الحيوان وموطن كل نوع وأسواقه في مدينة طرابلس .

وفي الفصل الثاني عشر يتحدث المؤلف عن الرحلة التي قام بها خارج مدينة طرابلس لزيارة بلدة الخمس واطلال لبدة . ويعطينا المؤلف في هذا الفصل وصفا لانطباعاته ومشاعره اثناء السفر في جو جديد عليه لم يسبق له ان تعوده . ويعطينا كذلك وصفا للمقابلة التي اجراها مع مسئولـــي السلطة التركية في الخمس ثم ينتقل الى الحديث عن آثار لبدة وأوضاعها في ذلك الوقت . وبعد ذلك يصف لنا الطريق وانطباعاته وهو يواصـــل السفر مع بعض الرفاق الى بلدة القصبات حيث يقضي ليلته هناك .

ويتابع المؤلف في الفصل الثالث عشر وصف الطريق وانطباعاته وهو في طريق العودة الى مدينة طرابلس مارا بالقصبات ولم يعد بالطريق الساحلي الذي سلكه في السفر الى الخمس . والملاحظ ان المؤلف هنا يبالغ في وصف المخاوف التي كانت تسيطر عليه اثناء هذه الرحلة حتى يجعل القارىء يقدر تماما الجهود التي بذلها اسوة بما كان يفعله الكثير من الرحالة عندما بالغوا في وصف المخاطر التي تعرضوا لها او ظنوا احتمال وقوعها .

اما الفصل الاخير وهو الفصل الرابع عشر فقد خصصه المؤلف للحديث عن الصحراء في شمالي افريقية وأهم معالمها . ويختم المؤلف هذا الفصل وهو يتنبأ باستيلاء احدى الدول الاوربية المسيحية على طرابلس الغرب . وأشار المؤلف الى التنافس الذي حدث بين ايطاليا وفرنسا بخصوص الاستيلاء على تونس وقد نجحت فرنسا في الاستيلاء عليها . ولهذا حولت ايطاليا اطماعها الى طرابلس الغرب . وقد اخذت مصالحها في هذه الولاية العثمانية تزداد ونفوذها فيها يأتي بعد تركيا صاحبة السيادة على البلاد. ويقول المؤلف انه اذا ارادت ايطاليا ان تضمن احتلالها لطرابلس الغرب فعليها ان تقوم ببعض الاتفاقيات مع فرنسا حتى تكون يدها حرة في العمل وحتى تقنع الدول الاخرى بقبول المصالح الايطالية هناك . وهكذا استطاع هذا المؤلف ان يحدد مصير ليبيا عند زيارته لها في ١٩٠٤ على ضوء الاحداث العالمية التي كانت تجري في ذلك الوقت .

هذا عرض موجز لهذا الكتاب الهام الذي تركه لنا الاستاذ تشارلز ولنجتون فورلنج Charles Wellington Furlong وقد قدم هذا الرحالة دراسات أولية في كتابه هذا خصوصا فيما يتعلق بالبحث عن بقايا السفينة الامريكية فيلادلفيا . وكتابه سهل الاسلوب . وقد تناول فيه موضوعات معينة بطريقة سهلة دون تعقيد . ويعطي المؤلف اهمية خاصة لموقع مدينة طرابلس وعلاقاتها ببلاد السودان عبر الصحراء الكبرى ويكفي انه يعتبرها المدخل المؤدي الى الصحراء الكبرى كما جاء في العنوان الذي اختاره للكتاب .

ولم يكتف المؤلف بهذا الكتاب عن رحلته التي قام بها لمدينة طرابلس في ١٩٠٤ بل نراه يوالي نشر بعض المقالات العلمية الهامة عن هذه الرحلة. كان من اهم هذه المقالات ما كتبه في «مجلة تطور الجنس البشري» Journal of Race Development في العدد الاول من المجلد الثاني بتاريخ اول يوليو ١٩١١ . وقد كان المقال بعنوان « طرابلس الغرب »

Tripoli In Barbary . والمقال عبارة عن نظرة في الشمال الافريقي والصحراء الكبرى مع تعليق مختصر على المشروع الفرنسي لاقامة امبراطورية لها في القارة الافريقية .

وهناك مقال آخر للمؤلف في هذا الخصوص في المجلة الامريكية المعروفة باسم «المجلة الجغرافية الوطنية» The National Geographic Magazine وقد زوده بالصور الايضاحية . ومع الأسف لا استطيع الآن تحديد تاريخ هذا العدد بعد ان سبق لي ان عثرت عليه في قسم الدوريات بمكتبة جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك . وهناك اشارة ايضا الى هذا الموضوع في الجريدة الانجليزية The Sunday Ghibli التي كانت تصدر في مدينة طرابلس كل أحد من كل اسبوع وان كنت لا استطيع تذكر تاريخ هذا العدد الآن . ولكني رأيت الاشارة الى هذين المقالين حتى يمكن الاستفادة منهما من يستطيع العثور عليهما .



35 — Cladstone, Penelope; Travels of Alexine. Alexine Tinne 1835 - 1869. London, John Murray, 1970. xii, 247 PP.

صدر اخيرا في لندن في سنة ١٩٧٠ كتاب للسيدة بنلوب جلادستون Penelope Gladstone عن «رحلات اليكسين» . كانت الآنسة اليكسين تين من الشخصيات الهامة في عالم الكشف الجغرافي وقد عاشت فيما بين ١٨٣٥ و١٨٦٩ . كانت من مواليد مدينة لاهاي بهولندة . وقد ولدت يوم ١٧ اكتوبر ١٨٣٥ . وفي يوم مولدها ورثت ثروة كبيرة جعلتها تعتبر من الاغنياء في بلادها . وكانت أمها السيدة هاريت Harriet ترتبط ببلاط الملك وليم الثالث William III والملكة صوفيا Sophia في هولندة. وعندما بلغت الكسين التاسعة عشرة من عمرها القصير زارت مصر في عهد ولاية سعيد باشا (١٨٥٤ — ١٨٦٣) . ومنذ ذلك الوقت اصبحت الآنسة الكسين مولعة بافريقية حتى انها حاولت عبور الصحراء الكبرى الى بلاد السودان ولكنها لاقت حتفها في هذه المحاولة . وكانت اول أوربية تقوم بهذه المحاولة . ولم يعثر احد على جسم الرحالة بعد قتلها وكانت قافلتها تتكوّن من سبعين جملا . وبعد موتها تم تخليد اسمها باقامة كنيسة في مدينة لاهاي ولكنها تهدمت بفعل قنابل الالمان في الحرب العالمية الثانية .

وهناك مسلة صغيرة في بلدة جوبا Juba بجنوبي السودان اقيمت لتخليد اسمها . وكانت الآنسة الكسين قد توغلت في السودان جنوبا حتى هذه البلدة الواقعة على النيل الابيض .

وتقول المؤلفة في مقدمة كتابها ان الكثير من الخطابات التي كتبتها الرحالة الكسين نفسها قد ضاعت وان كان من حسن الحظ ان المذكرات التي تركتها والدة الكسين قد نجت من الضياع . وعلى هذه المذكرات اعتمدت مؤلفة الكتاب كثيرا في اخراج النصف الاول من كتابها الذي نستعرضه .

يحتوي الكتاب على ٢٤ فصلا بالاضافة الى مقدمة المؤلفة . وتقع فصول الكتاب في اربعة اجزاء . وبالكتاب بعض الملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع الاساسية والمراجع المساعدة وفهرس الاسماء . كل ذلك الى جانب العدد الكبير من الصور والخريطتين الجغرافيتين . والجدير بالملاحظة ان المؤلفة قد اختارت جزءاً من الصفحة الاولى في جريدة التايمز Times اللندنية الصادرة بتاريخ يوم الاثنين ٦ سبتمبر ١٨٦٩ كغلاف خارجي للكتاب . وقد نشرت هذه الجريدة اخبار مقتل الرحالة بعد ان تركت بلدة مرزق عاصمة فزان في ذلك الوقت . وكانت جريدة التايمز قد تلقت اخبار مقتلها من مراسلها في جزيرة مالطة الذي كتب رسالته الى التايمز يوم ٣٠ اغسطس ١٨٦٩ .

تتحدث المؤلفة في الجزء الاول من كتابها عن أسرة الكسين ونشأتها ورحلاتها في أوربا . وتخصص المؤلفة الجزء الثاني من كتابها للحديث عن الرحلة التي قامت بها الكسين في مصر وكيف وصلت هي وأمها الى الاسكندرية وكيف قابلت زوجة سعيد باشا هناك بفضل مساعي قنصل هولندة في الاسكندرية الذي كان يتقن اللغة العربية . وكيف اخذت القطار من الاسكندرية في الصباح المبكر ولم يكن الخط الحديدي قد انتهى اتمامه . وكان عليها اكمال الرحلة بواسطة باخرة نيلية . وكيف وصلت الى القاهرة عند غروب الشمس. وهناك نزلت في فندق شبرد Shepheards حيث كان يقوم في مكانه الاول قبل ان يحرق تماما في حريق القاهرة المشهور الذي وقع يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . وقد كان فندق شبرد في سنة ١٨٥٦ مكانا هاما لملتقى الشخصيات الكبيرة في قاعاته المختلفة . وقد حافظ على سمعته كملتقى للطبقة الراقية حتى تم تدميره في حريق القاهرة وقد ابتأنف مكانته بعد ان أعيد بناؤه في مكانه الحالي على ضفة نهر النيل بجوار فندق سميراميس . وهناك في القاهرة قامت بزيارة

الاميرة شقيقة الوالي سعيد باشا كما خرجت في رحلة الى خارج القاهرة لمشاهدة عملية مد خط السكة الحديدية فيما بين القاهـرة والسويس . واثناء وجودها في القاهرة قامت بصحبة أمها بزيارة أهم معالم القاهرة ثم استأجرت ذهبية وقامت مع أمها برحلة نيلية الى اســوان . عادت الكسين الى القاهرة في نهاية مارس ١٨٥٦ بعد هذه الرحلة التي استغرقت عشرة اسابيع والتي زارت فيها أهم معالم الصعيد . وقد وصفت لنــا الكاتبة هذه الرحلة وما صادفته وأمها اثناء القيام بها .

وفي اواخر ابريل ذهبت الرحالة الكسين مع أمها الى القدس ودمشق وبيروت حيث امضت ستة شهور قبل ان تعود مرة ثانية الى القاهـــرة للقيام برحلة شتوية في النيل الى اسوان ومن هناك الى وادي حلفا قبل العودة الى القاهرة ومنها الى الاسكندرية في الطريق الى لاهاي بعد زيارة بعض مدن شرقي البحر الابيض وأوربا .

وفي الجزء الثالث من الكتاب تتحدث المؤلفة عن رحلة الكسين وأمها الى مصر مرة أخرى في يوليو ١٨٦٠ للتوغل جنوبا مع نهر النيل الـــى الخرطوم في السودان وقد رافقتهما في هذه الرحلة السيدة ادريانـــا Adriana خالة الكسين . اخذت الرحالة تستعد لرحلتها هذه فدرست ما كتبه الرحالة الاسكتلندي جيمس بروس James Bruce الذي ساهم في كشف منابع النيل فيما بين ١٧٦٨ و١٧٧٣ وكان قد سبق له زيارة ليبيا (٤٠) . وبعد الوصول الى القاهرة استأجرت الكسين ثلاثة سفــن نيلية لنقلها ورفاقها ومن كان يقوم بخدمتها وما معها من تموين وآلات . وقد وصلت الى الخرطوم بعد ظهر يوم ١١ ابريل ١٨٦٢ بعد رحلة قطعتها في اربعة شهور مستعينة في ذلك باستعمال الجمال في المناطق التـــي يصعب فيها استعمال السفن بسبب وجود الجنادل في نهر النيل . ومن الخرطوم تابعت الرحالةورفقاؤها الرحلة في النيل الابيض الىبلدة غندكرو Gondokoro حيث أمضى الجميع شهرا قبل العودة الى الخرطوم .

وكان لالكسين رحلة أخرى قامت بها من الخرطوم الى بحر الغزال كما قامت برحلة لزيارة المناطق الداخلية . وفي هذا الجزء من الكتاب نجد المؤلفة قد خصصت فصلا للحديث عن تجار الرقيق ونشاطهم فـــي السودان . وهذا الفصل يفيد في دراسة تاريخ تجارة الرقيق ومصادرها

---

٤٠ ــ راجع البحث رقم ٦١ .

وطرقها والاسواق التي كانت تنتهي اليها . وقد كان لبعض الموانى الليبية وفي مقدمتها مدينة طرابلس دور كبير في تجارة القوافل حتى بداية القرن العشرين .

ويهمنا من هذا الكتاب الجزء الرابع بالذات حيث تتحدث الكاتبة عن رحلة الكسين الى مدينة الجزائر في ١٨٦٧ والاقامة بها . وهناك جاءت فكرة عبور الصحراء الكبرى اما الى تمبكتو وإما الى بحيرة تشاد . وبدأت الرحالة تستعد لعبور الصحراء الكبرى . وقد قدمت لها النصيحة بالتوجه الى مدينة تونس او مدينة طرابلس لتبدأ رحلتها الصحراوية بالاستفادة من طرق القوافل التجارية التي كانت تتجه جنوبا عبر منطقة فزان . وقبل ان تقوم الرحالة الكسين بالانتقال الى طرابلس ذهبت الى منطقة مزاب الواقعة الى الجنوب من مدينة الجزائر . وقد تأثرت الكسين في اثناء اقامتها بالجزائر بالجهود التي قام بها الرحالة الفرنسي هنري دوفيريه Henri Duveyrier في الصحراء الكبرى وقرأت له كتابه العلمي الهام عن الطوارق (٤١) . واخذت الكسين تدرس اللغة الطارقية (ص ١٨٨) وقد تعلمتها (ص ٢١٦) . وقد سبق لها ان تعلمت اللغة العربية .

وصلت الكسين الى مدينة طرابلس يوم ١٣ اكتوبر ١٨٦٨ وأقامت فيها حتى ٣٠ يناير ١٨٦٩ . وكانت اثناء اقامتها موضوعا للكثير من الاحاديث بين الناس وقد أثارت دهشة الجميع عندما علموا برغبتها في عبور الصحراء مع قافلة لها . وقدم المستر تيستا Testa قنصل هولندا في مدينة طرابلس في ذلك الوقت كل مساعدة ممكنة . واستطاعت بواسطته ان تقابل علية القوم وأعيان البلاد وعلى رأسهم علي رضا باشا والي الولاية الذي تعهد لها بتقديم كل مساعدة وحماية مطلوبة في ولايته . وفي مدينة طرابلس قابلت الكسين الرحالة الالماني الدكتور جوستاف نختجال Dr Gustav Nachtigal الذي كان في طريقه الى سلطان بورنيو Bornu لتقديم بعض الهدايا التي ارسلها له ملك بروسيا . وقد أعجبت الكسين به وتم الاتفاق على ان توحد مجهودها معه لتكوين قافلة كبيرة للذهاب الى بورنيو .

وهنا نجد الكاتبة تتحدث عن اهمية مدينة طرابلس في طرق تجارة القوافل التي كانت تربطها عبر فزان بالجهات الداخلية في افريقية . وقد

---

٤١ ـ راجع في هذا الخصوص الارقام ٢٧ ، ٢٨ ، ٦٢ في الجزء الاول من هذا الكتاب.

اخذت الكاتبة تتحدث عن تجارة القوافل والبضائع التي كانت تحتويها . وتناولت الكاتبة موضوع تجارة العبيد في ذلك الوقت وموقف الرحالة الكسين من هذا النشاط التجاري واعجاب الرحالة الالماني الدكتور جوستاف نختجال Dr. Gustav Nachtigal بهذا الموقف الذي اتخذته الكسين .

وكانت خطة الرحالة الكسين تقوم على اساس اتباع الطريق الذي سلكه دوفيريه بالاتجاه الى منطقة جبال تاسيلي Tassili والاحجار Ajjers ومن هناك الى بحيرة تشاد وسلطنة بورنيو Bornu ثم الاتجاه الى دارفور ونهر النيل في الطريق الى مدينة الخرطوم . وكان مشروع هذه الرحلة التي أقدمت الكسين على القيام بها حدثا عظيما في تاريخ الكشوف الجغرافية لا يقل عما احدثه الوصول الى القمر في السنوات الاخيرة من جيلنا الحالي .

وتذكر المؤلفة ما روته جريدة التايمز Times اللندنية بخصوص تتبع الكسين للاختراعات الحديثة وقراءتها للصحف وكيف انها امرت باستحضار احدى الدرجات الحديثة لها اثناء وجودها في مدينة طرابلس وقد استحضرتها من باريس ولكنها قامت باهدائها الى الباشا في طرابلس عندما وجدت استحالة استعمالها في رمال الصحراء الكبرى (ص ٢٠٠) . ولكن الكاتبة لم تذكر تاريخ جريدة التايمز التي نقلت عنها هذا الخبر وان كان من السهل العثور عليه بمراجعة اعداد جريدة التايمز في الفترة التي اقامتها الرحالة في مدينة طرابلس .

تعهد علي باشا رضا والي ولاية طرابلس الغرب بتقديم كل حماية لها في ولايته ولكنه لم يستطع الوعد بذلك فيما وراء حدود ولايته وان كان قد قام بتقديم الرحالة الكسين الى اكنيوكن Ichnuchen الرئيس الاعلى لقبائل الطوارق في الاحجار . وقد تبادل معه علي باشا رضا الرسائل في هذا الخصوص . وقد تعهد الزعيم الطارقي بمقابلتها عند قيامه بزيارة منطقة لادشال الغربية West Ladshal التي تقع الى الشرق من جبال تاسيلي Tassili وذلك في فصل الصيف من عام ١٨٦٩ . وقد سبق لهذا الزعيم الطارقي ان رحب بالرحالة الفرنسي دوفيريه Duveyrier وصرح باستعداده لمقابلة اول سيدة أوربية لها من الشجاعة الكافية التي تمكنها من عبور الصحراء الكبرى .

خرجت الآنسة الكسين من مدينة طرابلس يوم ٣٠ يناير ١٨٦٩ بعد ان امرت باعداد سبعين جملا للقافلة التي بدأت بها مشروع رحلتها . وبعد ان

اعدت كل شيء يلزمها لهذه الرحلة الطويلة الشاقة . وكان الشتاء باردا ، وقد اعطت الكاتبة وصفا لبداية هذه الرحلة والاماكن التي مرت بها وفي مقدمتها اطلال بونجيم Bondjem التي اعجبت بآثارها وبقايا الفخار الروماني بها كما اعجبت بزهور المنطقة وقد جمعت أنواعا منها لارسالها الى ليفربول Liverpool في بريطانيا .

وكان هدف البعثة التي ترأستها الكسين الذهاب الى غدامس ومرزق. وهناك يتم اللقاء مع اكنيوكين Ichnuchen الذي كان عليه ان يقوم بتقديم الحماية اللازمة للبعثة اثناء المرحلة الثانية من الرحلة . وقد مرت الكسين بقافلتها بعدد من القوافل الاخرى المتجهة الى الشمال وتبادلت مع هذه القوافل الاخبار والضيافة كما سجلت انطباعاتها عن العبيد الذين كانوا يصحبون هذه القوافل المتجهة شمالا . وفي بني وليد توقفت قافلة الكسين للراحة والاستجمام وتمكنت من كتابة بعض الخطابات بعد ان صعب عليها ذلك اثناء السفر وقد وعدت بكتابة الكثير بعد وصولها الى مرزق . وبعد مضي ٣٦ يوما من ترك مدينة طرابلس وصلت الكسين بقافلتها الى واحة مرزق . وقد نشرت جريدة التايمز Times اللندنية اخبار وصولها الى واحة مرزق بعد ١١ اسبوعا من هذا الوصول. ويبدو ان هذه الاخبار قد وصلت الى الولايات المتحدة الامريكية وأثارت بعض الاهتمام هناك اذ انها كانت اول سيدة اوربية تقوم بمحاولة عبور الصحراء الكبرى (ص ٢٠٥) .

وابتهجت الكسين بوصولها الى مرزق التي اعتبرتها هدفا لها وقد سجلت انطباعاتها عن هذه الواحة وتركت وصفا لها . وقابلت الكسين الشيخ ابراهيم بن الكيا Ibrahim ben Alkia الذي كان عمدة لبلدة مرزق والذي قام بتقديم النصائح القيمة لها . وقد بالغت في احترامه الى حد الاعجاب به ومع ذلك فان هذا العمدة قد وجه اليه اللوم بعد ذلك بسبعة شهور بسبب حادث مقتلها . واليه يرجع الفضل في تسهيل مهمة الكسين وتشجيعها على السفر جنوبا . وتقول المؤلفة ان الرحالة الكسين وجدت ان القبائل المتنقلة في منطقة مرزق تعرف بلاد الهند وبلاد الصين وجزيرة زنجبار الشيء الذي يعطينا فكرة عامة عما كانت عليه هذه القبائل من ثقافة عامة (ص ٢٠٦) .

وبناء على ما جاء في مذكرات الرحالة الكسين اعطت الكاتبة وصفا لبلدة مرزق ومبانيها وأهميتها كأكبر سوق لتجارة العبيد في القارة الافريقية . وأقامت الرحالة في بيت استأجرته في وسط البلدة وكان يقع

في الجانب الجنوبي للشارع الرئيسي . وكانت الواحة مسورة وقد بنيت بيوتها من الطين وتراوح ارتفاعها من طابق الى ثلاثة . وقد خلت الطوابق السفلى من النوافذ باستثناء المدخل وان كانت بعض البيوت لها بعض النوافذ في الطوابق العليا . وكانت الغرفة التي اختارتها الكسين للنوم خالية من النوافذ وان كان يوجد أمامها فضاء مكنها من تمضية بعض الوقت . وقد أصيبت الكسين بمرض اثناء اقامتها في مرزق وقام الدكتور جوستاف نختجال بعلاجها وكان قد وصل الى مرزق من طرابلس حديثا. وقد أصيب هو الآخر بالحمى ولكنه شفي منها وان كانت الرحالة قد استمرت تعاني مما أصابها من مرض لدرجة انها عجزت طيلة شهري ابريل ومايو عن مغادرة الفراش . وعندما اخذت في الشفاء بدأت تستعد للسفر الى غات بعد ان صممت على ذلك ولو ادى الامر الى حملها على نقالة كما تحدثت بذلك الى الدكتور نختجال الذي قام بعلاجها وساعدها على الشفاء (ص ٢٠٦) . وعندما رأت اليكسين الهدايا التي احضرها معه الدكتور نختجال لتقديمها الى سلطان بورنيو كتبت قائمة الى أهلها ليرسلوا لها الكثير من الهدايا لكي تقوم بتقديمها الى سلطان بورنيو وإلى بعض الزعماء الآخرين . وقد سجلت المؤلفة قائمة بهذه الهدايا المطلوبة . والملاحظ ان الكسين طلبت من بين الهدايا صندوقا من الشاي الاخضر الممتاز مما يدل على ان الشاي وهذا النوع من الشاي بالذات قد عرف طريقه الى تلك المناطق الداخلية في افريقية (ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

كانت اليكسين مسرورة عندما بدأت يوم ٥ يونيو ١٨٦٩ تستأنف مشروع رحلتها بالتوجه غربا الى الوادي الغربي حيث تم ترتيب موضوع مقابلتها لاكنيوكين Ichnuchen الذي رفض المجيء الى مرزق لانه لم يكن على وفاق مع المسئولين فيها ، وقد قام الدكتور نختجال بتوديعها حيث كان عليه ان يتجه الى منطقة تيبستي ، وكان الفراق بينهما صعبا . وتسجل لنا المؤلفة وصفا للاستقبال الذي قوبلت به اليكسين من جانب قبائل الطوارق وزعيمهم اكنيوكين . ولكنها وجدت الخلافات عميقة بين زعماق الطوارق . وقد سعت الى التوفيق بينهم ولكنها لم تطمئن الى النتيجة التي وصلت اليها في هذا الخصوص الشيء الذي اجبرها على ان تفضل العودة الى مرزق على ان تواصل رحلتها الى غات . وانتهزت اليكسين فرصة عودتها الى مرزق وقامت بكتابة عدة خطابات الى اهلها . وكان من بين ما جاء فيها وصفها للطوارق وما وصلت اليه من معلومات شخصية عنهم . وتحدثت المؤلفة عن الطوارق وأوصافهم وتقاليدهم ومركز

المرأة في المجتمع الطارقي وحقوق الارث في العائلة ، وكلها معلومات تفيد في دراسة الطوارق ونظرة بعض الكتاب اليهم (ص ٢١٨) .

وفي يوم ٢١ يوليو ١٨٦٩ تركت اليكسين واحة مرزق لتلتقي بالزعيم الطارقي اكنيوكين Ichnuchen في واحة غات واختارت « الشيخ أحمد» لقيادة القافلة التي مرت بواحة «الوادي الشرقي» بعد ثلاثة ايام وقد استراحت فيها وارتاحت اليها . وهناك كتبت آخر خطاب لاسرتها . لقد كانت هذه الخطابات التي كتبتها اليكسين في مجموعها المصدر الاساسي الذي اعتمدت عليه المؤلفة في كتابها هذا الذي نقوم باستعراضه . واستطاعت المؤلفة ان تكمل قصة اليكسين بالاعتماد على ما تركه ابناء عم هذه الرحالة من معلومات وعلى ما تركه الاحياء من تقارير ومعلومات عنها .

وبعد الاقامة في واحة «الوادي الشرقي» لمدة اسبوع لجمال موقعها واصلت القافلة رحلتها مع واداي ابرجوش Ouadai Aberdjoush ومن هناك الى واحة غات وقد اقام الجميع للراحة كالمعتاد . واثناء هذه الاستراحة جاءت جماعة الى المخيم ، وكان من بينهم ستة اشخاص من العرب وتسعة آخرون من الطوارق وقد رأتهم اليكسين وهم يتجهون الى مخيمها . وأدعى اثنان منهم ان اكنيوكين Ichnuchen قد أرسل الجماعة لمرافقتها في الجزء الباقي من رحلتها . وسرعان ما تنازعوا فيما بينهم بخصوص القيام بهذه المهمة اذ كان كل منهم يدّعي انه صاحب الحق في القيام بهذا العمل . وسرعان ما تطور هذا النزاع الى قتال بينهم أدى في النهاية الى مقتل اليكسين ونهايتها المؤلمة قبل الوصول الى واحة غات . وكان هذا كل ما كان يعرفه أولئك الذين قدّر لهم الحياة بعد مقتلها .

وتذكر المؤلفة ان الفوضى عمت المخيم بعد مقتل صاحبته وأن ما يقرب من نصف رجال القافلة قد لاقوا حتفهم في هذا القتال وهذه الفوضى التي جاءت نتيجة لمقتل اليكسين . وقام الاحياء منهم بنهب الخيام وما فيها من محتويات واتجهوا بها الى واحة غات . أما رفاق الكسين الذين بقوا على قيد الحياة فقد عادوا الى واحة مرزق بعد ان تركوا وراءهم جثة الكسين .

وفي الفصل الاخير من الكتاب بدأت الكاتبة بتسجيل نص البرقية التي ارسلها قنصل هولنده في مدينة طرابلس لاخبار اسرة الكسين بوفاة ابنتهم . وقد وصلت هذه البرقية الى اهلها في مساء ١٨ اغسطس ١٨٦٩ . اما القنصل الهولندي في طرابلس فقد استلم اخبار مقتل الكسين بعد اسبوعين ونصف من وقوع الحادث . واخذت المؤلفة تصور لنا كيف

تلقت أسرة الكسين خبر مقتلها ، وقام بعض افراد اسرتها بالسفر الى مصر لجمع أخبار مقتلها وجمع ما خلفته ورائها من اشياء خاصة . وقد امر الباشا في طرابلس جميع الاحياء من رفقاء الرحالة الكسين بالعودة الى مدينة طرابلس للتحقيق والمحاكمة .

بدأت المحاكمة في يناير ١٨٧٠ وامتدت الى شهر ابريل دون نتيجة حتمية وان كانت الشبهات قد حامت حول الشيخ ابراهيم بن الكيا Ibrahim ben Alkia الذي سبق لنا ان عرفناه شيخا لبلدة مرزق والذي قام بتقديم النصائح الى الكسين في رحلتها والذي أوصت باكرامه اذا قدر لها الموت دون ان تكافئه على ما قدمه لها من عون ونصيحة .

قامت اسرة الكسين باحياء ذكرى ابنتهم باقامة مبنى جديد للكنيسة الانجليزية في لاهاي ولكن قنابل الحرب العالمية الثانية هدمتها . وقد حلت محلها كنيسة أخرى . اما في مدينة الجزائر فقد تم احياء ذكراها باقامة نافذة ولوحة نحاسية باسمها في الكنيسة التي كانت تتردد عليها هناك كما ان قصتها اصبحت على ألسنة الجميع . وبعد عدة سنوات وفي يوم ٣١ يوليو ١٨٩٥ بالذات نشرت جريدة الديلي تلغراف The Daily Telegraph تقريرا بخصوص الرحالة الكسين على انها ما زالت على قيد الحياة بعد ان وقعت في الاسر وتم بيعها الى احد رجال الطوارق واسمه اغميسيا Eghmissea الذي قام بالتزوج منها . وقد انجبت منه ثلاثة اطفال ، كان من بينهم اثنان على قيد الحياة . وكان هذان الطفلان ولداً وبنتا في العشرينات من عمرهما . وقد تزوجت الابنة . وصلت هذه الاخبار الى هولنده في ساعات بعد نشرها في لندن . اثارت هذه الاخبار بقية افراد اسرة الكسين ولكنها لم تتحقق وان جاءت الاخبار بأن هناك قبر لهما في جامع باحدى الواحات الصغيرة التي لا تظهر على الخرط الجغرافية وان كانت تقع على بعد ٢٥ يوما من اجاديس Agades في الاتجاه نحو بيبتاكو Bibtako وان الاهالي هناك يشيرون الى هذا القبر على انه قبر الآنسة الكسين .

وتقول مؤلفة الكتاب ان اخبار ظهور الكسين على قيد الحياة جاءت لأول مرة في نشرة كتبها جباري Djebari في تونس بعنوان
«The Survivors of The Flatters Mission»

بخصوص حملة الكولونيل فلاترز Colonel Flatters وما تعرضت له من متاعب وصعوبات بسبب الموقف الذي اتخذه الطوارق نحوها .

خلاصة القول اذا كانت رحلات الكسين لم يقدر لها الظهور في كتاب

بسبب النهاية المؤلمة التي ختمت بها هذه الرحالة حياتها فان مؤلفة الكتاب استطاعت بالرجوع الى الكثير من المصادر الاساسية ان تلقي الضوء على رحلات الكسين وتعطينا صورة واضحة عن حياتها وتمهد لمن يريـــد ان يتخذ من هذه الرحالة ونشاطها في افريقية بصفة عامة وفي ليبيا بصفة خاصة موضوعا للدراسة . ويكفي انها كانت اول امرأة أوربية ساهمت في عبور الصحراء الكبرى وان لم يقدر لها النجاة بعد ان نجحت في التغلب على الكثير من الاخطار التي صادفتها في السابق . لقد جاءت بعدهـــا روزيتا فوربس Rosita Forbes الرحالة الانجليزية في أواخر ١٩٢٠ ونجحت في الوصول الى واخة الكفرة والعودة الى بلادها وان كانت تعرضت الى الكثير من الاخطار (٤٢) . ولكن الرحالة الكسين كانت اعظم جهودا وان لم يقدر لها النجاح في الوصول الى اهدافها والعودة الى بلادها بسلام .



36 — Goodchild, R.G.; Mapping Roman Libya. The Geographical Journal June, 1952. PP. 142 - 52 .

هذا مقال للاستاذ ريتشارد جودتشايلـــد R. Goodchild بعنوان «رسم خريطة لليبيا الرومانية» وقد نشرته المجلة الجغرافيـــة The Geographical Journal بعددها الصادر في يونيو ١٩٥٢، وقد سبق لنا التعريف بالكاتب واهتمامه بدراسة آثار ليبيا وتاريخها القديم (٤٣) .

يشير الكاتب في بداية المقال الى البعثات العلمية التي قام بها مع بعض زملائه في الفترة التي ما بين سنتي ١٩٥٠ و١٩٥١ والتي كانت استمرارا لنشاطه العلمي السابق . وكانت هذه البعثات العلمية المشار اليها سابقا قد تمت في عهد الادارة العسكرية البريطانية لولاية برقة . وقد وجد رجال البعثة كل معونة من رجال القوات البريطانية سواء في ولاية برقة او في ولاية طرابلس الغرب في ذلك الوقت .

---

٤٢ ـ راجع البحث رقم ٣١ والبحث رقم ٣٢ .

٤٣ ـ راجع البحث رقم ٢٣ .

يذكر الكاتب ان ولاية برقة احتفظت باللغة اليونانية بعد ان خضعت للحكم الروماني وبقيت هذه اللغة سائدة فيها حتى مجيء الاسلام اليها . وقد اخذت اللغة العربية تحل محلها . اما ولاية طرابلس التي كانت تعتبر امتدادا لقرطاجة فقد سادت فيها اللغة اللاتينية بعد تبعيتها للسيادة الرومانية وان احتفظت بالتقاليد البونية بشكل قوي .

وبعد هذه المقارنة الثقافية بين اقليمي البلاد يقوم الكاتب بمقارنة بين الاجزاء الليبية الساحلية وأجزائها الداخلية من حيث المظاهر الطبيعية والجغرافية .

وكان على البعثة العلمية من اجل رسم خريطة ليبيا الرومانية ان تقوم بفحص الكثير من المواقع القديمة بقدر الامكان وحصر تلك المواقع التي تعود الى الفترة الرومانية وتسجيل الآثار بالصور والرسوم والتعرف عليها حيث يستطاع بالمعلومات المذكورة في الجغرافية القديمة ، وفي مقدمتها اعمال كل من سترابو Strabo وبطليموس Ptolemy الجغرافيين. وبهذه المناسبة يبدي الكاتب بعض المآخذ على خريطة ليبيا التي رسمها بطليموس .

كان نشاط هذه البعثات العلمية مركزا على منطقتين هما منطقة سرت بطول سواحل خليج سدرة ومنطقة برقة الحقيقية Cyrenaica Proper وهي المنطقة الواقعة فيما بين بنغازي غربا وخليج البمبة شرقا . وكانت منطقة سرت معروفة بشكل أقل في هاتين المنطقتين لعلماء الآثار . ويعتبر الكاتب ان ما سجله لنا الاخوان بيتشي Beechey في ١٨٢١ اثناء رحلتهما الاستكشافية بطول ساحل سرت في كتابهما المعروف باسم

«Proceedings of The expedition to explore the Northern Coast of Africa»

والذي صادر في لندن في ١٨٢٨ يمثل احدث المعلومات التي امكن الحصول عليها . ويرى الاستاذ جودتشايلد ان المعلومات الاثرية التي يتضمنها كتاب الرحالة الالماني الدكتور هنري بارث Heinrich Barth والذي صدر باللغة الالمانية في برلين سنة ١٨٤٩ باسم

«Wanderungen durch die Kustanlànder des Mittelmeeres»

هي ترديد لما جاء في تقرير الاخوين بيتشي المشار اليه . ويقول الكاتب ان الحكومة الايطالية قد قامت بأعمال كشفية هامة في مواقع المدن الاغريقية الرومانية الواقعة في منطقة برقة الحقيقية . وأما الجهات الداخلية والتي كانت في حالة ثورة اثناء الحكم الايطالي حتى ١٩٣٠ فلم

تكن قد فحصت بعد .

ويعطينا الاستاذ جودتشايلد وصفا جغرافيا لمنطقة سرت أو ما يعرف الآن بساحل محافظة الخليج . وهو يعتبر الرأي القائل بانفصال اقليمي طرابلس وبرقة عن بعضهما بشريط صحراوي طوله ٥٠٠ ميلا شيئا مبالغا فيه . وفي كلامه هذا رد على أولئك الذين يتخذون من صحراء منطقة سرت دليلا على انفصال الاقليمين عن بعضهما . ويقسم جوتشايلد خليج سرت الى اربعة اقاليم ذات طابع مختلف وهي : ـ

أ ـ المنطقة الممتدة من مدينة مسراته الى بويرات الحسون حيث نجد السهول عارية على حافة سبخة تاورغاء . والماء نادر جدا هناك .

ب ـ المنطقة الممتدة من بويرات الحسون الى النوفلية حيث نجد المرعى طيبا ولكنه يأخذ في التناقص بعد اطلال سلطان . ولكن الآبار عديدة في هذه المنطقة ومياهها كافية ومن النوع الطيب .

جـ ـ المنطقة الممتدة من النوفلية الى مرسي البريقة حيث السهول العارية ذات الملاحات . وعدد الآبار فيها قليل ومياهها مالحة بعض الشيء. وبها اعداد من الآبار المهملة والتي كان يطلق عليها القدماء اسم «عيون آمون» في منطقة بشر الى الشرق من العقيلة .

د ـ المنطقة الممتدة من مرسي البريقة الى بنغازي حيث المراعي العادية ولكنها كثيرة الآبار . ومياه هذه الآبار غزيرة وجيدة .

ونتيجة لهذا الاختلاف الجغرافي المشاهد في مناطق خليج سرت اختلفت اماكن الاستيطان القديمة تبعا لامكانية توفر المياه . ولهذا لم يعثر رجال البعثة على بقايا أثرية في المنطقة الممتدة من مسراته الى بويرات الحسون . ولكن البعثة وجدت تركيزا كبيرا من بقايا المزارع الرومانية في الشريط الساحلي لمسافة ٥٠ كيلومترا على كل من جانبي بلدة سرت في المنطقة الممتدة من بويرات الحسون الى النوفلية . اما في المنطقة الممتدة من النوفلية الى مرسي البريقة فقد كانت البقايا القديمة للاستيطان محدودة. ويشير الكاتب الى انتشار بقايا المزارع في اماكن معينة من المنطقة الممتدة من مرسي البريقة الى مدينة بنغازي . ويذكر الكاتب ان الباحث يجد نوعين من المزارع الرومانية في ليبيا . ويعرف اول هذين النوعين بالمزرعة المفتوحة Open Farm . اما النوع الثاني فيعرف بالمزرعة المحصنة Fortified Farm . وهناك أمثلة عديدة لكل من هذين النوعين في منطقة سرت .

ويستمر جودتشايلد في وصف ساحل خليج سرت من حيث المعالم

الاثرية القديمة مع وقفة قصيرة عند بلدة اجدابية وبقية المراكز العمرانية الهامة على الساحل . وبعد مدينة بنغازي ينتقل الى اعطاء فكرة عامة عن أهم المراكز العمرانية القديمة دون تفصيل مع الاهتمام بتتبع الطرق القديمة وأهم معالمها ومع اعطاء اهمية لابراز المعالم الاثرية الواقعة فيما وراء هضبة الجبل الاخضر والتي تقع على حافة الصحراء . وهنا نجد الكاتب عند ذكره لأهم المعالم الاثرية في الجبل الاخضر والشريط الساحلي الذي يحده يكثر من الاعتماد على ما كتبه لنا الاسقف سينسيوس Synesius في رسائله المشهورة . وينهي الكاتب بحثه بالنتائج الآتية :

١ — ان خطوط المواصلات في برقة القديمة كانت تمتد من الشرق الى الغرب اكثر من جنوبيها الى شماليها . ويؤكد الكاتب صحة ما قاله الاستاذ كاري Cary في كتابه (٤٤) من ان برقة لم تكن في العصور القديمة نهاية لطرق القوافل .

٢ — ان ندرة المياه الى الجنوب من حافة الغابات في الجبل الاخضر لم تشجع الرومان على انشاء مراكز للاستيطان بعيداً في داخل المنطقة .

٣ — ان اكبر خطر كان يهدد سلام برقة في العصر الروماني كان يأتي من اقليم سرت ولهذا كانت مشارف تلك المنطقة محروسة بالقلاع ومراكز الاستيطان .

٤ — ان المغيرين الذين تغلبوا على خطوط الدفاع الخارجية استطاعوا ان يستفيدوا من الاودية ذات الغابات في منطقة وادي الكوف للتغلغل في معظم المناطق المأهولة والخصبة . ويرى الكاتب في القلاع الرومانية مثل قصر بني قدم Beni Gdem (٤٥) وغيره في منطقة وادي الكوف انها تمثل خطوط دفاع داخلية لمنع ما قد تتعرض له المنطقة من شطر الى جزئين .

ويقول الكاتب انه رغم تشاؤم الاسقف سينسيوس Synesius فان ليبيا استطاعت ان تتغلب على كل غزاتها الافريقيين واستمرت مدنها قائمة كما استمرت الادارة البيزنطية في البلاد رغم كل هذه الغزوات . ولكن ليبيا شاهدت نهاية الحكم البيزنطي فيها في ٦٤٣ م عندما جاءت

---

44 — M. Cary; The Geographic Background of Greek And Roman History. London, Oxford Press, 1950, 331 PP.

٤٥ — ينطقها اهل المنطقة على انها «المقدم» مع قلب حرف القاف جيما .

القوات العربية بقيادة عمرو بن العاص .

المقال في جملته عرض عام مع اشارات معينة لأهم مراكز الآثار الرومانية في منطقة خليج سرت واقليم برقة . وقد سبق للكاتب ان تناول الاقليم الغربي من ليبيا في مقال آخر (٤٦) . والمقال غني بالهوامش التي تشير الى بعض الحقائق والمراجع التي تفيد من يريد الاستزادة . وقد دعم مقاله بخريطة جغرافية لساحل ليبيا ومنطقة برقة بالذات مبينا عليها الطرق الحديثة والمواقع القديمة . وهناك خريطة جغرافية صغيرة أخرى للطرق الرومانية والمواقع الاثرية الهامة في منطقة الجبل الاخضر والمنطقة الساحلية لأقليم برقة .

***

37 — Goodchild, R.G.; Roman Tripolitania: Reconnissance In The Desert Frontier Zone. The Geographical Journal, June 1950. PP. 161 - 78.

القى الاستاذ ريتشارد جودتشايلد Ritchard Goodchild محاضرة عن الآثار الرومانية في منطقة الحدود الصحراوية لطرابلس في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بلندن وذلك مساء يوم ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ . وقد نشرت «المجلة الجغرافية» هذه المحاضرة وما دار عليها من تعليق في عددها الصادر في يونيو ١٩٥٠ . هذا وقد سبقت الاشارة الى الاستاذ جودتشايلد والتعريف بجهوده العلمية في الصفحات السابقة من هذا الكتاب وان كانت هذه الاشارة غير كافية بالمرة للاعتراف بفضله في ميدان الآثار القديمة في ليبيا والابحاث التاريخية القيمة التي نشرها في هذا الخصوص (٤٧) . وقد تكونت جمعية للدراسات الليبية في أواخر صيف ١٩٦٩ في لندن برئاسة السير دنكان كمنج Sir Duncan Cumming وعضوية هذه الجمعية مفتوحة . وقد بلغ عدد اعضائها ٧٩ عضوا حتى ٧ مارس ١٩٧٠ . واستطاعت هذه الجمعية ان تتخذ مقرا مؤقتا لنشاطها في معهد الآثار الذي

---

٤٦ ـ راجع البحث رقم ٣٧ .

٤٧ ـ راجع ما جاء في هذا الخصوص في البحث رقم ٢٣ والبحث رقم ٣٦ .

يقع بميدان جوردون Gordon Square بمدينة لندن . وبدأت الجمعية بتكوين مكتبة عن الدراسات الليبية . وكانت نواة هذه المكتبة مجموعة الكتب التي تركها جودتشايلد وعددها حوالي ٢٠٠ كتابا .

يبدأ المحاضر بحثه بالاشارة الى الفترة التي قضاها في ليبيا فيما بين ١٩٤٦ و١٩٤٩ كضابط للآثار في خدمة الادارة العسكرية البريطانية التي حلت محل السلطات الايطالية بعد طردها نهائيا من البلاد في بداية ١٩٤٣ . ويقصر المحاضر كلامه في هذا البحث على ما كان يعرف بولاية طرابلس في ذلك الوقت وما يعرف الآن باسم المحافظات الغربية. وقد زار المحاضر عددا لا بأس به من المواقع القديمة في القطاع الاوسط في منطقة حدود ولاية طرابلس فيما بين حافة الجبل الغربي ووادي زمزم.

وبعد هذه المقدمة القصيرة يتناول المحاضر الاكتشافات السابقة التي لم تلق الاهتمام الكافي طيلة النصف قرن فيما قبل هذا التاريخ . ويقول المحاضر ان الدهشة تأخذ الانسان عندما يعلم ان الكثير من الرحالة الاوربيين الذين جاءوا الى افريقية في القرن التاسع عشر قد وجدوا الوقت الكافي لفحص ودراسة الآثار التي عثروا عليها وهم في طريقهم الى فزان ووسط افريقية . ويذكر المحاضر ان القائد البحري الانجليزي الادميرال و.هـ. سمث W. H. Smyth كان اول أوربي استطاع التغلغل بعيدا في منطقة الحدود الرومانية . وقد قام بزيارة الآثار الهامة لقرزة Ghirza في وادي زمزم . كان سمث يرى في هذه الرحلة التي قام بها في ١٨١٧ خيبة أمل له لاستخفافه بقيمة ما شاهده في منطقة قرزة . وبعد ذلك بسبع سنوات قام الميجر ديكسون دنهام Major Dixon Denham وهو في طريق العودة من فزان بزيارة قرزة وسجل بعض التقارير الهامة عن النقوش الرومانية التي شاهدها هناك . وفي ١٨١٨ م استطاع الكابتن ج.ف. لايون Captain G.F. Lyon وهو في طريقه الى واحة مرزق بفزان ان يكتشف القلعة الرومانية في بونجيم . وقام برسم احدى بوابات مداخلها . وقد قام الاتراك فيما بعد بالاستفادة من احجارها في بناء قلعة لهم . وبعد ذلك نجد الرحالة الانجليزي ف.و. بيتشي F.W. Beechey وأخاه هـ.و. بيتشي H.W. Beechy يقومان برحلة من مدينة طرابلس الى برقة في ١٨٢١ — ١٨٢٢ ولكن رحلتهما كانت بطول الساحل ولم يتوغلا في داخل البلاد ولكنهما مع ذلك سجلا في تقريرهما وصفا لبعض القلاع الدفاعية من طابع الحصون الرومانية المقامة على الحدود الداخلية . وقد شاهدا هذه الحصون بطول ساحل خليج سرت اثناء

تقدمهما من مدينة طرابلس الى برقة .

اما المكتشف الالماني الدكتور بارث Dr. Barth الذي قام برحلته في ١٨٥١ من مدينة طرابلس الى بحيرة تشاد باسم الحكومة البريطانية فقد شاهد العديد من بقايا المباني الرومانية في الجبل الغربي بطرابلس وفيما بين مزدة Mizda وتابيونيا Tabunia . وقد وصفها في تقريره الذي نشره فيما بعد . اما الرحالة الالماني الآخر رولفس Rohlfs الذي جاء بعد الدكتور بارث بعشر سنوات للوصول الى واحة الكفرة فقد لاحظ الكثير من قلاع المراقبة في منطقة ورفلة الواقعة في الداخل من طرابلس .

واذا كان المحاضر قد سجل في بحثه فضل هؤلاء الرحالة الاوربيين الذين ساهمت جهودهم في الكشف عن الكثير من الآثار الرومانية الا ان هؤلاء الرحالة كان همهم الاول الوصول الى مناطق معينة ولم يسمح لهم الوقت بالدراسة الكافية لهذه الآثار التي شاهدوها في البلاد اثناء مرورهم بها . واستمر الامر كذلك حتى مجيء الرحالة الانجليزي هـ.س. كوبر H.S. Cowper في ١٨٩٥ – ١٨٩٦ الى طرابلس . وقد نجح هذا الرحالة في القيام بمسح عام للآثار الموجودة في تلال ترهونة (٤٨) . وجاء بعده الرحالة الفرنسي مهير دي ماثويسي Mehier de Mathuisieulx الذي اعطى صورة عامة عن جغرافية وجيولوجية واركيولوجية المنطقة كلها (٤٩) .

وفي عهد الاحتلال الايطالي ١٩١١ – ١٩٤٢ يذكر المحاضر ان نشاط الاستكشاف الذي قام به العلماء الايطاليون قد زاد في سبيل تمكين الحكم الايطالي من البلاد . ولكن معظم هذا النشاط كان مركزا على الجهات الساحلية اكثر من الجهات الداخلية .

وبعد هذا العرض السريع للجهود التي بذلت في سبيل الكشف عن الآثار الرومانية في ولاية طرابلس فيما قبل عهد الادارة البريطانية ينتقل المؤلف الى الكلام عن البقايا الاثرية التي قام باكتشافها بمفرده او بالاشتراك مع غيره . وكانت هذه الكشوف قد شملت العثور على بعض بقايا القرى او المراكز العمرانية التي كانت تخدم فكرة الوصول الى الجهات الداخلية كما شملت هذه الكشوف بعض المباني الرومانية القديمة مثل القلاع والمعابد

---

٤٨ – راجع البحث رقم ١٥ والبحث رقم ١٦ والبحث رقم ١٧ .

٤٩ – راجع البحث رقم ٢٢ والبحث رقم ٢٣ .

وكنائس العصر المسيحي والتي تظهر بوضوح في بقايا مدينة لبدة على الساحل حيث تلتقي نهاية الجبل من جهة الشرق مع ساحل البحر الابيض المتوسط . وكذلك شملت هذه الكشوف بقايا المزارع الرومانية وقد تغلغلت في الداخل وشملت مساحات كبيرة . ومازالت بقايا اشجار الزيتون وأحجار المعاصر التي كان يستخدمها الاهالي في استخلاص زيت الزيتون منتشرة في جهات كثيرة . ويسجل المحاضر حقيقة تاريخية هامة وهي ان أولئك الذين قاموا بهذا النشاط العمراني لم يأتوا مهاجرين من ايطاليا الى ليبيا بل ان السكان الاصليين هم الذين كانوا يقومون بهذا النشاط العمراني وان كان الطابع العمراني قد اخذ مظهر الحضارة الرومانية التي كانت تسود منطقة حوض البحر الابيض في ذلك الوقت كما كانت تسود غيرها . والى جانب كل هذه البقايا العمرانية الاثرية التي اكتشفها جودتشايلد كانت هناك بقايا الحصون والقلاع الحربية التي تركها النظام الروماني في تعبئة القوات ونشرها على الحدود الجنوبية التي كانت تهددها غارات قبائل الصحراء . ويحاول المحاضر ان يعلل وجود بقايا الحياة العمرانية في المناطق الداخلية بأن تلك المناطق كانت تتمتع بكميات من الامطار في فصل الشتاء اكثر مما هي عليه الآن . هذا الى ما كان عليه سكان تلك المناطق من مهارة في فن الزراعة في العصور القديمة الى جانب اهتمامهم بتنظيم الاستفادة من الامطار الشتوية الى ابعد حد باقامة السدود في الاودية وتنظيم المصاطب الزراعية لحفظ التربة من الجرف بفعل السيول والامطار. وما زالت بقايا هذا التخطيط الزراعي تشاهد في مساحات كبيرة من الاراضي خصوصا اذا نظر اليها الانسان من الجو بالطائرة .

وينتقل المحاضر الى نقطة أخرى هامة يحاول فيها اعطاء فكرة عامة عن تاريخ الاستيطان القديم في المناطق الداخلية من البلاد . ويذكر ان أقدم بيت زراعي محصن عثر عليه في جولاته الاستكشافية كان يرجع تاريخه الى سنة ٢٤٤–٢٤٦ م. وهناك الكثير من البقايا التي تعود الى القرن الرابع الميلادي . وهناك عدد كبير من هذه البقايا تعود الى السنوات الاولى من العهد الاسلامي . ويبدو ان الفترة الرئيسية لحركة الاستيطان في هذه المناطق الداخلية الواقعة جنوبي الجبل الغربي كانت فيما بين ٢٠٠م و٩٠٠ م. ويثير المحاضر بهذه المناسبة نقطة هامة في تاريخ ليبيا عندما يتساءل عن كيفية تحول سكان ليبيا في هذه المناطق الداخلية من العقيدة المسيحية او الوثنية الى العقيدة الاسلامية على اثر الزحف العربي الاول لان التاريخ لم يسجل لنا كيف كانت هذه النقلة . ويرى المحاضر ان النقلة

كانت بالتدريج وبهدوء حتى مجيء الموجة الثانية من الزحف العربي وهو يعني بذلك مجيء قبائل بني هلال وبني سليم في القرن الرابع الهجري (الحادي عشر الميلادي) عندما استحالت الاقامة في هذه المناطق الداخلية لاسباب قد تكون مناخية او غيرها فتحولت هذه الجماعات المستقرة الى حياة النقلة والترحال او لجأت الى بعض المراكز المأمونة واستقرت فيها كمزدة وبني وليد . ويرى المحاضر ان وادي بني وليد ما زال يحتفظ بكل مظاهر الطابع الروماني في الحياة النباتية التي كانت تسود المنطقة في العهد الروماني .

والواقع ان تحول سكان الشمال الافريقي وخاصة ليبيا من العقيدة المسيحية او العقيدة الوثنية الى العقيدة الاسلامية ما زال موضوعا للبحث والدراسة ولم تنته فيه الكلمة بعد . ومازلت اذكر الاستاذ الياس بكرمان Elias Bickerman استاذ التاريخ القديم بجامعة كولومبيا بمدينة نيويورك وهو يحاول في صيف ١٩٥٧ توضيح هذه النقلة وخطواتها ولكنه لم ينته الى تفسير واضح المعالم .

ويختم الاستاذ جودتشايلد بحثه بعدة نتائج هامة يمكن تلخيصها في اعطاء فكرة عن الطرق التي سلكها المحاضر في رحلاته الاستكشافية . وقد وضح ذلك بخريطة جغرافية للمنطقة التي قام بدراسة بعض أجزائها . وما زال الجزء الكبير منها يحتاج الى الكشف عن آثارها خصوصا الجهات الغربية من الجبل الواقعة فيما بين مزدة وواحة القريات .

اما النقطة الثانية الهامة في نتائج هذا البحث فهي الاستعانة بالمسح الجوي لآثار المنطقة المرتادة . وقد استعمل الاستاذ جودتشايلد وزملاؤه هذه الطريقة لأول مرة في صيف ١٩٤٩ . وقد زود المحاضر بحثه بعدة صور التقطت من الجو لبعض هذه الآثار التي قام المحاضر وزملاؤه بالتقاطها . وقد ساعدت الجمعية الجغرافية الملكية بلندن في توفير هذه الوسيلة للمحاضر وزملائه .

والنقطة الثالثة في هذه النتائج العامة هي ان المحاضر وزملاءه لم يتمكنوا حتى ذلك التاريخ من دراسة ساحل سرت كما ان المحاضر وعد في بحثه هذا بدراسة الاجزاء الداخلية من برقة في ١٩٥٠ .

اما النقطة الاخيرة من هذه النتائج فقد خصصها لشكر أولئك الذين ساهموا في تقديم كل المساعدات اللازمة للقيام بدراسته الحقلية على أحسن وجه .

وبعد القاء هذا البحث اشترك عدد كبير من المهتمين بالدراسات

الاثرية الرومانية في مناقشة المحاضر والقاء الضوء على الكثير من النقاط الهامة التي تناولها المحاضر في بحثه .

وأخيرا نجد المحاضر يذيل بحثه بملحق خاص تحدث فيه عن الخريطة الجغرافية للاقليم والجهود التي بذلتها المؤسسات العلمية الايطالية في هذا الخصوص . وبالملحق بيانات هامة عن طرق المنطقة والتي يمكن للسيارات عبورها . وهو في هذه المعلومات يقدم المساعدة اللازمة لاولئك الذين يرغبون القيام بأي رحلة علمية في هذا الميدان .

بقي ان نقول ان هذا البحث يفيد أولئك الذين يريدون دراسة مظاهر العصر الروماني في البلاد ودراسة آثار هذا العصر وما حدث لها من تطور والجهود التي بذلها بعض الرحالة الاوربيين في كشف هذه الآثار . ويفيد هذا البحث ايضا في دراسة الجهود التي بذلها بعض العلماء البريطانيين في دراسة تاريخ البلاد وفي مقدمتهم الاستاذ جود تشايلد الذي ترك لنا دراسات قيمة في تاريخ ليبيا القديم وآثارها .

***

38 — H., D.G.; Cyrenaica . The Geographical Journal, XXXII (October, 1908), PP. 419 - 20.

هذا المقال نقد لكتاب صدر باللغة الايطالية وقد نشر في مدينة بولونا Bologna الايطالية في ١٩٠٨ بعنوان « قورينا وقرطاجة » «Cirene e Carthagini» لمؤلفه الاستاذ ج.دي مارتينو G. de Martino (٥٠) .

يقول صاحب المقال ان هذا الكتاب لا يضيف كثيرا من المعلومات الجغرافية عما كان معروفا في ذلك الوقت ولكنه مع هذا قوبل باهتمام لأكثر من سبب . لقد اعطى الكتاب تقريرا معاصرا عن الوضع السياسي القائم لمنطقة برقة المنيعة كما انه القى الكثير من الضوء على سياسة ايطاليا التي كانت تعتبر اكثر الدول الاوربية اهتماما بالمنطقة . وانتهى المؤلف الى

---

50 — G. De Martino; Cirene e Carthagini, Illustrated. Bologna: Zanichelli, 1908. 193 PP.

ضرورة التقليل من مناعة هذه المنطقة .

كان السنيور دي مارتينو De Martino مؤلف هذا الكتاب عضوا بمجلس الشيوخ في ايطاليا ورئيسا لمعهد الاستعمار الايطالي . وقد قام برحلته من درنة الى بنغازي بالطريق البري المعتاد في ذلك الوقت مع دورة من بلدة القبة الى مرسي سوسة . وكان دي مارتينو حذرا بدخول برقة من بابها الخلفي لانه كان من المحتمل ان يثير شكوك المسئولين اذا بـدأ رحلته من مدينة بنغازي . واستعان الكاتب الايطالي بمرشد في رحلته وقد تجول في البلاد كمشتر للجلود الخام . ويقول كاتب المقالة انه كان من المستحسن لو ان دي مارتينو تزود بما كتبه الرحالة السابقون الذين أتوا الى البلاد من قبله ولكنه اكتفى بما شاهده بنفسه .

قال دي مارتينو ان السلطات العثمانية كان لها الاشراف الفعلي على المناطق التي بها حامية عثمانية اما بقية البلاد فقد كانت مهددة بالخطر . ويذكر المؤلف انه عندما زار شحات نظر اليه بارتياب ونصـح بضرورة الاختفاء ولكنه في الواقع لم يتعرض لأي خطر لانه كان مصحوبا باثنين من الرفقاء المعروفين لقبائل المنطقة . لقد شاهد الرحالة الايطالـي امكانيات كبيرة في البلاد ولكنها كانت في حالة يرثى لها مـن الاهمال والفوضى . ولهذا كان تقرير المؤلف عما شاهده سيئا ولكنه كان ضد تدخل السياسة الايطالية بطريقة استفزازية بل كان يوصي باتباع سياسة التغلغل السلمي. ولم ينس المؤلف ان يبدي تخوفه بخصوص مستقبل ميناء طبرق التي كان يصر عليها . وربما كان المؤلف في خوفه هذا يشير الى الاطماع الالمانية فيها .

والملاحظ ان القسم المخصص من الكتاب للكلام عن الاجزاء الغربية من ليبيا وتونس كان أقل أهمية مما جاء بخصوص برقة . ويختم المؤلف كلامه قائلا اذا كان في امكان فرنسا ان تفعل ما فعلته في الاراضي القديمة لقرطاجة فلماذا لا يكون لايطاليا ان تفعل ما تريد في اراضي قورينا(شحات) ولكنه يستطرد قائلا على ان يتم كل ذلك بطريقة التغلغل السلمي .

هذا الكتاب يفيدنا في دراسة الاوضاع السائدة في ليبيا في اواخر العهد العثماني الثاني وخاصة في برقة . ويفيدنا ايضا في دراسة المقدمات التي مهدت بها ايطاليا استعدادا لغزو البلاد كما يفيد في دراسة موضوع الرحالة الاوربيين وخاصة الايطاليين الذين جاءوا لدراسة احوال البلاد لأغراض مختلفة كان من بينها التمهيد للغزو الاستعماري . وخلاصة القول ان هذا النقد الذي نشرته «المجلة الجغرافية» يلقي الضوء على جوانب هذا

الكتاب وما فيه من معلومات تاريخية مفيدة لدراسة تاريخ ليبيا .

***

39 — Hallett, Robin; The Penetration of Africa. European Enterprise And Exploration Principally In Northern And Western Africa Up to 1830 . Volume I To 1815. London, Routledge And Kegan Paul, 1965. xxii, 458 PP.

صدر هذا الكتاب «التغلغل في افريقية» في لندن ١٩٦٥ . وهو عبارة عن دراسة للجهد الاوربي في استكشاف افريقية وخاصة في شمالي هذه القارة وغربيها حتى ١٨٣٠ . وهذا هو الجزء الاول من هذا الكتاب . وهو يتناول الفترة التاريخية التي تنتهي في ١٨١٥ . أما فيما بعد ذلك حتى ١٨٣٠ فهو موضوع الجزء الثاني من هذا الكتاب ولهذا المؤلف نفسه .

والمؤلف هو روبين هالليت Robin Hallett الذي كان يشتغل محاضرا في جامعة ايبدان Ibadan بنيجيريا وكان يقوم بالمساهمة في «مجلة تاريخ افريقية» Journal of African History والمجلة الجغرافية Geographical Magazine . وقد قام كذلك بنشر سجل الرابطة الافريقية المعروف باسم : «The Record of The African Association» فيما بين ١٧٨٨ — ١٨٣١ . وهو كذلك الناشر العام لمجموعة « الرحالة والمستكشفون » Travellers and Explorers .

ومن المعلوم انه حتى ١٧٥٠ كان معظم الاجزاء الداخلية للقارة الافريقية غير معروف تماما للاوربيين . وحتى سنة ١٨٣٠ كان جزء كبير من النصف الشمالي لقارة افريقية قد تمت زيارته وتم وصفه من جانب المستكشفين الاوربيين . وهذ الدراسة التي يقدمها المؤلف في الجزء الاول من هذا الكتاب والتي تعتمد على مواد لم يسبق نشرها تقوم بتتبع القصة المثيرة للمحاولات التي بذلت في كشف افريقية .

يحتوي هذا الجزء من الكتاب على ستة ابواب . ينقسم كل منها الى عدة فصول قد بلغ مجموعها ٣٢ فصلا . كل ذلك بخلاف المقدمة وكلمة المؤلف التي عبر فيها عن الاعتراف بالمساعدات التي قدمت اليه وشكر اصحابها . وبالكتاب فهرس بالاسماء وعدد من الصور والخرط الجغرافية الموضحة .

قام المؤلف في مقدمته بذكر الاسباب التي جعلته يختار هذا الموضوع لدراسته والجهود التي بذلها في سبيل تحقيق هذه الدراسة على احسن ما يكون والاماكن التي زارها في سبيل الاطلاع على المصادر الاساسية لبحثه وان كان معظمها اوربيا لندرة المصادر الافريقية نفسها . وختم المؤلف مقدمته باعطاء خلاصة عن خطته في الكتاب والمنهج الذي اتبعه في سبيل تحقيق غايته وبيَّن لنا لماذا وقف عند ١٨١٥ م. والمعروف ان مؤتمر فيينا قد عُقد في تلك السنة . وفي ذلك المؤتمر تمت تصفية مخلفات الحروب التي قام بها نابليون بونابرت . وبدأ عهد جديد للاستكشاف اذ تبنت حكومة بريطانيا سياسة تشجيع التغلغل في داخل افريقية الغربية. ورأى المؤلف ان يخصص الجزء الثاني من كتابه الذي يبدأ من ١٨١٥ وينتهي في ١٨٣٠ للبعثات البريطانية السبعة التي ذهبت الى افريقية في تلك الفترة بالاضافة الى تقارير الرحالة الفرنسيين . وبهذه الطريقة وضح المؤلف اسباب اختياره لهذا التاريخ .

اما كلمته بخصوص الاعتراف بشكر الهيئات والاشخاص الذين ساعدوه فقد جاءت شاملة وكشفت لنا الاهتمام الكبير الذي تمتع به المؤلف من جانب الهيئات العلمية والعلماء في سبيل انجاح دراسته والهدف العلمي الذي سعى اليه بتوفيق فجاءت نتيجته في هذا الكتاب الذي نستعرضه.

ومن الباب الاول يهمنا الفصل الثاني الذي يتحدث فيه المؤلف عن دول شمالي وغربي افريقية في القرن الثامن عشر الميلادي . ويقصد المؤلف بدول الشمال الافريقي مراكش والجزائر وتونس وليبيا ومصر . وقد استعرض أوضاع كل منها في القرن الثامن عشر مشيرا الى حركة الجهاد البحري المعروفة باسم القرصنة عند الكتّاب الغربيين . ولكنه كان منصفا حينما اثبت في هامش صفحة (١٧) الحقيقة التاريخية التالية وهي ان الدول الاوربية البحرية كانت تمارس القرصنة وربما كان الانجليز اكثر نجاحا من قراصنة الجزائر وان عملية استخدام الاسرى في تسيير المراكب كعبيد كانت تزاول بوحشية اكثر من جانب الفرنسيين او على الأقل اسوة بما كان يعمله الجزائريون .

وفي هذا الفصل يتحدث المؤلف عن دول هذه المنطقة وعلاقاتها بالقبائل البدوية التي تعيش فيها او على حدودها . ويفيد هذا الفصل في دراسة تجارة القوافل اذ انه يستعرض أهم الطرق التي تربط موانىء دول الشمال الافريقي بالسودان عبر الصحراء الكبرى وأهم المراكز والواحات الرئيسية التي كانت تمر بها هذه الطرق . ولا ينسى المؤلف ان يشير الى

ان الطريق الذي كان يربط واحة الكفرة باقليـــم واداي Wadai لم يستخدم الا في بداية القرن التاسع عشر . ولقد أحسن المؤلف بتوضيح هذه الطرق على خريطة جغرافية لدول الشمال الافريقي .

وفي حديثه عن تجارة القوافل يتناول الكلام عن أهمية واحات الصحراء الكبرى ودورها الهام في هذه التجارة وأثر هذه التجارة في تطويرها . ومن بين هذه الواحات غدامس وغات ومرزق ، وكلها في جنوبي ليبيا . ولا ينسى المؤلف ان يتناول ايضا البضائع التي كانت تعتمد عليها تجارة القوافل والبلاد التي كانت تأتي منها او التي تصدر اليها . ويذكر المؤلف ان تجارة العبيد كانت أثمن ما يصدر من بلاد السودان مع ان ما كان يصدر من عبيد عبر الصحراء الكبرى كان قليلا بالنسبة لما كانت تقوم بتصديره السفن عبر المحيط الاطلسي الى الامريكتين للقيام بالاعمال الزراعية هناك (ص ٢٦) . وهذه الحقيقة التاريخية الهامة توضح لنا ان اهل الشمال الافريقي لم يكونوا وحدهم تجارا للرقيق وأن نشاطهم في هذه التجارة لم يكن شيئا مذكورا بالنسبة لما كانت تحمله السفن الاوربية والامريكية من أعداد كبيرة من العبيد من المحطات الساحلية الافريقية الغربية والتـــي أقامتها الدول الغربية كمراكز للتبادل التجاري مع اهالي افريقية . ومن هذه المحطات الساحلية استطاعت البعثات الاوربية التوغل في داخــل افريقية .

وكما أعطانا المؤلف كلمة عامة عن دول الشمال الافريقي التي كانت تنتهي اليها طرق القوافل اعطانا كلمة عامة عن الدول التي قامت في بلاد السودان والتي كانت تسيطر على هذه المنطقة التي تتعامل معها القوافل التجارية .

وفي الفصل الاخير من الباب الاول وهو الفصل الثالث يتناول المؤلف موضوع «الافكار الافريقية حول اوربا» اي وجهات النظر الافريقية حول القارة الاوربية . واذا كان معظم المؤلفين قد تناولوا موضوع وجهات نظر الاوربيين حول القارة الافريقية قبل اكتشافها او اثناء عملية الاكتشاف فان هذا الكاتب كان فيما أعلم اول من تناول هذا الموضوع مـــن الجانب الافريقي ووجهة نظر الافريقيين عن أوربا وأهلها قبل وصول الاوربيين اليهم او عند اتصالهم بهم . ويذكر المؤلف ان منطقة غربي افريقية لم ير اهلها الانسان الابيض فيما قبل منتصف القرن الخامس عشر (ص ٢٧) في حين ان سكان الشمال الافريقي قد عرفوا الاوربيين واتصلوا بهم منذ

أقدم العصور . وقد بدأ اتصال سكان غربي افريقية بالاوربيين عن طريق التجارة وتبادل السلع اما بخصوص سكان الشمال الافريقي فقد كـــان التعارف عن طريق الغزو والفتح . ويرى الكاتب اننا اذا استثنينا موضوع تجارة العبيد في غربي افريقية فان العلاقات بين الاوربيين وأهالي غربي افريقية كانت اقل تصدعا مما كانت عليه الحال مع اهالي الشمال الافريقي.

وبعد ذلك يأخذ المؤلف في تناول وجهة نظر اهالي بلاد الشمال الافريقي نحو الاوربيين وكيف كانت الحروب الصليبية عاملا هاما في تشكيل وجهة نظر اهالي بلاد الشمال الافريقي نحو الاوربيين . ويقول المؤلف ان اهالي الصحراء الكبرى والسودان الاوسط والسودان الشرقي كانت تصلهـــم المعلومات عن الاوربيين متسربة من شمالي افريقية ، وكان يحملها اليهم التجار والمتجولون من الاشراف . وكان بعض سكان المدن السودانية على صلة شخصية بالشمال الافريقي عنطريق البعثات الدبلوماسيةاو التجارية او الحج كما حدث في حالة امير بورنيو Bornu الذي مر بمدينة طرابلس في سنة ١٧٨٩ في الطريق الى بلاده وهو عائد من تونس وكان مصحوبا بثلاثة من زوجاته . وقد كانت احداهن قد تعلمت اللغة الايطالية . واثناء مروره بمدينة طرابلس كان ضيفا في عدد من الحفلات التي اقامها القناصل الاوربيون . وكانت اخت زوجة القنصل البريطاني في مدينة طرابلس من بين الاوربيين الذين قابلهم امير بورنيو . وقد سجلت لنا اخت القنصل البريطاني رأيها في هذا الامير على انه كان على معرفة تامة ودراية بالحالة في أوربا (ص ٣٤) . ومع ان هذه المحاولة التي قام بها المؤلف تكشف عن مدى معرفة الافريقيين للقارة الاوربية وأهلها وتعتبر الاولى من نوعها فيما أعلم الا انها تعتبر محاولة غير كاملة وتصلح ان تكون بداية لدراسة أوسع وأكثر فائدة خصوصا اذا نجحنا في جمع التراث الافريقي المبعثر في هذا الخصوص .

اما الباب الثاني فهو مخصص للبحث في معرفة أوربا لافريقية في القرن الثامن عشر . وقد تناول في الفصل الاول من هـــذا الباب الفكرة العامة التي كانت تسود أوربا بخصوص القارة الافريقية وهي فكرة غامضة غير واضحة خصوصا فيما يتعلق بالمناطق الداخلية التي لم تكن قد عرفت بعد بالنسبة للاوربيين وان كانت بعض المعلومات المهوشة قد وصلت اليهم.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب يستعرض المؤلف المعلومات التـــي سجلها قدماء الكتاب عن الصحراء والسودان وفي مقدمة هؤلاء الكتّاب هيرودوت Herdotus ابو التاريخ والذي زار كلا مـــن مصر وليبيا

في منتصف القرن الخامس فيما قبل الميلاد (ص ٤٤) . ويذكر ما كتبه بعض مؤرخي الرومان الذين تركوا كتاباتهم عن الصحراء . ويذكر الحملة الرومانية التي قادها كورنوليـــوس بالبوس Cornelius Balbus الذي توغل جنوبا في داخل الصحراء والمدن التي وردت في قائمة الاستيلاد ومقارنتهـــا بالاسماء الحالية . ويذكر حملة جوليوس ماتيرنـــوس Julius Maternus الذي خرج من مدينة لبدة ومدينة جرمة مع ملك الجرمنت الى الجنوب في حملة ضد الاثيوبيين . وقد ناقش المؤلف هذه الحملة والمعلومات التي وصلتنا بخصوصها ومدى مطابقتها لما هو موجود حاليا . وبعد ذلك يلخص المؤلف ما كتبه جوبا Juba احد ملوك البربر بخصوص افريقية ومدى مطابقته للحقيقة . ولما جاء بطلميوس Ptolemy الجغرافي ترك معلومات قيمة عن الصحراء وقد تحقق العلماء الفرنسيون من صحة الكثير منها .

ويتابع المؤلف استعراض المصادر التي عرف الاوربيون عن طريقها القارة الافريقية وأهلها . ويذكر المصادر العربية التي تناولت القارة الافريقية ، وفي مقدمة المؤرخين والجغرافيين العرب يذكر المؤلف الادريسي الجغرافي الكبير والبكري الذي عاش في اسبانيا في القرن الحادي عشر وابن خلدون المؤرخ التونسي في القرن الرابع عشر والذي يُعتبر مع القديس اوغسطين St Augustine من اعظم كتّاب افريقية والرحالة ابن بطوطة . وقد نقلت معلومات هؤلاء الكتّاب الى أوربا عن طريق الترجمة من العربية وخاصة الى اللغة الفرنسية في القرن التاسع عشر . ويعتبر ما كتبه كل من الادريسي وليون الافريقي عن الصحراء الكبرى والسودان من أوفى ما قدمه المؤرخون والجغرافيون القدماء عن هذه المناطق . ولهذا قام المؤلف باعطاء بعض الاهتمام الى هذا النوع من الكتابة .

واذا تركنا الفصول الثالث والرابع والخامس من هذا الباب واتينا الى الفصل السادس نجد المؤلف يتحدث عن المكتشفين الذين كان لهم نشاط هام في ميدان الكشف الجغرافي في الصحراء الكبرى وفي السودان من بداية القرن الثالث عشر حتى القرن الثامن عشر دون ان يكون لهـــؤلاء المكتشفين ذكر معروف . وقد كان هؤلاء المكتشفون من الاوربيين . ويبدأ المؤلف هذا الفصل بذكر الحقائق التاريخية الآتية :

ان البحر الابيض في بداية العصر المسيحي كان بحيرة رومانية وبمجيء المسلمين الى الشمال الافريقي تغير وضع البحر الابيض المتوسط ولم يعد بحيرة رومانية ومع ذلك استمرت العلاقات قائمة بين الشعوب البحرية

لجنوبي أوربا وشعوب شمالي افريقية رغم الاختلاف في العقيدة الدينية واستمرار التوتر بسبب نشاط الصراع البحري بين الجانبين ومع ذلك كانت هناك علاقات صداقة بين أوربا وافريقية تمثلت فيما يأتي :

١ ـ انخراط الكثير من الجنود المرتزقة المسيحيين في الجيوش الاسلامية .

٢ ـ ان السفن المسيحية كانت تتردد على كل موانى افريقية من ميناء مدينة طرابلس شرقا الى ميناء اجادير في المغرب على المحيط الاطلسي غربا .

٣ ـ وأغرب من كل هذا كانت البعثات المسيحية التبشيرية تعمل بحرية في المدن الاسلامية . ففي ١٢١٩ تأسست بعثة للفرنسيسكان في مراكش . وفي ١٢٣٧ قام احد سلاطين دولة الموحدين في سجلماسة بتجنيد فرقة من الجنود المسيحيين . وفي ١٢٨٣ م قامت جماعة من الاوربيين عددها ١٢ شخصا برئاسة احد الكرادلة لتقديم تقرير عن بلاد العالم . وقد سافرت صحبة احدى قوافل تجارة الملح عبر الصحراء الى بلاد غير معروفة تماما ولكنها ربما كانت بلاد غانا القديمة .

٤ ـ وفي القرن الخامس عشر الميلادي بدأ التجار الايطاليون يتوغلون في داخل بلاد المغرب . وفي ١٣٢٠ م استطاع سفير البندقية في تونس ان يحصل على اذن لمواطنيه بحرية السفر حيث يشاءون . ولكن الايطاليين لم يستطيعوا منافسة الجماعات اليهودية في ميدان التجارة لان اليهود سبق لهم الاقامة في الشمال الافريقي لمدة قرون كثيرة . وقد استطاع بعض اليهود الاقامة كتجار في الواحات الشمالية بالصحراء الكبرى . ويعتقد بعض العلماء انه قد تم العثور على الاثر اليهودي في اقطار السودان . وقد وصلت بعض المعلومات عن الاجزاء الداخلية الافريقية الى أوربا في العصور الوسطى عن طريق اليهود .

٥ ـ يذكر المؤلف ان اول ايطالي معروف بمحاولته للقيام برحلة الى داخل القارة الافريقية كان احد اغنياء التجار من اهالي مدينة جنوا واسمه انطوان مالفانتي Antoine Malfante . وقد وصل هذا الايطالي الى واحة توات Tuat في شمالي وسط الصحراء الكبرى وما زال هناك خطاب محفوظ كان قد ارسله الى احد الاصدقاء بجنوا . ولم يسبق ان وصل اي مسيحي الى هذه الواحة . ويسجل هذا الخطاب انطباعات التاجر الايطالي وما شاهده هناك (ص ٩٩) وان كانت رحلته التجارية التي قادته الى هناك لم تكن مريحة .

ويبدو ان بعض التجار الايطاليين في فلورنسا قد نجحوا في الوصول

الى بعض اسواق السودان وما زال هناك تقرير من احد هؤلاء التجار واسمه بنديتو ديي Benedetto Dei محفوظا . وكان هذا التاجر احد اعضاء البيوت المصرفية لبورسيناري Porsinari وقد سبق له السفر في بلاد الشرق . ويذكر هذا الايطالي في خطابه المشار اليه انه كتبه في تمبكتو في ١٤٧٠ م .

وبسبب ازدياد اعمال الحروب البحرية في القرن السابع عشر شاهدت بلاد الشمال الافريقي اكبر عدد من الاسرى المسيحيين الذين عاد بعضهم الى بلادهم وهم يحملون بعض المعلومات عن بلاد السودان .

وفي سنة ١٦٣٦ جاء سفراء من بورنيو Bornu الى مدينة طرابلس الغرب لتجديد بعض المعاهدات وقد احضروا معهم الهدايا الفخمة . وبادلهم الباشا هداياهم بارسال ١٥ شابا من الاسرى المسيحيين مزودين بالسلاح. وكانت لهؤلاء الشبان شهرة عالية بعد وصولهم الى بورنيو حتى انه بعد مضي عشرين سنة أرسل احد سلاطين بورنيو الى الباشا في طرابلس يطلب هدية أخرى مماثلة . وقد سجل هذه القصة احد الاطباء الجراحين الفرنسيين الذي أمضى بعض السنوات المريحة كأسير في مدينة طرابلس. وقد قام هذا الطبيب الفرنسي باستطلاع بعض المعلومات عن بورنيو ولكنه لم ينشرها ، وقد بقيت مذكراته منسية في الارشيف الفرنسي حتى القرن الحالي (ص ١٠١) .

ويقول المؤلف ان مدينة طرابلس كانت تُعتبر أحسن مكان في الشمال الافريقي لالتقاط المعلومات عن المناطق الداخلية في افريقية . ولقد استطاع قناصل انجلترا وفرنسا في عدة مناسبات في القرنين السابع عشر والثامن عشر ان يرسلوا تقارير مفصلة عن تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى . وكان احد القناصل الفرنسيين المسمى داندريه d'André قد انهى تقريرا له مكتوبا في ١٧٧٩ م بنداء مثير لتشجيع التجار الفرنسيين على محاولة الوصول الى بلاد السودان عن طريق طرابلس .

ويذكر المؤلف ان اثنين من ابناء ملك بورنيو قد وصلا الى القاهرة في ١٧٠٧ م وأفادا بوجود مملكة قوية مناوئة لمملكتهما وان أهلها مسيحيون يضعون الصليب على كنائسهم وبيوتهم . وقد اثارت هذه القصة افراد البعثة الكاثوليكية التي كان لها من يمثلها في مدينة طرابلس الغرب لارسال بعثة الى بورنيو . وتم فعلا اختيار اثنين من الآباء المسيحيين الايطاليين وهما الأب كارلو ماريا Carlo Maria والأب سفرينو دي سالزيا Severino di Salesia . وقد قام هذان المبعوثان بالسفر

من مدينة طرابلس الى فزان حيث وجدا ان الطريق المباشر الى بورنيو مسدودا نتيجة لنشاط بعض قطّاع الطرق . ولكنهما واصلا السفر عن طريق آخر للقوافل أوصلهما الى بلدة اجاديز Agades . وهناك لم يسمح لهما بالقيام بالتبشير وان كانا قد اخبرا بامكانية القيام بهذا النشاط الديني في مملكة كاسينا Cassina ببلاد السودان . ولكن آمالهما خابت بعد وصولهما هناك ولم يعيشا طويلا اذ مات كل منهما بسبب ما حل بهما من أمراض المنطقة . وقد وصلت اخبار مصيرهما الى مدينة طرابلس بواسطة احد التجار المسلمين الذي صحبهما في جزء من رحلتهما.

هكذا استطاع بعض الاوربيين رؤية بلاد غربي السودان ووسطه في زمن سابق للرحالة الاوربيين المعروفين الذين مارسوا نشاطهم الكشفي في القرن التاسع عشر فيما بعد وان كان المؤرخون لا يعرفون الا القليل عن هؤلاء المغامرين الذين كانوا بمثابة الطليعة الاولى للنشاط الاوربي في ميدان الكشوف الجغرافية في بلاد السودان .

وفي الفصل السابع من هذا الباب يتحدث المؤلف عن بقية اجزاء افريقية ويبدأ بالكلام عن بلاد الشمال الافريقي . ويرجح المؤلف اسباب اقامة الاوربيين في الشمال الافريقي الى التجارة مع سكان هذه المنطقة والقيام بالنشاط الدبلوماسي من جانب ممثلي بعض الدول الاوربية ومزاولة نشاط اطلاق سراح الاسرى المسيحيين واعادتهم الى بلادهم بتقديم الفدية اللازمة . ويعتبر المؤلف الاسرى الاوربيين كانوا من أهم المصادر التي استقى منها الاوربيون المعلومات الاولى عن بلاد الشمال الافريقي وأحوالها بعد ان تم افتدائهم وتحريرهم . وقد كانت مدينة طرابلس من أهم مراكز الاسرى الاوربيين في القرن الثامن عشر . هذا وقد كان كتاب المؤرخ الحسن بن الوزان عن افريقية من أهم المصادر التي اعتمد عليها الاوربيون في الحصول على معلومات عن بلاد الشمال الافريقي ومن بينها ليبيا . ويذكر المؤلف بعض الكتب الاخرى الهامة التي تركها بعض الرحالة او من سمحت لهم الظروف بالعمل في الشمال الافريقي . وبعد ان يتحدث المؤلف عن بلاد الشمال الافريقي بصفة عامة ينتقل الى الحديث عن بقية اجزاء القارة الافريقية ويبين كيف بدأ الاوربيون يتعرفون على هذه الاقطار الاخرى .

وفي الفصل الثامن من هذا الباب يحاول المؤلف ذكر الاسباب التي جعلت الاوربيين يجهلون الكثير من الحقائق العلمية عن القارة الافريقية في القرن الثامن عشر مع انها كانت أقرب القارات جميعا الى القارة الاوربية.

وفي الفصل الثالث من الباب الثالث نجد المؤلف يتكلم عن الأثر الذي تركه كبار الرجال في اكتشاف القارة الافريقية ويذكر لنا الرحالة الاسكتلندي جيمس بروس James Bruce من بين هؤلاء الرحالة الذين نجحوا في التعريف بهذه القارة . ويتناول المؤلف حياة هذا الرحالة ويشير الى رحلته الى ليبيا (٥١) . ولهذا نرى من المفيد جدا الرجوع الى هذا الفصل عند دراسة موضوع الرحالة الاوربيين الذين كان لهم نشاط في ليبيا في القرن الثامن عشر خصوصا وأن جيمس بروس كان اول رحالة أوربي يشير الى وجود واحة الكفرة قبل ان يتمكن اي رحالة أوربي من زيارتها . وكان اول من زارها الرحالة الالماني رولفس في ١٨٧٩ (ص١٦٤).

واذا اردنا دراسة موضوع تجارة العبيد وقد كان لها دور كبير في التاريخ الاقتصادي للبلاد قبل اتفاق الجميع على منعها فعلينا الرجوع الى الفصل الرابع من الباب الثالث اذ يتحدث المؤلف عن حركة مقاومة الرق في القارة الافريقية . وقد بدأت هذه الحركة في انجلترا في الثمانينات من القرن الثامن عشر .

ويعتبر الباب الرابع في هذا الكتاب من أهم الابواب التي تناولها المؤلف في كتابه . وقد خصص هذا الباب للحديث عن عصر الرابطة الافريقية فيما بين ١٧٨٨ حتى ١٨٠٢ . واذا عرفنا ان حركة الكشوف الجغرافية التي بدأتها هذه الرابطة في أواخر القرن الثامن عشر قد جعلت ليبيا ترى الكثير من الرحالة الذين اتخذوا منها مدخلا لاواسط افريقية ادركنا قيمة هذا الباب وأهميته اذا اردنا دراسة نشاط الرحالة الاوربيين الذين جاءوا الى ليبيا في تلك الفترة . وفي فصول هذا الباب الكثير من المعلومات التي تتعلق بهذا الموضوع . وفي الفصل الاول من هذا الباب يتحدث المؤلف عن السنوات الاولى لهذه الرابطة فيما بين ١٧٨٨ و١٧٩٠ وكيف تم تأسيس هذه الرابطة والرحالة الاوائل الذين ساهموا بنشاطهم في معرفة الكثير من المعلومات عن داخل القارة الافريقية. ومن بين هؤلاء الرحالة سيمون لوكاس Simon Lucas الذي جاء الى مدينة طرابلس عندما كان ريتشارد تولـــي Richard Tully قنصلا عاما لبريطانيا فيها . وقد نزل الرحالة لوكاس في ضيافته وحاول ان يقوم برحلته الى سلطنة بورنيــو Bornu . ولكنه استطاع الوصول الى مدينة مسراتــه فقط ولم يستطع

---

٥١ ـ راجع البحث رقم ٦١ .

اكمال رحلته بسبب المنازعات القبلية التي كانت تسود المنطقة المؤدية الى فزان . واكتفى لوكاس بجمع اكبر مجموعة من المعلومات عن فزان وعن مملكة بورنيو من بعض التجار الذين قابلهم في مسراته والذين كانت لهم خبرة ومعرفة بالمناطق الجنوبية . واكتفى لوكاس بهذه المعلومات وعاد الى بلاده وقد اشتد الحر ولم يستطع تنفيذ مشروع رحلته . ولكن لوكاس Lucas عاد مرة أخرى الى مدينة طرابلس في ١٧٩٣ كقنصل عام لبريطانيا فيها ليحل محل ريتشارد توللي . وقد بقي لوكاس في منصبه هذا حتى وفاته يوم ٤ مايو ١٨٠١ حيث دفن فيها .

كان سيمون لوكاس من مواليد مدينة لندن لأحد تجار الخمور ، وقد أرسله ابوه وهو شاب الى قادس ليتعلم التجارة . ولكنه وقع في اسر قراصنة مراكش وأمضى ثلاث سنوات كعبد في بلاط امبراطور مراكش واستطاع ان يستفيد من هذه المحنة التي مر بها بطريقة هيأته لان يكون نائبا لقنصل بريطانيا في بلاط مراكش . وقد استمر لوكاس في هـــذه الوظيفة ١٦ سنة . وبعد ذلك عاد الى بلاده ليقوم بأعمال الترجمة في بلاط سان جيمس Court of St. James . وقد اتاحت له هذه الفرصة ان يكون على اتصال بالحاج عبد الرحمن Haj Abd-er Rahman وزيـــر خارجية علي باشا القرهمانلي وقد جاء هذا الوزير الى لندن في مهمـــة رسمية ١٧٨٦ . وأقام الحاج عبد الرحمن ١٥ شهرا في العاصمـــة البريطانية . وكان اتصال لوكاس بالحاج عبد الرحمن في هذه المناسبة مفيدا نظرا لأهمية مدينة طرابلس لوقوعها عند نهاية الطرق التجارية التي تعبر الصحراء الكبرى ولعلاقاتها المستمرة مع امبراطورية بورنيو Bornu

وفي الفصل الثاني من هذا الباب يستعرض المؤلف المحاولات التـــي بُذلت في سبيل الوصول الى بلاد السودان من الجهات الغربيـــة للقارة الافريقية وذلك فيما بين سنتي ١٧٩٠ و١٧٩٩ . وبعد ذلك يعود المؤلف ليتناول من جديد المحاولات التي بُذلت في سبيل الوصول الى بلاد السودان من الشمال الافريقي فيما بين ١٨٩٧ و١٨٠٢ . ويبدأ المؤلف بالرحالـــة الالماني فردريك هورنمان Frederick Hornemann الذي عهدت اليه الرابطة الافريقية في لندن بالقيام بمشروعها الاستكشافي . ويعطي المؤلف عن هذا الرحالة معلومات طريفة وعن الطرق التي تخلص بها من المصاعب التي صادفته والدور الذي لعبه محمد الدغيس في مساعدته . وقد ذهب الرحالة الالماني الى القاهرة عن طريق فرنسا رغم قيام الحرب بين بريطانيا وفرنسا . وهناك في القاهرة صادف الكثير من المصاعب . وقد تغلب

عليها . وكان من أهمها انتشار وباء الطاعون ثم وصول الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت . ومن القاهرة اتجه هورنمان بصحبة احدى القوافل قاصدا مرزق بفزان . وما كتبه المؤلف بخصوص هذا الرحالة يفيد كثيرا في دراسة رحلته والمعلومات التي تحصل عليها والنهاية الغامضة التي انتهى اليها .

ويختم المؤلف هذا الباب بفصل عن مشروعات الكشوف التي قامت بها الهيئات الاخرى الى جانب ما قامت به الرابطة الافريقية وبفصل آخر عن الانجازات التي حققتها الرابطة الافريقية .

أما الباب الخامس في هذا الكتاب فيتحدث المؤلف فيه عن جذور الحركة التوسعية الاوربية في افريقية . وقد خصص المؤلف لهذا الباب خمسة فصول يهمنا منها بصفة خاصة الفصل الثالث الذي يتحدث فيه المؤلف عن اطماع اسبانيا في مراكش . وقد اعطانا المؤلف في هذا الفصل معلومات كثيرة مفصلة عن الرحالة الاوربي المعروف باسم «علي بك العباسي» والذي كانت له زيارة لمدينة طرابلس في الطريق الى الشرق . هذه المعلومات التي أوردها المؤلف في هذا الفصل عن «علي بك العباسي» تفيد في الترجمة لحياة هذا الرحالة وكشف الغموض الذي كان حوله وحول نشاطه في الشمال الافريقي .

ويعود المؤلف مرة ثانية للكلام عن الرابطة الافريقية ونشاطها الكشفي في افريقية . ويخصص المؤلف لها الباب السادس الذي جاء بعنوان «عصر الرابطة الافريقية فيما بين ١٨٠٢ و١٨١٥» . وبذلك يكون المؤلف قد غطى كل الفترة التي كانت موضوعا للكتاب .

وبعد ذلك نجد المؤلف قد خصص الكثير من صفحات الكتاب (٣٩٩ — ٤٤١) للحديث عن مصادر الكتاب ومراجعه والهوامش التي لم تسجل في هوامش الصفحات نفسها . ولقد كانت قائمة المصادر والمراجع غنية باعدادها وأنواعها وموادها . وجاءت دليلا على المجهود العلمي الذي بذله المؤلف في اخراج كتابه . وبآخر الكتاب فهرس للاسماء التي وردت به . وبقي ان نقول ان الكتاب غني بمادته . منظم في معلوماته . سهل في لغته . مفيد لأولئك الذين يهتمون بالدراسات الافريقية ومن يريد دراسة الكثير من الموضوعات التاريخية التي لها علاقة بتاريخ البلاد كحلقة وصل بين بلاد السودان وأصحاب السيادة في البحر الابيض المتوسط طيلة عصوره المختلفة .

40 — Hugs, J. Quentin; The Building of Malta; 1530 - 1795. London: Alec Tiranti Ltd., 1956. xiii, 241 PP.

اذا كان تاريخ جزيرة مالطة يرتبط الى حد كبير بالاحداث التي شاهدها البحر الابيض المتوسط فانه اكثر ما يكون ارتباطا بتاريخ ليبيا بحكم الموقع الجغرافي وقربها من الساحل الليبي . فهي بمثابة المدخل البحري للساحل الليبي الغربي . ولهذا نجد كثيراً من الاحداث التاريخية التي وقعت في جزيرة مالطة تفسر لنا بعض ما شاهدته ليبيا والعكس صحيح . ولهذا ايضا علينا ان نستعين بدراسة تاريخ هذ الجزيرة لفهم الكثير من الاحداث الليبية . ومن بين هذ الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا الخصوص كتاب «بناء مالطة» لمؤلفه ج. كوينتين هيوغس Quentin Hughs فيما يخص الفترة الواقعة فيما بين ١٥٣٠ — ١٧٩٥ . وقد صدر هذا الكتاب في لندن في ١٩٥٦ .

واذا كان الكتاب في اساسه يستعرض بناء جزيرة مالطة وتكوينها المعماري الهندسي ومظاهر هذا المعمار من كنائس وحصون وأسوار الا ان المؤلف كان ملزما بتناول مباني الجزيرة بالطابع الذي عرفت به في الفترة الواقعة فيما بين ١٥٣٠ و١٧٩٥ والذي ما زالت آثاره باقية الى يومنا هذا. والمؤلف باختياره لهذه الفترة بالذات يؤرخ لفترة فرسان القديس يوحنا الذين كان اول مجيئهم الى جزيرة مالطة في ١٥٣٠ بعد ان طردهم العثمانيون في ١٥٢٣ في عهد السلطان سليمان القانوني من جزيرة رودس وبعد أن تنازل لهم ملك اسبانيا عن جزيرة مالطة كمقر لهم حتى يستعين بهم في نضاله ضد العثمانيين مستغلا ما كانت عليه العلاقة بين العثمانيين وفرسان مالطة من عداوة مستحكمة . أما سنة ١٧٩٥ التي اختارها المؤلف نهاية للفترة التي يؤرخ فيها للجزيرة فهي السنة التي تم بعدها وفي ١٧٩٨ على وجه التحديد اخراجهم من الجزيرة على يد نابليون بونابرت وهو في طريقه الى مصر على رأس الحملة الفرنسية .

وبالكتاب اربعة فصول يهمنا منها بوجه خاص الفصل الاول الذي يتحدث فيه المؤلف عن الهندسة الحربية وتخطيط المدينة ، وهو في ذلك يستعرض الاعمال الحربية في البحر الابيض المتوسط ضد الاتراك ومزايا جزيرة مالطة في هذا الخصوص . كان العثمانيون قد نجحوا في الاستيلاء على جزيرة رودس سنة ١٥٢٣ م واضطر فرسان مالطة الى الاستقرار في جزيرة مالطة ولهذا نراه يستعرض محاسن ومساوىء جزيرة

مالطة وجزيرة جوزو Gozo الملاصقة لها . ويتناول المؤلف في هـذا الفصل الحصار الكبير الذي تعرضت له جزيرة مالطة في ١٥٦٥ عندما صمم العثمانيون ان يستولوا على جزيرة مالطة . وقد اشترك درغوت باشا بقوة بحرية في هذا الحصار ، ولكنه استشهد وعاد به اصحابـه ليدفن بجامعه في مدينة طرابلس . وهكذا يمكن الاستفادة من بقية الاجزاء التاريخية التي تناولها المؤلف في الفصل الاول من كتابه هذا .

وبآخر الكتاب قائمة برؤساء هيئة فرسان مالطة يمكن الاستفادة منها في تحديد الاحداث التاريخية الهامة التي وقعت في عهد كل منهم بالنسبة للعلاقات التاريخية بين ليبيا ومالطة . والكتاب غني بالرسوم والخرط الجغرافية وان كان معظم هذه الرسوم يمثل الفن المعماري لان الكتاب في اساسه يؤرخ للبناء المعماري في الجزيرة . هذا والكتـاب مزود بقائمة للمراجع التي تفيد من يريد التوسع في دراسة تاريخ هذه الجزيرة وعلاقاتها مع جيرانها كما ان الكتاب مزود بفهرس للاسماء .

***

41 — Jamy Bey, Ghat And Its Surroundings, The Geographical Journal, August, 1909. PP. 171 - 73.

نشرت «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر في اغسطس ١٩٠٩ مقالا عن واحة غات وما يحيط بها بقلم جامي بك حاكم هذه الواحـة في ذلك الوقت . وكان جامي بك قد رافق الرحالة هانز فيشر Hans Vischer في رحلته التي قام بها من مدينة طرابلس ١٩٠٦ الى شمالي نيجيريا مارا بواحة غات (٥٢) . وقد قام المستر هانز فيشر بارسال هذا المقال الذي نحن بصدده الى المجلة الجغرافية .

يبدأ جامي بك مقاله باعطاء وصف جغرافي لواحة غات وموقعهـا بالنسبة للاودية القريبة منها . يقول الكاتب ان واحة غات لم تعد ذلك المركز التجاري الذي كان معروفا في العصر الروماني . ويذكر الكاتب ان غات في العصر الروماني كانت تقع الى الجنوب قليلا من مكانها الحالي

---

٥٢ ـ راجع البحث رقم ٩٠ والبحث رقم ٩١ في الجزء الاول من هذا الكتاب .

وعلى بعد حوالي سبعة أميال بالقرب من قرية البركت El Berket ولا توجد آثار للمباني الرومانية ولكن هناك بعض بقايا اعمال السري وبعض بقايا الاواني التي وجدها العمال والتي تعين المكان المحتمل لهذه البلدة المشهورة. اما بخصوص غات الحديثة بضاحيتيها تدرنيت Tedrenit وتونين Tunein فان الكاتب يقول بأنها تقع الى الجنوب من تلال كوكمين Kokmen التي تتكون من ثلاثة قمم على ارتفاع ١٦٠ قدما فوق منسوب السهل . ويقول الكاتب ان السكان اضطروا في العصور الاولى الى الالتجاء الى القمة الجنوبية أمام هجمات قبائل الطوارق . ولكن عندما زاد عدد السكان اضطر الاهالي الى بناء قلعة ثانية فوق صخرة صغيرة تقع الى الاسفل من الاولى . والقلعة الكبيرة المبنية من الاحجار اصبحت مركزا لبلدة غات . ولقد ادت الزيادة في السكان الى ضرورة بناء منازل جديدة وحصون أخرى . وفي هذا المكان الجديد يقع الجامع الرئيسي الشيء الذي يجعل الانسان يعتقد ان القلعة الوسطى قد بنيت قبل عصر السيادة العربية . وهكذا يستمر الكاتب في اعطاء وصف جغرافي لبلدة غات ويذكر ان لها اربع بوابات رئيسية تحمي كل بوابة منها قلاع صغيرة . وعندما كانت تأتي القوافل من السودان او مدينة طرابلس تبقى خارج البوابة الكبيرة المعروفة باسم باب تفاجويت Tfaguet . وكان يقوم خارج هذه البوابة الكبيرة سوق للمواشي تقريبا كل يوم .

وعندما يدخل الانسان هذه الواحة يجد سوقا حيث تباع البضائع الآتية من السودان بالمزاد العلني او ما يعرف في أسواق ليبيا بالدلالة . وهناك يرى الانسان التجار من غدامس ومدينة طرابلس بجوار الطوارق والغاتيين لشراء البضائع او بيعها . وبالقرب من هذا السوق هناك سوق آخر للسيدات حيث يقمن ببيع الخضروات والبيض وغير ذلك من الاشياء. ويتحدث جامي بك عن نظام بناء البيوت في غات وتمشيه مع النظام العام المتبع في المدن المغربية . ويعطي الكاتب فكرة عن مياه غات ومصادرها وكيفية استخراجها من الآبار وما يزرع فيها من اشجار وفواكه وخضروات وحبوب . ويعطي الكاتب فكرة عن سكان غات وأصولهم وعاداتهم وتقاليدهم واستعمال اللثام عند الرجال بعكس النساء اللاتي يخرجن سافرات . ويعطي جامي بك وصفا للمناسبات التي يحتفل بها أهالي غات واغانيهم ورقصاتهم . ويذكر ان اهالي غات يشربون الشاي الاخضر المحلى بالسكر بعد كل وجبة اساسية . ويعتبر الشاي عندهم من الاشياء الثمينة جدا حتى ان مفتاح صندوق الشاي يحتفظ به رئيس العائلة ويعلقه حول عنقه.

ويقرن الكاتب مقاله بخريطة جغرافية لغات (ص ١٧٢) . خلاصة القول ان هذا المقال مفيد في دراسة تاريخ غات وأهميتها الاقتصادية خصوصا في بداية القرن العشرين . ولا يمكن دراسة تجارة القوافل في الصحراء الكبرى دون الاشارة الى اهمية واحة غات في هذا الخصوص والـــدور الذي كانت تقوم به في هذه التجارة (٥٣) .

وقد اصبح الكاتب فيما بعد عضوا بمجلس «المبعوثان» العثماني . هذا وقد افادني المرحوم علي اسعد الجربي في حديثه معي بخصوص جامي بك (الاربعاء ٨ مارس سنة ١٩٦١) انه قد ترك كتابا باللغة التركية باســم «صحراوي كبيرة دوغرو» وهو يكاد يكون صورة لكتاب الرحالة هانز فيشر Hans Vischer الذي كان له رفيقا من مدينة طرابلس حتى واحة غات.

وبعد ان غزت ايطاليا البلاد في خريف ١٩١١ استعان الايطاليـــون بعبد القادر جامي بك على اثر توقيع معاهدة أوش سنة ١٩١٢ مع تركيا في سبيل الحصول على معلومات للحملة التي أعدها الايطاليون بقيادة مياني Miani للاستيلاء على فزان بحكم خبرته السابقة للمنطقة . وقــد استدعاه الايطاليون الى روما لهذا الغرض واجتمع فعلا بمياني في مكتب وزير المستعمرات الايطالية فيروما في ذلك الوقتوهو السنيور بيرتوليني Bertolini . وكان الاجتماع في يونيو ١٩١٣ وكان بناء على نصيحة السفير الايطالي في اسطنبول . واشترك الكولونيل مياني في هـــذه المباحثات التي تمت في روما كما اشترك فيها الكابتن جانيني بقصــد الحصول على معلومات مباشرة من ضابط تركي سبق له ان أمضى فترة طويلة من حياته في فزان . وكان من رأي بيرتوليني ان يأتي جامي بك الى طرابلس لمرافقة الحملة الايطالية الى فزان غير ان الوالي الايطالي جاريوني اعترض على هذا الرأي بحجة ان وجود هذا الضابط التركي يثير مشاعر الاهالي ضد الاحتلال الايطالي . ولكن الوزير الايطالي لم يقبل الاعتراض الذي ابداه الوالي بحجة ان ما مضى من الزمن كان كافيا لان يمحو مثل هذه المشاعر . واقترح الوالي الايطالي جاريوني كحل للموضوع ان يجتمع جامي بك بالمسئولين الايطاليين في الولاية والمسئولين عن الحملة المعــدة لفزان فوق السفينة الايطالية «طبرق» في مياه مدينة طرابلس حتـــى لا يظهر جامي بك أمام الاهالي . وأخيرا فضّل الوزير الايطالي ان يهمـــل

---

٥٣ ـ راجع البحث رقم ٨٥ .

موضوع ارسال جامي بك على اعتبار ان تنفيذ هذه الفكرة من شأنه ان يعطي فكرة خاطئة وزائفة عن الوضع الايطالي المهزوز في طرابلس (٥٤) .

بقي ان نقول ان عبد القادر جامي بك كان من أتباع الزعيم التركـــي مصطفى كمال عندما قام الاخير بحركته التي أدت الى زوال الخلافـــة العثمانية . وفي ١٩٢٣ انسحب جامي بك الى بلــــدة انزيو Anzio في ايطاليا . وهي بلدة تقع على ساحل البحر التيراني جنوبي رومـــا وبالقرب منها (٥٥) .

***

42 — Keane, A.H.; The French In The Sahara. The Geographical Journal. January, 1909. PP. 79 - 80.

كانت حكومة الجزائر الفرنسية قد ساهمت في المعرض الاستعماري في مدينة مارسيليا الذي اقيم في ١٩٠٦ بمجموعة مفيدة من المطبوعات التي كانت قد اعدتها حكومة الجزائر لهذا الغرض . وكان من بين هذه المجموعة الكتاب الذي أعده المؤلفان اوجستين برنارد Augustin Bernard و ن. لاكروا N. Lacroix بعنوان التغلغل الصحراوي فيما بين ١٨٣٠– ١٩٠٦ La Pénétration Saharienne ومع ان هذا الكتاب ألف لغرض مؤقت هو الاشتراك في ذلك المعرض الا ان قيمته كانت مستمرة بفضل ما كان يحتوي عليه من مراجع غزيرة والطريقة الجيدة التي تم بها عرض الحقائق وتلخيصها . ان محتويات هذا الكتاب متنوعة وأكثر مما يدل عليه عنوانه المتواضع .

---

54 — Enrico De Leone, La Colonizzazione Dell Africa Del N'ord. Padova , Cedam - Casa Editrice Dott. Antonio Milani . 1960. Vol. II, P. 406.

٥٥ ـ المصدر السابق .

يتناول الكتاب الاكتشاف التدريجي للاجزاء الغربية من الصحـــراء الكبرى فيما بين المحيط الاطلسي وولاية ليبيا العثمانية وساحل البحـر الابيض المتوسط شمالا والسودان جنوبا . وبالكتاب دراسة مفيدة لهذه المنطقة من جميع جوانبها مدعمة بالوثائق والتقارير الرسمية ومراحـــل التغلغل الفرنسي في الصحراء الكبرى والصعوبات التي صادفها هـــذا التغلغل وكيفية التغلب عليها . ويفيد هذا الكتاب في دراســـة موضوع العلاقات الفرنسية بالسلطات العثمانية في ليبيا وما سببه التغلغل الفرنسي في الصحراء الكبرى من مواقف سياسية بين الطرفين خصوصا وأن بعض اجزاء شمالي تشاد كانت تابعة للسيادة العثمانية في ليبيا .



43 — Keane, A.H.; The Regions East of Lake Chad. The Geographical Journal. February, 1911. P. 203.

نشرت «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر في فبراير ١٩١١ نقدا للكتاب الذي اخرجه الكابتن كورن Captain Cornet باللغة الفرنسية حول نشاطه في المناطق الواقعة الى الشرق من بحيرة تشاد (٥٦) . وقد ظهرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب في باريس في ١٩١٠ . اما الناقد فهو الاستاذ أ.هـ. كيني .

وكان الكابتن كورن من فرقة المشاة الفرنسية . وقد أمضى ثـــلاث سنوات (١٩٠٥ ــ ١٩٠٧) في المناطق الواقعة الى شمالي وشرقي بحيرة تشاد وقد ساهم في الحملات علىاقليم واداي Wadai وبوركو Borkou واقليم اندي Ennedi . اما النتائج الجغرافية والسياسية لهـــذه الحملات فقد تم نشرها . ولكن المؤلف في هذا الكتاب نجده يضيـــف الكثير من المعلومات القيمة الخاصة بهذه الاراضي الواقعـــة فيما بين

---

56 — Captain Cornet, Au Tchad. Trois ans chez Les Senoussistes, Les Ouaddaiens et Les Kirdis. 2 nd Edition. Paris, Librairie Plon, 1910.

الصحراء والسودان الاوسط . والملاحظ ان جزءا كبيرا من هذا الكتاب أعيد طبعه مقتبسا من مذكراته .

يفيد هذا الكتاب فيدراسة أحوال هذه المنطقة وخاصة منطقةتيبستي. وقد كانت الجهات الشمالية من تشاد تابعة للسيادة العثمانية ممثلة في واليها المقيم في مدينة طرابلس الغرب .

***

44 — King, Harding W.J.; The Libyan Desert From Native Information. The Geographical Journal. September, 1913. PP. 277 - 83.

نشر هاردنج و.ج. كنج مقالة في «المجلة الجغرافية» عن الصحراء الليبية وقد استقى معلوماته من اهل البلاد وذلك في عدد المجلة الصادر بتاريخ سبتمبر ١٩١٣ . وقد قام الكاتب بجمع هذه المعلومات في مصر اثناء وجوده بها في شتاء ١٩٠٩ وشتاء ١٩١٠ وشتاء ١٩١١ وشتاء ١٩١٢ . والمصدر الاساسي لهذه المعلومات كان دليلا عربيا من أهالي واحة الكفرة . وقد سبق لهذا الدليل ان قام باسفار عديدة في السودان والصحراء . كما سبق له ان قام بمهمة جمع الضرائب لمدة ست سنوات لسلطان دارفور . ولكن الكاتب لم يذكر لنا اسم هذا الدليل وعائلته .

وعلى ضوء هذه المعلومات قام الكاتب برسم خريطة مبينا عليها الطرق الرئيسية للمنطقة التي تناولها في بحثه . وعلينا ان نلاحظ ان المعلومات التي جاءت في هذا البحث قد كتبت قبل قيام الحرب العالمية الاولى وقبل ان تخطو المعلومات الجغرافية خطوات كبيرة بفضل جهود الرحالة ونشاطهم قبيل الحرب العالمية الثانية او اثنائها . وقد بذل رجال الحلفاء ورجال المحور جهودا كبيرة لدراسة الصحراء الليبية واستكشافها في سبيل كسب النصر . وترك لنا رجال الطرفين معلومات طيبة عن هذه الصحراء حتى اذا اتت شركات النفط لتعمل في ليبيا استفادت من هذه المعلومات السابقة وأضافت اليها الجديد نتيجة تحركات رجالها ونشاطهم في سبيل الحصول على المناطق البترولية . ولهذا علينا ان نقدر تماما المعلومات التي سجلها لنا الكاتب هاردنج كنج خصوصا في ذلك الوقت الذي

لم تكن فيه المعلومات عن الصحراء الليبية قد حققت الخطوات التي هـي عليها الآن .

ويفيد هذا المقال في دراسة تجارة القوافل وأهم طرقها التي اتخذت من واحة الكفرة مركزا لها وقد ذكرها المؤلف على انها ثلاثة طرق رئيسية الى غير ذلك من الطرق الفرعية الاخرى التي كانت تتفرع من هذه الطرق الرئيسية . ويفيد ايضا في دراسة القبائل وفروعها التي كانت تمـر بأرضها هذه الطرق وما هي الفوائد التي كانت تجنيها من هذه الطرق التي تمر بأرضها . ويفيد كذلك في دراسة الجغرافية التاريخية لهذه المنطقة التي كانت واحة الكفرة مركزا لها بحكم الوصف الجغرافي لمنطقة الكفـرة والذي سجله الكاتب في مقاله هذا .



45 — Knapp, Wilfrid; Tunisia, With 27 illustrations and 3 maps. London, Thames And Hudson, 1970. 224 PP.

هذا الكتاب «تونسي» للمؤلف ويلفرد ناب صدر في لندن ١٩٧٠ ، وقد صدر الكتاب ضمن مجموعة «مكتبة الامم والشعوب الجديـــدة» للتعريف بتونس وأهلها . والمؤلف من المشتغلين بالشئون السياسية ويقوم بتدريسها في كلية كاترين بأكسفورد . وهو صاحب كتاب «تاريخ الحرب والسلام ١٩٣٩ ــ ٦٥ » «A History of War And Peace, 1939 - 65» والكتاب الاخير مسح عام للشئون العالمية اثناء الفترة المذكورة . والمعروف ان المؤلف يقوم دائما بزيارة شمالي افريقية والشرق الادنى . وهو يعرف الشيء الكثير عن قادة هذه المناطق .

واذا كان الكتاب خاصا باستعراض تاريخ تونس وأحوالها الا انـــه يزودنا ببعض المعلومات التاريخية الخاصة بليبيا في هذا الكتاب ، وهي تبدو للقارىء المتخصص عادية الا انها تفيد القارىء غير المتخصص الذي يريد ان يعرف بعض المعلومات العامة من تاريخ ليبيا خصوصا ما يتعلق منها بالمعلومات التاريخية بين ليبيا وتونس وبوجه خاص في الفترات التي ارتبط فيها تاريخ البلدين بعوامل تاريخية واحدة او متشابهة . وكثيرا ما يجد الباحث بعض الحقائق التاريخية التي تفيده بدراسة تاريخ البلاد المجاورة او التي ارتبط تاريخنا بها في فترة معينة .

وقد زود المؤلف كتابه بالخرط وبعض الصور التاريخية الهامة التي توضح ما جاء في الكتاب من معلومات . ومن هذه الصور صورة رجل الدين شارل مارتيال الماند لافيجيري Charles Martial Allemand Lavigerie الذي كان يشغل منصب كاردينال اسقفية مدينة الجزائر وقرطاج . وقد كان له دور حاسم في بسط النفوذ الفرنسي في شمالي افريقية بعد ان ذهب في بعثة دينية للعمل في الشرق الادنى . وهو يُعتبر المؤسس لجماعة الآباء البيض White Fathers التـــي استمرت تعمـــل في افريقية . ومازلت اذكر عند زيارتي للمرحوم العلامة الاستاذ حسن حسني باشا في تونس في يناير ١٩٥٤ اني وجدت معه اثنين من رجال الدين الفرنسيين وكانا ينتميان الى جماعة الآباء البيض . وكانا يقومان بمراجعة نشر مخطوطة عربية معه للاستفادة من علمه وسعة اطلاعه ومكتبته الحافلـــة بالكتب والمراجع . بقي ان نقول انه لا يمكن الاعتماد على فهرس الاسماء بالكتاب لاغفاله الكثير من اسماء ليبيا .

***

46 — Lapie, Pierre Olivier; My Travels Through Chad. Translated by Leslie Bull. London, 1943. 198 PP.

صدر هذا الكتاب «رحلاتي في تشاد» باللغة الفرنسية لمؤلفـــه بيير اوليفييه Pierre Olivier وقد قام ليزلي بول Leslie Bull بترجمة الكتاب الى اللغة الانجليزية . وقد صدرت هذه الترجمة في لندن لأول مرة في ١٩٤٣ والحرب العالمية الثانية لم تنته بعد . وقد كان المؤلف حاكما عاما لمستعمرة تشاد الفرنسية قبل اصداره لهذا الكتاب .

الكتاب في مجموعه وصف لبلاد تشاد ومقاطعاتها وقد كان لها دور واضح في الحرب العالمية الثانية بعد ان انهارت فرنســـا أمام الجيوش الالمانية . وابت بعض القوات الفرنسية بقيادة ديجول التسليم لقوات المحور واعلنت قيام «فرنسا الحرة» . وكانت تشاد من اول المستعمرات الفرنسية التي اعلنت حاميتها الولاء لهذه الحركة الفرنسية التي تزعمها ديجول . وخرجت من تشاد بعض القوات الفرنسية التي تعاونت مع بعض القوات الفدائية البريطانية في الاغارة على المراكز الايطالية وقواتها في كل مـــن

مرزق بفزان وواحة الكفرة في الجنوب الشرقي من ليبيا .
وقد خصص المؤلف الفصل السادس عشر من هذا الكتاب لاعطاء فكرة عن احتلال القوات الفرنسية لواحة الكفرة وأسر الحامية الايطالية الموجودة بها .

*

47 — Lewis, Charles Lee; Famous American Naval Officers. Boston, L.C. Page And Company, 1945, XVI, 444 PP.

هذا الكتاب «الضباط البحريون الامريكيون المشهورون» من تأليف تشارلز لي لويس Charles Lee Lewis الاستاذ بالاكاديمية البحرية بالولايات المتحدة الامريكية U.S. Naval Academy وقد صدرت الطبعة الاولى لهذا الكتاب في ١٩٢٤ وكانت الطبعة الثانية في ١٩٤٥ . أما الطبعة الثالثة التي نقوم باستعراضها فقد كانت في اكتوبر ١٩٤٥ كما يتبين من الصفحة الثانية من الغلاف الداخلي للكتاب وان كان الغلاف الداخلي يسجل سنة ١٩٤٤ بالارقام اللاتينية تاريخا لهذه الطبعة .
يتناول المؤلف في كتابه هذا بعض الضباط البحريين الامريكيين اللامعين منذ حرب الاستقلال الامريكية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. ولهذا كان لا بد ان يتناول مؤلف الكتاب بعض رجال البحرية الامريكية الذين كانت لهم ادوار في الحروب البحرية التي قامت بين الولايات المتحدة الامريكية بعد استقلالها وبلاد الشمال الافريقي وخاصة ليبيا عندما كانت البحرية الليبية في أوج نشاطها في البحر الابيض المتوسط . وبدراسة بعض هؤلاء الضباط البحريين الامريكيين يمكن الحصول على بعض الحقائق التاريخية التي تكشف الدور الذي لعبته البحرية الليبية في صراعها مع البحرية الامريكية في ذلك الوقت . وعلى هذا الاساس يمكن الاستفادة من هذا الكتاب بدراسة تاريخ الضابط البحري ستيفن دكاتو Stephen Decatur (١٧٧٩ — ١٨٢٠) وأعماله البحرية وكلها موضوع الفصل الثاني من الكتاب (ص ٣٩ — ٦٨) خصوصا عندما يصف المؤلف المعركة البحرية التي اشترك فيها هذا الضابط ضد احد ضباط البحرية الليبية وكيف انتهت المعركة بينهما الى صراع باليد في سبيل تغلب كل منهما على خصمه (ص٤٨—٤٩).
وفي الفصل الثالث يتناول المؤلف حياة الضابط البحري اسحاق هل

Issac Hull (١٧٧٣ ـ ١٨٤٣) ودوره في هذه الحرب البحريـــة (ص ٧١ـ٩٦) وكذلك بالنسبةللضابط البحري ديفيد بورتر David Porter (١٧٨٠ ـ ١٨٤٣) في صفحات الكتاب (٩٩ ـ ١٢٧) .

بقي ان نقول ان المؤلف قد زود كتابه برسوم لهؤلاء الضباط البحريين بلباسهم الرسمي كما زود كتابه ببعض المراجع التي تساعد أولئك الذين يريدون الاستزادة بدراسة تاريخ هؤلاء الضباط وأعمالهم البحرية التي يتعلق الكثير منها بالحرب البحرية بين ليبيا والولايات المتحدة في بداية القرن التاسع عشر . اما فهرس الاسماء فبالأسف جاء ناقصا ولم يشمل كل الصفحات التي وردت فيها بعض الاسماء . ولهذا لا يمكن الاعتماد عليه ويكفي ان نعرف ان كلمة Tripoli لم يذكرها الا في صفحة واحدة (ص ١٠٥) مع انها وردت في الكثير من صفحات الكتاب .



48 — Lewis, Charles Lee; Famous American Marines. Boston, L.C. Page And Company Publishers, 1950. 308 PP.

هذا كتاب آخر للاستاذ تشارلز لي لويس Charles Lee Lewis عن «البحارة الامريكيون المشهورون» . وقد صدر هذا الكتاب ببوسطـن بالولايات المتحدة الامريكية في ١٩٥٠ ، وقد سبق استعراض كتابه الآخر عن «الضباط البحريون الامريكيون المشهورون» . وبالكتاب ١٨ فصـــلا وقائمة بالمراجع كما انه مزود بالرسوم الايضاحية . وفي اول الكتاب نجد النوتة الموسيقية لنشيد البحرية الامريكية الذي مطلعه :

«From The Halls of Montezuma To The Shores of Tripoli».

ولنا عودة الى هذا النشيد والظروف التي خرج فيها وما يرمز اليه من معان تاريخية لها علاقة بنشاط البحرية الليبية في العهد القرەمانلي .

ويهمنا من هذا الكتاب الفصل الثالث بالذات وقد جعل عنوانه برسلي نفيل اوبانون وشواطىء طرابلس (ص٣٩ـ٥٤) Presley Neville O'Bannon وفي هذا الفصل يتحدث المؤلف عن الحرب البحرية بين ليبيا والولايات المتحدة الامريكية في أوائل القرن التاسع عشر مع الاهتمام بالدور الذي لعبه هذا الضابط البحري خصوصا عندما قامت البحرية الامريكية بمحاصرة

المياه الساحلية لمدينة درنة في الوقت الذي كان فيه الجنرال ايتون Eaton يتقدم بحملته عبر الصحراء الغربية في مصر في الطريق الى ليبيا لاسقاط يوسف باشا واعادة اخيه احمد باشا الثاني الى عرش الولاية . وهـــذا الفصل يفيد في دراسة حملة ايتون والنهاية التي وصلت اليها ونتائجها.

وقد توفي هذا الضابط يوم ١٨ سبتمبر ١٨٥٠ عن سن تبلغ ٧٤ عاما ودُفن بولاية كنتكي Kentucky بالولايات المتحدة الامريكية . وفي أوائل ١٩٢٠ تم نقل بقاياه الى المقبرة الرسمية للولاية في فرنكفورت Frankfort وفي ١٤ يونيو ١٩٢٠ اقيم احتفال وطني بوضع لوحة حجرية لاشهار قبره وقد نقش عليها تاريخ وفاته وعمره وعبارة تخلد اعماله جاء فيها (٥٧) :

« الملازم برسلي نفيل اوبانون الذي فارق هذه الحياة يوم ١٢ سبتمبر ١٨٥٠ وعمره اربعة وسبعون سنة . بطل درنة الذي كان اول من غرس العلم الامريكي على ارض اجنبية كقائد للبحـــــارة الامريكيين في طرابلس الغرب بشمال افريقية » .

وفي ١٩١٩ اطلقت الحكومة الامريكية اسم هذا الضابط البحري على مدمرة في اسطولها . وفي ١٩٤٢ والحرب العالمية الثانية مشتعلة أطلقت الحكومة الامريكية اسمه مرة أخرى على مدمرة امريكية تخليدا لاسمـــه وجهوده البحرية . وهكذا تعرف البلاد المتقدة كيف تكرم ابناءها المخلصين وتخلد اسماءهم .

***

49 — Maughan, Barton; TOBruk And El Alamein. Canberra , Australian War Memorial, 1966. XX, 854 PP.

هذا الكتاب صدر في كانبرا Canbarra باستراليا في ١٩٦٦ م. والمؤلف هو بارتون موغان Barton Maughan وعنوان الكتاب هو « طبرق والعلمين» . وموضوعه أحداث الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية بمصر والمناطق الشرقية في ليبيا وان كان المؤلف قد تناول ايضا أحداث الحرب العالمية الثانية في فلسطين وسوريا ولبنان .

---

٥٧ ــ راجع ملحق رقم ١ .

والمؤلف كان احد القادة الاستراليين الذين اشتركوا في هذه الاحداث التي سبق الاشارة اليها . وهو في كتابه هذا يسجل الادوار التي قامت بها الفرقة التاسعة من القوات الاسترالية في أحداث الحرب العالمية الثانية فيما بين ١٩٤١ و١٩٤٢ والتي أدت في النهاية الى هزيمة قوات المحور التي كان يقودها الفيلد مارشال رومل .

وعندما تم تكوين الفرقة التاسعة الاسترالية في مارس ١٩٤١ أرسل بها الى برقة قبل ان تتم تدريبها لتكون قوة حامية هناك ولكنها فوجئت بعد وصولها بأسابيع قليلة بزحف رومل وتقدمه شرقا الامر الذي أجبر الفرقة الاسترالية على التقهقر الى طبرق حيث صمدت هناك بمساعدة بعض القوات البريطانية . واستطاعت هذه الفرقة الاسترالية المحاصرة في طبرق ان تكون شوكة في مواصلات رومل التي امتدت نتيجة لتقدمه نحو الحدود المصرية الغربية . وقبل ان ينتهي الحصار الذي فرضه رومل على طبرق تم سحب الفرقة الاسترالية بواسطة البحر ولكن سرعان ما استدعيت الى العمل في الجبهة عندما اخذ رومل يتقدم بقواته عبر الصحراء الغربية في مصر في طريقه الى خط الدفاع الذي اقامته القوات البريطانية وحلفاؤها في منطقة العلمين ، وكان لها دور هام في هزيمة قوات المحور بقيادة رومل هناك أمام ضربات مونتجمري Montgomery بعد ان استلم قيادة الجيش الثامن البريطاني .

واذا كان المؤلف قد اهتم بالدور الذي ساهمت به الفرقة الاسترالية التاسعة في الاحداث الحربية السابقة الا انه اهتم كذلك بالاعمال التي قام بها الجنرالات الذين تولوا قيادة قوات الشرق الاوسط وقيادة الجيش الثامن أمثال ويفل Wavell واوكنلك Auckinlack وكننجهام Cunningham وريتشي Ritche والكسندر Alexander ومونتجمري Montgomery

ويتتبع المؤلف نشاط هذه الفرقة الاسترالية التاسعة حتى عاد افرادها الى استراليا . والمؤلف بكتابه هذا يعطينا وجهة نظر القادة الاستراليين في أحداث الحرب العالمية الثانية التي شاهدتها ليبيا . ومن هنا جاءت اهمية الكتاب بصفة خاصة . وما زال الكثيرون ممن شاهدوا أحداث الحرب العالمية الثانية في مصر وليبيا يتذكرون القوات الاسترالية وما ابدته من شجاعة خصوصا في الصمود الذي قامت به رغم عنف الهجوم الذي قام به رومل عليها منذ ان بدأ حصاره لها في ١١ ابريل ١٩٤١ . ويقارن المؤرخون موقف هذه الفرقة وهي محاصرة في طبرق بوقوع هذه القاعدة العسكرية في يد قوات رومل في ٢١ يونيو ١٩٤٢ بعد ان استسلمت

حاميتها التي كان جنودها من جنوبي أفريقية .

اما المؤلف بارتون موغان Barton Maughan فهو كما يتبين من غلاف الكتاب من مواليد استراليا وقد تخرج في جامعة اكسفورد في الفلسفة والعلوم السياسية والاقتصاد قبل ان يلتحق بالقوات الاسترالية ويساهم في أحداث الحرب العالمية الثانية .

يحتوي الكتاب على ١٥ فصلا بخلاف المقدمة وقائمة بأهم احداث الفترة التي أرخ لها والملاحق الثلاثة التي الحقها بآخر الكتاب والتي جعل واحدا منها للاسرى الالمان والايطاليين ومعاملتهم . اما الملحق الثاني فهو خاص بخط السكة الحديد الذي يربط ميناء حيفا في فلسطين ببيروت وطرابلس في لبنان . والملحق الثالث خاص بالمعنى الذي تدل عليه بعض الكلمات المختصرة او الحروف التي أوردها في فصول الكتاب . وبآخر المجلد فهرس بالاسماء . كل ذلك الى جانب العدد الكبير من الصور والخرط التي لها علاقة بأحداث الحرب العالمية الثانية التي تناولها المؤلف .

يفيد هذا الكتاب أولئك الذين يهتمون بالدراسات العسكرية وأحداثها في الحرب العالمية الثانية التي شاهدتها ليبيا . هذا ويجد فيه العسكريون الليبيون أمثلة واضحة تساعدهم على فهم الاستراتيجية الليبية وتوضيحها لطلابهم العسكريين في الكليات العسكرية .

وبمراجعة قائمة الكتب التي جاءت في اول الكتاب بخصوص استراليا في حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ هناك بعض الكتب الاخرى التي تفيد في دراسة تاريخ أحداث الحرب العالمية الثانية في ليبيا منها كتابان :

1 — Gaving Long: To Benghazi .

2 — Gaving Long: Crete and Syria .

وقد صدر هذان الكتابان مع غيرهما من دار النشر الاسترالية التي سبق الاشارة اليها في أول هذا البحث .

***

50 — McCullagh Francis; Italy's War For A Desert. London : Herbert And Daniel, New Bond St., 1912. xxxvi, 410 PP.

هذا الكتاب «حرب ايطاليا من اجل صحراء» من تأليف الاستاذ فرانسيس مكولاّغ وهو من مواليد ١٨٧٤ . وللمؤلف كتب أخرى أهمها

كتابه عن «سقوط عبد الحميد» «The Fall of Abd-Ul Hamid» وقد كان كتابه الذي نستعرضه في السطور التالية خلاصة لخبراته التي اكتسبها كمراسل حربي مع الايطاليين في حربهم في طرابلس الغرب . نُشر هذا الكتاب في مايو ١٩١٢ اي والحرب قائمة على أشدها بين القوات الايطالية الغازية من جانب والليبيين تساعدهم القوات التركية من جانب آخر . ولم يكن صلح أوشي Ouchy بين تركيا وايطاليا قد تم توقيعه بعد في سنة ١٩١٢ . اتى المؤلف الى مدينة طرابلس كمراسل لبعض الصحف الانجليزية وبرفقته بعض المراسلين الآخرين من الاجانب الذين كانوا يحملون جنسيات مختلفة . ولهذا نرى المؤلف يقوم باهداء الكتاب الى الذين لم يخشوا قول الحق حول طرابلس .

قسم المؤلف كتابه الى اربعة اجزاء . وقسم كل جزء الى عدة فصول بلغت في مجموعها ثلاثين فصلا بخلاف المقدمة والملحق وفهرس الاسماء الى جانب عدد كبير من الصور التاريخية لاحداث الحملة الايطالية في ليبيا والخريطة الجغرافية لمدينة طرابلس وضواحيها . وفي اول الكتاب ابدى ناشرو الكتاب ملاحظتين هامتين هما ان المؤلف قد قدم لهم عددا من الصور لعمليات القمع التي قام بها الايطاليون والتي استطاع المؤلف التقاطها ولكن الناشرين رأوا عدم طبع هذه الصور في الكتاب حتى لا يعم انتشارها. والملاحظة الثانية التي أبداها الناشرون كانت عدم التزام الناشرين بوجهة النظر التي أبداها المؤلف بخصوص الحرب . وهاتان الملاحظتان تحملان الكثير من المعاني بخصوص اعمال الايطاليين الوحشية اثناء قمعهم لحركة المقاومة الوطنية وبخصوص اختلاف وجهة نظر البريطانيين ازاء الحملة الايطالية على ليبيا .

يبدأ المؤلف في مقدمة الكتاب بذكر الاسباب التي جعلته يخرج هذا الكتاب ويمكن تلخيصها في موقف الرقابة الايطالية من مراسلي الصحف الذين اتوا الى ليبيا ليزودوا صحفهم بأخبار هذه الحملة . ويقول المؤلف انه بالرغم من ان الحرب في ليبيا قد حدثت في القرن العشرين وتحت بصر اربعين من المراسلين الصحفيين الا ان الصورة الحقيقية لهذه الحرب لم تعط لأي مرحلة فيها . ويعطي المؤلف أمثلة معينة من موقف الرقابة الايطالية من الصحف الاجنبية التي حاول مراسلوها تزويد صحفهم بالوقائع الحقيقية لهذه الحرب العدوانية . وكانت بعض الصحف الايطالية من بين الجرائد التي وجد مراسلوها مضايقة واضحة من الرقابة الايطالية . ويعطي المؤلف اسماء بعض المراسلين الذين اخرجتهم السلطات الايطالية من

طرابلس لانهم حاولوا تزويد صحفهم بحقيقة الحرب الايطالية فـي ليبيا والمصاعب التي صادفتها القوات الايطالية في تحركاتها والشجاعة التـي أبداها اهل البلاد في مقاومتهم للغزو الايطالي . ويذكر المؤلف معارك شارع الشط التي دارت في ضواحي مدينة طرابلس بعد نزول الايطاليين اليها في شهر اكتوبر ١٩١١ م.

وتشاء الصدف ان يكون خروج بقايا الايطاليين الفاشست من ليبيا في شهر اكتوبر ١٩٧٠ بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ ومن مدينة طرابلس التي دخلوا منها وأن يصبح يوم ٧ اكتوبر عيدا وطنيا بخروج آخر المعتدين بعد ان شاهد معارك التضحية في سبيل حرية البلاد وأهلها ★ .

بقي على بلدية مدينة طرابلس ان تخلد ذكرى معارك شارع الشـــط باقامة نصب تذكاري لتخليد ذكرى أولئك الذين وقعوا شهداء في سبيل الدفاع عن حرية البلاد . واعتقد ان في امكان البلدية ان تقيم نصبا محترما في الحديقة الواقعة أمام مجلس الوزراء بعد ان تم تسويتها واعدادها . وقد شاهدت هذه المنطقة وما يجاورها أعنف المعارك ضد الغزو الايطالي. وفي اقامة هذا النصب معان كبيرة ومفيدة يصعب على الانسان حصرها وان اكتفينا بالاشارة اليها . ولكن لا بد ان يكون النصب من النوع المحترم من حيث الفكرة والتنفيذ يتناسب وجلال الذكرى التي يقام من اجلها هذا النصب وفي هذا المكان بالذات . ولا شك ان اختيار هذا المكان يخـــدم أغراضا بروتوكولية هامة عند مجيء كبار الزوار والضيـــوف الرسميين وغيرهم خاصة وأن مقر الحكومة على بعد عدة امتار من هذه الحديقة المقترحة .

والغريب ان الايطاليين اقاموا نصبا تذكاريا لجنود فصيلة البرساليييري Bersaglieri في شارع نومينتانا Nomentana بروما تخليدا للمعارك التي خاضتها هذه القوة سواء في ليبيا او الحرب العالمية الاولى . وهناك على هذا النصب ذكرت معارك شارع الشط بطرابلس وعين زارة . وقد منيت هذه الفصيلة بخسارة فادحة في معارك شارع الشط الامر الذي دفع الايطاليين الى تخليد ذكرى هذه المعارك بهذا النصب التذكاري . لقد شاهدت هذا النصب لأول مرة في أوائل اغسطس ١٩٦٩

---

* راجع الملحق رقم ٣ .

وعدت الى طرابلس وأنا احمل فكرة ضرورة تخليد ذكرى شهداء شارع الشط وغيرهم . والامل كبير ان تحقق البلدية هذه الفكرة التي ستخدم عدة أهداف وطنية .

وبعد ان يبين المؤلف موقف بعض الصحف الايطالية من الرقابة على اخبار الحرب الايطالية في ليبيا والمساعي التي بذلت في سبيل تخفيف تلك الرقابة والتخلص منها يعود ويعطي فكرة عن الجو الذي اخرج فيه كتابه وكيف لاحقه الايطاليون بعد عودته الى لندن وكيف حاولوا تهديده حتى يترك تنفيذ فكرة اخراج هذا الكتاب . وعندما قام المؤلف مع بعض اخوانه الاحرار بمحاولة تنوير الرأي العام بواسطة القاء المحاضرات العامة عن الاعمال التي ارتكبها الايطاليون في ليبيا كان الايطاليون في لندن يقاطعون هذه المحاضرات ويشوشون على اصحابها .

سجل المؤلف في مقدمة الكتاب بعض فقرات من بعض الخطابات التي كان يرسلها الجنود الايطاليون لأهلهم في ايطاليا . وهي تفيد في دراسة معنوية الجنود الايطاليين وتفسر الكثير من الاسباب التي جعلت الحملة الايطالية لا تنجح في تحقيق اهدافها بالسهولة التي كانت تتوقعها .

وهذه المقدمة تفيد ايضا في معرفة الصحف المعارضة للحملة الايطالية بما في ذلك الصحف الاشتراكية الايطالية والصحف التي كانت تؤيد الغزو الايطالي . وهي تساعد كذلك في تتبع اخبار هذه الحملة في الصحف الاوربية وخاصة في ايامها الاولى عندما اتجهت انظار العالم الى اخبار الحرب في ليبيا . لقد نشرت صحيفة الديلي ميرور Daily Miror الانجليزية صورا فوتوغرافية للحملة الايطالية في ليبيا يمكن الرجوع اليها للاستفادة منها كما استفاد منها مؤلف هذا الكتاب .

يتحدث المؤلف عن النزعة الوطنية في ايطاليا في الفصل الاول من الجزء الاول في الكتاب . ويبدأ المؤلف باثارة نقطتين هامتين . أولاهما تساؤله مع الكثير من مواطنيه في بريطانيا عن اسباب قيام هذه الحرب وعن الدوافع التي جعلت القوات الايطالية تقوم بأعمالها الوحشية في يومي ٢٣ — ٢٨ اكتوبر ١٩١١ بضواحي مدينة طرابلس . كانت ايطاليا نتيجة للنزعة الوطنية فيها تسعى لضم ليبيا اليها طيلة الجيل الاخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بحجة انها كانت في يوم من الايام احدى الولايات الرومانية الى جانب قربها من السواحل الايطالية فهي لا تبعد اكثر من مسافة يوم من جزيرة صقلية . ويناقش المؤلف هاتين الحجتين الواهيتين ويقول ان انجلترا كانت ولاية رومانية وأن مالطة

المستعمرة البريطانية اقرب الى ليبيا من اي جزء في صقلية . ويعود المؤلف ويقول ان هناك اسبابا اخرى قوية دفعت ايطاليا الى القيام بحملتها على ليبيا نتيجة لازدياد النزعة الوطنية في ايطاليا بعد اعلان وحدتها والرغبة الملحة في تحقيق مطامع هذه النزعة ومسح عار هزيمة عدوة التي حلت بالجيش الايطالي أمام القوات الحبشية في ١٨٩٦ ، وهكذا يأخذ المؤلف في ذكر اسباب هذه الحملة ومناقشتها .

اما الفصل الثاني في هذا الجزء فيخصصه المؤلف للكلام عن مصرف روما Banco Di Roma ودوره في الاحتلال الايطالي لليبيا وأعماله التمهيدية لهذا الاحتلال من نشاط اقتصادي في مختلف الميادين واتصالات مريبة ببعض الاشخاص مع ذكر اسمائهم والمبالغ التي كانوا يتقاضونها شهريا من هذا المصرف . لقد كان هذا المصرف حريصا على مجيء الحملة الايطالية الى ليبيا لاسباب كثيرة . كان من أهمها حرص المسئولين فيه على تغطية ما وقع فيه المصرف من سوء ادارة وفساد مالي نتيجة لتصرفاته الاستعمارية التي مهد بها لمجيء هذه الحملة . ولهذا اذا اردنا دراسة موضوع الغزو الايطالي لا بد لنا من دراسة الدور الهام الذي قام به هذا المصرف في تحقيق التوسع الايطالي في ليبيا واستمراره في هذه المهمة بصورة او أخرى حتى قام مجلس قيادة الثورة في ٣ رمضان ١٣٨٩ هـ الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٦٩م بتلييب المصارف الاجنبية بالمساهمة ٥١بالمئة من رأس المال. وأصبح «مصرف روما» يعرف باسم «مصرف الأمة» . وأصدر وزير الخزانة في ٨ ربيع الاول ١٣٩٠ هـ الموافق ١٤ مايو ١٩٧٠ م قرارا باعتماد النظام الاساسي له كشركة مساهمة ليبية . وفي ١٨ جمادي الاولى ١٣٩٠ الموافق ٢١ يوليو ١٩٧٠ م أصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بخصوص استرداد الشعب لاملاكه التي اغتصبتها الحكومة الايطالية فآلت ملكية الاسهم الايطالية في المصارف الايطالية للحكومة الليبية. وبذلك تم التخلص من البقية الباقية لمصرف روما وقد حل محله «مصرف الأمة» كمؤسسة مالية ليبية .

والواقع ان «مصرف روما» السابق يستحق دراسة خاصة . ويا حبذا لو قام احد طلاب التاريخ الاقتصادي بتحقيق هذه الفكرة لكشف الكثير من الحقائق المصرفية والمالية والاقتصادية والسياسية التي لعبها هذا المصرف في تاريخ البلاد . ولكن يجب ان نلاحظ ان هذه الدراسة لن تكون مجدية الا اذا كان صاحبها يجيد اللغة الايطالية حتى يمكنه الاستفادة من مصادر البحث سواء أكانت في ليبيا او في ايطاليا نفسها . ويشترط

في هذا الباحث ان يكون فاهما للاعمال المصرفية دارســــا للاوضاع الاقتصادية والسياسية في كل من ليبيا وايطاليا . والامل كبير ان يقوم بعض خريجي كلية التجارة والاقتصاد بالتعاون فيما بينهم لتحقيق هذه الدراسة . ولا شك انهم بالصبر والتفرغ للدراسة ومتابعتها سيصلون الى الكثير من الحقائق الهامة .

ويتناول المؤلف في الفصل الثالث من هذا الجزء موقف كل من ايطاليا والمانيا وبريطانيا من ليبيا كآخر ولاية عثمانية فـــي الشمال الافريقي . ويتحدث عن الصراع بين الدول الاوربية بخصوص الاستيلاء عليها واطماع هذه الدول فيها . وهو لا ينسى ان يشير الى موقف فرنسا في هـــذا الخصوص . أما تركيا واهمالها للولاية في آخر العهد العثماني فقد تناوله المؤلف بالشرح وأخذ يفسر اسباب هذا الاهمال ومظاهره . وكشف المؤلف عن الكثير من الحقائق الهامة بخصوص الموقف الودي الذي وقفته بريطانيا نحو ايطاليا في مشروعها الاستعماري في ليبيا والدور الذي قام به اللورد كتشنر في مصر لمنعوصول القوات العثمانية عبر مصر فيالطريق الىليبيا.

واذا كان المؤلف قد نجح في اعطاء صورة عن الموقف الدولي نحـــو الاحتلال الايطالي لليبيا بنشر بعض الوثائق الهامة وأقوال بعض الصحف في ذلك الوقت الا ان الصورة لم تكن كاملة تماما لان الوثائق والمراسلات السرية والمحادثات الرسمية بخصوص هذا الموضوع لم تكن قد عرفت كلها في ذلك الوقت الذي اخرج فيه المؤلف كتابه . ومع هذا فقد نجح المؤلف في وضع القارىء في الصورة العامة التي برزت فيها قضية ليبيا في ذلك الوقت .

ويحاول المؤلف في الفصل الاخير من هذا الجزء ان يجيب علـــى السؤال الذي اتخذه عنوانا لهذا الفصل وهو «هل ليبيا تستحق هـــذا التعب ؟» وهو بهذا التساؤل يقلل من الفوائد التي يمكن ان تجنيها ايطاليا من غزوها لليبيا مستدلا على ذلك ببعض أقوال الرحالة والكتّاب الذين زاروا ليبيا وكانت لهم فيها ابحاث علمية وجغرافية . ويرى المؤلف ان تقوم ايطاليا باستثمار أموالها في تطوير الكثير من الاجزاء الايطالية التي تنتظر الاصلاح والرفع من مستوى اهلها بدلا من صرف هذه الاموال في صحاري ليبيا .

بعد ذلك يبدأ المؤلف في وصف العمليات الحربية بين الطرفين وما ارتكبه الايطاليون من اعمال غير انسانية في عملياتهم الحربية . وكـــان الكتاب في جملته يدين الاعمال الايطالية الشيء الذي جعل المؤلف يعيـــد

اوراقه الى الجنرال كانيفا General Caneva في نهاية شهر اكتوبر ١٩١١ كاحتجاج منه على سوء المعاملة التي كان يلقاها الليبيون الآمنون من القوات الايطالية المعتدية . وبقراءة هذا الكتاب يمكن تسجيل الحقائق الآتية :

١ ــ ان المؤلف لاحظ وجود جميع يهود مدينة طرابلس وعدم تغيب اي احد منهم . وهو يعني بذلك عدم اشتراكهم في معسكرات المجاهدين خارج المدينة استعدادا للهجوم على القوات الايطالية . وسجـــل المؤلف شعور اليهود نحو الحملة الايطالية وترحيبهم بها على اساس اتاحة فرص جديدة لهم للقيام بأعمال اقتصادية . ويذكر المؤلف ان الجريدة الايطالية التـــي كانت تصدر بمدينة طرابلس كان يتولى اصدارها احد اليهود (ص ٧٩) . ويذكر المؤلف بصراحة تامة ان اليهود كانوا مناصرين لايطاليا (ص ١٥٨).

٢ ــ ان الطائرات استعملت لأول مرة في الحرب عندما اغارت ايطاليا على ليبيا في اواخر ١٩١١ (ص ١٢٢ ــ ١٢٤) .

٣ ــ كشف المؤلف عن الدور الذي لعبه بعض رجال البلاد في التمهيد للغزو الايطالي والتعاون مع السلطات الايطالية بعد غزوها للبلاد والهدف من هذا التعاون مع اعداء البلاد .

٤ ــ يعطي المؤلف فكرة واضحة عن موقف الحزب الاشتراكي الايطالي من الحملة الايطالية على ليبيا وحقيقة معارضته لهذا المشروع الاستعماري. ويعطي المؤلف كذلك حقيقة موقف الكنيسة بزعامة البابا من هذه الحملة التوسعية وتأييدها للحكومة الايطالية في مشروعها هذا (ص ٣٨٢ــ٣٩٥).

٥ ــ ان الكتاب يضم بعض الصور التي جاءت دليلا على وحشيـــة الايطاليين اثناء حملتهم العدوانية على ليبيا . واذا كان الناشرون للكتاب قد استبعدوا الكثير من الصور كما جاء في ملاحظتهم التي صدروا بها الكتاب الا ان ما نشر منها في الكتاب كاف لاثارة نفوس القراء وادانـــة الايطاليين بأعمالهم الوحشية وهم الذين جاءوا رسلا للمدنية والحضارة كما يقولون ويزعمون لتبرير حملتهم العدوانية .

وأخيرا بقي ان نقول ان هناك اشارة قصيرة الى هذا الكتاب ومنهجه العلمي وقد قام بكتابتها الاستاذ ف.ر.س. F.R.C. في عدد نوفمبر ١٩١٢ من المجلة الجغرافية (ص ٥٥٢ ــ ٥٣) The Geographical Journal

51 — Mill, Hugh Robert, Geographical Literature of The Month. Adition to the Library. The Geographical Journal. November, 1896. PP. 526 - 31.

كتب الاستاذ هيوغ روبرت مل هذا التقرير الشهري في «المجلـــة الجغرافية» الانجليزية بعددها الصادر في نوفمبر ١٨٩٦ . والكاتب كان موظفا بالجمعية الجغرافية الملكية بلندن وهي التي تصدر هذه المجلة العلمية المشار اليها . ومن بين الموضوعات التي تناولها الكاتب في تقريره موضوع خاص بافريقية وبكتاب الرحالة والمؤرخ والجغرافي الحسن بن محمـد الوزان الفاسي المشهور باسم ليون الافريقي Leo Africanus

ويعتبر كتاب «وصف افريقية» الذي تركه الرحالة الحسن بن الوزان من أهم المصادر التي تساعد في دراسة تاريخ وأحوال ليبيا وخاصة في القرن السادس عشر الميلادي . ولهذا كان ما جاء بخصوص هذا الكتاب في هذا التقرير الشهري من المعلومات المفيدة في دراسة هذا الكتـــــاب واستعراض ما فيه .

لقد قام جون بوري John Pory بترجمة هذا الكتاب الى اللغـــة الانجليزية في ١٦٠٠ . وفي ١٨٩٦ قام الدكتور روبرت برون Robert Brown بنشر هذا الكتاب لحساب جمعية هاكليوت Hakluyt Society

ولكـن وفاة الدكتور روبرت برون جعلت عمله في هذه المجلدات لم ينته وقد قام الدكتور إ. دنسيون E. Dension بمراجعة البروفـات اثناء الطبع ، كما قام المستر رافنستين Ravenstein بالمساهمة في تزويد خرط الكتاب بالملاحظات العلمية .

***

52 — Mill, Hugh Robert, Geographical Literature of the Month. Adition to The Library. The Geographical Journal, February, 1899. P. 215.

هذا تقرير شهري آخر تنشره «المجلة الجغرافية» للاستاذ هيـــوغ روبرت مل Hugh Robert Mill في عددها الصادر بتاريخ فبراير ١٨٩٩ . وقد تعود ان ينشر في هذه المجلة ملاحظاته الادبية والجغرافية بخصوص

الكتب الجديدة التي كانت تضاف الى مكتبة الجمعية الجغرافيـة بلندن بحكم انه كان احد مسئولي هذه المكتبة .

وهذا التعليق الادبي الجغرافـي الذي ينشره الاستاذ مل Mill خاص بكتاب الماني صدر جديدا في ذلك الوقت للدكتور ل.هـ. جروته L.H. Grothe بعنوان

Tripolitania Und Seine Zukunft alo Wirtshaftsgebiet.

ورغم ان التعريف الذي كتبه الاستاذ مل حول هذا الكتاب يعتبر قصيرا الا انه استطاع ان يلقي الضوء عليه لأولئك الذين يعرفون اللغة الالمانية للاستزادة من الكتاب نفسه بالرجوع اليه والاعتماد عليه رأسا .

والكتاب عبارة عن ملخص لجغرافية ليبيا وقد استفاد المؤلف مـن اقامته لمدة سنتين في اماكن مختلفة من البلاد . ويختم المؤلف الالماني كتابه بالكلام صراحة عن اعتقاده بأن المانيا كانت الدولة الاوربية التي كان فـي الامكان ان يعهد اليها بفتح ليبيا للمدنية الاوربية والتجارة معها .

وهذه الخلاصة في التعريف بالكتاب وأهميته تبين وجهة النظر التي كان يدعو اليها بعض الكتّاب الالمان بخصوص اطماع المانيا في ليبيا ومبررات هذه الاطماع وقت ان كان مصير ليبيا معروضا للمساومات الدولية. ولذا اذا اردنا ان نكتب عن موقف الدول الكبرى من تقرير مصير ليبيا فـي أواخر القرن التاسع عشر علينا ان نرجع الى هذا الكتاب وان نحفظ في الذاكرة على الأقل هذه الخلاصة للاستفادة منها في هذا الخصوص اذا تعذر علينا الاستفادة من الكتاب الاصلي بسبب عدم معرفة اللغة الالمانية.

***

53 — Monroe , Elizabeth; The Mediterranean In Politics. New York, 1938. ix, 259 PP.

هذا الكتاب «البحر الابيض المتوسط في السياسة» من تأليف الاستاذة اليزبث مونرو Elizabeth Monroe . وقد جاء هذا الكتاب نتيجة لدراسات ميدانية قامت بها المؤلفة بنفسها بعد ان سمحت لها الظروف بالقيـام برحلتين . كانت اولى هاتين الرحلتين من مراكش الى سوريا . وبذلك

استطاعت الوقوف بنفسها على أحوال المنطقة التي تحتضن البحر الابيض المتوسط من الجنوب والتي كانت تتبع في معظمها للنفوذ الفرنسي والبريطاني باستثناء ليبيا التي كانت تابعة لايطاليا الفاشستية . اما الرحلة الثانية فقد اتاحت الفرصة للمؤلفة ان تزور كلا من ايطاليا والبانيا واليونان وتركيا . وهكذا استطاعت ايضا ان تقف بنفسها على أحوال معظم المنطقة التي تحتضن البحر الابيض المتوسط من الشمال . وقد ساعدت مؤسسة روكفلر Rockefeller Foundation المؤلفة في تغطية نفقات هاتين الرحلتين كما ساعدها المعهد الملكي للشئون العالمية في لندن The Royal Institute of International Affairs بمنحها اجازة كافية للقيام بهاتين الرحلتين العلميتين . واستفادت المؤلفة من المساعدة التي قدمها لها مركز الدراسات للسياسة الخارجية في باريس .
Centre d'Etude de Politique Etrangère

صدر هذا الكتاب في ١٩٣٨ م وارهاصات الحرب العالمية الثانية كانت على أشد ما تكون . وكان البحر الابيض المتوسط ينظر اليه على انه المسرح المتوقع للحرب التي كان خطرها يهدد العالم . وكانت ليبيا بحكم موقعها الجغرافي وتبعيتها لايطاليا الفاشستية تهدد كلا من القوات البريطانية المرابطة في وادي النيل والقوات الفرنسية في تونس الى جانب تهديدها لمياه البحر الابيض المتوسط الذي يعتبر اهم شريان للمواصلات البحرية للمصالح البريطانية والفرنسية .

يحتوي الكتاب على سبعة فصول بخلاف الخرط والجداول التوضيحية وفهرس الاسماء . واذا كان الكتاب في مجموعه يفيد في الحصول على الصورة العامة للوضع السياسي العام الذي كان يسود البحر الابيض المتوسط قبل الحرب العالمية الثانية فان الفصل الثاني الذي يتناول المصالح البريطانية في هذا البحر والفصل الثالث الذي يتناول المصالح الفرنسية في هذا البحر كذلك والفصل الرابع الذي يتناول المصالح الايطالية هناك تعتبر كلها من أهم فصول الكتاب بالنسبة لدراسة الاهمية السياسية لليبيا في فترة العهد الايطالي الفاشستي التي سبقت قيام الحرب العالمية الثانية واهتمام الدول الكبرى بالبحر الابيض المتوسط .

والملاحظ ان الكاتبة عندما اخذت تتحدث عن المصالح الايطالية في البحر الابيض المتوسط في الفصل الرابع من هذا الكتاب اعطت بعض الصفحات من كتابها للحديث عن أوضاع ليبيا في ذلك الوقت . بدأت

الكاتبة حديثها عن ليبيا بالاشارة الى العزلة التي فرضها عليها الحكم الايطالي ثم اخذت الكاتبة في اعطاء وصف عام لاقليمي برقة وطرابلس على اساس ابراز أوجه الاختلاف بين الاقليمين . وهذا منهج علمي يهدف الى اغراض معينة ليست من مصلحة البلاد . ومن المؤكد أن أوجه الخلاف في المعالم الجغرافية العامة لأي قطر لا يخلو منها اي بلد مهما كان صغيرا او كبيرا . وبريطانيا نفسها خير مثل لاختلاف المعالم الجغرافية . وتشير الكاتبة الى الغزو الايطالي لليبيا في ١٩١١ م واسبابه كما تشير الى رد الفعل الذي تركه حشد القوات الايطالية في ليبيا في ١٩٣٥ عندما تعكر الوضع الدولي بسبب الغزو الايطالي للحبشة وكيف قابلت السلطات البريطانية والسلطات المصرية في وادي النيل هذا التهديد الايطالي الذي جاءها من القوات الايطالية في ليبيا .

وتشير المؤلفة ايضا الى المقاومة التي صادفتها ايطاليا في سبيل الاستيلاء على البلاد والنتائج التي تحصلت عليها ايطاليا من هذا الغزو الذي كلفها الكثير . وتشرح المؤلفة النظام الذي وضعه الايطاليون لاستغلال البلاد وأثر التوسع الايطالي في الحبشة على اهتمام الايطاليين بليبيا . وتتحدث الكاتبة عن الزيارة التي قام بها الزعيم الايطالي موسوليني الى ليبيا في ١٩٣٧ والمناداة به حاميا للاسلام مع ان الكاتبة اشارت الى كراهية الاهالي للحكم الايطالي (ص ١٦٨) .

وفي هذا الفصل تخصص المؤلفة جزءا للكلام عن البحر الابيض المتوسط والتوسع الايطالي وتشير الى مصرف روما ونشاطه في هذا الخصوص . ولهذا يمكن للباحث الذي يريد دراسة تاريخ مصرف روما وارتباط اعماله بالتوسع الايطالي في ليبيا ان يجد في اشارات المؤلفة في هذا الخصوص ما يفيد في دراسة تاريخ مصرف روما ونشاطه الاستعماري في البحر الابيض بصفة عامة وفي ليبيا بالذات بصفة خاصة .

خلاصة القول ان الكتاب يحوي الكثير من الاشارات التي تفيد في دراسة تاريخ ليبيا الحديث والتي تفيد ايضا في اثارة الكثير من الافكار التاريخية . ولكن الكتاب في جملته يعطي صورة عامة للوضع العام الذي كان يسود البحر الابيض المتوسط قبيل الحرب العالمية الثانية وأثر ذلك في علاقة ايطاليا بليبيا وأثر هذه العلاقة في الاحداث الجارية في البحر الابيض في ذلك الوقت .

54 — Moore, Martin; Fourth Shore. Italy's Mass Colonization of Libya. London, George Routledge and Sons, 1940. 233 PP.

صدر كتاب «الشاطىء الرابع» لمؤلفه الكاتب مارتن مور Martin Moore في لندن في ١٩٤٠ والحرب العالمية الثانية قد بدأت في أوربا في سبتمبر ١٩٣٩ . وكانت ايطاليا قد اخذت تتهيأ للاشتراك فيها الى جانب حليفتها المانيا . والكتاب عبارة عن دراسة للاستعمار الجماعي الايطالي لليبيا . وكان الكاتب قد جاء الى ليبيا في خريف ١٩٣٨ كمراسل لجريدة الديلي تلغراف Daily Telegraph الانجليزية بصحبة اول مجموعة من المعمرين الايطاليين الذين بلغ عددهم عشرين الفا من الفلاحين وقد حملتهم السفن الايطالية من ايطاليا الى ليبيا حيث انزلتهم في مينائي طرابلس وبنغازي . وقام المؤلف بتتبع الطابور الطويل لسيارات الجيش التي حملت أولئك المعمرين الايطاليين الوافدين . وقد خصصت حكومة الولاية سيارة لكل عائلة ايطالية لحملها الى البيت الذي خصص لها مع مزرعته . وهكذا وضعت ايطاليا سياستها الاستعمارية لتوطين العائلات الايطالية في ليبيا على اساس الاسرة لا الفرد . وكان بالبو Balbo المنفذ لهذه السياسة الأيطالية الاستعمارية في ليبيا . وقد زود المؤلف كتابه بالكثير من الصور التي توضح خط سير هذه الموجة الاستعمارية التي شاهدتها ليبيا في ١٩٣٨ والتي لو كتب لها الاستمرار والنجاح لغيرت الوضع تماما في ليبيا . ولكن قيام الحرب العالمية الثانية واشتراك ايطاليا فيها الى جانب الالمان ومقتل بالبو بعد ان أصيبت طائرته في سماء طبرق وانتهاء الحرب العالمية الثانية بهزيمة ايطاليا وحلفائها وفقدان ايطاليا لمستعمراتها وضع حدا نهائيا لهذه السياسة الاستعمارية الجماعية وانقذت البلاد من مستقبل مظلم لأهلها لو قدر لهذا النوع من الاستعمار النجاح .

يحتوي الكتاب على ثمانية عشر فصلا بالاضافة الى فهرس الاسماء . والكتاب في جميع فصوله مصدر هام لدراسة السياسة الايطالية في استعمارها لليبيا . والكتاب دراسة هامة للجهود التي بذلها بالبو في سبيل توطين المعمرين الايطاليين بشكل جماعي في ليبيا بانشاء القرى الكاملة للعائلات الايطالية بمزارعها وبكل ما تحتاج اليه في حياتها في ليبيا . ولأهمية الدور الذي لعبه بالبو في ادارة ليبيا وتطورها في سبيل مصلحة هذه العائلات الايطالية المهجرة نجد الكاتب يتحدث عنه «كخالق لليبيا الحديثة» في الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب .

كان للكتاب صدى كبير في الصحافة العالمية لصدوره في وقت كانت فيه الانظار متجهة لايطاليا وجهودها التوسعية التي اخـذت تهدد العالم والتي مهدت فيما بعد لقيام الحرب العالمية الثانية . وقد اهتمت مجلة الهلال القاهرية بهذا الكتاب ونشرت له ملخصا في عددها الصادر فـي شهر ديسمبر ١٩٤١ .

خلاصة القول ان الكتاب هام لدراسة السياسة الايطالية في ليبيا خصوصا في عهد ولاية بالبو وان هذه الاهمية تجعل من الصعب تناوله في صفحات قليلة اذ ليس فيه ما يمكن اغفاله وعدم الاشارة اليه . ولهذا نرى ضرورة رجوع القراء اليه حرصا على الفائدة الكبيرة من قراءته .

***

55— Murray, G.W.; Sons of Ishmael. A Study of The Egyptian Bedouin. London: George Routledge And Sons, Ltd. Broodway House: 68 - 74 Carter Lane, E.C., 1935. XV, 344 PP.

أخرج الاستاذ ج.و. موراي G.W. Murray كتابـه عن «اولاد اسماعيل» في لندن في ١٩٣٥ م. واذا كان هذا الكتاب عبارة عن دراسة للقبائل العربية المقيمة في الجمهورية العربية المتحدة فانه يشمل ايضـا دراسة للكثير من القبائل العربية المقيمة في ليبيا بحكم صلة القربى بين البلدين والعلاقات التاريخية بينها . ولهذا كان علينا فـي دراسة تاريخ ليبيا ان نعود الى بعض المراجع التي تتناول تاريخ الاقطار المجاورة لنجد بعض المعلومات او التفسيرات التاريخية للكثير من الاحداث والحوادث التي شاهدتها ليبيا . وما جاء في هذا الكتاب من معلومات عن القبائل البدوية في مصر خير مثل في هذا الخصوص .

هذا الكتاب جاء بعد دراسة حقلية للقبائل البدوية في مصر وقـد استعان بالسلطات المحلية هناك لتسهيل مهمته شأن كل دراسة حقليـة تهدف الى ضمان التوفيق والنجاح في الحصول على الحقائق العلميـة المطلوبة . وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة أبواب ، وكل باب منها ينقسم الى عدة فصول . وقد بلغ مجموع فصول الكتاب تسعة عشرة فصلا بخلاف الملحق والمقدمة والتقديم .

ويشمل الباب الاول فصلين يتحدث المؤلف في الفصل الاول منهما عن

الصحراء الكبرى في العصر القديم . وهو في هـــذا الحديث يستعرض المعالم العامة لهذه المنطقة بما في ذلك ليبيا كجزء من الصحراء الكبرى . ويعطي المؤلف اسماء القبائل التي كانت تعيش الى الغرب من وادي النيل وعلاقاتها بقدماء المصريين في عهد الفراعنة . ويتناول المؤلف موضـــوع حيوان الجمل وبداية دخوله في القارة الافريقية ويذكر ان الفرس كانوا اول من ادخل هذا الحيوان في افريقية حوالي ٥٢٥ ق.م. وقد مضت عدة قرون قبل ان يصل بدو افريقية الى الاستفادة التامة من هذا الحيوان. ولا يأخذ المؤلف بالنظرية التي تقول بان دخول حيوان الجمل الى الشمال الافريقي كان عاملا قويا في القضاء على غابات هذه المنطقة اذ المعروف ان حيوان الماعز اكثر خطورة على الاحراش الصغيرة من حيوان الجمل . ولقد كان الماعز موجودا دائما في هذه المنطقة . ويعتبر المؤلف حيوان الماعز هو المسئول عما لحق احراش بلاد الشمال الافريقي من ضياع . ويذكر المؤلف ان الاسكندر الاكبر استخدم الجمال في حمل زاد الحملة التي خرج بها من وادي النيل قاصدا واحة سيوة في الغرب (ص ١٨ ــ ١٩) . وفي نهاية هذا الفصل يحاول المؤلف ان يشرح الاسباب التي جعلت الفتح العربـــي للشمال الافريقي سهلا في الوقت الذي كان فيه المسلمون قد لاقوا مقاومة عنيفة من اهل النوبا وقبائل البيجه Beja بعـــد ان تم للمسلمين الاستيلاء على مصر بكل سهولة .

ومع ان المؤلف استعرض فترة طويلة من التاريخ القديم لمنطقة كبيرة من القارة الافريقية الا انه نجح في اثارة بعض النقط الهامة في دراســة تاريخ ليبيا فيما قبل الفتح الاسلامي تصلح ان يكون كل منها موضوعــا للدراسة والبحث .

اما الفصل الثاني في هذا الباب فيخصصه المؤلف للحديث عن الفتح العربي والقبائل العربية الوافدة معه وتوزيعها سواء في وادي النيل او في ليبيا والارهاصات التي تولدت منها وأثرها في تكوين السكان وعلاقة هذه القبائل مع السلطات الحاكمة . ومن أهم الموجات العربية التالية مجيء قبائل بني سلم وبني هلال الى وادي النيل من الجزيرة العربية ومتابعة هذه القبائل لمسيرتها نحو الشمال الافريقي وقد استقرت قبائل بني سلم في برقة وفي الجبل الاخضر بالذات . وواصلت قبائل بني هلال زحفها الى طرابلس وتونس حيث استقرت هناك وكان لها أثرها الواضح في حياة البـــلاد .

ويشير المؤلف الى القبائل العربية التي عادت الى مصر واستقرت فيها بعد ان تركت مواطنها في ليبيا . ويتناول المؤلف موقف هذه القبائل القادمة من ليبيا من القبائل التي وجدتها أمامها في وادي النيل وموقفها جميعا من الحملة الفرنسية عندما أغار نابليون بحملته على مصر في أواخر القرن الثامن عشر . ويتناول المؤلف موقف محمد علي باشا من هذه القبائل بعد ان اصبح واليا على مصر في ١٨٠٥ م وكيف استفاد من خلاف هذه القبائل فيما بينها والخدمات التي قدمتها له هذه القبائل في حروبه في الجزيرة العربية ضد الوهابيين وفي فتحه للسودان والامتيازات التي قدمها الى هذه القبائل مكافأة لها على خدماتها واخلاصها لمحمد علي باشا ومصير هذه الامتيازات فيما بعد في عهد خلفاء محمد علي باشا وابنائه من حكام مصر .

وفي الفصل الثالث وهو بداية الباب الثاني يتكلم المؤلف عن القبيلة كوحدة اجتماعية ونظامها والقواعد العامة التي تربطها وكيفية اختيار شيخها . كل ذلك مع ضرب الامثلة باختيار بعض القبائل التي توضح الشرح . واذا كان المؤلف قد ركز اختياره للأمثلة الموضحة على القبائل التي تعيش في وادي النيل وفي شبه جزيرة سيناء الا ان هذه القواعد والانظمة القبلية شيء مشترك في أصوله العامة مع القبائل في ليبيا وخاصة الموجود منها في برقة . ومع ذلك فان المؤلف اختار بعض قبائل برقة لتوضيح هذه الانظمة التي تحدث عنها بخصوص الوجود القبلي .

ويتناول المؤلف في الفصل الرابع موضوع الحياة في الخيام من طفولة ووضع المرأة وحقوقها وواجباتها ونظام الرق والضيافة والاغاني والرقص. ويتناول المؤلف ايضا الطب والعلاج عند البادية والملابس والاسلحة وبيوت الشعر وأنواعها وما تضمه من أثاث . خلاصة القول ان هذا الفصل يتناول الحياة الاجتماعية بصفة عامة لسكان البادية مع ضرب الامثلة التي توضح ما يستعرضه المؤلف من آراء .

ويخصص المؤلف الفصل الخامس للحديث عن طعام اهل البادية وانواع هذا الطعام وكيفية اعداده . اما الفصل السادس فيخصصه للكلام عن الحيوانات الاليفة التي يربيها اهل البادية للاستفادة منها . ولأهمية حيوان الجمل في حياة البادية نجد المؤلف يخصص الباب الرابع للكلام عن «الجمل» ودوره الهام في حياة البادية . ونجد المؤلف يتناول تاريخ دخول حيوان الجمل الى افريقية ومصر بالذات عندما يذكر ان قدماء المصريين قد عرفوا حيوان الجمل منذ أقدم الازمنة (ص ١٠٤) نقلا عن الرحالة الالماني

سكوينفيرث Scheweinfurth الذي شاهد رسما على الصخر لرجل ومعه جمل عند مصب وادي ابو عجاج Wadi Abu Ajaj بالقرب من اسوان . ويقول هذا الرحالة الالماني ان تاريخ هذا الرسم يعود الى الاسرة الثانية عشرة الفرعونية (ص ١٠٤) . ولكن المؤلف يعود ويؤكد ان قدماء المصريين لم يستخدموا الجمل حتى سنة ٥٠٠ ق.م الشيء الذي كان دائما يثير اهتمام المؤلف ويدفعه الى محاولة تفسيره . ويحاول المؤلف في السطور التالية تفسير عدم هذا الاستعمال ويرجعه الى اسباب طبيعية بالنسبة لمصر الوسطى ومصر العليا . ويختم المؤلف كلامه مؤكدا بأن قدماء المصريين كانوا يستعملون الحمير وسيلة للنقل في الصحراء حتى مجيء الفرس الى مصر . هذه المعلومات تفيد كل من يريد دراسة تاريخ هذا الحيوان وأثره في تطوير تاريخ البلاد كوسيلة هامة للنقل في الشمال الافريقي وخاصة المناطق الصحراوية .

ويخصص المؤلف الفصل الثامن للحديث عن الصيد عند البدو كما يخصص الفصل التاسع للغارات التي تقوم بها القبائل البدوية على غيرها من القبائل الاخرى وما يصحب هذه الاغارات من اعمال . اما عقائد هذه القبائل وسلوكها العقائدي فيتناوله المؤلف في الفصل العاشر . وهكذا يتناول المؤلف بقية جوانب الحياة الاجتماعية عند البادية من احتفالات وقوانين الثأر والخيمة والمرأة وعمليات التقاضي واعرافها البدوية الشيء الذي يصلح ان يكون دراسة اجتماعية وقانونية للحياة البدوية ومدى تمشيها مع ما تشرعه الدولة من قوانين ولوائح .

اما الفصل الخامس عشر وهو اول فصول الباب الرابع فان المؤلف يخصصه للكلام عن عرب شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية . وسيجد القارىء لهذا الفصل الكثير من وجوه الشبه بين هذه القبائل وبقية القبائل العربية الاخرى التي تعيش الى الغرب من وادي النيل حتى منطقة برقة كما سيجد القارىء بعض الفروق الواضحة بحكم اختلاف طبيعة جغرافية المنطقتين .

ويعتبر الفصل السادس عشر والفصل السابع عشر من اهم فصول الكتاب لارتباطها الكثير بالدراسات التي تفيد في دراسة الكثير من قبائل ليبيا . ففي الفصل السادس عشر يتحدث المؤلف عن البدو الغربيين او المغاربة . وهو يعني بذلك القبائل البدوية التي تعيش الى الغرب من وادي النيل . ويبدأ المؤلف هذا الفصل بذكر بعض الملاحظات العامة عن سكان هذه المنطقة . وبعد ان يشير المؤلف الى الفتوح الاسلامية الاولى للشمال

الافريقي وما صاحب هذه الفتوح من قدوم بعض القبائل العربية وما تركته من آثار بشرية يتناول مجيء قبائل بني سليم وبني هلال الى الشمال الافريقي في القرن الحادي عشر . وقد سبق للمؤلف ان اشار الى هذه القبائل في الفصل الثاني من هذا الكتاب ولكنه في هذه المرة يأخذ الموضوع باعطاء تفاصيل اكثر . ففي هذه المرة يتحدث المؤلف عن نظام «السعادي» ونظام «المرابطين» بين هذه القبائل التي تعيش في الصحراء الغربية بمصر . ويتحدث المؤلف ايضا عن كيفية قيام كل من هذين النظامين ومعنى كل منهما وما هي القبائل التي تنتمي الى كل منهما ، وهذا الكلام في جملته يفيد في دراسة القبائل الليبية في برقة وما حدث عليها من تطور بعد مجيء بني هلال وبني سليم الى الشمال الافريقي . والمؤلف في كلامه عن «السعادي» و«المرابطين» في الصحراء الغربية بمصر يعطينا الكثير من المعلومات التي تفيد في دراسة العلاقات التاريخية بين هذه القبائل وبين بقية القبائل المماثلة والتي ما زالت تعيش في برقة . وفي دراسة ما كتبه المؤلف عن قبيلة «اولاد علي» بالصحراء الغربية بمصر نجد الكثير من المعلومات التي تفيد في دراسة التحركات القبلية الليبية وهجراتها أما بسبب البحث عن المراعي او بسبب الحروب التي قامت فيما بينها لاسباب أخرى متعددة . والملاحظ ان المؤلف يشيد بقبائل الصحراء الغربية في مصر من حيث السلوك والرجولة عند مقارنتها بالقبائل الاخرى التي استوطنت الجهات الشرقية من مصر بعد أن قدمت اليها من شبه جزيرة سيناء .

ويتناول المؤلف في الفصل السابع عشر القبائل البدوية التي استوطنت وادي النيل واستقرت هناك ، وكثير من هذه القبائل ترجع في أصولها الى قبائل ليبية ما زالت تعيش في بلادنا . ويتتبع المؤلف هذه القبائل حسب حروفها الهجائية مع ذكر تحركاتها والمكان الذي استقرت فيه اخيرا وعلاقتها بالأصول التي جاءت منها وعلاقتها بالسلطة الحاكمة في مصر . ولا يمكن دراسة تاريخ قبائل ليبيا والتطورات التي حلت بها دون الرجوع الى هذه الفروع التي استقرت في مصر واتخذت لها من وادي النيل مقاما . وبعض القبائل الليبية هاجرت برمتها الى مصر كقبيلة اولاد علي التي اصبحت تسكن الصحراء الغربية بمصر منذ بداية القرن التاسع عشر بعد ان كانت تقيم في برقة . وقبيلة البراغيث التي جاءت الى مصر بصحبة قبيلة الهنادي في القرن الثامن عشر بزعامة يونس بن مرداس السلمي Yunis Ibn Mirdas es-Salmi . واستقرت قبيلة الهنادي في

البحيرة ولكنها اضطرت الى الهجرة شرقا الى محافظة الشرقية أمـــام زحف قبيلة اولاد علي التي قدمت الى الصحراء الغربية المصرية واستقرت فيها .

وبهذا الفصل معلومات عن الخدمات التي قدمتها هذه القبائل الليبية الى محمد علي باشا مؤسس الاسرة العلوية في مصر بعد هجرتها اليها . وكان أهم هذه الخدمات ما قدمته هذه القبائل لمحمد علي باشا في ميدان الحروب التي قام بها في الجزيرة العربية والسودان وسوريا . وكثيرا ما استطاع محمد علي باشا ان يسخر هذه القبائل لخدمة اغراضه باستغلال ما كان يحدث من نزاع بينها . واستمر حكام مصر من ابناء محمد علـي باشا يسيرون على سياسة معينة نحو هذه القبائل البدوية التي استقرت في مصر .

ويذكر المؤلف قصة المحاولة التي قام بها سعيد باشا والي مصـــر بخصوص تجنيد ابناء القبائل البدوية في جيش مصر . وقد قابلت القبائل هذه المحاولة بالرفض حتى ان عمر بك المصري عمدة قبيلة الجوازي قاد حملة لعودة القبائل الى برقة حيث كان موطنها الاصلي ولكنه استطاع ان يجمع ٢٠٠ رجلا كان منهم سبعون رجلا من قبيلته . اما الباقون فقد كانوا من قبيلة العمايم وقبيلة ترهونة وقبيلة جهمة . وقد نجح عمر بك المصري وجماعته في عبور الحدود الليبية بعد مناوشة مع جماعة من رجال البدو الآخرين الذين أرسلوا لمتابعته . وقد قامت بين الفريقين معركة في بالات Balat بواحة الداخلة المصرية . ولكن الوالي العثماني المسئول عن ليبيا في ذلك الوقت رفض ان يزيد من مسئولياته واستطاع ان يتفاوض مع سعيد باشا وأن يحصل على اعفائهم من الخدمة العسكرية فعادت جماعة عمر بك المصري الى مصر واقامت بالقرب من الفيوم .

اما عمر بك المصري نفسه فقد بقي في ليبيا حتى زمن اسماعيل باشا الذي عفا عنه وسمح له بالعودة الى اراضيه في صعيد مصر . وقد كان عمر بك المصري رجلا صغير الحجم بشكل يلفت النظر حتى يقال انه كان في خيمته عندما دخلت عليه امرأة ووجدته نائما . وعندما سألت هـذه المرأة زميلة لها موجودة في الخيمة عن شخصية الرجل النائم اخبرتها بأنه «عمر بك المصري» فأخذت تزحف نحوه وبدأت تقيسه بيدهـــا حتى اذا وصلت الى مكان قلبه استيقظ عمر بك المصري وصاح قائلا «قف ايتهـــا

المرأة ! الا تعلمين ان حجم الرجل هو ما في قلبه ؟» (٥٨) .

وما زال كبار السن من بادية برقة يرددون ما كانت تقوله جماعة عمر بك المصري لسعيد باشا وقد اخذت تستبعد العودة الى موطنها الاصلي في برقة بعد ان اضطرت الى الهجرة بسبب القحط وقلة المراعي . وكان سعيد باشا والي مصر قد اتخذ سياسة جديدة بخصوص توزيع الاراضي الحكومية على فلاحي مصر للاستفادة منها بواقع خمسة أفدنة لكل فلاح رب لأسرة . ويبدو ان بعض الجوازي النازحين الى وادي النيل استطاعوا الحصول على بعض هذه الاراضي لاستغلالها . قالت جماعة عمر بك المصري لسعيد باشا :

« دونك أراضيك يا سعيد    برقة راجعت » (٥٩)

وبعد ان يتحدث المؤلف عن قبيلة البجة Beja في أعالي مصر على الحدود المصرية السودانية في الفصل الثامن عشر ينتقل في الفصل التاسع عشر الى الحديث عن ذكاء بعض افراد البادية ويطالب بضرورة تربية ابنائهم واتاحة الفرصة لتعليمهم . ويجعل من هذا الفصل خاتمة للكتاب .

وبآخر الكتاب ملحق خصصه المؤلف للحديث عن القانون الذي يسود الصحراء الغربية بمصر وهو يوضح بذلك التقاليد والاعراف التي تنظم العلاقات بين هذه القبائل . وللمؤلف فضل حصر هذه القواعد وتبويبها ، وقد شملت جميع جوانب الحياة القبلية بما فيها من التزامات وحقوق . ومعظم هذه القواعد القبلية التي تعرف «بالدريبة» عند قبائل برقة تكاد تكون بعينها فيما هو قائم ومعمول به بين أفراد القبائل الليبية وخاصة في برقة .

وهذا الملحق يفيد أولئك الذين درسوا القانون ويريدون القيام بأي بحث علمي للتخصص في دراسة هذه التشريعات القبلية ومدى ما يتفق منها مع حياتنا في ظل القوانين المعمول بها . لقد كانت القوانين في أصولها الاولى غير مكتوبة ولم تسجل الا بعد فترة طويلة من الممارسة

---

٥٨ ـ هناك قصة مشابهة يرويها الكثيرون بخصوص غومة وشجاعته التي كانت لا تتناسب وحجمه الصغير .

٥٩ ـ من رواية الاستاذ محمود مخلوف المحامي في بنغازي .

وبعد ما أدخل عليها من تعديل وتطوير في ظل الحياة العملية . وفي دراسة هذه التشريعات القبلية التي ما زال بعضها معمولا به فيما بين القبائل لتنظيم علاقاتها فائدة كبرى عند سن التشريعات القانونية او اصدارها . وفي مراعاتها وتقديرها فائدة كبرى تسهل على رجال القانون مهمتهم وعلى افراد القبائل احترامها واتباعها .

بقي ان نقول ان الكتاب سهل في لغته منظم في معلوماته غني بمادته. يفيد كل من يصدر نفسه للدراسات التاريخية والاجتماعية والقانونية بحكم مراعاة الدرائب المعمول بها . وهو غني بالصور الايضاحية والخرط الجغرافية وان كان في حاجة الى مراجعة بعض ما جاء فيه من معلومات، لان الكتاب صدر في ١٩٣٥ وقد طرأ الكثير على الحياة الاجتماعية بين هذه القبائل بحكم الزمن وانتشار التعليم . وأخيرا بقي ان نقول ان المؤلف كان غير واضح في افكاره عندما تناول تاريخ حيوان الجمل ودخوله الى الشمال الافريقي ولهذا جاء كلامه في هذا الخصوص مضطربا وفي حاجة الى التركيز وتحديد الاتجاه التاريخي .

***

56 — Nash, Howard P. (Jr.); The Forgotten Wars, The Role of The U.S. Navy in The Quasi War With France And The Barbary Wars 1798 - 1805. South Brunswick And New York: A.S. Barnes And Company. London: Thomas Yoseloff Ltd., 1968. 308 PP.

صدر كتاب «الحروب المنسية» لمؤلفه هوارد ب. Howard P. Nash, Jr في ١٩٦٨ . وبعد تقديم الكتاب وكلمة المؤلف نجد الكتاب ينقسم الى قسمين . وقد تناول المؤلف موضوع الحرب الامريكية الفرنسية (١٧٩٨ — ١٨٠١) في القسم الاول من الكتاب في ثمانية فصول .

اما القسم الثاني فقد خصصه المؤلف للحديث عن الحروب التي قامت بين الولايات المتحدة الامريكية ودول الشمال الافريقي فيما بين ١٨٠١ و١٨٠٥ . ويحتوي هذا القسم على سبعة فصول . وهذه الفصول السبعة هي التي تهمنا بصفة خاصة في هذا الباب مع ضرورة الاطلاع على الفصل

الاول من القسم الاول لما فيه من تعليقات بخصوص الحروب التي قامت بين الولايات المتحدة الامريكية ودول الشمال الافريقي .

يبدأ المؤلف حديثه عن الحرب التي قامت بين ليبيا والولايات المتحدة الامريكية في عهد يوسف باشا القرهمانلي والرئيس الامريكي جيفرسون Jefferson في الفصل التاسع بعنوان « طرابلس تعلن الحرب » . يذكر المؤلف ان الرئيس جيفرسون صمم بعد ثلاثة اسابيع من اتمام مراسم استلامه للسلطة ان يرسل قوة الى البحر الابيض المتوسط لتدمير القوة البحرية الليبية ولمواجهة بحرية الجزائر وبحرية طرابلس متحدتين . ولهذا أصدر تعليماته للقائم بوزارة البحرية الامريكية ان يعطي التعليمات لبعض القطع البحرية للاستعداد لتنفيذ سياسته . ولما كان اعلان الحرب من حق الكونجرس Congress فقط فان تعليمات الرئيس بخصوص ارسال القوة البحرية الى البحر الابيض كانت من اجل القيام بحماية السفن الامريكية ووقايتها من التعرض للنهب والسلب .

باستعراض الوضع الدستوري لقيام الحرب بين الولايات المتحدة الامريكية ويوسف باشا يبدأ المؤلف حديثه بالكلام عن تلك الحرب البحرية في بداية القرن التاسع عشر . وقد عهدت السلطات البحرية الامريكية الى الكابتن ريتشارد ديل Captain Richard Dale بقيادة بعض قطع الاسطول الامريكي لحماية السفن التجارية الامريكية في البحر الابيض المتوسط . وكان وصول الكابتن ديل Dale الى ميناء جبل طارق في أوائل ١٨٠١ م حيث وجد بعض السفن الحربية الليبية يقودها قائد البحرية الليبية نفسه . وقد كان هذا القائد اسكتلنديا ولكنه تحول الى العقيدة الاسلامية . وأصبح فيما بعد صهرا ليوسف باشا بزواجه من ابنته . وقد علل قائد البحرية الليبية وجوده في جبل طارق برغبته في التزود بالمياه اللازمة بعد ان أمضى ٣٦ يوما في البحر . ولكن الكابتن ديل Dale لم يقتنع بهذا التعليل واخذت الشكوك تساوره بخصوص اعلان الحرب من جانب يوسف باشا ضد الولايات المتحدة الامريكية . وقد أيده في هذا الاحتمال جون جافينو John Gavino القنصل الامريكي في جبل طارق . لقد شك الكابتن ديل في ان تكون السفن الليبية في طريقها الى الغرب او الى المحيط الاطلسي من اجل الاستيلاء على السفن الامريكية. ولقد كانت هذه الشكوك التي ساورت الكابتن ديل Dale صحيحة اذ سرعان ما عرف ان يوسف باشا القرهمانلي كان قد اعلن الحرب يوم ١٤ مايو ١٨٠١ بطلب قطع سارية العلم الامريكي على ارتفاع ستة أقدام من

سطح القنصلية الامريكية بمدينة طرابلس . ولقد كانت هذه العملية هي الطريقة التي تتبعها دول الشمال الافريقي في حالة اعلانها للحرب على اي دولة لها قنصلية في البلاد . وكانت خلاصة الاسباب التي جعلت يوسف باشا يعلن الحرب على الولايات المتحدة الامريكية هو انه كان يشعر بأن حكام مراكش والجزائر وتونس كانوا يستلمون من الولايات المتحدة الامريكية هدايا وجزية اكثر مما كان يتقاضاه منها .

وبعد ان استطاع الكابتن ديل Dale تسوية اعماله في الجزائر وتونس أبحر الى مدينة طرابلس التي وصل اليها يوم ٢٥ يوليو ١٨٠١ . وفي اليوم التالي ارسل الى يوسف باشا خطابا يعبر فيه عن اسفه لاعلانه الحرب على الولايات المتحدة الامريكية وأنه نتيجة لهذا الوضع سيبدأ بالاعمال العدوانية ضد السفن الليبية والرعايا الليبيين اينما وجدوا . وبدلا من ان يقوم يوسف باشا بالرد على الكابتن ديل مباشرة قام بارسال احد التجار المحليين للتفاوض مع الكابتن ديل في سبيل عقد الصلح او الهدنة . ولكن ديل رد على رسول الباشا بأنه غير مخول بعقد معاهدة جديدة ولكن **اذا رأى الباشا ذلك** فعليه ان يرسل احد ضباطه على أن يكون جادا في الموضوع لعمل الترتيبات اللازمة في سبيل عقد الهدنة . ولكن الباشا تجاهل تماما هذه الرسالة .

بدأ الكابتن ديل Dale قائد الحملة الامريكية في الاستعداد لضرب الحصار البحري المحكم حول ميناء طرابلس مستعينا في ذلك بالحصول على بعض المياه اللازمة من جزيرة مالطة ، وقد كلف الملازم البحري اندرو ستيريت Andrew Sterett قائد السفينة انتربرايز Enterprize بهذه المهمة . وتصادف ان تقابل ستيريت وهو في الطريق الى جزيرة مالطة مع احدى السفن الليبية المسماة «طرابلس» ، وكان يقودها الريس محمد روس Mohomet Rous . ودارت معركة حامية بين الطرفين انتهت بهزيمة الريس محمد روس وقتل ثلاثة من رجاله وجرح ثلاثة آخرين . وكان هو نفسه من بين المجروحين ، وعند وصوله الى ميناء طرابلس عاقبه يوسف باشا «بتطويفه» في شوارع المدينة راكبا جحشا مبالغة في احتقاره . وبعد هذا التطويف امر الباشا بضربه بالفلقة . هذا ما كان في مدينة طرابلس بعد هذه المعركة البحرية . اما في الولايات المتحدة الامريكية وقد وصلت اخبار انتصار البحرية الامريكية قام الكونجرس بمنح سيف الى ستيريت Sterett الملازم البحري الامريكي قائد السفينة الامريكية مع صرف مرتب شهر لبقية ضباط السفينة

وبحارتها مكافأة لهم .

عاد الكابتن ديل Dale الى الولايات المتحدة بسبب انتشار نوع من مرض الانفلونزا بين رجال سفينته ولحدوث نقص في التموين بعد ان ترك السفينة فيلادلفيا Philadelphia والسفينة اسكس Essex في مياه البحر الابيض لاتمام الحصار حول بعض السفن الليبية في ميناء جبل طارق التي كان يقودها رئيس البحرية الليبية وبعد ان ترك التعليمات اللازمة لمن يخلفه في قيادة الاسطول الامريكي في البحر الابيض المتوسط لاحكام الحصار حول ميناء طرابلس (ص ١٩٣)» .

وفي الفصل الثاني من الباب الثاني نجد المؤلف يتحدث عن اطلاق يد البحرية الامريكية للعمل بحزم ضد الدول المغربية . ويبدأ المؤلف بالاشارة الى موافقة الكونجرس الامريكي في فبراير ١٨٠٢ على قرار بحماية تجارة الولايات المتحدة الامريكية ورجال بحريتها وبذلك اصبح تزويد رجال البحرية بالسلاح اللازم واستخدام السفن المسلحة حسب ما يتراءى للرئيس الامريكي شيئا مفروغا منه . وعلى هذا الاساس اعطيت التعليمات لقادة السفن العامة لاسر واغتنام كل السفن والبضائع وكل ما يخص الباشا في طرابلس او رعاياه .

حل الكابتن ريتشارد ف. مورس Richard V. Morris محل الكابتن ديل Dale في قيادة السفن الامريكية بالبحر الابيض المتوسط، ووجد أمامه التعليمات التي تركها له سلفه لاحكام الحصار حول ميناء طرابلس . واصطحب مورس معه المستر كاثكارت Cathcart القنصل الامريكي السابق في مدينة طرابلس لان الرئيس جيفرسون كان قد استنتج خطأ ان النشاط الذي قام به الكابتن ديل Dale في البحر الابيض المتوسط قد حرك رغبة يوسف باشا القوية في عقد الصلح . ولهذا أصدر سكرتير الشئون الخارجية تعليماته الى المستر كاثكارت Cathcart لمصاحبة حملة مورس للقيام بالمفاوضات التي كان من المحتمل ان ترتبط بالعمليات الحربية ضد قوات يوسف باشا الذي اخافه النشاط الذي قام به الكابتن ديل Dale في البحر الابيض المتوسط حسب الاعتقاد الخاطىء الذي كان لدى الرئيس جيفرسون . وكان المستر نيكولاس س. نيسن Nicholas C. Nessen قنصل الدانمرك في طرابلس يقوم برعاية المصالح الامريكية في طرابلس . وكان هذا القنصل على اتصال بالطرفين لعقد الصلح وانهاء الحرب بينهما . وقد نقل رغبة يوسف باشا القرهمانلي الى الكابتن موريس Morris بخصوص اعتماد الوزير محمد الدغيس

Mohamed Dghies لمفاوضة قائد البحرية الامريكية التـــي ضربت حصارها حول ميناء طرابلس . واقترح القائد الامريكي ان يتم اللقاء مع محمد الدغيس على ظهر السفينة الامريكية المسماة نيويورك New York (ص ٢٠٢) . وفي الوقت الذي كان يقوم فيه القنصل الدانمركي باتصالاته في سبيل عقد الصلح كان الطرفان يستعدان للوصول الى هذه النتيجة السلمية مع الاستمرار في الاعمال الحربية المتبادلة .

وأخيرا بعد ان استمرت المناقشة بخصوص مكان الاجتماع بين القائد الامريكي موريس Morris ومحمد الدغيس جاء الضابط الامريكي الى مدينة طرابلس بعد ان تعهد قنصل فرنسا بضمان حمايته . وعقد الطرفان اجتماعين في اليوم السابع واليوم الثامن من شهر يونيو ١٨٠٢ . وفي الاجتماع الثاني تقدم محمد الدغيس بطلبات الباشا وكانت تتلخص في ان تقوم الولايات المتحدة بدفع مبلغ ٢٠٠٠٠٠ دولار نقدا وجزية سنويـــة مقدارها ٢٠٠٠٠ دولار بالاضافة الى كمية غير محــــدودة من الذخيرة العسكرية البحرية في مقابل عقد الصلح . ولكن الكابتن موريس Morris رفض قبول هذه الشروط وغادر المدينة ومبناءهـــا (ص ٢٠٣ ــ ٢٠٥) . وكان الكابتن موريس يخشى ان تقوم كل من الجزائر وتونس باعلان الحرب ضد الولايات المتحدة الامريكية وتعلنان تعاونهما مع يوسف باشا . ولهذا امر الكابتن موريس بضرورة احكام الحصار حول ميناء طرابلس متخذا من جزيرة مالطة وبعض الموانى الايطالية قاعدة لتحركاته .

عاد الكابتن موريس Morris الى الولايات المتحدة يوم ٢١ نوفمبر ١٨٠٣ بناء على استدعاء السلطات الامريكية له لاعطاء البيانات اللازمـــة بخصوص المهمة التي كلف بها في البحر الابيض المتوسط ولم ينجح تماما في تحقيقها . وانتهت اللجنة التي حققت معه باصدار قرار تنحيته بتاريخ ١٣ ابريل ١٨٠٤ . واعتمد رئيس الجمهورية هذا القرار وقامت السلطات البحرية بابلاغه للكابتن موريس . وبهذا الشكل انهى المؤلف هذا الفصل من كتابه .

واذا كان المؤلف قد خصص الفصل الحادي عشر للكلام عن العلاقات التي كانت سائدة بين الولايات المتحدة الامريكية ومراكش في بداية القرن التاسع عشر فان هذا الفصل يفيد في تكملة الصورة العامـــة للاحداث البحرية التي قامت بين ليبيا والولايات المتحدة الامريكية في عهد يوسف باشا القرهمانلي .

ويعود المؤلف في الفصل التالي وهو الفصل الثاني عشر للحديث عن

أسر السفينة الامريكية المعروفة باسم فيلادلفيا Philadelphia وهو يعطينا معلومات طريفة عن كيفية اسرها والاحداث التي أدت الى ذلك وكيف وقع قائدها الكابتن بينبردج Bainbridge مع ضباطه وجنوده اسرى في يد يوسف باشا وكيف سار الاسرى في الشوارع الملتوية لمدينة طرابلس في طريقهم الى القلعة حيث قابل يوسف باشا قائد السفينة والضباط الذين كانوا معه . ويذكر المؤلف بعض الاسئلة والاستفسارات التي وجهها يوسف باشا للقائد بينبردج عن سفينته ومدى قوة البحرية الامريكية في البحر الابيض والمصادر البحرية للولايات المتحدة الامريكية الى غير ذلك من الاسئلة .

وفي هذا الفصل يتناول المؤلف الدور الخطير الذي لعبه القنصل الدانمركي في خدمة الاسرى الامريكيين بصفته القائم برعاية المصالح الامريكية بعد قطع العلاقات بين ليبيا والولايات المتحدة الامريكية وكيف كان حلقة الصلة بين الاسرى الامريكيين والقائد العام للقوات البحرية الامريكية في البحر الابيض المتوسط وكيف اهتم الامريكيون بانقاذ سفينتهم «فيلادلفيا» ولكنهم اضطروا الى نسفها بعد ان رأوا استحالة استرجاعها وقد نجحوا في تحقيق غرضهم .

وفي الفصل الثالث عشر يتحدث المؤلف عن المحاولات التي بذلها الامريكيون لفك سراح اسراهم وكيف جاءت السفينة الامريكية المعروفة باسم «كونستتيوشن» Constitution يوم ١٣ يونيو ١٨٠٤ الى شواطىء مدينة طرابلس حاملة معها أوبرين O'Brien . وقد فوضه قائد البحرية الامريكية في البحر الابيض بربل Preble لمفاوضة يوسف باشا في سبيل الوصول الى صلح بين الدولتين وفك سراح الاسرى الامريكيين في مقابل دفع اربعين الف دولار الى يوسف باشا وعشرة آلاف دولار كبقشيش الى رئيس وزراء يوسف باشا والمسئولين العسكريين الآخرين الذين كان في امكانهم تأييد وجهة نظر القائد الامريكي بربل Preble والمساعدة في المفاوضات . وقد تعهد بربل بدفع هذا المبلغ نقدا بمجرد استلام الاسرى . وأضاف بربل في تعليماته ما يأتي :

« اذا كان الباشا أبدى رغبته في السلم فاني على استعداد للدخول معه في معاهدة باسم الولايات المتحدة الامريكية . ولكني لا استطيع دفع سنت واحد من اجل السلم . ولكني على اية حال سأشترط اعطاءه هدية قنصلية قيمتها عشرة آلاف دولار عند وصول اول قنصل يتم تعيينه . ولكن اذا جاء قنصل جديد خلال

عشر سنوات لا تعطى اي هدية قنصلية الا بعد نفاد تلك المــدة المحددة» . (ص ٢٦٤) .

ولكن يوسف باشا رفض قبول هذا العرض وصمم على الحصول على مبلغ أكبر مما جعل بربل Preble يلجأ الى التفكير في استعمال القوة لاجبار يوسف باشا على الصلح وتسليم الاسرى الامريكيين . وهنا نجد المؤلف يقوم باعطاء وصف للقوة الدفاعية لمدينة طرابلس وما كانت عليه من تحصينات .

وفي هذا الفصل يتحدث المؤلف عن الخطة التي وضعتها البحريـة الامريكية لنسف السفينة «فيلادلفيا» بعد ان عجز الامريكيون عـن استردادها . وقد نجحت الخطة الامريكية وتم نسف السفينة «فيلادلفيا» حتى لا تستطيع بحرية يوسف باشا الاستفادة منها . وقد شجع هـذا النجاح القوات الامريكية على مهاجمة مدينة طرابلس وضربها بالمدافع .

ويتحدث المؤلف في الفصل الرابع عشر عن حملة وليم ايتـون William Eaton التي قادها من صحراء مصر الغربية بعد ان استطاع هذا الامريكي الاتفاق مع أحمد باشا الثاني للاشتراك في هذه الحملـة للاطاحة بحكم يوسف باشا واعادة أحمد باشا الثاني الى العرش بعد ان طرده أخوه واغتصب منه الحكم . وفي هذا الفصل معلومات طريفة عن هذه الحملة وترتيبها واهدافها والنتائج التي حققتها .

وأمام هذا الخطر المزدوج الذي تعرض له يوسف باشا من البحر ومن البر اضطر يوسف باشا ان يعقد الصلح مع ممثلي الولايات المتحدة يوم ٣ يونيو ١٨٠٥ . وكان من أهم ما جاء في شروط هذه المعاهدة ان تقـوم الولايات المتحدة الامريكية بدفع ستين الف دولار في مقابل فك سراح رجال السفينة «فيلادلفيا» الذين كانوا قد أمضوا في الاعتقال ١٩ شهرا وثلاثة ايام . وقد قبل يوسف باشا هذا المبلغ بعد ان كان يطالب بدفع ٢٠٠٠٠٠ دولار . وتعهد الامريكيون بالانسحاب من مدينة درنة بعد ان استطاع وليم ايتون الاستيلاء عليها بحملته التي قادها عبر الصحراء الغربيـة بمصر بالاشتراك مع احمد باشا الثاني . وان يقوم الامريكيون باقناع أحمد باشا الثاني بالانسحاب من الاراضي الليبية في مقابل السماح لاسرته بالالتحاق به.

وقد ترك أحمد باشا الثاني مدينة درنة يوم ١٢ يونيو ١٨٠٥ قاصدا سيراكيوز Syracuse بصقلية حيث عاش هناك بعض الوقت بمكافأة شهرية متواضعة بلغت ٢٠٠ دولار كان يقوم قائد البحرية الامريكية في البحر الابيض بدفعها اليه . وفي ١٨٠٦ قرر الكونجرس الامريكي ان يدفع

مبلغ ٢٤٠٠ دولار سنويا لأحمد باشا الثاني . وفي ١٨٠٧ وبفضل المساعي التي بذلها وليم ايتون تم اطلاق سراح اسرته للالتحاق به . وفي ١٨٠٨م خصص يوسف باشا معاشا لأخيه أحمد باشا وعينه حاكما لدرنة . ولكن سرعان ما طرده من البلاد مرة ثانية في ١٨١١ وأجبره على اللجوء الى مصر مرة ثانية حيث عاش هناك حتى مات بعد ذلك بوقت قصير . وكان وليم ايتون من أنصار أحمد باشا الثاني . وكان يرى ان حكومته الامريكية قد تخلت عنه بعد ان شجعته على استعادته للعرش الذي اغتصبه منه أخوه يوسف باشا (ص ٢٨٩) .

بقي ان نقول ان المؤلف قد عرف كيف يستفيد من المصادر التاريخية التي تناولت موضوع الحرب بين يوسف باشا القرهمانلي والولايات المتحدة الامريكية . وقد اعطانا المؤلف في آخر الكتاب قائمة غنية بأهم هذه المراجع وكلها باللغة الانجليزية وبعضها من المصادر الاساسية . والكتاب غني بالصور للمعارك البحرية التي قامت بين الدولتين والسفن التي ساهمت فيها . وقد استفاد في ذلك من الصور الموجودة في متحف البحرية الامريكية .



57 — Newman, E.W. Polson; Britain And North - East Africa. London And Melbourne, 1940 . 286 PP.

هذا الكتاب عن «بريطانيا وشمالي شرقي افريقية» . ومؤلفه هو الميجر إ.و. بولسون نيومان E.W. Polson Newman . وقد صدر الكتاب في لندن وملبورن في استراليا ١٩٤٠ والحرب العالمية الثانية قد غطت باخبارها وأحداثها صحافة العالم . وللمؤلف كتب سياسية أخرى تناول فيها بعض اجزاء معينة من هذه المنطقة ومعظمها لا يخلو من الفائدة التاريخية بخصوص الدراسات الليبية .

يبدأ المؤلف في مقدمته للكتاب بالاشارة الى أهمية منطقة الشمال الشرقي للقارة الافريقية لبريطانيا وحلفائها . وكان المؤلف يهدف من دراسته هذه التي أخرجها في هذا الكتاب الى محاولة ايجاد نوع من الأسس التي تصلح ان تكون محورا للتعاون بين بلاد هذه المناطق ، وقد

قام بزيارتها عدة مرات .

يحتوي الكتاب على ثلاثة عشرة فصلا بجانب قائمة المراجع وفهرس الاسماء والصور والخرط ومقدمة الكتاب . ويتحدث المؤلف في الفصل الاول عن شمالي شرقي افريقية كمنطقة جغرافية مع ابراز أهميتهـــا الجغرافية وأثر ذلك في المواصلات العالمية خصوصا بعد حفر قنـــاة السويس . أما الفصل الثاني فيخصصه المؤلف للحديث عن السياسـة الجديدة لمصر . وهو يعني بذلك استعراض الخطوط الرئيسية للسياسة المصرية في الثلاثينات وأوائل الاربعينات من القرن العشريـــن . ويشير المؤلف في حديثه هذا الى المخاوف التي كانت تسيطر على المسئولين في مصر من وجود القوات الايطالية بكثرة تزيد عما كانت تحتاج اليه ليبيا من قوات دفاعية . وقد زاد من هذه المخاوف استيلاء القوات الايطالية على الحبشة حتى اذا اندلعت الحرب العالمية الثانية في أوربا أخذ القلق يسود الاوساط المصرية بحكم العلاقات التي كانت تربطها ببريطانيا ووجود القوات البريطانية في وادي النيل وبحكم ما كانت تحشده ايطاليـــا من قوات هجومية كبيرة في ليبيا بقصد الزحف بها على وادي النيل . وفي هذا الفصل بعض الاشارات التي تفيد في دراسة تاريخ مصر المعاصرة علـــى اساس ما كان يجري على حدودها الغربية . ويصف المواصلات البريـــة والبحرية التي كانت تربط البلدين فيما قبل قيام الحرب العالمية الثانية . وفي هذا الفصل يصف المؤلف النظام الذي وضعه الايطاليون لانشـــاء مستعمراتهم للمعمرين الايطاليين واستغلال ما كان يوجد في البلاد من امكانيات زراعية (ص ٦٢ — ٦٣) .

واذا تركنا الفصول التالية التي يتحدث فيها المؤلف عن مصر وقناة السويس ومياه النيل والسودان وانتقلنا الى الفصل الثامن الذي يتحدث المؤلف فيه عن الامبراطورية الجديدة لايطاليا نجد المؤلف يتناول الكلام عن الحبشة مع بعض الاشارات الخفيفة لما كان يحدث في ليبيا . ويستمر المؤلف يتحدث في الفصول التالية عن الاملاك الايطالية في شرقي افريقيا وعلاقاتها مع بقية المستعمرات البريطانية والفرنسية حتى اذا جاء الى الفصل الثاني عشر تحدث المؤلف عن طرق النقل الجديدة . وفي هـــذا الفصل يعطي المؤلف اهمية خاصة الى الحديث عن اهتمام ايطاليا بالتفكير في ربط مستعمراتها في شرقي افريقيا بمستعمراتها في ليبيا عبر السودان حتى تتجنب ايطاليا قناة السويس وما تدفعه لها من رسوم للنقل . ويذكر المؤلف ان المشروع الايطالي كان يقوم على اساس المواصلات البحرية فيما

بين ايطاليا وبنغازي ، ومن هناك يستمر النقل بطريق البر عبر الصحراء مارا بأوجلة وواحات الكفرة . ومن هناك ايضا عبر السودان بالقرب من جبل العوينات الى بئر النطرون حيث تتفرع عدة طرق للقوافل الى أهم مراكز شمالي السودان مثل وادي حلفا ودنقلة . وقد قدر المؤلف المسافة بين بنغازي ودنقلة بحوالي ٩١٨ ميلا وكلها تمر في منطقة صحراوية باستثناء منطقة آبار العوينات وعين زوية فيما بين الكفرة وبئر النطرون.

ويقول المؤلف انه كان من السهل على الماريشال بالبو Balbo حاكم ليبيا العام ان يطير من مدينة طرابلس الى الكفرة ومن هناك فوق اراضي السودان الى مدينة اسمرة Asmara ومدينة هرر Harar في الوقت الذي كان فيه الطريق بالبر صعبا . ولكن المؤلف يرى ان الايطاليين قادرون على شق الطرق مهما كانت صعوبتها . ويضرب المؤلف لذلك مثلا بالطريق الساحلي الذي اصبح يربط بين الحدود المصرية والحدود التونسية عبر الساحل الليبي لمسافة ١١٤٠ ميلا تقريبا . ولكن المؤلف يلاحظ ان هناك وضعا سياسيا خاصا لا بد منه اذا فكر الايطاليون في انشاء مثل هذا الطريق الداخلي الذي لا بد ان يمر بالسودان والذي يقتضي التمهيد له باتفاق مع السلطات المسئولة في السودان . وكان على الايطاليين ان ينتظروا بعض الشيء قبل تنفيذ هذا الطريق حتى يروا النتائج التي ستعود عليهم من انشاء الطريق الساحلي الذي ربطوا به الحدود المصرية بالحدود التونسية (ص ٢٥١ — ٢٥٢) .

وفي اليوم الذي انتهيت فيه من قراءة هذا الكتاب واستعراضه صدرت الصحافة الليبية يوم الاربعاء ٩ ذي القعدة ١٣٩٠ الموافق ٦ يناير ١٩٧١ وهي تنشر القرار الذي اصدره مجلس الوزراء في اليوم السابق بخصوص تنفيذ مشروع مطار الكفرة بعد ان بدأ تنفيذ المشروع الزراعي في منطقة الكفرة على اثر اكتشاف كميات المياه الغزيرة في المنطقة (٦٠) .

---

٦٠ — الثورة . الاربعاء ٩ ذي القعدة ١٣٩٠ الموافق ٦ يناير ١٩٧١ . عدد ٤٠٦ . ص ١ .

58 — Pellissier, M.E.; La Régence De Tripoli. Les Révolutions Et Les Deys De Tripoli, Les Pachas Turcs Et Les Beys Arabes. Revue Des Deux Mondes. Paris, Rue Saint - Benoir, 20. XXV Année, 1er Octobre 1855. PP. 5-48.

تُعتبر «مجلة العالمين» الفرنسية من أهم المجلات العلمية العالمية . وقد اعطت اهتماما خاصا للدراسات الاسلامية والدراسات الخاصة ببلاد الشمال الافريقي . ولهذا كان من الضروري الرجوع اليها للحصول على الكثير من المعلومات التاريخية المتعلقة بدراسة تاريخ البلاد . ومن بين هذه المقالات الهامة التي نشرتها هذه المجلة الفرنسية المقال الذي كتبه الاستاذ م.ي. بلليسي في عددها الصادر في اول اكتوبر ١٨٥٥ من سنتها الخامسة والعشرين . وعنوان المقال هو «ولاية طرابلس . ثورات طرابلس ودایاتها . الباشوات الاتراك والبكوات العرب» ، ويقع المقال في ٤٩ صفحة .

يبدأ الكاتب مقاله بمقدمة جغرافية يتحدث فيها عن أهم معالم البلاد . والملاحظ ان الكاتب ينتهز فرصة ذكره لبعض الاماكن الجغرافية في ليبيا ويربط بها بعض الاحداث التاريخية التي شاهدتها هذه الاماكن كما فعل في جزيرة البمبة التي تقع في خليج البمبة فيما بين طبرق ودرنة وكما فعل في حديثه عن مدينة درنة وكما فعل ايضا في منطقة الجبل الاخضر عندما اخذ يستعرض الخطوط العريضة لفترة العصر اليوناني التي تم فيها انشاء المدن الاغريقية في برقة مع بعض الاشارات التاريخية الاخرى التي لها علاقة بالمنطقة كاشارته الى بناء الاتراك لقلعة المرج في ١٨٥٢ والتي اصبحت فيما بعد من أهم معالم مدينة المرج حتى وقوع زلزال المرج الشهير في أواخر شهر فبراير ١٩٦٣ وقت الافطار في احد ايام شهر رمضان . وقد صدع هذا الزلزال قلعة المرج كما تسبب في هدم الكثير من بيوت المرج وموت الكثير من اهلها . وفي حديث الكاتب عن واحة أوجلة يشير الى أهم المعالم التاريخية لهذه الواحة . وفي اشارة الكاتب الى خطورة الطريق فيما بين مدينة درنة ومدينة الاسكندرية يشير الى ما كانت ترتكبه قبيلة اولاد علي من اعتداء على أمن الطريق . وكانت قبيلة اولاد علي وقبائل الحرابي التي نزحت من برقة قد اخذت تستقر في وادي النيل وفي الصحراء الغربية بمصر .

وهكذا يستمر الكاتب في استعراض أهم المعالم الجغرافية متجها نحو

الغرب مارا بمسراته وغيرها ذاكرا أهم المعالم التاريخية للاماكن التـــي يتناولها في مقاله . ويهمنا من هذه الاماكن واحة غدامس التي اعطانا الكاتب وصفا لأهم معالم الحياة فيها وأهميتها في الحركة التجارية لتجارة القوافل حتى ان بريطانيا ارسلت اليها من يمثلها في هذه الواحة ، وكان بها المستر شارل ديكسون Charles Dickson نائبا للقنصل البريطاني في مدينة طرابلس في ١٨٥٢م . وقد اشاد الكاتب بتشخصيته وذكر انه ينحدر من أسرة لها علاقة بطرابلس منذ مدة طويلة وقد ولد فيها هو وبقية اخوته وأخواته . وبعد الكلام عن واحة غدامس يتناول الكاتب منطقة فزان ويعطينا وصفا مختصرا لها مع الاهتمام باعطاء المعلومات عن الحاميـــة العثمانية التي كانت تقيم في مرزق عاصمة المنطقة في ذلك الوقت . ولقد التفتت بريطانيا الى الاهمية التجارية لواحة مرزق فأرسلت اليها وكيلا لقنصليتها في مدينة طرابلس حتى تكون حلقة هامة في المعلومات التـــي تجمع عن تجارة القوافل مع السودان . ويختم الكاتب وصفه الجغرافي للولاية بتقسيمها الى اربعة اقاليم جغرافية هي برقة وطرابلس بضواحيها وغدامس وفزان ولكنه لم يذكر لنا الاسس التي جعلته يتبع هذا التقسيم الجغرافي .

وبعد هذا الوصف الجغرافي ينتقل الكاتب الى الحديث عن أهم المعالم التاريخية للبلاد في العصر الحديث مبتدئا بالكلام عن حركة الجهاد البحري في ليبيا . وبعد ذلك ينتقل الى تاريخ العهد القرهمانلي مع ملاحظة انـــه يعتبر ١٧١٤ بداية لحكم الاسرة القرهمانلية (ص ١٨) وان كان في الواقع ان أحمد باشا القرهمانلي قد استولى على الحكم في البلاد في سنة ١٧١١ ويستعرض الكاتب أهم أحداث العهد القرهمانلي مع الاهتمام بصفة خاصة بموضوع موقف يوسف باشا من نابليون بونابرت وحملته الفرنسية على مصر والعلاقات التاريخية التي ربطت بين فرنسا وليبيا في عهد يوسف باشا القرهمانلي وما طرأ عليها من أحداث هامة وفي مقدمتها مقتل الرحالة الانجليزي الميجر لانج Laing في سنة ١٨٢٦ بعد وصوله الى بلـــدة تمبكتو على نهر النيجر واتهام القنصل الفرنسي في طرابلس بتدبير المؤامرة والحصول على اوراق هذا الرحالة . ومن هذه الاحداث الهامة ايضا التي أثرت في العلاقات بين البلدين احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠ وظهور أطماعها في ليبيا وبقية بلاد الشمال الافريقي .

ويهتم الكاتب باستعراض الاحداث والثورات المحلية التي اطاحت بحكم يوسف باشا وموقف قنصل بريطانيا والقنصل الفرنسي منها وتدخلهما

في شئون الولاية الشيء الذي أدى فيما بعد الى نهاية الحكم القرهمانلي في البلاد في سنة ١٨٣٥ والعودة بها الى الحكم العثماني المباشر . ومن أهم الثورات المحلية التي كان لها دور كبير في تكييف الاحداث التاريخية في أواخر العهد القرهمانلي الثورة التي قام بها عبد الجليل سيف النصر التي يعطيها الكاتب اهتماما خاصا والتي استمرت فيما بعد نهاية الحكم القرهمانلي وقد أتعبت السلطات العثمانية كما اتعبتها الثورة التي قادها الشيخ ميلود في الجبل الغربي في سنة ١٨٤٤ والثورة التي قادها غومة بعد ان استطاع ان يفر من منفاه في طرابزون على ساحل البحر الاسود ويعود الى الجبل ليستأنف ثورته ضد السلطات العثمانية الحاكمة .

وفي الجزء الثالث من هذا المقال يتحدث الكاتب عن أحوال البلاد في عهد الادارة العثمانية بعد نهاية الحكم القرهمانلي وعودة الحكم العثماني المباشر لها كما انه يتحدث عن سكان البلاد وأخلاقهم . والواقع ان الكاتب في مقاله يشيد بالشعب الليبي ويفضله على شعوب بقيـــة بلاد الشمال الافريقي من مراكش غربا الى مصر شرقا بل ويذهب الى أبعد من هــذا عندما يقول بأن شعب ليبيا يفضل سكان العالم قاطبة (٦١) .

ويعطي الكاتب بعض المعلومات التاريخية عن اولاد سليمان وزعيمهم عبد الجليل سيف النصر وعلاقاته بالسلطات الغثمانية وذهابه الى منطقة فزان . ويعطي الكاتب معلومات هامة عن الطريقة المدنية لمؤسسها محمد المدني الذي صحب استاذه «سيدي العربي» في هجرته من الجزيرة العربية الى مدينة فاس بمراكش هربا من محمد علي باشا وجنوده الذين جاءوا الى الجزيرة العربية للقضاء على الحركة الوهابية هناك . وقد كـــان «سيدي العربي» من اهالي نجد ومن أتباع المذهب الوهابي . واستطاع ان يصل الى مدينة فاس بعد مغامرات كثيرة مصحوبا ببعض أتباعه . وهناك في فاس قام يبشر بمذهبه الديني . وعند وفاة «سيدي العربي» خلفه في رئاسة الحركة تلميذه «محمد المدني» الذي أثار شكوك حكومة المغرب حوله فاضطر ان يهجر البلاد الى الجزائر مصحوبا برفاقه . ولكنه لـــم يستطع البقاء هناك وقد أخذت السلطة الحاكمة تراقب حركاته فاستمر في هجرته الى تونس حيث لم يحسن استقباله فواصل رحلته شرقا حتى وصل به المطاف الى مسراته التي اقام فيها . وأسس زاوية له هنـــاك

---

٦١ ـ راجع الملحق رقم ٢ .

اصبحت فيما بعد مركزا للطريقة المدنية وقد دُفن فيها وما زال قبره يزار للتبرك به . ويعتبر الكاتب الطريقة المدنية وأتباعها هم وهابيو القـــارة الافريقية . ويستمر الكاتب في الحديث عن الطريقة المدنية وأتباعهـــا وتعاليمها (ص ٤٠ ــ ٤٢) .

ويعطي الكاتب معلومات قيمة في حديثه عن النشاط الزراعي للبلاد ونشاطها التجاري الشيء الذي يفيد في دراسة تاريخ ليبيا الاقتصادي . ويدعم الكاتب مقاله بنشر احصائية لصادرات ليبيا في ١٨٥٠ وقيمتها بالفرنك الفرنسي . ولأهمية هذه الاحصائية نرى من الضروري اثباتهـــا وهي كالآتي :

| النــوع | الكمية | | القيمة بالفرنك الفرنسي |
| --- | --- | --- | --- |
| حبوب | ٢١٢٧٠٠ | هيكتولتر | ١٤٩٦٠٠٠ |
| زيوت | ١٣٧٥٨٠٠ | كيلوجرام | ٧٤٢٠٠٠ |
| حيوانات حية | ١١٧٨٧ | رأس | ٤٠٨٠٠٠ |
| مسلي | ٤٠٦٠٠٠ | كيلوجرام | ٤٠٦٠٠٠ |
| عبيد من السودان | ٢٧٠٨ | شخصي | ٧٥٩٠٠٠ |
| عـــاج | ٧٧٠٠٠ | كيلوجرام | ٧٥٤٠٠٠ |
| تبر الذهب | ١٠٩٠٠٠ | جرام | ٣٦٠٠٠٠ |

ويذكر الكاتب ان صادرات البلاد بلغت في قيمتها ٥٤٥٠٠٠٠ فرنكا . ويقول انه لم يذكر بعض البضائع الاخرى التي تم تصديرها في تلك السنة لعدم أهميتها . ويعطي الكاتب أمثلة البضائع التي لم يذكرها وهـــي الصوف والتمور والفواكه والصابون وريش النعام (ص ٤٣) .

وبدراسة هذه الاحصائية يتبين لنا ان البلاد كانت على امكانية كبيرة من حيث تصدير الحاصلات باستثناء الحيوانات المصدرة اذ كان عددها قليلا نسبيا لما شاهدته البلاد في بعض السنوات الاخرى . ويكفي ان نعرف انه كان في ليبيا في ١٩٠٣ اكثر من ٣٠٠ الف رأس من الأبل بخـــلاف الحيوانات التي كانت تمتلكها قبائل الطوارق في جنوبي ليبيا وأن ليبيا صدرت في ١٩٠٦ نصف مليون رأس من الاغنام وأنـــه حسب الضرائب المدفوعة على الحيوانات في ١٩٠٩ كان في ليبيا اكثر من ٤٠ الف رأس

من البقر * علما بأن جباية الضرائب وظروفها في ذلك الوقت تعطي رقما هو دون الحقيقة القائمة آنذاك بدليل ان المصدر الذي ذكر لنا هذه الحقائق يقول ان المعدل السنوي لتصدير الابقار في ليبيا كان حوالي ٣٥٠٠٠ الى ٤٠٠٠٠ رأس** . وما زال الناس يذكرون ان ولاية برقة كانت تصدر الاغنام الى اليونان والى مصر في الاربعينات من القرن الحالي بعد الحرب العالمية الثانية . وكان للحوم برقة شهرة خاصة بين سكان مدينة الاسكندرية فيما بعد الحرب العالمية الثانية وفي أواخر الاربعينات على وجه التحديد . ولكن ليبيا بدأت تعاني نقصا كبيرا في الاغنام منذ بداية أواخر الخمسينات بسبب توالي أعوام الجفاف وكثرة الاستهلاك المحلي فبدأت تستورد الاغنام من الخارج لسد حاجتها من اللحوم . وقد نشرت جريـــدة الرائد (٦٣) خبرا مفاده ان الجمهورية العربية المتحدة ستصدر الى الجمهورية العربية الليبية ستين الف رأس من الاغنام حسب ما صرح به الدكتور محمد بكر أحمد وزير استصلاح الاراضي المصري .

والملاحظ ان اسعار البضائع المصدرة حسب ما اثبتت الكاتب منخفضة اذا قورنت باسعار اليوم ولكن علينا ان نضع في حسابنا القوة الشرائيـة للفرنك الفرنسي في ذلك الوقت بالنسبة لما اصبح عليه فيما بعد . ولا ينسى الكاتب ان يشير الى موضوع استغلال الكبريت في منطقة خليج سرت والاتفاقية التي عقدتها احدى الشركات الفرنسية مع عبد الجليل سيف النصر زعيم اولاد سليمان لاستغلال منطقة الكبريت وكيف رفضت السلطات التركية الاعتراف بهذه الاتفاقية بعد ان تغلبت على عبد الجليل سيف النصر . وفي سنة ١٨٤٦ تكونت الشركة الانجليزية الفرنسيـــة لاستغلال مناجم كبريت افريقية ودفعت مبلغ ٣٥٠٠٠٠ فرنكا في مقابل استغلال كبريت منطقة القطاع على ساحل خليج سرت . وكان الدفع على اساس دفع نصف المبلغ لحكومة اسطنبول والنصف الآخر لحكومة الولاية في طرابلس .

ولا ينسى الكاتب ان يتناول نشاط الموانى الليبية وفي مقدمتها ميناء

---

* فرانشسكو كورو ، ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني . تعريب وتقديم خليفة التليسي. دار الفرجاني . طرابلس ، ص ١١٥ .

** المصدر السابق . ص ٩٥ .

٦٢ ـ الرائد ، ٢٢ ذي القعدة ١٣٩٠ الموافق ١٩ يناير ١٩٧١ . عدد ١٠٨٠ ، ص ٨ .

طرابلس وميناء بنغازي . ويذكر الكاتب ان ميناء زوارة كان له نشاط في حركة السفن مع تونس كما كان لميناء درنة نشاط في حركة السفن مع كل من مصر وجزيرة كريت . وفي سنة ١٨٥١ ابحرت سفن عشرة محملة بالحبوب الى جزيرة مالطه التي كانت لها علاقات تجارية كبيرة مع ليبيا اذ كانت تستورد الكثير من الحبوب والحيوانات اللازمة لها منها . وكانت تركيا نفسها تأتي في المرتبة التالية بعد جزيرة مالطة في علاقاتها التجارية مع ليبيا ثم تأتي تونس فتوسكانيا بايطاليا فمصر ففرنسا فالجزائر . وهنا نجد الكاتب يتناول العلاقات الاقتصادية بين ليبيا وفرنسا بشيء اكثر من التوضيح مما فعل مع بعض البلاد الاخرى . ويختم الكاتب كلامه عن النشاط الاقتصادي لليبيا بالحديث عن تجارتها مع السودان وأهم مراكز تجارة القوافل مع اعطاء أهمية خاصة لتجارة العبيد التي كانت من أهم أركان تجارة القوافل .

وأخيرا يتحدث الكاتب عن الرحالة الانجليز الذين اتوا الى ليبيا في الطريق الى السودان ولكنه يكتفي بالاشارة الى هؤلاء الرحالة دون اعطاء تفصيلات كافية . ويهمل الكاتب تماما الحديث عن الرحالة الآخرين الذين أوفدتهم حكوماتهم الاوربية لمثل هذا الغرض في الوقت الذي نراه يركز على ذكر اسماء الرحالة الانجليز او من تولت ارسالهم حكومة بريطانيا من جنسيات أخرى .

بقي ان نقول ان المؤلف في نهاية مقاله يثير بعض الاسئلة الخاصة بمستقبل البلاد وتقرير مصيرها وما كان يتوقعه لها ويتمناه .

هذه هي المعالم البارزة لهذا المقال التاريخي الهام الذي نجح صاحبه في اثارة الكثير من المعلومات التاريخية التي تفيد في دراسة تاريخ البلاد والتي تلقي الضوء على الكثير من الجوانب التاريخية وخاصة لاولئك الذين يريدون دراسة تاريخ ليبيا اقتصاديا وسياسيا .

***

**59 — Penderel , H.W.G.J. ; The Gilf Kebir . The Geographical Journal, June, 1934. 449 - 56.**

قام الرحالة الانجليزي هـ.و.ج.ج. بنديرل(٦٣) H.W.G.J. Penderel

---

٦٣ ـ راجع البحث رقم ٦ .

بالقاء بحث عن الجلف الكبير في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بلندن يوم ٨ يناير ١٩٣٤ . وقد نشرت «المجلة الجغرافية» التي تصدرها هذه الجمعية هذا البحث في عددها الصادر في يونيو ١٩٣٤ . والرحالة في بحثه هذا يستعرض رحلته التي قام بها مع بقية زملائه (٦٤) الى منطقة الجلف الكبير التي تقع بالقرب من الحدود الليبية الشرقية الجنوبية . وبقراءة هذا البحث يمكن استخلاص الحقائق الآتية :

١ ــ ان اول رحالة استطاع ان يعبر بحر الرمال بالسيارة من الشرق الى الغرب كان المستر ب.ا. كلايتون P.A. Clayton الذي كان يشغل وظيفة بمصلحة المساحة المصرية (٦٥) .

٢ ــ يعطي المحاضر وصفا لرحلته ويزود القارىء بالمعلومات الجغرافية الاولية بخصوص جبل اركنو Arkenu وجبل العوينات Uweinat وجبل كيسو Kissu والامكانيات المائية بهذه الجبال الثلاثة وموقعها بالنسبة لواحة الكفرة التي لم يستول عليها الايطاليون الا في سنة ١٩٣١ . وقد تبدو هذه المعلومات بسيطة ومعروفة الآن ولكنها لم تكن كذلك قبل القيام بهذه الرحلة ومثيلاتها .

٣ ــ كان الدكتور جون بال Dr. John Ball اول رحالة أوربي يرى الجلف الكبير وذلك اثناء تقدمه ضد القوات السنوسية التي قادها السيد أحمد الشريف السنوسي في حربه ضد الانجليز في سنة ١٩١٧ . ولكن الامير المصري كمال الدين حسين كان اول من تعرف على طبيعة هذه الهضبة . ويعتقد الكاتب ان الامير المصري كان اول من أطلق على هذه الهضبة الصخرية اسم الجلف الكبير . وقد اشترك الدكتور جون بال مع الامير كمال الدين حسين في رحلته هذه التي قام بها في ١٩٢٦ ، وكان جون بال اول من شاهد هذه الهضبة . وبعد ذلك قام الرحالة الانجليزي باجنولد Bagnold بالوصول الى الحدود الشرقية لهذه الهضبة رغم المصاعب الكثيرة التي صادفها في رحلته . ولما جاء ب.ا. كلايتون قام بكشف ومسح الجانب الغربي من الجلف . وإليه يرجع الفضل الاول في اكتشاف اول الرسوم الصخرية في الجلف الكبير .

٤ ــ قام الرحالة بنديرل Penderel بزيارة واحة الكفرة ويسجل في

---

٦٤ ــ راجع البحث رقم ٦٤ .

٦٥ ــ راجع البحث رقم ١٤ .

مقاله انطباعاته عن المعاملة التي وجدها من المسئولين الايطاليين هناك .
وقد علم الرحالة من المسئولين الايطاليين في الكفرة بأن فرقة من ادارة المساحة الايطالية كانت تعسكر في ذلك الوقت في منطقة جبل العوينات . وكانت هذه اول بعثة للمساهمة ترسلها ايطاليا الى هذه المنطقة وقد شاهدها الرحالة هناك عندما قام بزيارة منطقة جبل العوينات (٦٦) .

خلاصة القول ان هذا البحث حلقة أخرى في المحاولات التي قام بها البريطانيون في استكشاف الصحراء الغربية بمصر والمناطق التي تقع في الجنوب الشرقي من ليبيا . وقد اصبحت هذه المناطق فيما بعد جزءاً من ميدان الحرب العالمية الثانية ولرجال الكوماندوس بالذات .

***

**60** — Piccioli, Angelo; The Magic Gate of The Sahara. Translated From The Italian by Angus Davidson. London, 1935, ix, 306 PP.

صدر هذا الكتاب «البوابة السحرية للصحراء الكبرى» أولا باللغة الايطالية في ١٩٣١ باسم La Porta Magic Del Sahara للمؤلف انجلو بيتشولي Angelo Piccioli . وكانت دار النشر التي تولت اخراجه بمدينة طرابلس الغرب تسمى «مينرفا» Minerva . وكانت الطبعة الايطالية في ٥٢٤ صفحة . وفي ١٩٣٥ قام انجوس دافيدسون Angus Davidson بترجمة هذا الكتاب الى اللغة الانجليزية . وتحتوي الطبعة الانجليزية على ثلاثة أبواب . وكل باب منها ينقسم الى عدة فصول . وقد بلغت فصول الكتاب في مجموعها ستة وثلاثين فصلا بخلاف قائمة المراجع الخاصة بغدامس وقائمة الترجمة الانجليزية لبعض الكلمات العربية والطارقية المتداولة بين اهالي غدامس. وبآخر الكتاب فهرس بالاسماء . كل ذلك بخلاف العدد الكبير من الصور الفنية التي أخذت لبعض الاماكن والمناظر والخريطة الجغرافية لمدينة طرابلس وضواحيها في ذلك الوقت . وبالكتاب ايضا خريطة أخرى لغربي

---

٦٦ ـ راجع البحث رقم ٦٨ .

ليبيا وقد بيّن عليها المؤلف خط السير في الرحلة التي قام بها والتي هي موضوع هذا الكتاب .

يخصص المؤلف الباب الاول من كتابه لمدينة طرابلس حيث يتحدث في الفصل الاول من هذا الباب عن «المدينة البيضاء» . ويبدأ المؤلف كلامه بالاشادة بمدينة طرابلس وجمالها الرائع مستعينا في ذلك باقتباس بعض الفقرات مما كتبه انريكو كوراديني (٦٧) Enrico Corradini الذي سبق له زيارة ليبيا في ربيع ١٩١١ اي قبيل الغزو الايطالي لها . وكان من اكبر دعاة الغزو الايطالي لليبيا في ذلك الوقت . وبعد عودة كوراديني الى وطنه ايطاليا كتب تقريرا عن رحلته هذه وقد نشر باسم «ساعة طرابلس» (٦٨) «L'Ora di Tripoli» . وهو يعني بهذه العبارة ان ساعة طرابلس قد حانت . وبعد وفاة انريكو كورادينو كرمته حكومته باطلاق اسمه على ما يعرف بمنطقة العلوصي بقصر خيار .

يعطي المؤلف انجلو بيتشولي في هذا الفصل وصفا لمدينة طرابلس مع الاهتمام بوصف البيت الليبي فيها والطابع العام الذي يغلب على بيوت هذه المدينة .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب يتحدث المؤلف عن اسواق المدينة حيث توجد البضائع الشرقية والغربية ولهذا نرى الكاتب يجعل هذه العبارة «تقابل الغرب مع الشرق» عنوانا لهذا الفصل. ويذكر المؤلف بعض الاسواق القائمة في ذلك الوقت. وهي سوق العطارة وسوق الصاغة وسوق المشير وسوق الحرير وسوق الترك . ويعطي المؤلف وصفا عاما لها وللبضائع التي كانت تباع فيها ومشترياتها . ويعطي المؤلف تفسيرا لمعنى سوق «الحلقة» الذي ما زال يقع الى جانب سوق الصناعات الفضية فيقول «انه منذ عشرات السنين فيما مضى كان سوق الرقيق يقام في ذلك المكان» .

اما الفصل الثالث الذي جعل عنوانه «صباح ربيعي في المنشية» فقد كان وصفا عاما لمنطقة المنشية وخاصة سوق الجمعة وما فيه من ازدهار

---

٦٧ ـ كان من مواليد ١٨٨٥ وقد توفي ١٩٣١ . وكان من رجال الصحافة والسياسة كما كان من كبار الدعاة لاستعمار ليبيا . وهو مؤسس جريدة الفكرة الوطنية Idea Nasionale التي كانت لسان حال الحزب الوطني الايطالي . (عن الاستاذ خليفة التليسي) .

68 — Corradini Enrico; L'Ora di Tripoli. Milano - Treves 1911. 241 PP.

زراعي الشيء الذي يتعارض تماما وما أطلقوه على ليبيا من انها «صندوق كبير من الرمال» Abig box of sand (ص ٣٣) .

وفي الفصل الرابع يصف الكاتب كيف أمضى ليلة في بعض ملاهي شارع الزاوية بما فيها من رقص وآلات موسيقية . وهو في هذا الفصل يصور ما شاهده بدقة وعناية ويعطي فكرة عما كان يدور في ملاهي المدينة في ذلك الوقت . وبعد ان يتحدث المؤلف عن ظاهرة المرابطين وأعمالهم وما شاهده من سلوكهم في الفصل الخامس من الكتاب ينتقل الى الحديث عن بيوت العبادة في الفصل السادس . ويبدأ الكاتب هذا الفصل باعطاء وصف عام لجامع قورجي وموقعه وما فيه من فن يلفت الانظار . وهو يعتبر جامع قورجي أفخم جوامع مدينة طرابلس من حيث الاخراج الفني وان كان جامع أحمد باشا يعتبر اكبر جوامع مدينة طرابلس . ويتناول المؤلف جامع أحمد باشا بالوصف . ويقول الكاتب ان الانسان يحتاج الى عدة ايام لزيارة كل مساجد مدينة طرابلس ولكنه يكتفي بالاشارة الى جامع درغوت والى جامع الناقة . ويخلط المؤلف بين عمرو بن العاص قائد الجيش العربي الذي فتح البلاد وبين الخليفة ابو بكر الصديق في مصاهرة الرسول . ويشير المؤلف ايضا الى جامع الخروبة كما يشير الى كثرة الجوامع الموجودة في منطقة المنشية المحيطة بمدينة طرابلس ويأخذ في ذكر اسماء بعضها .

ولا ينسى المؤلف ان يتحدث في الفصل السابع عن مقابر المدينة ويذكر انها تنتشر على حافة مدينة طرابلس وفي المنشية ويأخذ في ذكر اسماء بعضها ويعتبر مقبرة سيدي منيدر أهم هذه المقابر . وبعد ذلك يأخذ في وصف القبور وكيفية بنائها وزيارتها .

ويخصص المؤلف الفصل الثامن للكلام عن آثار المدينة ومتاحفها . ويبدأ بالحديث عن قوس ماركو اوراليو Marcus Aurlius في منطقة باب البحر . وبهذه المناسبة يشير الى المؤتمر العالمي للآثار الذي عقد بمدينة طرابلس في ١٩٢٥ ويشيد بعظمة روما وما خلفته للحضارة الانسانية . وبعد ذلك ينتقل للكلام عن القلعة والترميمات التي أجريت لها بأمر الكونت فولبي Count Volpi في ١٩٢٢ . ويذكر أهم الاحداث التاريخية التي عاصرتها هذه القلعة . ويختم المؤلف فصله هذا باعطاء وصف عام لمتحف الآثار وأقسامه .

ولا يتم الكلام عن مدينة طرابلس دون اعطاء وصف لمنطقة «الحارة» حيث كانت تعيش معظم العائلات اليهودية . ولهذا نجد المؤلف يخصص

الفصل التاسع للكلام عن الحارة ومعالم الحياة فيها . وفي الفصل العاشر هناك بعض المعلومات عن العاب (القره‌قوز) Garagus حيث كان لها مسرح في سوق الترك . وكان شهر رمضان يُعتبر الفترة المناسبة لهذا النشاط من الالعاب حيث يمضي الكثير من الصغار أوقاتهم في مسرح (القره‌قوز) للتسلية . والمعروف ان العاب (القره‌قوز) تمثل خطوة هامة في الوصول الى العاب دور الخيالة فيما بعد . وفي سنة ١٩٥٥ اتى الاستاذ هنرباخ الى مدينة طرابلس لدراسة بقايا آثار هذا النوع من التسلية. وكان هناك شخص يقوم بهذا النشاط المسلي في دكان له بأول سوق الترك . وقد تعمد الاستاذ هنرباخ ان يأتي الى مدينة طرابلس في شهر رمضان ليتمكن من مشاهدة هذا النوع من التسلية لاعداد بحثه حول (القره‌قوز). وكان الاستاذ هنرباخ يشغل وظيفة استاذ الدراسات العربية والاسلامية بجامعة بون في المانيا الغربية .

اما الفصل الاخير لهذا الباب وهو الفصل العاشر فقد خصصه المؤلف للحديث عن الجهود التي بذلها بعض الايطاليين المهاجرين الى ليبيا في ميدان الزراعة والاصلاح الزراعي بفضل عناية الحكومة الايطالية وتشجيعها. ولكن المؤلف نسي ان هذه السياسة كانت على حساب الوطنيين من اهل ليبيا . وقد دعم الكاتب كلامه باختيار بعض الامثلة في هذا الخصوص . وكان في مقدمة هذه الامثلة مزارع الكونت فولبي التي تقع بالقرب من مسراته والى الغرب منها . وجدير بالذكر ان المؤلف لم يذكر لنا كيف تحصل هؤلاء الايطاليون وفي مقدمتهم الكونت فولبي على هذه المزارع وما هي التضحية التي قدمتها ليبيا في هذا الخصوص .

والباب الثاني لهذا الكتاب يتناول وصف رحلة الكاتب من مدينة طرابلس الى سهل الجفارة عبر المنشية ، ومن هناك الى الجبل الغربي وأخيرا الى الصحراء فيما وراء الجبل . وقد بدأ الكاتب بوصف سهل الجفارة ومعالمه في الفصل الثالث عشر . اما الفصل الرابع عشر فقد خصصه الكاتب للكلام عن المنطقة الممتدة من غريان الى جادو . وبعد ذلك يتحدث المؤلف عن المنطقة الممتدة من جادو الى تيجي في الفصل الخامس عشر . وينتهي كلامه عن الجبل الغربي في الفصل السادس عشر بالحديث عن المنطقة الممتدة من تيجي الى بلدة نالوت . ويخصص المؤلف الفصل السابع عشر والفصل الثامن عشر للحديث عن بعض طيور منطقة الجبل . وبعد بلدة نالوت يتجه الكاتب في رفقة بعض الزملاء الى واحة غدامس ولهذا نجده يتحدث عن الطرق المهجورة التي كانت تتجه جنوبا في العصور

القديمة في الفصل التاسع عشر من الكتاب . وفي هذا الفصل بعض المعلومات التي تفيد في دراسة طرق القوافل التي كانت تربط الجبل الغربي بالصحراء جنوبا . ويتحدث المؤلف عن «بوابات الحمادة» وهو يعني بذلك الواحات الصغيرة والمراكز العمرانية التي تبدأ منها القوافل الاتجاه جنوبا الى الحمادة ولهذا نجده يخصص الفصل الحادي والعشرين للحديث عن اول منظر يراه القادم الى الحمادة . ويختم المؤلف هذا الباب بفصلين عن الصحراء الواقعة الى جنوبي الجبل وتلال الرمال الممتدة فيها .

والواقع ان الباب الثالث وهو الاخير في الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب يعتبر من اهم اجزاء الكتاب اذ خصصه المؤلف بفصوله كلها للحديث عن واحة غدامس وأهم معالمها والحياة العمرانية فيها مع الاهتمام بتاريخها القديم . وقد استغرق كل ذلك ثلاثة عشر فصلا من الكتاب . وفي نهاية هذا الباب نجد قائمة هامة بالمراجع التي تفيد كل من يريد دراسة غدامس وأحوالها الاجتماعية . وتضم هذه القائمة خمسة وعشرين كتابا هاما بعضها باللغة الانجليزية وبعضها الآخر باللغة الفرنسية والبعض الآخر باللغة الايطالية . وهناك بعض المراجع باللغة الالمانية .

ويغلب على الكتاب الاهتمام بالناحية الفنية في الاسلوب والاخراج في الصور المرفقة . ولا يترك المؤلف اي فرصة للتغني بالتاريخ الروماني وفضل الحضارة الرومانية على الانسانية . ويستشهد المؤلف ببعض الامثلة التاريخية التي استطاع الوقوف عندها .

وكان مؤلف الكتاب مسئولا عن مصلحة الاعلام في حكومة ليبيا في ذلك الوقت . وعلينا ان نلاحظ ان الترجمة الانجليزية كانت في ثلاثة أبواب مع ان الكتاب في أصله الايطالي كان يشمل أربعة أبواب .

***

61 — Playfair, R.L. (Lieut - Colonel) ; Travels In The Footsteps of Bruce In Algeria And Tunis. London, C. Kegan Paul And Co., 1877. X, 300 PP.

كان اللفتنانت كولونيل ر.ل. بليفير R.L. Playfair من مواليد

١٨٢٨ وقد توفي في ١٨٩٩ (٦٩) . فهو بذلك من رجال القرن التاسع عشر المعروف بالتنافس الاوربي من اجل التوسع في القارة الافريقية . وكتابه هذا هو «سفريات في اعقاب بروس Bruce في الجزائر وتونس» . وكان المؤلف وقت اخراجه لهذا الكتاب قنصلا عاما لبريطانيـــا في الجزائر . المؤلف وقت اخراجه لهذا الكتاب قنصلا عاما لبريطانيا في الجزائر، وللمؤلف كتاب آخر باسم «مقرعة المسيحية» «The Scourge of Christendom» وقد أخرجه في ١٨٨٤ بلندن . وأعطانا فيه المؤلف وصفا حيا للقناصــل انجلترا في الجزائر منذ ١٥٨٠. عندما تم تعيين ماستر جون تيبتـــون Master John Tipton ممثلا للشركة التركية Turkish Company حتى الغزو الفرنسي للجزائر في ١٨٣٠ (٧٠) . ويعتبر المؤلف مدينـــة الجزائر مقرعة للمسيحية في الفترة التي يؤرخ لها بحكم النشاط البحري الذي كانت تقوم به البحرية الجزائرية في البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي وما كانت تلاقيه سفن الدول الاوربية وتجارتها من معاملة مـــن طرف البحرية الجزائرية .

أما جيمس بروس James Bruce الذي يشير اليه المؤلف في عنوان الكتاب الذي نستعرضه فهو رحالة انجليزي من مواليد ١٧٣٠ وكان له غرام باللغة العربية . وفي ١٧٦٣ تم تعيينه قنصلا لبريطانيا في مدينة الجزائر ومعه بعثة للدراسة الآثار القديمة للبلاد . وعند نهاية تعيينه بدأ يدرس ويسجل آثار الشمال الافريقي . وكان جيمس بروس قد قام بعدة رحلات الى دول الشمال الافريقي ومن بينها ليبيا التي كاد يفقد فيهـــا حياته عندما قذفت به أمواج البحر الى ساحلها بعد ان تحطمت سفينته . وبعد نجاته استأنف بروس نشاطه في الرحلات والاستكشاف الجغرافي . ووصل الى مدينة الاسكندرية في يوليو ١٧٦٨ قاصدا البحث عن منابع النيل . وفي ١٨٧٠ استطاع الوصول الى منبع النيل الازرق في اثيوبيا . وهناك في اثيوبيا امضى ثلاث سنوات ثم عاد الى القاهرة عن طريـــق السودان في ١٧٧٣ . وعندما عاد في السنة التالية الى لندن قام بنشر اخبار رحلاته . وكانت نهاية حياته في ١٧٩٤ (٧١) .

ولكي يقوم بليفير بتحقيق برنامجه اخذ يدرس سجلات القنصليـــة

---

٦٩ ـ بطاقة المؤلف بمكتبة مدينة نيويورك العامة .

70 — Jane Soames, The Coast of Barbary. London 1884. P. 147.

71 — Encyclopedia Britannica, 1962. Vol. 4. P. 298.

البريطانية في الجزائر ولكن بدون جدوى لانه لم تبق اي وثيقة من عهد بروس اذ ان الوثائق كلها قد حُرقت قبل الغزو الفرنسي للجزائر في سنة ١٨٣٠ . ولكن كانت هناك مجموعة من تقارير بروس محفوظة في دار الوثائق بلندن وهي تحتوي على الكثير من التفاصيل الهامة عن دولة الجزائر . وهذه التقارير كانت مصحوبة بوثائق عربية لها علاقة بمعاهدات لها قيمتها التاريخية الكبيرة ، ولكن هذه الوثائق لم تكن تحتوي على كلمة واحدة عن الاكتشافات التي قام بها جيمس بروس والتي بدأها بعد ان استقال من واجباته العامة في اغسطس ١٧٦٥ .

واصل بليفير البحث واستطاع اخيرا ان يتصل باحدى حفيدات جيمس بروس وأن يحصل منها على الكثير من الوثائق والمخطوطات والرسومات التي ورثتها عن بروس وقد سجل فيها الكثير من المعلومات التي وصل اليها والتي لها علاقة بدراسة الآثار في شمالي افريقية من الجزائر غربا الى برقة شرقا ، وكلها مصحوبة برسوم ممتازة في الاخراج. وبعد اطلاعه على هذه الوثائق التاريخية صمم بليفير على ان يقوم برحلة يتتبع فيها خط سير سلفه السابق القنصل البريطاني جيمس بروس الذي ترك كراسة مخطوطة بها ملاحظاته عن رحلته في برقة وكراسة أخرى مخطوطة عن طرابلس الغرب . ولكن المؤلف بليفير Playfair يؤكد انها لم تكن من خط يده .

هذه هي خلاصة ما كتبه الاستاذ بليفير عن الرحالة الاسكتلندي جيمس بروس في مقدمة الكتاب . ولهذا اذا اردنا دراسة موضوع هذا الرحالة وخاصة نشاطه في ليبيا فان هذه المقدمة تفيد في تحقيق هذه الغاية . وبعد هذه المقدمة يقوم المؤلف بتقسيم كتابه الى ثلاثة أقسام . وكل قسم منها ينقسم الى عدة فصول ، وقد خصص المؤلف القسمين الاول والثاني بفصولهما الواحد والثلاثين للحديث عن الرحالة الاسكتلندي جيمس بروس ونشاطه الكشفي في كل من بلاد الجزائر وتونس . وقد استعان المؤلف في كتابه باجزاء كثيرة من المخطوطات التي تركها الرحالة جيمس بروس .

ويهمنا من هذا الكتاب الفصول الثلاثة الاخيرة من القسم الثالث فيه. ويبدأ جيمس بروس بالحديث عن رحلته الى جزيرة جربة مع اعطاء وصف لها كجزء من الايالة التونسية . ومن جزيرة جربة ارسل الرحالة خطابا الى المستر فرازر Fraser القنصل البريطاني في مدينة طرابلس الغرب طالبا منه حرسا لمصاحبته وجماعته في السفر الى ليبيا . ويعطي بروس

وصفا لحالة الامن التي كانت عليها المنطقة الواقعة على الحدود الليبيـــة الغربية واسماء بعض القبائل التي كانت تسكن هناك وفي مقدمتها قبيلة النوايل وقبيلة ورغمة الى جانب القبائل الاخرى . ويذكر الرحالة انهـا كانت في حالة نزاع مستمر وكيف تعرضت قافلة الحجاج التي جاءت من مراكش الى اعمال النهب والسلب في هذه المنطقة مع ان عدد رجالها كان حوالي ثلاثة آلاف رجل . وقد وجد الرحالة هذه القافلة بالقرب من مدينة طرابلس بعد وصوله اليها . وقد تعرض بروس ورفاقه الى غارةبعض قطاع الطرق وفقد اربعة من رفاقه في معركة له معهم . ويعود بروس لاعطاء وصف لقافلة الحجاج وقد تقابل مع امير الحج على مسافة اربعة ايام الى الغرب من مدينة طرابلس . وكانت تلك القافلة قادمة من فاس واقليـــم السوس في مراكش قاصدة الاراضي المقدسة . وكان امير الحج في هذه القافلة رجلا متوسط العمر وكان عما لأمبراطور مراكش . وكانت القافلة تضم ما بين ١٢ الف و١٤ الف جمل . وكان بعض هذه الجمال محملا بالبضائع وبعضها الآخر كان محملا بقرب للمياه والدقيق وانواع أخرى من الطعام كزاد للحجاج .

وهذا الوصف لقافلة الحجاج رغم ايجازه يعطي فكرة عن قوافل الحج التي كانت تمر بالساحل الليبي في العهد الاسلامي والتي استمرت حتى أوائل القرن العشرين . واذا اضفنا الى قوافل الحج القوافل التجارية التي كانت تنطلق الى السودان وتعود منه حتى أوائل هذا القرن ايضا ادركنا الوضع الاقتصادي ونتائجه لمدينة طرابلس بفضل نشاط هذه القوافل .

ويعود بلايفير ليؤكد اضطراب حبل الامن في المنطقة بالاستشهاد بما قاله الكابتن موشيه Captain Mouchey في بحثه الذي القاه بأكاديمية العلـــوم Academie des Sciences في باريس يوم ٨ يناير ١٨٧٧ والذي قال فيه ان هذه المنطقة الساحلية الواقعة فيما بين طرابلس وتونس كانت خطيرة جدا خصوصا وأن المأوى فيها كان لا يوجد وتنعدم فيها موانـــي اللجوء . وانه عندما نزل بنفسه الى البر لعدة ساعات لأخذ بعض الملاحظات وجد نفسه محاطا بالاهالي الذين اسرعوا لنهبه وسلبه .

وبعد ذلك ينتقل لاعطاء وصف جغرافي لطبيعة ساحل هذه المنطقة ولكنه يعود لاقتباس بعض ما جاء في بحث الكابتن موشيه وكله خـــاص باضطراب الامن في هذه المنطقة في ذلك الوقت وكيف لجأ الكابتن موشيه الى والي طرابلس الذي وضع تحت تصرفه حرسا من الجنـــود الاتراك لحماية البعثة العلمية التي كان يترأسها في اثناء القيام بمسح الساحل .

ويستمر بلايفير في اقتباس بعض ما جاء في بحث موشيــــه بخصوص وصفه لاسلحة اهالي هذه المنطقة وما كانوا يضمرونه من عداء لفرنســـا بسبب غزوها للجزائر وأنهم لم يغفروا للفرنسيين هذا الغزو . وهـــذه الفقرة رغم ايجازها تفيد في دراسة رد الفعل الذي تركه الغزو الفرنسي للجزائر بين الليبيين والذي استمر ظاهرا رغم مرور الزمن على هذا الغزو.

وبعد وصول بلايفير الى مدينة طرابلس عمل الترتيبات اللازمة مع قنصل بريطانيا فيها للاتصال بالباشا لضمان حرية التنقل والبحث عن الآثار في ولاية طرابلس أسوة بما حدث له في الجزائر . ولم تطل اقامة بلايفير في مدينة طرابلس اذ عاد الى تونس مرة أخرى .

اما الفصل الرابع والثلاثون في هذا الكتاب فيخصصه المؤلف للكلام عن مدينة طرابلس . ويبدأ بالاشارة الى الزيارة الثانية التي قام بها بروس الى هذه المدينة بعد ان اقام في مدينة تونس حتى أغسطس ١٧٦٦ . وقد جاء الى مدينة طرابلس مارا بسفاقس وجزيرة جربة . وفي هذه الزيارة يتحدث بروس عن أهم معالم مدينة طرابلس مركزا الحديث على قوس ماركو اورليو Marcus Aurelius وقام بعمل رسم له . ويشير الى عدد القناصل الاجانب بالمدينة ويذكر انهم كانوا سبعة ولكنه لم يبين لنـــا جنسياتهم والدول التي كانوا ينتمون اليها . ويعطينا بروس وصفـــا لتحصينات المدينة وميناءها الذي تدهورت قيمته الحربية والتجاريـــة لضحالة المياه بسبب تراكم رمال الصحراء التـــي تحملها الرياح اليه . والملاحظ ان بروس فيوصفه لمدينة طرابلس وأحوالها كان في غير جانبها. وقد قام بلايفير باقتباس هذا الوصف الذي سجله بروس في رحلته الى مدينة طرابلس .

ويصر بلايفير على ضرورة اقتباس بعض ما جاء في ورقة مخطوطة من اوراق الرحالة بروس التي عثر عليها ولكنها لم تكن بخط يده . وكانت هذه الورقة بعنوان «مذكرة عن طرابلس الغرب» وفي هذه المذكرة يتحدث بروس عن التاريخ القديم للمدن الثلاثة وكيفية حكمها وادارتها تحت الحكم الروماني وبعض الثورات التي قامت بها ضد الحكم الروماني وما أصاب هذه المدن الثلاثة في عهد الوندال ، وكيف استعادها القائد البيزنطـــي بلزاريوس في عهد الامبراطور جستنيان . وبعد ذلك يستمر في تلخيص تاريخ البلاد بعد مجيء المسلمين اليها حتى بداية الحكم العثماني لها .

ويعطي بلايفير وصفا لقوس ماركو اورليو نقلا عن القنصل البريطاني المستر درموند هاي Drummond Hay الذي كان في مدينة طرابلس

اثناء هذه الزيارة . ويقرن المؤلف هذا الوصف المقتبس برسم دقيق لهذا القوس الاثري التاريخي . ويعطينا ايضا خلاصة تاريخية عن تطور الاستفادة من هذا القوس كملهى للتسلية . وبعد ذلك آل هذا القوس الى احد المالطيين المسنين كتاجر للخمور وكان يسمى جوفاني كاسار Giovenni Cassar . ولكنه بعد ان استفاد منه كمحل رئيسي لبيع الخمور في المدينة حوّله الى ملهى وقد أصبح اخيرا معبأ بالصناديق اثناء هذه الزيارة . ولم يكتف بلايفير بهذا الوصف الذي اعطاه لنا لهذا القوس بل يحيلنا الى بعض المصادر الاخرى التي يمكن ان تساعد في دراسة هذا القوس وما حدث له من تطور . ويقتبس بعض الرسوم التي اخذها بروس لهذا القوس في زيارته لمدينة طرابلس .

ويستمر بلايفير في الفصل الخامس والثلاثين في اقتباس بعض ما جاء في مذكرات بروس حيث يذكر لنا انه بعد اقامة قصيرة في مدينة طرابلس قام بزيارة آثار لبدة ، وقد قطع الرحلة اليها في ثلاثة ايام . ويسجل المؤلف ما ذكره بروس من انه في عهد لويس الرابع عشر ملك فرنسا قد تم نقل سبع اعمدة من الجرانيت او الرخام من أطلال لبدة الى فرنسا وقد وجد العمود الثامن محطما متروكا على ساحل ميناء لبدة وفي هذا الاقتباس نجد وصفا لآثار لبدة وموقف السلطات العثمانية في طرابلس منها . والملاحظ ان الرحالة بروس لم يترك لنا اي اشارة الى آثار صبراته بل أهملها بالمرة لاسباب غير معروفة .

وبعد زيارة لبدة عاد بروس الى مدينة طرابلس ومنها أبحر قاصدا مدينة بنغازي التي وجد سكانها يموتون جوعا بسبب قلة الحبوب فيها . ومعنى هذا ان زيارة بروس لمدينة بنغازي قد جاءت بعد موسم للحصاد ضعيف في محصوله . وقد عانت مدينة بنغازي الكثير من المتاعب بسبب نقص المحصول. وزاد في متاعب المدينة ذلك الصراع القبلي في المناطق المحيطة بها والذي شاهدته المدينة في ذلك الوقت وقد اضطرت الاطراف المغلوبة على أمرها ان تلجأ الى مدينة بنغازي . ويذكر بروس حسب ما اقتبسه بلايفير ان قبيلة اولاد عبيد Walled Abeed كانت تعيش بالقرب من مدينة بنغازي . والمعروف ان قبيلة العبيد تعيش الآن في غربي الجبل الاخضر .

ويسجل بلايفير الوصف الذي كتبه الرحالة بروس لمدينة بنغازي وأحوالها وخاصة تلك المجاعة التي عاناها أهلها وقت ان قام بروس بزيارتها حتى أن حاكمها نصح بروس بعدم الاقامة فيها والذهاب الى احد مشايخ

القبائل المجاورة. وقد قام بروس بجولة استطلاعية في بقية برقة. ويسجل بلايفير ما كتبه بروس عن واحة أوجلة وكيفيةحكمها وأهميتها بحكم موقعها في طريق التجارة الذي يربط فزان بالاراضي المقدسة في الحجاز عبر القاهرة . وكان تجار بورنيو وتمبكتو يرتبطون بالقاهرة بواسطة هـذا الطريق التجاري بالالتحاق به في فزان . وكان حاكم أوجلة يتقاضى رسما مقداره ما يساوي ٨ شلنات وست بنسات عن كل جمل يمر بالواحة . وكانت المسافة فيما بين فزان وأوجلة تقطع في ٢٨ يوما ومنها الى واحة سيوة في سبعة ايام . وكانت واحة سيوة حسب ما سجله بروس تحكم باربعة شيوخ منها . وكانت سيوة مصدرا هاما لتزويد قبيلة أولاد علي بالتمور اللازمة . وقد استطاع بروس ان يقوم بزيارة واحة أوجلة ويسجل لنا انطباعاته عنها .

ويتحدث بروس عن واحة الكفرة وأهلها وكثرة النخيل بها وكيف كانت القبائل القريبة من مدينة بنغازي تذهب اليها للتزود بالتمور . ويذكر بروس ان هذه القبائل كانت هي الجوازي وعائلة جليـد Jelled التي كانت تذهب الى واحة أوجلة لشراء التمور منها ولكنها كانت احيانا تواصل سفرها الى واحة الكفرة لشراء هذه التمور . لقد كان بروس اول رحالة أوربي يذكر اسم واحة الكفرة . اما قبيلة الجوازي التي ذكرهـا بروس فقد هاجرت الى وادي النيل نتيجة لبعض النزاع القبلي الذي شاهدته برقة في عهد يوسف باشا القرهمانلي . وكانت خطة بروس ان يتابع سيره برا الى الاسكندرية مارا بطوكرة وطلميته وقرنه Grenneh (بقرب شحات) ومنها الى درنة مواصلا السير عبر الصحراء الىالاسكندرية بعد ان تمكن من شحن اوراقه بسفينة قاصدة طرابلس الشام . والملاحظ ان بروس يقوم بوصف معالم هذه المدن الاثرية التي مر بها راسما بعض الرسوم لآثارها . وقد اخذ بلايفير رسما منها وزين به غلاف كتابه هذا .

ويسجل بلايفير انطباعات الرحالة بروس عن بعض قبائل برقـة فيتحدث عن قبيلة العرفة وغناها في الثروة الحيوانية وان كانت قوتها لم تكن كبيرة في تقديره . وكانت هذه القبيلة تعيش حول اطلال طلميته . والى الغرب من هذه الاطلال حتى مدينة بنغازي عبر طوكرة وبرسيس كانت تعيش قبيلة العواقير . ويقول بروس ان قبيلة العواقير لم تكن ذات قوة كبيرة . ويتحدث كذلك عن قبيلة الدرسة وبعض ما اشتهرت به . ويشير بروس الى السفن التي كانت ترسو في ميناء طلميته اذا كان الجو هادئا . وكانت معظم هذه السفن فرنسية وكانت تقلع محملة بالقمح .

ولكن السفن لم تأت الى طلميته اثناء وجوده بسبب ما كانت تعانيه البلاد من مجاعة .

ويذكر بروس ان طلميته كانت المدينة الوحيدة في برقة التي احتفظت ببقايا اثرية محترمة . ومعنى هذا ان آثار شحات كانت ما زالت مغطاة ولم تكن ظاهرة للعيان . ويذكر بروس كيف كان الاهالي يتخذون من الاحجار الكبيرة لأرصفة الميناء وسيلة لبناء بيوتهم الجديدة في طلميته . وقد تصادفت زيارته لهذه المدينة وقد وصلت اليها سفينة يونانية صغيرة انزلت حمولتها من القمح . وكانت هذه السفينة تابعة لاحدى الجزر الصغيرة القريبة من جزيرة كريت . وتلقى بروس اثناء وجوده في طلميته اخبار الحروب التي قامت بين قبيلة اولاد علي التي كانت تعيش فيما بين طلميتة والاسكندرية . وقد أدت هذه الحروب الى نهب القافلة الآتية من مراكش في الطريق الى الاراضي المقدسة بالحجاز . وجاءته الاخبار ايضا وهو هناك بشدة وطأة المجاعة في مدينة درنة وقد تبعها وباء الطاعون . وزاد من خطورة الموقف اندلاع الحرب بين سكان درنة التي كانت تنقسم الى قسم علوي وآخر سفلي . وأن اولاد حبيب كانوا في حرب مع عرب طلميتة . كل هذه الاخبار جعلت من الصعب على بروس مواصلة السفر برا الى الشرق وحتمت عليه ضرورة الاسراع في مغادرة البلاد انقاذا لما حصل عليه من اكتشافات وثروة علمية .

واستطاع بروس ان يركب احدى السفن اليونانية التي اقلعت به من طلميتة عند الفجر في جو ملائم مما سهل على السفينة رحلتها . ولكن الاحوال الجوية سرعان ما تبدلت الشيء الذي اجبر بروس وبعض رفاقه على ترك السفينة والالتجاء الى أحد قوارب النجاة بها . ولكنه اضطر ان يترك القارب الذي غاص في الماء نتيجة اضطراب البحر وكثرة اللاجئين الى القارب . واستطاع بروس ان ينجو بنفسه وأن يصل الى البر بفضل اتقانه للسباحة وقوة بدنه . وعندما صحا من اعيائه على رمال الشاطىء وجد رجال القبائل المجاورة قد حضروا لأخذ ما استطاعوا حمله من بقايا السفينة التي رمت بها الامواج الى الشاطىء . وقد تعرض هو نفسه للنهب حيث تُرك عاريا . ولكن احد رجال المنطقة انقذه وساعده شيخ القبيلة وأعاده الى بنغازي . وقد ضاعت معظم الاشياء التي كانت معه وان كان شيخ القبيلة قد ساعده على الحصول على بعضها بعد ان تم العثور عليها وقد قذفت بها مياه البحر الى الشاطىء . واستطاع بروس اخيرا ان يسافر من بنغازي الى مدينة خانيا Canea في جزيرة كريت باحدى

المراكب . وهناك بدأ يسترد حالته الطبيعية لاستئناف نشاطه العلمي فيما بعد .

ويقول بلايفير انه بوصول بروس الى كريت انتهت مذكراته الخاصة ببلاد المغرب وأن بقية ما جاء في مذكراته خاص برحلاته في سوريا وخاصة في مدينة بعلبك ومدينة تدمر الاثريتين . وينهي بلايفير كتابه بنشر صورة زنجغرافية لاحدى صفحات المخطوطة التي تركها بروس والتي كان ما جاء فيها خاصا بالجزائر وتونس وليبيا موضوعا لهذا الكتاب الذي اخرجه بلايفير .

والملاحظ ان بلايفير كثيرا ما كان يخلط بين ما كتبه من تعليقات وبين ما سجله بروس في مخطوطاته ولهذا كان على القارىء لهذا الكتاب ان يأخذ الاحتياط عند قراءته . وبقي ان نقول ان الرحالة الانجليزي جيمس بروس قد زار ليبيا في عهد ولاية علي باشا القرمانلي (١٧٥٤ — ١٧٩٣) وأن ما سجله يفيد في دراسة احوال ليبيا في ذلك الوقت .

***

62 — Précis Sur La Politique Anglaise A Tripoli (Afrique). Paris, Imprimerie de Geoteschyfie Cie, Rue Louis le grand, No 35. 1832.

هذا مقال بعنوان «خلاصة عن السياسة الانجليزيــة نحو طرابلس الغرب» . والمقال لكاتب غير معروف وقد صدر في ١٨٣٢ م. ولم تنجح المساعي التي قمت بها للكشف عن اسمه وحقيقته وربما كان ذلك بسبب ضيق الوقت . والمقال موجود في مجلد يضم عدة مقالات أخرى مختلفة وقد عثرت عليه في المكتبة العامة لمدينة نيويورك تحت CP. V. 1461 No 7 ويقع المقال في ٢٤ صفحة بما في ذلك الصفحة الاولى التي بها عنوان المقال والصفحة الثانية التــي تركت بيضاء . والمقال مكتوب باللغــة الفرنسيــة .

صدر هذا المقال في وقت كانت فيه الثورة الاهلية قد قامت فــي البلاد ضد حكم يوسف باشا القرمانلي نتيجة لتصرفاته المالية التــي اعجزت الشعب وأفلست الخزانة الحكومية وبسبب تدخل كل من القنصل العام لبريطانيا الكولونيل وارنجتون Warrington والقنصل العام الفرنسي

المسيو روسو Rousseau (١٨٢٥ ـ ١٨٣٠) ومن بعده القنصل العام الفرنسي المسيو سكوبل Schwebel (١٨٣٠ ـ ١٨٣٥) . والى جانب تدخل هذين القنصلين في شئون البلاد كان التنافس بينهما قويا في سبيل رعاية مصالح دولة كل منهما . ولقد كان للدور الذي قام به القنصل البريطاني في النزاع الذي حدث بين افراد الاسرة القرهمانلية أثر كبير في انهاء الحكم القرهمانلي وعودة البلاد الى الحكم العثماني المباشر في ١٨٣٥ . ولهذا نجد كاتب هذا المقال يحاول ان يكشف عن مظاهر نشاط هذا القنصل البريطاني وعن اطماع بريطانيا في ليبيا في ذلك الوقت بعد ان قامت فرنسا بغزو الجزائر الشيء الذي ترتب عليه اختلال التوازن الدولي في حوض البحر الأبيض المتوسط بين كل من بريطانيا وفرنسا خصوصا وأن الاخيرة استطاعت ان تدعم نفوذها في مصر باحتضان واليها محمد علي باشا ومشروعاته الاستقلالية والتوسعية في الامبراطورية العثمانية .

خلاصة القول ان هذا المقال رغم قلة عدد صفحاته يتناول الكثير من الحقائق التي لعبها القنصل البريطاني في ليبيا في عهد يوسف باشا وابنه علي باشا الثاني من اجل تثبيت النفوذ البريطاني في البلاد وتوسيعه والصراع الذي حدث بين قنصل بريطانيا وقنصل فرنسا من اجل مراعاة مصلحة بلد كل منهما . والكاتب في مقاله من أنصار السياسة الفرنسية ولهذا نراه يركز كتابته للكشف عن اهداف السياسة الانجليزية في ليبيا وأطماعها في البلاد . وقد كان التنافس على أشد ما يكون بين بريطانيا وفرنسا من اجل السيادة على البحر الابيض المتوسط والتوسع الداخلي في القارة الافريقية .

***

63 — Prothero, R. Mansell; Heinrich Barth And The Western Sudan. The Geographical Journal. September, 1958. PP . 325 - 39.

قام الاستاذ ر. مانسل بروذيرو R. Mansell Prothero بالقاء بحث عن الرحالة «هنري بارث والسودان الغربي» في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بلندن مساء يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٥٧ . وكان الاستاذ بروذيرو في ذلك الوقت محاضرا في مادة الجغرافية في جامعة ليفربول .

وقام بتقديم المحاضر اللورد رينيل الذي سبق لنا التعريف به وببعض مؤلفاته التي لها علاقة بتاريخ ليبيا (٧٢) . وقد نشرت «المجلة الجغرافية» هذا البحث والمناقشة التي دارت حوله في عددها الصادر في سبتمبر سنة ١٩٥٨ .

ويُعتبر الرحالة هنري بارث من أهم الرحالة الاوربيين الذين ساهموا بنشاطهم في التعريف بليبيا والسودان الغربي في القرن التاسع عشر . وكانت كشوفه ودراساته اساسا متينا للكثير من الرحالة والدارسين الذين أتوا من بعده . ولهذا كان التعريف بهذا الرحالة أمر ضروري خاصة وأن الكثير من مراجع تاريخ ليبيا تشير اليه والى اعماله العلمية . وقد سبق ان رأينا بعض هذه المراجع التي اعتمدت عليه فيما قدمته من دراسات . ولأهمية الابحاث التي قام بها هنري بارث قال عنه اللورد رنيل Lord Rennell انه «ربما كان اعظم رحالة ظهر في افريقية» ( ص ٣٢٦ ) .

كان هنري بارث المانياً ولكنه قام بنشاطه العلمي في ليبيا والسودان الغربي لحساب حكومة بريطانيا . وقد نشر نتيجة ابحاثه فيما بعد باللغة الانجليزية . وبعد عودته من السودان الغربي قام برحلات واسعة في آسيا الصغرى ١٨٥٨ وفي اسبانيا ١٨٦١ وفي تركيا الاوربية ١٨٦٢ وفي جبال الالب ١٨٦٣ وفي ايطاليا ١٨٦٤ وعاد الى تركيا مرة أخرى ١٨٦٥ ، وأخيرا توفي هنري بارث يوم ٢٥ نوفمبر ١٨٦٥ وهو في بداية السنة الرابعة والاربعين من عمره . وهكذا قدر له ان يعيش عمرا قصيرا ولكنه حافل بالنشاط والانتاج .

هذا البحث يفيد في دراسة تاريخ ومؤلفات هنري بارث وفي دراسة نشاط بقية زملائه الذين ساهموا في ميدان الكشوف الافريقية التي لها ارتباط بتاريخ ليبيا في العصور الحديثة وآثارها القديمة . وستكون لنا عودة لهذا الرحالة عند استعراض بعض المؤلفات التي تركها لنا والتي لها علاقة بتاريخ ليبيا .

بقي ان نقول ان الاستاذ المحاضر قد زود بحثه بصورة للرحالة وبعض المناظر الجغرافية التي سجلها الرحالة في كتابه وخريطة جغرافية لخط سير الرحلة . اما المراجع فقد أوردها في آخر البحث ، وتكاد تكون كلها

---

٧٢ ـ راجع المراجع ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ في الجزء الاول من هذا الكتاب .

مصادر اساسية وكثير منها وثائق ما زالت محفوظة في دار الوثائق بلندن.

***

64 — R., F.J.R.; Robert Clayton East Clayton. A Reconnaissance of The Gilf Kebir. The Geographical Journal. March 1933. PP. 249 - 54.

هناك عدة شخصيات انجليزية هامة عرفت باسم كلايتون Clayton لعبت ادوارا هامة في منطقة الشرق الاوسط سواء في الحرب العالمية الاولى او في الحرب العالمية الثانية او في الاثنين او فيما بينهما . ومن هؤلاء الاشخاص السير روبرت كلايتون ايست كلايتون Sir Robert Clayton East Clayton الذي قامت «المجلة الجغرافية» الانجليزية بالتعريف بجهوده في سبيل التعرف على منطقة الجلف الكبير التي تقع في الجنوب الغربي من الجمهورية العربية المتحدة وعلى وجه التحديد بالقرب من الحدود الليبية الشرقية الجنوبية حيث توجد مرتفعات العوينات .

التحق كلايتون بالبحرية الانجليزية في ١٩٢١ واستمر يزاول نشاطه البحري حتى تقابل بالمصادفة مع احد الاصدقاء في عشاء في خريف ١٩٣١ . ودار الحديث بينهما بخصوص ما كان يقوم به الامير كمال الدين حسين وبال Ball و ب.أ. كلايتون P.A. Clayton وبجنولد Bagnold ونيوبولد Newbold وشو Shaw من نشاط جغرافي في ميدان ارتياد الصحراء الليبية وكشف معالمها (ص ٢٤٩) . وقد اثارت المعلومات التي وصل اليها من حديثه مع صديقه رغبته الصادقة في الالتحاق بهذه الجماعة للاشتراك معها في جهودها الكشفية . واستطاع ان يأخذ اجازة من رؤسائه في البحرية الانجليزية . وبدأ يتصل بالكونت ل.إ. دي الماسي Count L.E. de Almasy المجري الجنسية والذي كان يعمل كرحالة مع الامير المصري كمال الدين حسين . وقام كلايتون بزيارة الرحالة دي الماسي في المجر في مارس ١٩٣١ لمناقشة الترتيبات اللازمة للقيام بالرحلة معه . ومع انشغال كلايتون بالاستعدادات اللازمة لهذه الرحلة استطاع ان يجد الوقت اللازم للزواج في لندن وبعد ١٤ يوما من زواجه اصطحب معه زوجته الى القاهرة حيث تركها هناك . ومن

القاهرة ذهب الى واحة الخارجة المصرية عن طريق مدينة اسيوط بصعيد مصر للالتحاق بزميليه ب.أ. كلايتون P.A. Clayton وبنديرل (٧٣) Penderel ، ومن هناك ذهب الى منطقة الجلف الكبير مع بقية زملائه. ونظرا لقرب منطقة الجلف الكبير من الحدود الليبية استطاع الرحالة دي الماسي ان يذهب الى واحة الكفرة للتزود بالماء والعودة الى اصحابه وساعده على ذلك حصوله على تأشيرة بالدخول الى ليبيا من السلطات الايطاليـة .

وبعد انتهاء روبرت كلايتون من رحلته الى منطقة الجلف الكبير عـاد وزوجته بطائرتهما عن طريق السلوم وطبرق وبنغـازي وسرت وطرابلس وتونس ومن هناك الى جزيرة صقلية . ولكنه توفي بعد شهرين من رحلته الى منطقة الجلف الكبير . وقد حرقت جثته وقامت زوجته بالاشتراك مع أخيه بنشر رمادها في الهواء فوق القنال الانجليزي حسب وصيته . وقد ترك هذا الرحالة مذكرات بخصوص رحلته هذه . وبفضل ما جاء في هذه المذكرات استطاع الاستاذ ف.ج.ر.ر. F.J.R.R. كتابة هذا المقال الذي نشرته « المجلة الجغرافية » .

بقي أن نقول أن مذكرات هذا الرحالة وما نشرته « المجلة الجغرافية » في عددها هذا يفيد في دراسة نشاط الرحالة والجغرافيين الذين قاموا بنشاطهم الكشفي في المناطق الملاصقة للحدود الليبية الشرقية متخذين من القاهرة قاعدة لتحركاتهم. وقد استطاع بعضهم التغلغل الى داخل الحدود الليبية والوصول الى واحة الكفرة . وبعض هؤلاء الرحالة كانوا يقومـون بهذا النشاط الجغرافي استعدادا لما قد تتطور اليه العلاقات البريطانيـة الايطالية بعد أن استولى الحزب الايطالي الفاشستي على مقاليد الحكم في ايطاليا وأصبح يهدد المصالح البريطانية في الشرق الاوسط . واذا درسنا بعض العمليات الحربية التي قام بها الجيش البريطاني في ليبيا اثنـاء الحرب العالمية الثانية لوجدنا أن هؤلاء الرحالة اسهموا فيها وتولوا قيادتها بعد أن التحقوا بالقوات البريطانية . وتولى بعض هؤلاء المناصب الادارية العسكرية في كل من ولاية برقة وولاية طرابلس في عهد الادارة البريطانية التي قامت في هاتين الولايتين على أثر طرد قوات المحور منها .

---

٧٣ ـ راجع البحث رقم ٥٩ .

65 — René Et Cattaui, Georges; Mohamed - Aly Et L'Europe, Paris, 1950. XVI, 300 PP.

صدر كتاب « محمد علي وأوروبا » في باريس ١٩٥٠ م. وهو من تأليف كل من رينيه René وجورج قطاوي بالاشتراك بينهما . وقد قام بكتابةمقدمة الكتاب الاستاذ م. ف. شارل M.F. Charles - Roux المعروف بدراساته الفرنسية عن كل من مصر وليبيا وعن قناة السويس .

واذا كان الكتاب في جملته دراسة عامة لمحمد علي باشا مؤسس الإسرة العلوية في مصر وعلاقاته بالدول الاوروبية الا أنه يفيدنا في دراسة الاطماع التوسعية التي كان يهدف اليها من الشمال الافريقي . وتتبين هذه الاطماع بوضوح عند دراسة موقف محمد علي باشا من الاحتلال الفرنسي للجزائر في سنة ١٨٣٠ والاستعداد الذي أظهره لمساعدة فرنسا في تحقيق اطماعها في الشمال الافريقي في مقابل اطلاق يده في كل من ليبيا وتونس . وقد كان الحكم القره مانلي في ليبيا يحتضر ويعيش أيامه الاخيرة ، وأراد محمد علي باشا أن يكون وريثا للحكم المتداعي في ليبيا . ولكن موقف الباب العالي من محمد علي باشا الى جانب انشغال الاخير باطماعه في سوريا لم يسمح له بتنفيذ التوسع الغربي الذي كان يهدف اليه محمد علي باشا بعطف من فرنسا وتشجيعها .



66 — Safwat, M.M.; Tunis And The Great Powers 1878 - 1881. P.F. Baganis, Alexandria, 1943. VIII, 415 PP.

المؤلف هو المرحوم الدكتور محمد مصطفى صفوت . وهو من مواليد مدينة الاسكندرية ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٠ ومن ابنائها الذين نشأوا فيها وتعلموا في معاهدها وختم حياته فيها . تخرج في قسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية ( جامعة القاهرة ) بدرجة الامتياز كما تخرج في معهد التربية العالي للمعلمين . وبعد تخرجه ذهب في بعثة دراسية الى انجلترا حيث التحق بجامعة لندن وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث . وكان موضوع رسالته « تونس والدول الكبرى فيما بين ١٨٧٨ و ١٨٨١ » . وهي موضوع هذا الكتاب . وعاد المؤلف الى وطنه اثناء

الحرب العالمية الثانية وساهم في التدريس بقسم التاريخ في الكلية التي تخرج فيها حتى اذا تم انشاء جامعة الاسكندريـــة في العام الدراســـي ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ بعد أن كانت فرعا لجامعة القاهرة التحـق مدرسا بقسم التاريخ بجامعة الاسكندرية ، وترقى في هذا القسم الى أن وصل مرتبـة الاستاذية ثم أصبح رئيسا لقسم التاريخ بهذه الكلية .

كان المرحوم وفيا لاستاذه المرحوم العلامة محمد شفيق غربال (٧٤) صاحب النشاط العلمي المشهور في مصر. وقد كان لي شرف التتلمذ لهما. مات الدكتور محمد مصطفى صفوت وهو في عنفوان انتاجه العلمي ولم يبلغ سن التقاعد . وكانت وفاته فجأة يوم ٦ ابريل سنة ١٩٦٠ . وتم دفنـــه بالاسكندرية مسقط رأسه . رحم الله الفقيد بقدر ما أخلص لاساتذتـــه وللبحث العلمي المبني على النقد ومناقشة الوثائق وتفسيرها .

قامت وزارة التربية في مصر بطبع هذه الرسالة على حسابها في ١٩٤٣ بناء على توصية من جامعة لندن في هذا الخصوص تقديرا منهـا لهـــذا المجهود العلمي كما تفعل في بعض الرسائل الهامة التي ترى ان توصي بطبعها حتى تعم الفائدة منها . وهذه التوصية تقدير آخر لهذا المجهـود القيم . وقد قدرت جامعة عين شمس الفقيد بعـد وفاتـه فقامت بشراء مكتبته وضمتها الى مكتبتها العامة .

واذا كان هذا البحث القيم قد تناول القطـر التونسي وفي فتـــرة محدودة بالذات هي الفترة الواقعة ما بـين ١٨٧٨ و ١٨٨١ فـان الصراع الدولي بين الدول الكبرى بخصوص تونس في تلك الفترة يلقى الكثير من الضوء على موقف هذه الدول من ليبيا وتقرير مصيرها بعــد أن أصبحت

---

٧٤ ــ من أسرة معروفة بالاسكندرية ترجع في أصولها الى جزيرة جربة . وهناك حــي بالاسكندرية يعرف باسم «غربال» . وهناك فروع لهذه العائلة في بنغازي وطرابلس وغيرها. وكان لاسرة غربال دور كبير وهام في مصر في حياتها السياسية والاجتماعية والعلمية . شغل المرحوم محمد شفيق غربال عدة مناصب هامة كان معظمها في ميدان التعليم بمراحله المختلفة . وله الآلاف من التلاميذ الذين استفادوا من علمه وأخلصوا لرسالته فهو صاحب مدرسة بحق وحقيق . توفي في ١٩٦١ وهو يشغل منصب مدير معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بعد احالته على التقاعد . ودفن بمقابر الاسرة بمقبرة العمود المشهورة بمدينة الاسكندرية تاركا ابنا واحدا يشتغل بالطب ومكتبة تاريخية هامة اشترتها مكتبة جامعة عين شمس . رحم الله الفقيد بقدر ما كان متواضعا في سلوكه وحياتـــه وبقدر ما كان مخلصا لعمله وللبحث عن الحقيقة التاريخية .

محط اطماع بعض الدول الاوروبية وفي مقدمتها ايطاليا وفرنسا . ولهذا فان قراءة هذا الكتاب تفيد كثيرا في دراسة تاريخ ليبيا في اواخر القرن التاسع عشر وموقف بعض الدول الكبرى من الاطماع الايطالية في ليبيا . ويفيد الكتاب أيضا من دراسة الوضع العام في حوض البحر الابيض المتوسط في اواخر القرن التاسع عشر وموقف الدول الاوروبية من بقايا الامبراطورية العثمانية في ذلك الوقت . ويكشف المؤلف حقيقة تاريخية هامة بخصوص موقف تركيا وتونس من ليبيا عندما أخذ يتحدث عن العلاقة بين تونس وتركيا في عهد الباي الصادق الذي كان حسب الفرمان السلطاني الصادر في ١٨٧١ حاكما عاما لولاية تونس . وفي عهد هذا الباي حدث تقارب واضح بين الباب العالي وتونس واتضح هذا تماما عندما زار الجنرال رستم المبعوث الخاص للباي التونسي العاصمة العثمانية في ١٨٧٧ . وقد أحسن السلطان استقباله وبالغ في اكرامه توطيدا للعلاقات بين البلدين . واستغل الجنرال رستم هذه الفرصة واقترح أن تعطى باشوية طرابلس ( ليبيا ) الى باي تونس مع اعطائه لقب خديوي ، وفي مقابل هذا يقوم الصادق باي تونس بدفع جزية سنوية ثابتة . لقد وجد هذا الاقتراح ترحيبا كبيرا في البلاط السلطاني ولكن الباب العالي لم يوافق عليه ( ص ٨٢ ــ ٨٣ ) .

بقي ان نقول ان المؤلف قد تناول في كتابه رد الفعل الذي احدثه الاعتداء الفرنسي على تونس في بلاد حوض البحر الابيض المتوسط . وكانت ليبيا في مقدمة هذه البلاد . وكان لحكومة الولاية ولاهل البلاد موقف واضح في تأييد الشقيقة تونس كما كان الحال في مصر . ولهذا يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في دراسة موضوع موقف ليبيا من العدوان الفرنسي على تونس والمعنى الذي يمكن استنتاجه من هذا الموقف ( ص ٣٩١ ) . ولقد ترتب على غزو فرنسا لتونس ان هاجر الكثير من أهل تونس الى ليبيا وبذلك زاد هذا الموقف من تدخل القنصل الفرنسي عند السلطات العثمانية في طرابلس بحجة حماية الرعايا الفرنسيين الذين زاد عددهم في البلاد بهجرة الكثير من العائلات التونسية الى ليبيا على أثر الاعتداء الفرنسي على تونس .

هذا والكتاب يعتبر وثيقة تاريخية هامة كانت الاولى من نوعها وقت صدورها فيما يتعلق بتاريخ تونس في اواخر القرن التاسع عشر . والامل كبير أن يتمكن أحد المهتمين بالدراسات التاريخية من القيام باخراج بحث حول « الدول الكبرى وليبيا في اواخر القرن التاسع عشر » على هذا

المنهج من البحث العلمي الوثائقي .

***

67 — Sandford, K.S.; Western Frontiers of Libya. The Geographical Journal. January, 1942. PP. 29 - 40.

في يوم ١٩ يناير ١٩٤٢ دعى الاستاذ ك.س. ساندفورد K.S. Sandford الى الجمعية الجغرافية بلندن لالقاء محاضرة عن « الحدود الغربية لليبيا » ولم يكن المحاضر قد سافر الى هذه الحدود لان اهتمامه بالنسبة لليبيا كان موجها لدراسة جيولوجية البلاد لعدة سنوات مضت . وعند القاء هذه المحاضرة كانت الحرب العالمية الثانية على أشدها وكانت ليبيا من أهم ميادينها .

كان الغرض من المحاضرة اعطاء وصف عام لحدود ليبيا مع الامبراطورية الفرنسية الافريقية في ذلك الوقت واعطاء تعريف بالبلاد والمواصلات القريبة من تلك الحدود . وكانت الحدود الغربية لليبيا معروفة معرفة قليلة على ما يبدو خصوصا بعد أن استسلمت فرنسا التي اعطى علماؤها أهمية خاصة لبلاد الشمال الافريقي . وكان المحاضر يهدف من محاضرته هذه اعطاء فكرة عن طبيعة البلاد التي يحتمل أن تقوم فيها قوات الحلفاء بعملياتها الحربية . ويذكر المحاضر في بحثه أن حدود ليبيا الغربية مشتركة مع الاراضي الفرنسية بطول افريقية الاستوائية في أقصى الجنوب الغربي ومع الاراضي الجزائرية العسكرية في الغرب ومع تونس في الغرب الشمالي . ومن المعلوم أن ايطاليا احتلت ليبيا اثناء وبعد الحرب مع تركيا في ١٩١١ ـ ١٩١٢ اذ دخلت القوات الايطالية واحة مرزق وغات في ١٩١٤ . ولكن هذه القوات ما لبثت ان تراجعت الى الساحل اثناء الحرب العالمية الاولى فيما بين ١٩١٤ و ١٩١٨ . وقد استعاد الجيش الايطالي هاتين الواحتين كما استعاد بقية اقليم فزان في ١٩٣٠ .

بعد هذه المقدمة يتكلم المحاضر عن طبيعة البلاد فيقول أنه توجد اختلافات ظاهرة بين المعالم الجيولوجية والطبيعية لكل من النواحي الشرقية لليبيا واجزائها الغربية ، ويسير خط التقسيم من خليج سرت بالقرب من العقيلة على البحر الابيض شمالا الى جبل اغي Eghei في كتلة مرتفعات تيبستي Tibesti جنوبا . هذا وتنفصل ليبيا

عن الصحراء الغربية في مصر كاقليم له معالمه في السهول والمرتفعات .
وهنا يقوم المحاضر بعمل مقارنة بين الاقليمين من حيث المعالم الجغرافية كما أنه يقارن بين المناطق الشرقية في ليبيا ومناطقها الغربية من حيث المعالم الجغرافية خصوصا من جهة الموارد المائية وكثرة الآبار والوديان على الحدود الليبية الغربية الى جانب وجود السكان بطول الحدود الغربية وسهولة عبور البلاد منها اكثر مما هي عليه في سهول ليبيا الشرقية .

وبعد ذلك ينتقل الى وصف مرتفعات تيبستي والسهول التي تفصل حوض الكفرة عن حوض تشاد ، وهكذا يتناول المحاضر مرتفعات تاسيلي Tassili والحدود الغربية وان كان كثيرا ما تناول بالوصف المظاهر الجغرافية لهذه الحدود عامة المتوغلة في داخل البلاد .

ويتحدث المحاضر بعد ذلك عن المواصلات عبر هذه الحدود وسهولة عبورها بعد أن تقدمت المواصلات وأصبحت تعتمد على السيارات بعد أن كانت تعتمد على الابل . ويستدل على ذلك بالحملة التي شنها الانجليز في شتاء ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ على المنطقة الواقعة فيما بين برقة والكفرة وكيف استطاع جنود الانجليز الذهاب والمجيء كما يشاءون بسياراتهم في هذه المنطقة خلف خطوط الاعداء وكما حدث في اتصال القوات البريطانية بالقوات الفرنسية الحرة التي اتخذت من اراضي تشاد وتيبستي قاعدة لها . وقد أدت هذه العمليات المشتركة الى سقوط الحامية الايطالية في واحة الكفرة .

وربما كانت أبرز غارة حربية عبر الحدود الليبية ما قامت به القوات البريطانية من هجوم على واحتي مرزق وتراغن والمناطق المجاورة لهما .
والغريب أن واحة الكفرة كانت في أيدي الايطاليين وقت شن هذه الغارة الانجليزية .

ويقوم المحاضر بعمل مقارنة بين نظام الطرق الايطالية في غربي ليبيا وبين نظام الطرق الفرنسية في الجانب التونسي المواجه للحدود الليبية .
وبعد ذلك يستعرض نظام الطرق الايطالية في ليبيا واسباب اختلافها في برقة عما هي عليه في طرابلس والاغراض التي اقيمت من أجلها هذه الطرق . ويشير المؤلف الى وجود سكة للحديد من زوارة غربا الى مدينة الخمس شرقا مارة بمدينة طرابلس . ويتفرع منها خط آخر الى غريان جنوبا . والواقع ان الايطاليين لم يحققوا مد الخط الحديدي الى الخمس بل كان أقصى ما وصلت اليه جهودهم في هذا الخصوص واحة تاجوراء شرقي مدينة طرابلس . واذا كان الايطاليون قد بدأوا في التخطيط لمد

السكة الحديدية بطول الساحل فانهم لم يتمكنوا من تنفيذ مشروعـــهم عمليا . وما زلت اذكر بقايا مباني محطة السكة الحديديـة التي كانـــوا يخططون لها في ذلك الوقت وقد شاهدتها بالقرب من مطار حديد بمدينة مسراتة في ١٩٤٦ . واعتقد ان بقايا هـذه المحطة مـا زالت قائمـة الى الآن (٧٥) .

ويعطي المحاضر اهتماما خاصا باستعراض الطرق الموجودة في فزان وتلك التي تربط ساحل ليبيا بجنوبيها وهي ثلاثة طرق رئيسية .

أولا : الطريق الشرقي الذي يربط الساحل فيما بين سرت ومسراته ويتجه جنوبا الى واحة هون فواحة سوكنة ثم مرزق مارا بسبها . وتتفرع من هذا الطريق الرئيسي طرق فرعية جانبية .

ثانيا : الطريق الاوسط الذي يربط غريان ببراك مارا بمزدة وهو مـا يعرف بالطريق الاوسط . وهو أقصر في المسافة من الطريـق الاول وان كان أصعب منه فضلا عن وجوده في موقع جانبي بالنسبة لبقية اجـــزاء ليبيـا .

ثالثا : الطريق الغربي وهو الذي يربط الساحل في غربي ليبيا بنالوت وغدامس مارا بالقرب من الحدود التونسية .

ولكن يجب أن نذكر هنا أن المحاضر بذكره لهذه المعلومات لم يذكــر الوضع الطبيعي لهذه الطرق اذ كلها باستثناء بعض اجزاء الطريق الاوسط كانت غير مرصوفة بل كانت من النوع الترابي .

بعد ذلك نجد المحاضر يعطي جانبا من محاضرته لالقاء بعض الضوء على مصادر المياه في ليبيا والمجهود الذي بذله الايطاليون في توفير الميـاه لاقامة مستعمراتهم لاستقبال المعمرين الايطاليين الذين أتت بهم ايطاليـا لاسكانهم في ليبيـا .

بقي أن نقول أن المحاضر كان عضوا بالجمعية الجغرافية الملكيـــة في لندن وكان له نشاط جغرافي في اجزاء كثيرة من العالم من بينهـــا مصر وليبيا . وساهم بمعلوماته وخبراته عن ليبيا في تقديم المساعدات اللازمة للفرق البريطانية التي كانت تتوغل خلف خطوط القوات المحوريـة عبــر صحراء ليبيا وفي اجزائها الداخلية . وكان المحاضر يعتبر مصدرا اساسيا في هذا الخصوص . وقد كانت المحاضرة هامة في موضوعها ومعلوماتهـا

---

٧٥ ــ راجع البحث رقم ٢٠ .

في ذلك الوقت الذي القيت فيه بسبب احداث الحرب العالمية الثانية ولما كان يجري في ليبيا من معارك بين الطرفين . وقد اشار رئيس الجمعية الى أهمية هذه المحاضرة وموضوعها في هذا الخصوص بالذات .

ويجب أن نذكر ان المحاضر لم يتعرض الى الكلام عن الحدود الشمالية واعني بذلك الساحل البحري وأهم معالمه ونقط الضعف والقوة فيه بالنسبة للعمليات الحربية البحرية التي كانت تجري في ذلك الوقت . وقد اشار الى هذا الاميرال السير وليم جودنوج Admiral Sir William Goodenough الذي كان حاضرا يستمع الى ما جاء في هذه المحاضرة . هذا وقد زود المحاضر بحثه بخريطة واضحة لاهم معالم ليبيا لتوضيح ما جاء في بحثه وقد ألحقها بآخر المجلة . والحق بالبحث أيضا خريطة تبين خطوط الدفاع بين ليبيا وتونس في ذلك الوقت .

ويلاحظ على البحث أنه لم يتمش تماما مع عنوانه وهو الكلام عن « حدود ليبيا الغربية » فالقارىء لهذا العنوان يتوقع تحديدا لهذه الحدود الغربية مع ما يتعلق بها ولكن البحث جاء شاملا لجميع الحدود الليبية بل تناول الجهات الداخلية . ويبدو أن الغرض من المحاضرة كان التركيز على المعلومات التي تفيد في المجهود الحربي بحكم ظروف المحاضرة الزمنية ومهمة صاحبها . ولهذا جاء البحث مليئا بالمعلومات التي تفيد في الجهود الحربية . ولم يشر المحاضر الى الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي تحدد هذه الحدود بل تكلم عن أهم معالم هذه الحدود ولم يفعل مثل ما فعله صاحب التقرير الشهري الذي كتب عن الحدود الليبية التونسية في هذه المجلة في عددها الصادر بتاريخ يوليو ١٩١١ والذي نجد استعراضه في مكان آخر من هذا الكتاب (٧٦) .



68 — Sandford, K.S.; The Geology of Italian North Africa. The Geographical Journal. July 1939. PP. 50 - 53.

نشر الاستاذ ك.س. ساندفورد K.S.Sandford مقالا عن « جيولوجية الشمال الافريقي الايطالي » في « المجلة الجغرافية » بعددها

---

٧٦ – راجع البحث رقم ٩٣ .

الصادر في يوليو ١٩٣٩ . والمقال هو عرض للكتاب الايطالي « البعثة العلمية للاكاديمية الملكية الايطالية الى الكفرة في ١٩٣١ » . والكتاب الايطالي في ثلاثة اجزاء صدرت كلها فيما بين ١٩٣٤ و ١٩٣٩ . وقد قامت الاكاديمية الملكية بايطاليا في روما باصدار هذا الكتاب باجزائه الثلاثة (٧٧) وكانت هذه البعثة العلمية الايطالية برئاسة العالم الايطالي ارديتو دزيو Ardito Desio (٧٨) .

لقد كان من نتائج استيلاء الايطاليين على واحة الكفرة التي دخلها الجيش الايطالي يوم ٢٩ — ١ — ١٩٣١ أن اهتمت الحكومة الايطالية بدراسة هذه المنطقة الواقعة في الركن الجنوبي الغربي من ليبيا . وكان هذا الاهتمام العلمي ممثلا في تلك البعثة العلمية التي ارسلتها الاكاديمية الملكية في ايطاليا برئاسة الاستاذ ارديتو ديزيو .

واذا كان هذا المقال هو عرض سريع لهذا الكتاب الايطالي باجزائه الثلاثة فانه يفيد في دراسة تاريخ الجهود العلمية التي شاهدتها البلاد في العهد الايطالي بعد أن تم للسلطات الايطالية الاستيلاء على منطقة الكفرة . وقد استغرقت هذه الرحلة العلمية عدة شهور للوصول من ساحل البحر الابيض الى الكفرة جنوبا . وقد اعتمدت البعثة على الابل في السفر ونقل الامتعة في الجزء الاكبر من هذه المسافة الطويلة .

***

69 — Shaw, W.B.K.; International Boundaries of Libya. The Geographical Journal, January, 1935. PP. 50 - 53.

هذا المقال عن «الحدود الدولية لليبيا» كتبه الاستاذ و.ب. كندي شو W.B. Kennedy Shaw في عدد يناير سنة ١٩٣٥ من «المجلة الجغرافية». The Geographical Journal أي في الوقت الذي كانت فيه

---

77 — Missione Scientifica Della Reale Accademia D'Italia A Cufra (1931 - IX); Roma, Reale Accademia D'Italia (1934 - 1939), 3 vols.

٧٨ — راجع البحث رقم ٥٩ .

ليبيا تحت الحكم الايطالي الفاشستي ، وقد كان لهذا الكاتب نشاط جغرافي برحلاته الكثيرة في الصحراء الليبية ، وكان له أيضا اهتمام بالدراسات التي تقوم حول الصحراء الليبية . وكان في نشاطه هذا يعد نفسه لمهمة خطيرة وقد أخذت العلاقات البريطانية الايطالية تسوء نتيجة للاطماع التي كانت تبديها ايطاليا في الاملاك البريطانية . وقد اخذت ايطاليا تستعد لبسط سيادتها على الحبشة متحدية في ذلك « عصبة الامم » وجهودها لمنع هذا التوسع . ولما قامت الحرب العالمية الثانية في اواخر ١٩٣٩ واخذت ايطاليا تستعد لخوض غمارها الى جانب المانيا ضد بريطانيا وحلفائها كان الاستاذ كندي شو قد أعد نفسه لهذه المهمة التي أوكلتها اليه المخابرات البريطانية واستطاع أن يساهم في نشاط فرق الكوماندس التي استطاعت التغلغل في ليبيا خلف خطوط الاعداء وأن ينجح في مهمته هذه بفضل ما بذله من جهود عملية وعلمية في هذا الخصوص حتى اذا خرج الايطاليون نهائيا من ليبيا في يناير سنة ١٩٤٣ بعد هزيمة قوات المحور أمام الجيش الثامن جاء الكاتب الى مدينة طرابلس واسندت اليه وظيفة سياسية في الادارة البريطانية العسكرية لولاية طرابلس .

ويتناول الكاتب في مقاله هذا موضوع الحدود الليبية الدولية بمناسبة تبادل المذكرات بين الحكومات البريطانية والايطالية والمصرية في روما يوم ٢٠ يوليو ١٩٣٤ التي انهت مشكلة الحدود الجنوبية لليبيا في العهد الايطالي فيما يتعلق بهاتين الدولتين المصرية والبريطانية بحكم اشتراكهما في ادارة ما كان يعرف باسم السودان المصري الانجليزي . ولم تكن ايطاليا حتى كتابة مقال كندي شو قد استطاعت أن تسوي موضوع الحدود الليبية المشتركة مع الاملاك الفرنسية المجاورة في افريقية .

ويتناول كندي شو في مقاله هذا الحديث عن الحدود الليبيةالعثمانية وقد اخذت فرنسا تتوغل في الصحراء الكبرى وتبسط سيادتها على ما يعرف الآن بجمهورية تشاد وجمهورية النيجر . وكانت تركيا تحاول المحافظة على أملاكها في جنوبي ليبيا في المنطقة المعروفة باسم جبال تيبستي وما ورائها جنوبا وكيف قامت بريطانيا وفرنسا بالاتفاق فيما بينهما في ١٨٩٩ بتوزيع الغنيمة بينهما على ان تكون المناطق الواقعة على الشواطىء الشمالية والشرقية والجنوبية لبحيرة تشاد تابعة لفرنسا مع ترك مملكة واداي Wadai ودارفور Darfur لبريطانيا . وقد رفضت تركيا هذا الاتفاق الذي تم بين بريطانيا وفرنسا على حساب أملاكها في

المناطق الجنوبية الليبية ، ولكن احتجاجها هذا لم يأت بفائدة . والملاحظ ان هذا الاتفاق البريطاني الفرنسي لم يكن مصحوبا بخريطة جغرافيـــة للتوضيح . ولهذا جاء رسم هذه الحدود في الخرط الجغرافية فيما بعد مختلفا من خريطة لأخرى .

وعندما حلت ايطاليا محل تركيا في ليبيا بعد معاهـــدة اوش ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ لم نجد اي اشارة الى الحدود الليبية الجنوبية فـي هذه المعاهدة المذكورة وان كانت ايطاليا قد سبق لها ان اعترفت بالاتفاق الذي تم بين بريطانيا وفرنسا بخصوص اتفاقية ١٨٩٩ بشأن الامـــلاك البريطانية والفرنسية في المناطق المجاورة لبحيرة تشاد . وبعد الكلام عن حدود ليبيا الجنوبية ينتقل الكاتب الى الحديث عن الحدود الليبية الشرقية وكيف تم تحديدها في ١٩٢٥ . وقد وضح الكاتب مقاله بخريطة جغرافية لليبيا بين عليها الحدود الليبية وتطورها التاريخي حسب مـا استعرضه في مقاله هذا .

خلاصة القول ان المقال هام في دراسة تاريخ الحدود الليبية وقد كتبه صاحبه بطريقة واضحة لوضوح أفكاره في هذا الخصوص . ويزيد في قيمة هذا المقال ذكره للمراجع التي اعتمد عليها في كتابـــة هذا البحث الجغرافي التاريخي او ما يعرف بالجغرافية السياسية .



70 — Shaw, W,B. Kennedy; Tripolitania. The Geographical Journal, Sept - Oct, 1945. PP. 166 - 67.

نشرت «المجلة الجغرافية» بحثا هاما عنوانه «طرابلس» Tripolitania بالمعنى الجغرافي الذي ينطبق على الاجزاء الغربية من ليبيا لا ليبيا بأجمعها كما كانت تفعل في مقالاتها الاولى التي نشرتها قبيل الغزو الايطالي او في اثنائه . وكان هذا البحث منشورا في عددها الصادر في سبتمبر—اكتوبر سنة ١٩٤٥ . والكاتب هو و.ب. كندي شو W.B. Kennedy Shaw وقد كان موظفا لمدة عام بالادارة البريطانية في مكتب «الشئون العربية» بطرابلس بعد طرد قوات المحور منها في يناير ١٩٤٣ كما سبق له ان كان احد رجال القوات الفدائية البريطانية التي كانت تغير علـى قوات المحور عبر الحدود الليبية فيما وراء خطوط القتال . وقد دفعه الى كتابـــة

رسالته هذه التي نستعرض ما فيها من معلومات تاريخية هامة ما كتبه زميله المستر ايفانز برتشرد Evans - Pritchard[79] في العدد الآخر من المجلة المذكورة بتاريخ مايو – يونيو ١٩٤٥ حيث اعطى الكاتب ملخصا ممتازا عن تاريخ برقة الحديث وأحوالها المعاصرة في ذلك الوقت والمستقبل الذي كان يتوقعه لها . ولهذا وجد و.ب. كندي شو من الضروري اكمال الصورة باعطاء بعض المعلومات عن المنطقة الغربية من ليبيا وهو يعني بذلك ما كان يعرف بولاية طرابلس في عهد الادارة البريطانية .

يرى الكاتب ان تاريخ طرابلس الحديث شبيه بما في برقة . فكلاهما خرج من السيادة العثمانية في ١٩١٢ في وقت لم يكن فيه الايطاليون قد احتلوا اكثر من بعض المدن الساحلية . ولما اصبح حكم ايطاليا في يد الفاشست اعادت ايطاليا عملية الاستيلاء على البلاد كلها . وقد حاولوا جلب المعمرين الايطاليين اليها لاستيطانها . وهنا نجد الكاتب يسجل رأي بعض المسئولين البريطانيين في المقاومة الوطنية التي واجهت ايطاليا في الاستيلاء على البلاد كما نجده يسجل المعونة التي قدمها اهل ليبيا للحلفاء في حربهم ضد ايطاليا مع وجهة النظر البريطانية في هذه المساعدة المقدمة. وأخيرا يذكر الكاتب ان البلاد ويعني بذلك ولاية طرابلس تحكمها ادارة عسكرية بريطانية منذ ١٩٤٣ مثل ما هو كان موجودا في برقة وان كانت الادارتان مفصولتين .

هذا فيما يتعلق بأوجه الشبه في تاريخ وحاضر الولايتين في ذلك الوقت . ولكنه يرى ان مستقبل ولاية طرابلس اكثر صعوبة مما هو عليه في برقة . ويأخذ الكاتب في تعديد اسباب هذه الصعوبة وكلها اسباب تبدو معقولة في نظره وان كانت قابلة للمناقشة لاعتمادها على الجانب النظري ويكفي ان نقول ان المثل العامي في ليبيا الذي يقول «اللي يبيك يدور لك» ينطبق عليها تماما . وكنتيجة لهذه الاسباب التي اعتمد عليها في صعوبة تقرير مستقبل ليبيا نراه يقترح اعادة ولاية طرابلس الى ايطاليا او وضعها تحت وصاية منظمة الامم المتحدة بعكس الحال فيما يتعلق بولاية برقة التي يرى الكاتب ان بريطانيا قد التزمت بعدم عودة اهلها الى الحكم

---

٧٩ – راجع البحث رقم ٢٧ .

الايطالي . وبهذه الطريقة يفصل كندي شو بين جزئي البلاد . ويسجل الكاتب وصفا مخجلا للحكم الايطالي في البلاد . ويذكر ان الحكم الايطالي لم يعمل اي خطوة في سبيل رفع كفاءة اهلها في الميدان المهني او النشاط العملي او في ادارة البلاد او في التعليم. ويذكر كندي شو انه قبل الاحتلال البريطاني للبلاد لم يكن هناك في ولاية طرابلس اطباء من اهلها او محامين او مهندسين او قضاة مؤهلين . وأما في الميدان التجاري فقد كان الايطاليون واليهود هم الذين يسيطرون على كل شيء. وأما في ميدان الادارة فقد تولى الاهالي بعض الوظائف القليلة . وكان الاطفال العرب يتركون المدارس بدون تعليم سواء بلغتهم الاصلية او باللغة الايطالية . ويستمر الكاتب في ابراز مساوىء الحكم الايطالي بذكر بعض الحقائق . ومع كل هذا لا يرى كندي شو مانعا من اعادة ولاية طرابلس الى الحكم الايطالي !!

ويشير الكاتب الى اقتراح المستر ايفنز برتشرد بخصوص مستقبل ولاية برقة على اساس فصلها عن ولاية طرابلس . ويقول ان ولاية طرابلس لن تقبل هذا المصير لاسباب اقتصادية وسياسية كما يشير الى اقتراح ايفنز برتشرد بخصوص الحدود التي أقامها الايطاليون بين الولايتين فيما يعرف بالقوس وضرورة زحزحتها غربا حتى تشمل ولاية برقةمنطقة سرت. ويقول الكاتب انه يتوقع تعديلا لحدود ولاية طرابلس بغض النظر عمن تؤول اليه هذه الولاية في تسوية الصلح ثم يأخذ في الكلام عن ولاية فزان التي كانت تحت الادارة العسكرية الفرنسية بعد ان دخلتها قوات فرنسا الحرة من تشاد جنوبا . ويشير الكاتب الى احتمال رفض الفرنسيين للخروج منها .

وأخيرا يقترح الكاتب حدودا بين ولايتي طرابلس وبرقة تبدأ من الركن الشمالي الشرقي لجبال تيبستي نحو الشمال الى الغرب من واحة تازربو حتى الجانب الشرقي من جبال الهروج السوداء ثم فيما بين واحتي زلة ومرادة نحو الشمال الى ساحل البحر عند خط طول ١٩ شرقا . ويأخذ الكاتب بعد ذلك في مناقشة ما يمكن ان يثيره هذا الاقتراح من اعتراضات كما يناقش نتائج احتمال وضع ولاية طرابلس تحت وصاية منظمة الامم المتحدة ونتائج احتمال اعادتها للحكم الايطالي .

بقي ان نعلق على ما جاء في هذه الرسالة السياسية العلمية التي اصبحت في ذمة التاريخ والتي سبق لنا مناقشتها مع غيرها وقت ان كان

يخشى أثرها في تقرير مصير البلاد (٨٠) . هذا التعليق يمكن حصره في النقط التالية :

١ ـ ان هذه الرسالة وما كتبه الاستاذ ايفنز برتشرد في هذا الخصوص يعتبر من أهم ما كتبه بعض رجال الادارة البريطانية في تحديد العلاقة بين ولايتي طرابلس وبرقة وفي تقرير مصيرهما خصوصا وأنهما كانا يشغلان وظائف هامة في ادارة كل من طرابلس وبرقة . ولا شك ان رأيهما كان يؤخذ بكل اعتبار بحكم الوظيفة التي كان يشغلها كل واحد منهما وبحكم اطلاعهما المباشر على أحوال البلاد التي يعيش ويعمل فيها كل منهما.

٢ ـ ان هذه الرسالة وما كتبه الاستاذ ايفنز برتشرد خرجت الى الوجود في وقت لم تكن فيه ايطاليا قد وقعت معاهدة الصلح مع الحلفاء وبالتالي قد تم تنازلها عن مستعمراتها . وان مثل هذه الآراء التي رددها كل منهما كان يمكن ان تؤثر فيمن كان بيده تقرير الموقف مع ايطاليا خصوصا وأنها كانت تنشر في مجلة علمية لها مكانتها المحترمة في الاوساط العلمية والسياسية .

٣ ـ ان ما قاله كندي شو وزميله ايفنز برتشرد كشف النقاب عما كان هناك من خلاف بين رجال الادارة البريطانية بخصوص تقرير مصير ليبيا قبل ان يتعقد موضوع تقرير مصيرها وقبل ان تضطر الدول الكبرى الى عرض موضوع مصير المستعمرأت الايطالية على منظمة الامم المتحدة .

٤ ـ ان هذه الرسالة وما يتعلق بها قد خرجت للمناقشة العلمية والسياسية على صفحات احدى المجلات العلمية الهامة في الوقت الذي كان فيه موضوع وحدة البلاد من أهم الموضوعات التي كانت تشغل الرأي العام في ليبيا وتشغل بال الدول التي كان يهمها ان تنال نصيبا فيها وتلك التي كان يهمها تقرير مصير المستعمرات الايطالية بصفة عامة وليبيا بصفة خاصة . وللاسف لم يطلع أولئك الذين تصدروا الصفوف سواء في المنظمات الحزبية او الشعبية على ما جاء فيها لتحديد موقفهم من الادارة البريطانية التي يساهم بعض رجالها في الترويج لما جاء فيها من افكار ضارة بمستقبل البلاد . وكان عذرهم في هذا شيئا طبيعيا ومعقولا .

---

٨٠ ـ مصطفى عبد الله بعيو . الاسس الجغرافية والتاريخية للوحدة الليبية . مجلة الرسالة . القاهرة ١٢ يونيو ١٩٥٠ ، ٢٦ يونيو ١٩٥٠ . مصطفى عبد الله بعيو دراسات في التاريخ اللوبي . الاسكندرية ١٩٥٣ ، ص ٧٩ـ٨٤ .

٥ ـ ان بعض الافكار التي وردت في هذه الرسالة وما يتعلق بها قد اخذ طابع التنفيذ وما زلت اذكر تماما كيف كان يتم التفتيش الجمركي للسيارات وركابها بين ولايتي طرابلس وبرقة في بلدة سرت من جهة المسئولين في ولاية طرابلس وفي منطقة العقيلة من جهة المسئولين في ولاية برقة . وحدث في ١٩٤٦ ان تمت عملية الاجراءات الجمركية من طرف المسئولين في ولاية طرابلس فيما يعرف بالكراريم الواقعة الى الشرق من مسراته وما كان يعرف باسم قرية «جودة» قبل تعريبها .

خلاصة القول ان هذه الرسالة وما يتعلق بها من أهم المصادر التي تفيد في دراسة تاريخ الفترة السياسية للادارة البريطانية وخاصة فيما يتعلق برأي بعض المسئولين في هاتين الادارتين بشأن وحدة البلاد وتقرير مصيرها .



71 — Siegfried, André; The Mediterranean. Translated From The French by Doris Hemming. London, 1948. 221 PP.

هذا الكتاب عن «البحر الابيض المتوسط» لمؤلفه الاستاذ اندريه سيجفريد André Siegfried ولأهمية الكتاب تمت ترجمته من اللغة الفرنسية التي خرج بها الى اللغة الانجليزية في ١٩٤٨ . ومؤلف الكتاب شخصية علمية عالمية وقد كرمته بلاده باختياره عضوا بالاكاديمية الفرنسية في ١٩٤٤ لموقفه البطولي اثناء اقامته في باريس وقت الاحتلال الالماني لها ومحافظته على عقيدته السياسية واستمراره في عمله الجامعي بكل وفاء واخلاص للجمهورية الفرنسية . وهذا الاختيار في هذه الاكاديمية هو أعلى تكريم تقدمه فرنسا لرجال الادب في بلادها (ص ٩) . وقد وجد المؤلف التكريم من رجال العلم في لندن في١٩٤٥ حيث دعي لالقاء بعض المحاضرات هناك وفي جامعة اكسفورد كما كرمته حكومة كندا بدعوته لزيارة البلاد والمحاضرة فيها .

وكتابه هذا دراسة تاريخية للبحر الابيض المتوسط وشعوبه والحضارات التي قامت فيه وتلاشت بعد ازدهارها . وفي دراسة البحر الابيض دراسة للحضارات الانسانية التي قامت على شواطئه . وفي دراسته دراسة له كشريان للمواصلات العالمية . وفي دراسته ايضا دراسة

للمنازعات والحروب التي جعلت من مياهه وشواطئه ميدانا لها . ولهذا لا يمكن دراسة تاريخ ليبيا دون دراسة هذا البحر وأثره في الاحـــداث والحوادث التي شاهدتها ليبيا او لعبتها بنفسـها او مع غيرها ممن كان له دور واضح في هذا البحر وتاريخه الحافل .

بعد كلمة الترجمة نجد المؤلف يستعرض الوضع السياسي للبحـــر الابيض وأهميته في الاحداث العالمية في العصر الحديث مع اعطاء الأهمية لاهتمام بريطانيا بالبحر الأبيض كشريان هام لمواصلاتها خصوصا بعد ان تم لها شراء اسهم مصر في شركة قناة السويس في ١٨٧٥ .

والملاحظ ان الجوانب الجغرافية السياسية تغلب على الكتاب . وهذا يفسر لنا الكثير من الاحداث التي شاهدتها منطقة حوض البحر الابيض المتوسط وفي مقدمتها البلاد الليبية . ولهذا ايضا كان هذا الكتاب مفيدا في دراسة وفهم أحداث الصراع البحري الذي شاهده البحر الابيـــض المتوسط والتنافس الدولي الذي اتخذ من منطقة هذا البحر ميدانا له خصوصا بعد ان ظهرت ايطاليا كدولة لها تطلعات خارجية في هذا البحر وعبر مياهه .

ونجح المؤلف في الاستعانة بالكثير من الخرط في توضيح افكاره . ولكنه لم يزود كتابه بقائمة للمراجع لمن يريد الاستزادة كما ان الكتاب يخلو من قائمة الاسماء التي تساعد الباحث في الكشف عن المعلومات المطلوبة من الكتاب .

***

72— Smith, Denis Mack; Italy, A Modern History. Michigan 1959. xi, 508, xxviii PP.

هذا الكتاب عن تاريخ ايطاليا الحديث من تأليف الاستاذ دينيز ماك سمث الذي كان وقت اخراج هذا الكتاب محاضرا في التاريخ في جامعة كمبردج بانجلترا . وهو عضو في الجمعية التاريخية الملكية . وهو يعتبر حجة في تاريخ ايطاليا في القرنين التاسع عشر والعشرين وفي السياسة الايطالية المعاصرة . والمؤلف يعرف ايطاليا تماما وله عدة مؤلفات فـــي تاريخ ايطاليا . وهو صاحب المقالة المنشورة في دائرة المعارف البريطانية عن التاريخ الحديث لإيطاليا .

يقع هذا الكتاب في ٥٤٨ صفحة . ويضم بخلاف المقدمة ١٢ قسما . وينقسم كل منها الى اجزاء تفصيلية . وفي نهاية الكتاب ملحق بروؤساء الوزراء الايطاليين وملحق آخر بالرؤساء الايطاليين . وهناك قائمة بالكتب التي يقترحها المؤلف للقراءة في سبيل الاستزادة ثم فهرس بالاسماء الواردة في الكتاب . ويزود المؤلف كتابه بخريطة لايطاليا وأخرى لايطاليا في البحر الابيض والامبراطورية الايطالية في ١٩٣٩ . وللكتاب ترجمة ايطالية قام بها البرتو اكواروني(٨١) . وقد قام المؤلف بمراجعة الترجمة الايطالية بنفسه. وكانت الطبعة الاولى للترجمة الايطالية لهذا الكتاب في ١٩٥٩ وكذلك كانت الطبعة الثانية . اما الطبعة الثالثة والطبعة الرابعة فقد كانتا في ١٩٦٠ . وفي ١٩٦١ كانت الطبعة الخامسة أما السادسة فقد كانت في ١٩٦٢ . والطبعة السابعة وهي التي نشير اليها هنا كانت في ١٩٦٦ . وربما كانت هناك طبعات تالية أخرى . والملاحظ ان الترجمة الايطالية المطبوعة في ١٩٦٦ خالية من قائمة المراجع ولكنها مزودة بعدد من الصور التاريخية لبعض الشخصيات الايطالية التي صنعت تاريخ ايطاليا في هذه الفترة التي يتناولها الكتاب . وبالكتاب بعض الصور الكاريكاتورية التاريخية لعدد من المناسبات التاريخية . ولكن أهم ما في هذه الصور بالنسبة لدراسة تاريخ ليبيا ما جاء منها بخصوص الغزو الايطالي للبلاد في ١٩١١ . وقد جاءت الطبعة الانجليزية خالية تماما من هذه الصور كما خلت الطبعة الايطالية التي نشير اليها هنا من الخرط الجغرافية الموضحة. على العموم ان كثرة عدد طبعات هذا الكتاب دليل على أهمية الكتاب وكثرة قرائه . وقد اشار الاستاذ خليفة التليسي الى اهمية هذا الكتاب في المقال الذي نشره بجريدة الشعب عندما كان يستعرض في احدى كراساته التاريخية محاصرة الحامية الايطالية في العزيزية والهدنة والنتائج التي ترتبت على احتلال قصر أحمد ميناء مسراته وموقف الكونت فولبي واصراره على الاستمرار في العمل العسكري (٨٢) .

---

81 — Smith Denis Mack; Storia D'Italia, Dal 1861 Al 1958 , Editori Laterza, Bari 1966. PP. 809.

٨٢ ـ جريدة الشعب . طرابلس ٢٠ صفر ١٣٩٠ الموافق ٢٨ ابريل ١٩٧٠ . ص ٣ .

خصص المؤلف القسم الاول من كتابه للكلام عن ايطاليا قبل ١٨٦١ . وقد قسم هذا القسم الى عدة اجزاء . كان الجزء الاول منهـــا خاصـــا بالاصطلاح الجغرافي «ايطاليا» لان هذه الكلمة حتى ١٨٦٠ لم تكن تعني الا اصطلاحا جغرافيا ولم يكن يقصد بها الامة الايطالية بل كان يقصد بها شبه الجزيرة . ولهذا رأى المؤلف ان يبدأ تاريخ ايطاليا بالحديث عن جغرافيتها وأهم المعالم الجغرافية التي تحكمت في سير أحداثها . لقد كانت ايطاليا وحدة جغرافية لعدة قرون قبل ان تصبح دولة قومية بعكس ما كانت عليه مملكة هولندة . وحدود ايطاليا الطبيعية واضحة المعالم فهي تحد بالبحر من ثلاث جهات أما حدها الرابع فيتبع السلسلة الطويلة لجبال الالب . لقد كان هناك بعض الغموض في ثنايا هذه الحدود كما هي الحال فـــي جزيرة كورسيكا ومدينة نيس اللتين كانت ايطاليا تطالب بهما من فرنسا. وكانت ايطاليا تطالب بتشينو Ticino من سويسرة كما كانت تطالب بجزيرة مالطة من بريطانيا . وكانت ايطاليا في نزاع مستمر مع النمســـا والمجر ويوغوسلافيا فيما بعد بسبب التيرول وتريستا وفيومي . ويستمر المؤلف في ابراز الحقائق الجغرافية التي كان لها اثرها في اعطاء الطابع التاريخي للبلاد . وهو في ذلك يقارن بين شمالي ايطاليا وازدهارهـــا وجنوبي ايطاليا وفقره والدور الذي لعبته أهم المدن الايطالية في تاريـــخ البلاد مع اعطاء فكرة عن الاساس الذي تقوم عليه ثروة البلاد . ويخلص المؤلف من كل ذلك الى فقر ايطاليا من حيث الموارد الطبيعية الامر الذي أدى الى هجرة الكثير من اهلها الى الخارج بسبب ازدحام سكانها بالنسبة لمواردها المحدودة التي كانت تعتمد الى حد كبير على الزراعة .

ويشير المؤلف الى العامل الجغرافي الثاني الذي أثر في توجيـــــه حوادثها التاريخية وهذا العامل هو موقعها الجغرافي الشيء الذي ربـــط تاريخها بالدول المجاورة لها وهي فرنسا والنمسا وصربيا . وكانت كـــل منها خطيرة بالنسبة لها . كل ذلك الى جانب سواحلها الطويلة التي تبلغ حوالي ٤١٠٠ ميلا الى جانب ١٢٩٠ ميلا من الحدود البرية في شمالي ايطاليا . هذه السواحل الايطالية الطويلة جعلت ايطاليا تشعر بحساسية نحو الدول ذات القوة البحرية في البحر الابيض المتوسط كبريطانيـــــا وفرنسا . ولكن هذه السواحل ايضا جعلت ايطاليا دولة بحرية واحيانا خلقت منها دولة توسعية ذات اطماع استعمارية . وعن طريق البحر كانت تأتي كل الواردات الايطالية . والى الشرق من ايطاليا توجد البندقيـــة بذكرياتها التاريخية بخصوص سيادتها على ساحل دالماشيا . هذا بالاضافة

الى ان بلاد البلقان لا تبعد اكثر من خمسين ميلا عن ايطاليا عبر مضيق اوترنتو Otranto بينما نجد الشمال الافريقي على بعد ثلاثة ساعات فقط من صقلية . ولهذا كان كافور وتلاميذه من بعده يرون ان ايطاليا هي الدولة الاوربية الوحيدة المحبوسة في البحر الابيض حتى بعد ان اخذ نفوذ تركيا وحلفائها من دول الشمال الافريقي في التقلص والتلاشي من مياه البحر الابيض المتوسط .

وفي الجزء الثاني من القسم الاول يتناول المؤلف فكرة الوحدة الوطنية في ايطاليا وكيف اصبحت ايطاليا بفضل نموها احدى الدول الكبرى الست بعد ان كان عددها خمسة قبل ١٨٦١ . وفي الجزء الثالث من هذا القسم يتحدث المؤلف عن مازيني Mazzini (١٨٠٥ – ١٨٧٢) وجاريبالدي Garibaldi (١٨٤٧ – ١٩٢٤) والثوريين . يتحدث المؤلف عن مازيني ونشاطه في سبيل الوحدة الايطالية وتعرضه للنفي والمتاعب في سبيل تحقيق اهدافه كما يتحدث بعد ذلك عن غاريبالدي ونشاطه والمتاعب التي صادفها وطريقته في العمل التي اختلفت عما كان يسير عليه كل من مازيني وكافور Cavour (١٨١٠ – ١٨٦١) .

وفي الجزء الاخير من هذا القسم الاول يتناول المؤلف موضوع كافور وسياسة التوسع التي اتبعتها بيدمنت في الاراضي الايطالية في سبيل توحيد البلاد الايطالية وهو في ذلك يقارن بين الخطوات التي تمت في كل من المانيا وايطاليا في سبيل اتمام وحدة كل منهما . ويحاول الكاتب اعطاء صورة عن اهمية المدن الايطالية وظروفها ومقارنتها الواحدة بالاخرى من حيث الامكانيات التي تجعل منها مركزا لتولي الزعامة الايطالية . وهو في ذلك يفسر الاسباب التي جعلت مملكة بيدمنت زعيمة لحركة الوحدة الايطالية والدور السياسي الذي لعبه بيت سافوي Savoy ونشاط كافور Cavour الدولي في سبيل تحقيق وحدة ايطاليا .

اما القسم الثاني الذي يتحدث فيه المؤلف عن الوضع السياسي والاقتصادي للبلاد حوالي ١٨٦١ فقد قسمه الى اربعة اجزاء ، خصص الجزء الاول منها للكلام عن الدستور والملك والبرلمان كما خصص الجزء الثاني لاعطاء صورة عن التراث الاجتماعي . وتناول موضوعي الزراعة والصناعة في الجزء الثالث . وختم هذا القسم بالجزء الرابع الذي تناول فيه المشاكل السياسية المباشرة .

ويتناول القسم الثالث من الكتاب فترة السنوات العشرة الاولى من قيام الوحدة الايطالية اي الفترة التي فيما بين ١٨٦١ – ١٨٧١ . وقد

تناول المؤلف في الجزء الاول من هذا القسم الكلام عن ريكازولي Ricasoli وراتازي Rattazzi ومنغتي Minghetti وهم الذين جاءوا بعد كافور في ادارة شئون البلاد فيما بين ١٨٦١ ــ ١٨٦٥ . وفي الجزء الثاني من هذا القسم يتكلم المؤلف عن الثورات المضادة والحركات التي حاولت الرجوع بايطاليا الى ما كانت عليه فيما قبل اعلان وحدتها . وفي استعراضه لهذه القلاقل يقصر الكلام على الفترة الواقعة فيما بين ١٨٦٠ و١٨٦٥ . وفي الجزء الثالث يتناول الحديث عن الحرب بخصوص البندقية وتحريرها من حكم النمسا في ١٨٦٦ . ويعود المؤلف بعد ذلك لاستعراض المصاعب المالية والمشاكل الاخرى فيما بين ١٨٦٦ و١٨٦٧ وذلك في الجزء الرابع من هذا القسم . اما الجزء الخامس والاخير من هذا القسم فيتحدث فيه المؤلف عن الاستيلاء على روما معقل البابوية .

اما القسم الرابع من الكتاب فيتحدث فيه المؤلف عن تأكيد الامة الايطالية لنفسها فيما بين ١٨٧٠ و١٨٨٢ ولذلك نراه يتحدث عن السنوات الاخيرة من الحكم اليميني فيما بين ١٨٧٠ و١٨٧٦ وذلك في الجزء الاول من هذا القسم . وبعد ذلك ينتقل المؤلف الى الحديث عن دبرتيس Depretis وسياسة التحول فيما بين ١٨٧٠ و١٨٨٠ في الجزء الثاني من هذا الكتاب . وفي الجزء الثالث يتناول السياسة الخارجية للفترة الواقعة فيما بين ١٨٦٠ و١٨٨٢ . وتحدث المؤلف عن المشروعات الاستعمارية فيما بين ١٨٦٠ و١٨٨٢ وقد حقق الايطاليون وحدتهم وبدأوا في التخلص من بعض مشاكلهم الداخلية وفي التطلع الى الخارج اسوة بما كانت تفعله الدول الاوربية الكبرى صاحبة النشاط الاستعماري . وكان للايطاليين في تاريخهم القديم واتساع امبراطوريتهم الرومانية وخاصة في الشمال الافريقي ما جعلهم يحاولون احياء ماضيهم القديم . وكان لهم ايضا في حروبهم ضد نشاط البحرية الاسلامية في الشمال الافريقي ما جعلهم يفكرون في سياسة التوسع الاستعماري . وهم لا ينسون الامبراطورية التي اسستها البندقية في العصور الوسطى بامتداد نفوذها عبر اليونان الى القسطنطينية والشرق في الوقت الذي كانت فيه الكشوف الجغرافية في العالم الجديد تتقدم بفضل الجهود الكبيرة التي قام بها الايطاليون امثال كولمبس Columbus وفيسبوتشي Vespucci وهكذا تم احياء الافكار التوسعية في ايطاليا في اواخر القرن التاسع عشر وقد وجدت قبولا طيبا في نفوس الايطاليين . وفي نفس الوقت كانت هناك اعداد كبيرة من الايطاليين تعيش في القاهرة والاسكندرية وتونس وغيرها من

بلاد البحر الابيض المتوسط . وقد اقترنت هذه الروح التوسعية باحياء التقاليد البحرية خصوصا وأن الزعيم الوطني غاريبالدي أحد مؤسسي الوحدة الايطالية كان قائدا بحريا لإحدى سفن البحرية الايطالية التي قامت بزيارة ميناء نيوكاسل بانجلترا واسطنبول بتركيا كما سافر بسفينته الى بلاد الصين وبيرو بامريكا الجنوبية . وقد عاش سنوات طويلة في امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية وبلاد شمالي افريقية . وأصبح الايطاليون ينظرون الى البحر الابيض نظرة خاصة . وصمم الجيل الجديد من الايطاليين على استعادة اهمية البحر الابيض بالنسبة لبلادهم . وتصادف في ذلك الوقت ان اصبحت تركيا واسبانيا في انهيار تام وهما الدولتان اللتان قدر لهما غزو شبه الجزيرة الايطالية والاستيلاء على الاملاك الايطالية فيما وراء البحر . وقد ترك انهيار هاتين الدولتين فراغا جعل الايطاليين يفكرون جديا في ملئه . الى جانب ذلك كانت اللغة الايطالية لغة سائدة في البحر الابيض وقد حلت محلها اللغة الفرنسية فيما يعرف بالمشرق Levant اي بلاد الشام . اما في جزيرة مالطة فقد حلت محلها اللغة الانجليزية واللغة المالطية كما ان التوسع الفرنسي في الجزائر وفيما ورائها كان عاملا آخر دفع ايطاليا الى القيام بدورها . وكانت ايطاليا بحكم موقعها الجغرافي تبدو أحسن ما يكون لبسط سيادتها على البحر الابيض المتوسط ولكنها كانت تجد المداخل الثلاثة لهذا البحر واقعة تحت حكم غيرها من الدول الاوربية ، وهذه المداخل الثلاثة هي مضيق جبل طارق وبحر مرمرة بنهايتيه وقناة السويس .

ويستمر المؤلف في استعراض الجهود الاولية التي حاولتها ايطاليا في ميدان النشاط الخارجي سواء في آسيا او الشرق الاقصى او افريقية . ويشير المؤلف الى الجهود التي بذلها الايطاليون في حفر قناة السويس وتكوين الشركات الملاحية والنشاط الايطالي في البحر الاحمر وجهود البعثات الايطالية في افريقية . وبينما كان الحماس على أشده بين الايطاليين للبحث عن المجال الخارجي للنشاط الايطالي كان بعض الايطاليين وفي مقدمتهم غاريبالدي Garibaldi وراتازي Rattazi ينادون بضرورة توجيه كل الاهتمام لحل المشاكل الداخلية والاهتمام بتطوير الجنوب الايطالي حتى لا يكون عالة على الغير . وهم في ذلك يضعون الاهتمام برفاهية الشعب قبل الاهتمام بهيبته خصوصا اذا عرفنا ان التوسع الخارجي يستلزم زيادة في نفقات الجيش والبحرية مع استمرار المخاطرة في التعرض للحروب . وأمام هذين التيارين المتعارضين تكونت لجنة

برئاسة نجري Negri لمناقشة مسألة التوسع الاستعماري كلها . وقد دامت اجتماعات هذه اللجنة لمدة ١٦ شهرا (١٨٧١ – ١٨٧٢) . ولكن اعضاء اللجنة لم يستطيعوا الاتفاق على طريقة معينة ولم ينجح التوسع الاستعماري في الوصول الى نتيجة نهائية . وبعد هذا يأخذ المؤلف في الحديث عن الاطماع الايطالية في تونس ومبررات هذه الاطماع . حقا لقد كان التحمس للاستيلاء على تونس قويا حتى ان احد اعضاء البرلمان الايطالي في سنة ١٨٦٤ كان يعتبر تونس « فرعا من ايطاليا » A branch of Italy . وكان هناك اقتراح في تلك السنة بتقسيم تونس بين فرنسا وايطاليا . وقد قابلت الحكومة الايطالية هذا الاقتراح بترحيب . ولكن بعد النظر بامعان في تكاليف الحرب الاستعمارية التي التزمت بها فرنسا في الجزائر تم اهمال هذا الاقتراح . وبدأت ايطاليا تغلغلها في تونس على اساس اقتصادي . وكانت ايطاليا قد قامت بعقد معاهدة مع باي تونس في ١٨٦٨ لتحقيق هذه السياسة الاقتصادية . وجاءت بعد هذه المعاهدة محاولات للحصول على امتيازات للصيد في شواطئ تونس وزراعة الدخان في سواحلها . وهكذا اصبحت ايطاليا منافسا لفرنسا في النشاط الاقتصادي في الاراضي التونسية وان كانت الغلبة في هذا الميدان للنفوذ الفرنسي مع ان الجالية الايطالية في تونس اصبحت تفوق في عددها الجالية الفرنسية هناك .

ويقول المؤلف ان النمسا حاولت في ١٨٧٦ خلق الشقاق بين ايطاليا وفرنسا باقتراح تقدمت به بخصوص اعلان حماية النمسا على تونس . وفي السنة التالية تقدمت روسيا وبريطانيا بمثل هذا الاقتراح لتعويض ايطاليا مقدما عما انتوته كل منهما من اطماع في الامبراطورية العثمانية . ولكن السياسة الايطالية في تلك الفترة كانت مركزة على المطالبة بترنت Trent وتريستا Triesta بدلا من اي مشروع استعماري آخر قد يكلفها الكثير . وعندما ذهب رئيس وزراء ايطاليا السنيور دبرتيز (٨٣) Depretis والسنيور كايرولي (٨٤) Cairoli الى مؤتمر برلين رفض

---

٨٣ – تولى اجوستينو دبرتيز Agostino Depretis رئاسة الوزارة الايطالية (مارس ١٨٧٦ – مارس ١٨٧٨) ومرة اخرى (ديسمبر ١٨٧٨ – يوليو ١٨٧٩) ومرة ثالثة (مايو ١٨٨١ – يوليو ١٨٨٧) .

٨٤ – تولى بندتو كايرولي Benedetto Cairol: رئاسة الوزارة الايطالية مرتين : الاولى مارس ١٨٧٨ – ديسمبر ١٨٧٨ ، والمرة الثانية كانت فيما بين يوليو ١٨٧٩ – مايو ١٨٨١ .

كل منهما مناقشة مسائل البحر الابيض في المحادثات الاولية قبل انعقاد هذا المؤتمر وأهملا الاستفادة من المساومات الصعبة التي صاحبت المؤتمر. وقد جاء في تعليق كايرولي Cairoli إثناء حديثه مع سفير النمسا بأن ايطاليا ستذهب الى برلين بيدها الحرة وهي ترغب في مغادرتها نظيفة اليدين (ص ١٣٠) . وقد اعتبر هذا الموقف الذي وقفه كل من دبرتيز وكايرولي في مؤتمر برلين كارثة بالنسبة للسنيور كرسبي Crispi (١٨١٩–١٩٠١) وزملائه من اصحاب الاتجاه المناصر للنشاط الاستعماري. وقد كان كرسبي يرغب في الاستفادة من هزيمة فرنسا في ١٨٧٠ لتأكيد المطالب الايطالية في شمالي افريقية ولكن القادة الآخرين الذين كانوا من الجانب المعارض كانوا يخشون نزاعا اقتصاديا مع فرنسا وكانوا ما زالوا يفضلون سياسة كسب المساندة الفرنسية حتى تسلم النمسا لايطاليا بما يعرف باسم Terre irredenti .

لقد كانت الغلطة الاولى لكايرولي في سنة ١٨٧٨ انه تخيل ان المصالح الايطالية والفرنسية يمكنها ان تتواجد سويا دون اي خلاف بينهما . ولكن حدث بعد ذلك ان صرحت فرنسا عن طريق سفيرها في روما بأنها لن تسمح لأي بلد غيرها ان يقيم اي حماية في تونس . ولو ان ايطاليا قابلت هذا الاعلان بتصريح مشابه لكان من الممكن مراجعة الموقف ولكن ايطاليا لم تقل شيئا كما ان انجلترا والمانيا لم تستلما اي رد على اقتراحهما السابق المقدم لايطاليا ولهذا التزمت كل منهما بالاعتراف بالاحتلال الفرنسي . ولم يصرح كايرولي بشيء على التصريح الفرنسي لانه كان يجهل اهداف السياسة الفرنسية او لانه كان يخشى الاعتراف علنيا بفشله في معالجة المصالح الايطالية في شمالي افريقية . وعندما تحقق كايرولي من مجريات الاحداث في تونس وان كان بعد فوات الوقت أرسل قنصلا وحرسا مسلحا من البحرية الايطالية بتعليمات تقضي بدفع المصالح الايطالية الى نهايتها . وقد اعطت الحكومة الفرنسية تعليمات مشابهة لقنصلها في تونس وان تمتلك سكة حديد في تونس وقد وجدت منافسة شديدة في امتلاكها اذ ان الشركة قبلت في اول الامر العرض الفرنسي بثمن يزيد عن الثمن الحقيقي ولكن الحكومة الايطالية تدخلت في عملية الشراء كمنافس لفرنسا

في امتلاك هذا المرفق الهام في المواصلات التونسية . واخيرا وجـــدت فرنسا من الضروري ان تضع حدا لهذا الموقف وقد اعطاها النزاع حول شراء السكة الحديدية العذر المطلوب لتنفيذ خطتها . واتخذت فرنسا من حادث بسيط وقع على الحدود التونسية الجزائرية ذريعة لاعلان حمايتها على تونس . واعترف باي تونس بالحماية الفرنسية في مايو ١٨٨١ بتوقيع معاهدة باردو Bardo . وكان كايرولي يترأس الوزارة الايطالية عندما نجحت فرنسا في بسط حمايتها على تونس وقام بالاحتجاج على فرنسا في اعلان حمايتها على تونس . ولكن عندما اجابت فرنسا على هـــذا الاحتجاج بأن بقاءها في تونس لن يكون مستمرا حاول كايرولي اقنـــاع نفسه والبرلمان الايطالي بأنه لم يحدث تغيير في البحر الابيض وأن الوضع الدولي فيه سيبقى على ما كان عليه . وبقيت ايطاليا حتى ١٨٩٦ لم تعترف بالحماية الفرنسية على تونس وان كان بعض الايطاليين في رأي المؤلف ما زالوا يعتقدون ان تونس ما زالت من حقهم .

وكانت مصر هي البلد الآخر في الشمال الافريقي الذي كان للايطاليين فيه مصالح اقتصادية وجالية كبيرة . وكان الكثير من رجال ايطاليـــا المعروفين قد ولدوا او عاشوا فيها . وكان من بينهم مارينتي Marinetti وانجاريتي Ungaretti الذي ولد في الاسكندرية . وكثيرا من السياسيين الايطاليين وعلى رأسهم سشالويا Scialoia تركوا ايطاليا للالتحاق بخدمة خديوي مصر . وعندما اخذت انجلترا تتدخل في الشئون المصرية بعد ١٨٧٦ حافظت ايطاليا على ان تبقى على اتصال قريب بالوطنيين المصريين . وقد لجأ الخديوي اسماعيل الى ايطاليا بعد تنحيته عن عرش ولاية مصر في ١٨٧٩ . وأصبح عرابي باشا في نظر الصحافة الايطالية غاريبالدي مصر كما كان الحال بالنسبة لمهدي السودان . هذا الموقف الايطالي من الاحداث المصرية في ذلك الوقت يساعد في شرح الاسباب التي جعلت مانشيني Mancini يرفض في يوليو ١٨٨٢ اقتراح بريطانيا بخصوص التدخل المشترك في مصر . وقد اعلن كرسبـــي (٨٥) Crispi

---

٨٥ ــ كان كرسبي من مواليد ١٨١٩ وقد توفي في ١٩٠١ . تولى رئاسة الوزارة الايطالية مرتين . كانت الاولى منها فيما بين اغسطس ١٨٨٧ وفبراير ١٨٩١ وكانت الثانية فيما بين ديسمبر ١٨٩٣ ومارس ١٨٩٦ .

ومينغتي (٨٦) Minghetti وسونينو (٨٧) Sonnino وفيسكونتي فينوستا Visconti - Venosta (١٨٢٩ ـ ١٩١٤) رفضهم لهذا الرفض الذي رد به مانشيني على الاقتراح البريطاني واعتبروه من اكبر مظاهـــر الفشل في السياسة الخارجية لايطاليا . ولكن مانشيني كان يعرف انه لا يملك القوات والمال اللازمين للاشتراك في المشروع البريطاني بخصوص احتلال مصر . ولكن حدث بعد ان احرزت بريطانيا النجــاح في مشروع احتلالها لمصر ان صرح مانشيني للمسئولين في لندن بأنه مستعد لسحب رفضه السابق مع استعداده للاشتراك مع بريطانيا في احتلالها لمصر . ولكن بريطانيا رفضت بدورها ما تقدم به مانشيني من مساهمة ايطاليا بعد ان تحملت بريطانيا بنفسها المخاطرة ونفقات الحملة بمفردها . وهكذا اضطرت ايطاليا ان تقف لتراقب توازن القوى في البحر الابيض وقـــد اخذت كفة هذه القوى تميل في غير مصلحة ايطاليا .

واذا كان المؤلف قد استعرض سياسة ايطاليا التوسعية وأهدافها بعد الوحدة الايطالية حتى ١٨٨٢ في هذا الجزء من هذا الكتاب مع اعطاء بعض الاشارات السريعة الى الميادين التي اختارتها ايطاليا لتحقيق سياستهـــا التوسعية في تلك الفترة فان هذه الاشارات توضح الكثير من المواقـــف الايطالية قبل ان تقدم ايطاليا على غزو ليبيا . ولا بد لنا من اعطاء الاهمية لهذه الجوانب عند دراسة موضوع الغزو الايطالي لليبيا في خريف ١٩١١ .

ويخصص المؤلف القسم الخامس من هذا الكتاب للكلام عن الفترة الواقعة فيما بين ١٨٨٠ و١٨٩٣ ، وهي فترة الاضطرابات التي ظهر فيها كرسبـــي Crispi رئيسا للوزراء اكثر من مرة .

ويبدأ المؤلف في الجزء الاول من هذا القسم بالكـــلام عن دبرتيس Depretis (١٨١٣ ـ ١٨٨٧) وكرسبي وما صاحب فترة حكمهما مـــن صراع داخلي وظهور كرسبي وتوليه لرئاسة الوزراء . وشخصية كرسبي

---

٨٦ ـ كان ماريو مينغتي Mario Minghetti من مواليد ١٨١٨ وقد توفي في ١٨٨٦ . تولى رئاسة الوزارة مرتين . كانت الاولى منهما فيما بين مارس ١٨٦٣ وسبتمبر ١٨٦٤ . وكانت الثانية فيما بين يوليو ١٨٧٣ ومارس ١٨٧٦ .

٨٧ ـ كان سيدني سونينو Sidney Sonnino من مواليد ١٨٤٧ وقد توفي ١٩٢٢ . وقد تولى رئاسة الوزارة مرتين . كانت الاولى منهما فيما بين فبراير ١٩٠٦ ومايو ١٩٠٦ . وكانت الثانية فيما بين ديسمبر ١٩٠٩ ومارس ١٩١٠ .

تستحق وقفة خاصة بالنسبة لاطماعه الاستعمارية بصفة عامة وبالنسبة لليبيا بصفة خاصة . كان كرسبي ينتمي الى اسرة البانية في أصولها ، وكانت هذه الاسرة قد هاجرت الى صقلية منذ زمن بعيد . وكان جده قسيسا . وقد استطاع كرسبي ان يقوم بدور كبير وخطير في سياسة ايطاليا .

وفي الجزء الثاني من هذا القسم يتحدث المؤلف عن نشاط الشماليين وأصحاب الحماس الوطني والدور الذي لعبه كرسبي في هذا الخصوص. ويعود المؤلف ليتحدث عن الزراعة والصناعة حوالي ١٨٨٠ في الجزء الثالث . ويخصص المؤلف الجزء الرابع للكلام عما يسمى بحرب التعريفة الجمركية مع فرنسا في الفترة الواقعة فيما بين ١٨٨٧ و١٨٩٢ ، وكانت فرنسا تمثل الزبون الرئيسي للصادرات الايطالية .

ويستحق الجزء الخامس من هذا القسم وقفة خاصة لأن المؤلف يتحدث فيه عن الفساد والمصارف في الفترة الواقعة فيما بين ١٨٨٩ و١٨٩٣ وكيف لعبت الرشوة دورها في الحياة العامة الايطالية خصوصا في جنوبي ايطاليا بعكس ما كان عليه الجزء الشمالي منها . وكان انتشار هذا الفساد واضحا تماما حتى أدى الامر الى تكوين طبقة عامة من الوسطاء لتسهيل مهمة الرشوة بين المسئولين الايطاليين وأصحاب المصالح في البلاد الشيء الذي لفت نظر السفراء الاجانب الذين قاموا بتسجيله في تقاريرهم التي كانوا يبعثون بها الى حكوماتهم . وكان للمصارف الايطالية دور واضح في هذا التطور الاقتصادي الذي عرفته ايطاليا . وكلام المؤلف في هذا الخصوص يفيد في دراسة تاريخ المصارف الايطالية التي جاءت الى ليبيا لمزاولة نشاطها الاقتصادي . وفي مقدمة هذه المصارف مصرف روما Banca di Roma (٨٨) ومصرف سيشيليا Bank of Sicily ومصرف نابولي Banca di Napoli . وكل هذه المصارف الثلاثة زاولت نشاطها في ليبيا بعد مجيء الايطاليين اليها وان كان مصرف روما قد جاء الى ليبيا في أواخر العهد العثماني الثاني ومارس نشاطه في ليبيا كطليعة للغزو الايطالي . وقد كان لهذا المصرف بالذات دور كبير في التمهيد للغزو الايطالي للبلاد بل كان له دور فعال في تمويل الحملة

---

٨٨ ـ بدأ مصرف روما نشاطه في مدينة طرابلس ١٩٠٧ . وبدأ مصرف نابولي نشاطه في ١٩١٣ .

الايطالية على ليبيا . ولا يمكن دراسة الغزو الايطالي لليبيا دون التعرض للدور الذي لعبه مصرف روما في هذه السياسة التوسعية الايطالية . وقد استمر مصرف سيشيليا يزاول نشاطه الاقتصادي في مدينة طرابلس حتى ١٩٦٤ عندما اندمج في مؤسسة مالية ليبية باسم مصرف صحاري بعد ان اشتركت المؤسسة المصرفية الامريكية المعروفة باسم مصرف امريكا Bank of America في تأسيس «مصرف صحاري» (٨٩) . اما مصرف روما ومصرف نابولي فقد استمر كل منهما يزاول نشاطه الاقتصادي رغم الجهود التي حاولها مصرف ليبيا لتلييبها . ولما قامت ثورة اول سبتمبر سنة ١٩٦٩ كان من اهم الاعمال التي قامت بها تلييب المصارف الاجنبية العاملة في ليبيا . وكان من بين هذه المصارف المليبة مصرف روما ومصرف نابولي . وأصبح الاول يعرف باسم «مصرف الامة» وأصبح الثاني يعرف باسم «مصرف الاستقلال» . وبذلك وضعت الثورة الليبية حدا لنشاط «بنك روما» الذي لا يذكر اسمه الا وذكر موضوع الغزو الايطالي لليبيا في سنة ١٩١١ . وكان التلييب الذي قامت به حكومة الثورة في أواخر ١٩٦٩ على اساس امتلاك ٥١ بالمئة من اسهم المصارف الاجنبية . وفي صيف ١٩٧٠ خطت حكومة الثورة خطوة أخرى عندما ردت للبلاد املاكها وثروتها وآلت الى ليبيا ملكية ما بقي من اسهم ايطالية في «مصرف الامة» و«مصرف صحاري» و«مصرف الاستقلال» . وفي ٢٤ شوال ١٣٩٠ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٩٧٠ أصدر مجلس قيادة الثورة قانونا بتأميم المصارف التجارية في ليبيا مع اعادة تنظيم هذه المصارف وتحديد مساهمة الليبيين في المصارف التجارية .

ويخصص المؤلف القسم السادس من هذا الكتاب للحديث عن الهزيمة الاستعمارية للحكومة الايطالية ورد الفعل السياسي لها فيما بين ١٨٩٣ و١٩٠٠ . وقد تكلم المؤلف في الجزء الاول من هذا القسم عن عدم الاستقرار الاجتماعي والوزارة الاخيرة التي ترأسها كرسبي كما خصص الجزء الثاني من هذا القسم للحديث عن الحرب الاثيوبية وأفول نجم

---

٨٩ ـ تأسس «مصرف صحاري» في ١٩٦٤ على الاساس التالي :

٥١ بالمئة من الاسهم لليبيين .

٢٩ بالمئة من الاسهم لمصرف امريكا .

٢٠ بالمئة من الاسهم لمصرف سيشيليا .

السنيور كرسبي . وهذا الجزء يفيد في دراسة التوسع الايطالي في افريقية ومحاولة الاستيلاء على اثيوبية وهزيمة الايطاليين أمام الاحباش في معركة عدوة سنة ١٨٩٦ وأثر هذه الهزيمة في السياسة الايطالية التوسعية ورد الفعل الذي تركته هذه الهزيمة بين الايطاليين بصفة عامة والجيش الايطالي بصفة خاصة وأثر هذه الهزيمة في البحث عن ميدان جديد للتوسع الخارجي لمسح العار الذي لحق بالجيش الايطالي في تلك المعركة . وكان من اهم نتائج هذه الهزيمة ايضاً أفول نجم الزعيم كرسبي صاحب الحماس الكبير في تحقيق التوسع الايطالي .

ويتحدث المؤلف عن الحكومة البرلمانية والمخاطر التي صادفتها فيما بين ١٨٩٦ و١٩٠٠ وذلك في الجزء الثالث من هذا القسم كما خصص الجزء الرابع للكلام عن عيوب الدستور الايطالي في تلك الفترة .

أما الكلام عن جوليتي Giolitti والاصلاح الليبرالي فقد كان عنوانا للقسم السابع من هذا الكتاب . ولهذا نجد المؤلف يتحدث عن الحكومة الحزة فيما بين ١٩٠٠ و١٩٠٤ في الجزء الاول من هذا القسم . ويتناول المؤلف في الجزء الذي يليه فترة التعاون بين الريدكاليين وطبقات الموظفين فيما بين ١٩٠٤ و١٩٠٦ . ويعود المؤلف في الجزء الثالث ليتحدث عن مشكلة الجنوب الايطالي والهجرة . ويتحدث عن الاحياء الاقتصادي والثقافي في الجزء الرابع . ويختم المؤلف هذا القسم من الكتاب بجزء خاص بالحديث عن السنوات الاخيرة من سياسة الاصلاح الليبرالي فيما بين ١٩٠٩ و١٩١١ .

واذا كان الكتاب بأجزائه ضروريا للدراسة للاستفادة منه في فهم الكثير من الاحداث التي وقعت في ليبيا سواء اثناء الحكم الايطالي او قبيل الغزو الايطالي او فهم بعض الاحداث الايطالية التي كان لها أثرها الواضح في تاريخ ليبيا فان القسم الثامن من هذا الكتاب الذي خصصه المؤلف لمجيء الحرب يعتبر من أهم أقسام الكتاب التي تعطي الكثير من المعلومات المفيدة المتعلقة بالغزو الايطالي وهو ما يسميه المؤلف بالحرب الليبية ١٩١١ ـ ١٩١٢ حسب ما جاء في عنوان الجزء الثاني من هذا الكتاب . ويعطي الكاتب الكثير من المعلومات الحية ووجهات النظر المختلفة حول الاستيلاء على ليبيا خصوصا موقف بعض الهيئات السياسية وعلى رأسها الحزب الاشتراكي الذي كان معارضا لهذا الغزو . ويذكر المؤلف بعض الحقائق التاريخية المثيرة مثل القسوة في معاملة أهل البلاد في سبيل اخضاعهم وامتداد زمن العمليات الحربية اكثر مما قدر لها والنفقات

الباهظة التي تكبدتها ايطاليا في حملتها على ليبيا . وكان السنيور جوليتي Giolitti رئيس الوزراء قد صرح بأن نفقات الحرب في ليبيا قد بلغت ٥١٢ مليونا من الليرات الايطالية . ولكن السنيور سونينو Sonnino لم يوافقه على هذا التقدير واعتبره مزورا لاخفاء الحقيقة المرة التي كانت تبلغ مثل هذا المبلغ مرتين الشيء الذي سبب عجزا في ميزانية الدولة وأربك أوضاعها المالية . وهكذا أدت هذه الحملة الى افلاس ايطاليا بدلا من ان تعمل على افادة البلاد خصوصا وأن الايطاليين لم يقبلوا على الهجرة الى ليبيا بسهولة الا بعد ان وضعت الادارة الايطالية مشروعا لتهجير بعض الاسر الايطالية الى ليبيا في عهد ولاية بالبو Balbo .

على العموم ان دراسة هذا الكتاب مفيدة تماما لتفسير الكثير من الاحداث التي وقعت في ليبيا في العشرينات الاولى من القرن الحالي . ولهذا نرى من الافضل ان نختم هذا الاستعراض بضرورة التأكيد على اهمية هذا الكتاب في دراسة تاريخ ليبيا ونكتفي بما تم من استعراض لبعض أقسام الكتاب وأجزائه .

وبآخر الكتاب قائمة باسماء رؤساء وزراء ايطاليا بعد الوحدة وفترة حكم كل منهم حتى يونيو ١٩٥٨ وهناك قائمة أخرى برؤساء الدولة الايطالية وفترة حكم كل منهم وذلك حتى ١٩٥٢ . وبالكتاب فهرس بالاسماء وقائمة أخرى بالمراجع التي اعتمد عليها المؤلف في دراسته .

بقي ان نقول ان المؤلف في استعراضه للغزو الايطالي لليبيا يبدي نقدا للوسائل التي اتبعتها ايطاليا في حملتها وأهداف هذه الحملة .

***

73 — Soames, Jane; The Coast of Barbary. London, 1938. 286PP.

صدر كتاب «ساحل بلاد الشمال الافريقي» في لندن ١٩٣٨ للكاتبة جين سوامز Jane Soames . ويشمل الكتاب تسعة عشرة فصلا بما في ذلك المقدمة وفصل آخر للخاتمة بالاضافة الى فهرس الاسماء في آخر الكتاب . ويقوم الكتاب على اساس دراسة بعض الموضوعات التي لها علاقة بتاريخ بلاد الشمال الافريقي . وليس بين موضوعات الكتاب اي رابط الا انها تتعلق ببلاد الشمال الافريقي او ما يعرف الآن ببلاد المغرب التي

تقع الى الغرب من مصر .

وبعد الفصل الاول الذي جعلته الكاتبة مقدمة للكتاب تنتقل المؤلفة الى الفصل الثاني وقد اختارت عنوانا له العبارة اللاتينية المشهورة وهي Dellenda est Carthago اي «قرطاج لا بد من تدميرها» والتي قالها القائد الروماني عندما كانت روما في حرب مع قرطاجة . وتبدأ المؤلفة هذا الفصل بالاشارة الى الوصف الجغرافي العام لبلاد الشمال الافريقي والتي يمكن تسميتها «بافريقية الصغرى» أسوة بالمنطقة المعروفة باسم «آسيا الصغرى» في القارة الاسيوية . وهذه التسمية الجغرافية التي يحب الكثير من المهتمين بالدراسات الافريقية اطلاقها على بلاد الشمال الافريقي التي تحدها الصحراء الكبرى من الجنوب والبحر الابيض المتوسط من الشمال .

لقد تعرضت بلاد الشمال الافريقي للغزو الاجنبي منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحالي . ولكن الملاحظ أن هذا الغزو كان يأتي من الشمال ولم يحدث ان جاء من الجنوب . ومنذ ان دخل حيوان الجمل الى الشمال الافريقي ازدهرت تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى مع بلاد السودان . وعن طريق هذه التجارة تسللت دماء الجنس الزنجي الى سكان الشمال الافريقي الذين يعيشون على شواطيء البحر الابيض المتوسط ( ص ١٨ ) .

لقد احتلت الامبراطورية الرومانية شواطيء البحر الابيض بما في ذلك شاطيء الشمال الافريقي . ولكن السيطرة الرومانية على بلاد المغرب لم تستمر الى الابد اذ انتهت بمجيء العرب الى بلاد شمال افريقيا . ولكن المد الاوروبي ظهر من جديد ليبسط نفوذه على منطقة شمالي افريقيا منذ اوائل القرن التاسع عشر . وتقول الكاتبة ان الاوروبيين كانوا حتى اواخر نصف القرن الثامن عشر يعرفون عن جغرافية امريكا الشمالية والهند أكثر مما كانوا يعرفون عن الشواطيء الجنوبية للبحر الابيض المتوسط . ولكن الوضع ما لبث أن تغير عند الاوروبيين الذين أصبحوا على صلة مستمرة بهذه المنطقة بعد أن بدأت تخضع للسيادة الاوروبية في النصف الاول من القرن العشرين .

وتعتبر الكاتبة نهاية الحرب البونية الثالثة نقطة تحول هامة في تاريخ الشمال الافريقي لان روما استطاعت بانتصارها على قرطاجة وتدميرها أن تبدأ في بسط سيادتها على بلاد الشمال الافريقي. وقد استمرت السيادة الرومانية والبيزنطية على هذه المنطقة حتى منتصف القرن السابع الميلادي عندما أخذت الموجات الاسلامية في الانتشار هناك مع ملاحظة الفترة التي

تعرضت لها بلاد الشمال الافريقي للغزو الوندالي الزاحف من اسبانيا عام ٤٣٠ م. وبمجيء العرب الى اقطار المغرب انتهت السيادة الاوروبية على شمالي افريقية باستثناء بعض الفترات القصيرة التي بذلت فيها بعض المحاولات دون نجاح مستمر لاستعادة هذه البلاد من جديد للسيادة الاوروبية حتى كانت سنة ١٨٣٠ عندما نجحت فرنسا في غزو الجزائر ولم تتركها حتى سنة ١٩٦٢ بعد أن أجبرها الجزائريون على ذلك .

وفي هذا الفصل تتناول المؤلفة الثروة النباتية والحيوانية لبلاد الشمال الافريقي وما طرأ عليها من تغيير وتحاول الكاتبة أن تجد الاسباب لهذا التغيير . وبعد ذلك تتحدث المؤلفة عن حيوان الجمل وموطنه الاصلي وتاريخ دخوله الى الشمال الافريقي وأثره في حياة السكان. وتقوم الكاتبة بعقد مقارنة بين اثر حيوان الجمل في المواصلات وبما أحدثه اختراع القطار والسيارة في هذا الخصوص . وتؤكد الكاتبة أن العرب لم يدخلوا حيوان الجمل في شمالي افريقية كما ان اهل قرطاجة لم يعرفوه ايام ان كانت قرطاجة صاحبة الكلمة الاولى في المنطقة . ولكن الملاحظ ان الجمل أصبح شيئا عاديا في بلاد الشمال الافريقي في القرن الثالث الميلادي . أما حيوان الحصان فقد كان معروفا في بلاد الشمال الافريقي ويتبين لنا ذلك بوضوح بدراسة الآثار القديمة للبلاد . وكان الرومان يقومون بتصدير الخيول من شمالي افريقية الى أوروبا حيث اكتسبت شهرة طيبة في السباق .

وتقوم المؤلفة في الفصل الثاني الذي جاء بعنوان «افريقية الرومانية» بمقارنة بين الاستعمار الروماني لشمال افريقية وكيف بدأ هناك واسبابه واهدافه وبين الاستعمار الاوروبي الحديث لهذه المنطقة . وتعتبر المؤلفة الاوروبيين الحاليين احفادا للرومان وخلفاء لهم في احياء امبراطوريتهم في الشمال الافريقي ، وبعد ذلك تأخذ المؤلفة في شرح سياسة الرومان التي اتبعوها في الاستفادة من بلاد الشمال الافريقي وخيراتها والمصاعب التي صادفوها هناك من ثورات أهلية وغارات على الحدود من القبائل الداخلية .

هذا الفصل يفيد في دراسة أهم مظاهر العهد الروماني في شمالي افريقية والاعمال التي قام بها الرومان في ميدان الزراعة وتوفير المياه بحجز مياه الامطار في الخزانات. ويفيد في دراسة نظام القوات العسكرية وكيفية التجنيد وأهمية انتاج البلاد بالنسبة لروما وأهلها . وعند دراسة

تاريخ ليبيا في العهد الروماني يجد القارىء الكثير من الحقائق العلمية التي تفيده في دراسة أهم مظاهر العهد الروماني . وتعطي المؤلفة أهمية خاصة للحديث عن الامبراطور سبتميوس سفيروس Septimius Severus الابن البار لمدينة لبدة والذي استطاع أن يعتلي عرش الامبراطورية الرومانية فيما بين ١٩٣ و ٢١١ م. وقد مات في مدينة يورك بانجلترا في فبراير ٢١١ م. وتولى ابنه كاركلا Caracalla من بعده. وتذكر المؤلفة معلومات طريفة عن نشأة هذا الامبراطور من عائلة ليبية وقد تعلم اللغة اللاتينية لغة الرومان وهو كبير السن . ولم ينسه عرش روما موطنه الاصلي واسرته اذ اهتم بلبدة وترك فيها من الآثار كما ترك في غيرها ما خلده بين عظماء التاريخ . ان القارىء لهذا الفصل سيجد معلومات طريفة تصور حياة هذا الامبراطور وحبه لوطنه ليبيا وأهلها وكيف حافظ على لغته الليبية الاصلية التي تعلمها في حجر أمه حتى بعد أن تعلم اللغة اللاتينية فيما بعد عندما أصبح امبراطورا لروما . وكان مثله مثل أي شخص من مقاطعة ويلز البريطانية استطاع أن يبلغ مكانة عظيمة في اللغة الانجليزية وادابها ولكنه يصر على استعمال لغة الولش في بيته ومع أفراد أسرته . كان سبتميوس سفيروس يجد لذة خاصة وهو يتناول اطعمة بلاده وفواكهها وخضراواتها على موائد قصره في روما . وعندما جاءته اخته في روما بعد أن اعتلى عرشها أسرع بارسالها الى لبدة لانها لم تكن قد تعلمت اللغة اللاتينية وتمكنت منها أو بتعبير آخر لم تكن قد تهيأت لما وصل اليه أخوها من مكانة في ذلك العالم المتحضر وهي الآتية من بيئتها التي لم تصل الى ما وصلت اليه روما . وقد اصطحب سبتميوس سفيروس ابنه كركالا الى انجلترا التي كان يعيش أهلها في حالة متأخرة حتى يعود ابنه على حياة الخشونة بعد أن نشأ في روما وترفها ولكن المنية عاجلت سبتميوس سفيروس هناك حيث دفن وقد خلفه ابنه من بعده على عرش روما . والغريب أن سبتميوس سفيروس ابن لبدة وامبراطور روما يموت في مدينة يورك في فبراير ٢١١ م. وهو يحاول تأمين حدود امبراطوريته الرومانية ويدور الزمن دورته ويأتي جنود انجلترا في الجيش الثامن بقيادة الجنرال مونتجمري ويدخلون اطلال مدينة لبدة في زحفهم الى الغرب وهم يتتبعون بقايا القوات الايطالية الالمانية في يناير سنة ١٩٤٣ أي بعد حوالي ١٧٣٢ سنة من وفاته في يورك . وكان مجيء القوات البريطانية الى ليبيا يحدث لاول مرة في تاريخ البلاد . وتنشر الكاتبة صورة لتمثال سبتميوس سفيروس دون ان تشير الى مكانه وتاريخ العثور عليه.

وتتحدث الكاتبة عن القديس اغسطين St. Augustine في الفصل الرابع من الكتاب . وتبدأ الكاتبة باستعراض سريع للعوامل التي أدت الى نهاية الامبراطورية الرومانية الغربية . وتعطى أهمية خاصة لظهور الدين المسيحي في التمهيد لنهاية الامبراطورية الرومانية . وقد تناولت القديس اغسطين الذي ولد في ٣٥٤ م. بافريقية والذي أرخ للايام الاخيرة للامبراطورية الرومانية في شمالي افريقية . وفي هذا الفصل تتحدث المؤلفة عن المسيحية وانتشارها في بلاد الشمال الافريقي وتاريخ الكنيسة المسيحية هناك مع العناية بصفة خاصة بدراسة تاريخ القديس اغسطين.

أما الفصل الخامس فيفيد في دراسة غزو الوندال لبلاد الشمال الافريقي وأثر هذا الغزو في حياة البلاد وأهلها وكيف انتهى حكم الوندال في شمالي افريقية على يد القائد البيزنطي بلزاريوس Belisarius الذي أرسله الامبراطور جستنيان Justinian من القسطنطينية لتحرير شمالي افريقية من حكم الوندال . وبنجاح حملة بلزاريوس انتقلت تبعية بلاد الشمال الافريقي الى الدولة البيزنطية . وبدراسة هذا الفصل يستطيع القارىء أن يستفيد الكثير من المعلومات التي تشرح بعض أحداث فترة الحكم الوندالي لشمال افريقية . وعلى ضوء ما جاء في هذا الفصل من وصف عام لفترة الوندال يمكن فهم الكثير من الاحداث التي وقعت في ليبيا اثناء غزو الوندال وطردهم من الشمال الافريقي والخلاف المذهبي الذي اقترن بالصراع العنيف اثناء حكمهم .

وبطرد الوندال من الشمال الافريقي على يد الجيش البيزنطي الذي أرسله الامبراطور جستنيان بدأ عهد الحكم البيزنطي في شمالي افريقية. وهذا هو موضوع الفصل السادس في هذا الكتاب . وقد اعتمد جستنيان على الجيش في ضمان استمرار تبعية بلاد الشمال الافريقي للحكم البيزنطي . ولهذا نراه يضع اقطار الشمال الافريقي تحت أربع قيادات عسكرية . كانت واحدة منها في ليبيا والثانية في جنوبي تونس . اما القيادة الثالثة فقد كانت مركزة في شمالي شرقي الجزائر في الوقت الذي كانت فيه القيادة الرابعة قد استقرت في شمالي غربي الجزائر . وتقول الكاتبة أن الجيش البيزنطي وجد التحصينات الرومانية في الشمال الافريقي أما مصدعة أو مهدمة من جانب الوندال . وهذه حقيقة هامة تنفي التهمة عن الموجات العربية التي أتت الى الشمال الافريقي فيما بعد. وهي تهمة تخريب معالم الحضارة الرومانية التي كانت تعرضت للزوال

ايام حكم الوندال القادمين من اوروبا . وبعد ذلك تستعـرض الكاتبـة الصعوبات التي صادفها الحكم البيزنـطي في البـلاد وتكاليف الادارة البيزنطية واشتداد مقاومة القبائل الوطنية للحكم البيزنطي واعتمادها على الغارات لاقلاق السلطات البيزنطية حتى أن سكان لبـدة أضطـروا أن يتخذوا من بعض احجار المباني الضخمة التي تم بناؤها في العهد الروماني وخاصة في عهد الامبراطور سبتميوس سفيروس وسيلة لبنـاء الاسوار حول مدينة لبدة لحمايتها من الغارات التي كانت تتعـرض لها مـن وقت لآخر . وبعد ذلك تقوم الكاتبة بعمل مقارنة بين بقايا الاثار التي تمت في العهد الروماني وما امتازت به من دقة وجمال واثار العهد البيزنطي ومـا طرأ عليها من تدهور وأهمال . ولكن الكاتبة تشيد بالقيمـة التاريخيـة لبعض قطع الفسيفساء التي وجدت في بلاد الشمال الافريقي والتي ترجع الى العهد البيزنطي خصوصا تلك التي وجدت في صبراته والتي تمثـل شجرة الحياة بطيورها المغنيـة والطاووس الافريقي . وما زالت قطعـة الفسيفساء هذه محفوظة في بناء أقيم لحفظها في متحف صبراته .

وتختم الكاتبة هذا الفصل بالاشارة الى المؤرخ البيزنطي بروكوبيـوس Procopius الذي اصطحبه بلزاريوس Belisarius القائـد البيزنطي معه في حملته الى الشمال الافريقي . وقد سجل هذا المـؤرخ الكثير من المعلومات التي أصبحت فيما بعد مصدرا اساسيا لدراسة تلك الفترة . ولكن من المؤسف أن نهاية بلزاريوس كانت سيئة عندما اتهمـه الامبراطور جستنيان بالخيانة له . ولم يكن بلزاريوس القائد الوحيد الذي ختم اعماله البطولية بهذا الشكل اذ أن هناك الكثير من الامثلة في تاريخنا البشري ويكفي ان نذكر طارق بن زياد فاتح الاندلس وخاتمته الغامضة .

وفي الفصل السابع تتحدث المؤلفة عن الفتح الاسلامي لبلاد الشمال الافريقي وتمهد لكلامها باعطاء وصف موجز للاوضاع السائدة في البـلاد قبيل مجيء الجيوش الاسلامية . وتذكر المؤلفة أن المصادر التاريخية لم تعط وصفا وافيا للمعارك التي دارت بين القوات الإسلامية القادمة وأهل البلاد المقيمين . وتعتبر الكاتبة ابن خلدون المؤرخ أول من اهتم بهـذه الناحية مع أنه من مواليد ١٣٣٢ م. وفي هذا الفصل يجد القارىء الكثير من تحامل الكاتبة على المسلمين وفتحهم للشمال الافريقي وتشيد بالمقاومة العنيفة التي وجدها المسلمون في فتحهم لشمال افريقية (ص ٩٠ ـ ٩١). وهي تسيء فهم بعض تعاليم الشريعة الاسلامية كتعدد الزوجات (ص ٩٣). وتثير المؤلفة عدة إسئلة هامة عندما تتساءل عن سبب أو اسباب تداعي

العقيدة المسيحية في بلاد الشمال الافريقي مع انها كانت من أهم مراكز الاشعاع المسيحي . وتتساءل الكاتبة أيضا عن اسباب تلاشي المنجزات الرومانية واختفائها دون أن تترك أي أثر خلفها . وتتساءل ايضا عن سبب نسيان الجندي الكبير سبتميوس سفيروس Septimius Severus والحضارة التي غزته وساهمت في نشأته . كل هذه الاسئلة وغيرها تثيرها الكاتبة لاثارة عواطف القراء وخاصة الاوروبيين منهم . ولكن الكاتبة نست أن تعرف ان بلاد الشمال الافريقي كما كانت مركزا للاشعاع المسيحي كانت مصدرا لاشعاع العقيدة اليهودية وقد أصبحت فيما بعد وما زالت وستظل ان شاءالله مركزا هاما للاشعاع الاسلامي وعقيدته رغم الحملات الصليبية التي رأتها البلاد ونشاط البعثات التبشيرية المسيحية وحماية الاستعمار الاوروبي لها . ويكفي ان نقول أن كل هذه الجهود التي بذلت في سبيل تمسيح سكان الشمال الافريقي واعادتهم للعقيدة المسيحية قد باءت بالفشل . وتعترف الكاتبة بأنه نتيجة للمد الاسلامي الذي شمل بلاد الشمال الافريقي حدث تحول كلي في هذه المنطقة ولم يقتصر هذا التحول على الناحية الروحية بانتشار العقيدة الاسلامية ورسوخها بل شمل ايضا تغييرا بشريا ولغويا بانتشار الدم العربي والمميزات البشرية العربية الى جانب انتشار اللغة العربية بلهجاتها المتعددة وكلماتها المترادفة .

وتتابع الكاتبة في الفصل التاسع الحديث عن بلاد الشمال الافريقي بعد الفتح الاسلامي وانتشار المد العربي الى اسبانيا مع الاهتمام بابراز ثلاثة معالم هامة في تاريخ هذه الفترة وهي ظهور مذهب الخوارج بين سكان الشمال الافريقي وقيام دولة الادارسة في المغرب وتأسيسهم لمدينة فاس التي ما زالت تحتفظ بطابعها الخاص الى يومنا هذا . واخيرا قيام الدولة الفاطمية في تونس وانتقالها الى مصر وتأسيس مدينة القاهرة واتخاذها عاصمة للفاطميين .

أما الفصل العاشر فقد خصصته المؤلفة للحديث عن هجرة بني هلال وبني سليم الى بلاد الشمال الافريقي في القرن الحادي عشر الميلادي . والملاحظ أن الكاتبة تبالغ في ابراز معالم التخريب التي احدثها مجيء هذه القبائل الى هذه المنطقة . والملاحظ أن بعض المؤرخين يبالغون في نسبة الكثير مما أصاب بلاد الشمال الافريقي من دمار وخراب على يد هذه القبائل العربية مع أنها لم تكن وحدها مسؤولة عما أصاب البلاد . لقد ترك الوندال اثارهم التخريبية كما تركت الحروب المستمرة آثارها قبل

مجيء قبائل بني هلال وبني سليم . هذا وعلينا الا ننسى دور العوامل الطبيعية في هذا الخصوص .

ولنترك الفصل العاشر الذي تحدثت فيه المؤلفة عن الفتح العربي لاسبانيا والحضارة الاسلامية هناك وننتقل الى الفصل الحادي عشر الذي تتحدث فيه الكاتبة عن حركة الجهاد البحري في الشمال الافريقي . تعالج الكاتبة هذا الموضوع على اساس أنه حركة عامة مشتركة من جانب دول الشمال الافريقي ضد السفن الاوروبية . وقد نشأت هذه الحركة في أول أمرها كرد فعل من جانب المسلمين الذين لجأوا الى الشمال الافريقي بعد أن طردهم الاسبان من الاندلس . ولكن المؤلفة تركز على الجزائر باعتبارها أهم مراكز حركة الجهاد البحري مع الاهتمام ببعض المراكز الاخرى ومن بينها مدينة طرابلس الغرب .

وفي هذا الفصل تشير الكاتبة الى الدور الذي لعبته الدول الاوروبية لمواجهة هذا الخطر البحري الذي أصبح يهدد نشاطها التجاري في البحر الابيض المتوسط بل وفي بعض مناطق المحيط الاطلسي فيما يجاور الجزر البريطانية شمالا حتى جزيرة ايسلندا . وتعطي المؤلفة بعض الامثلة التي توضح قيمة الغنائم التي كانت تعود على بلاد الشمال الافريقي من هذا الجهاد البحري . وفي هذا الفصل بعض المعلومات التي تفيد في دراسة العلاقات الدولية التي قامت بين الدول الاوروبية ودول الشمال الافريقي والاتفاقيات التي تم عقدها بين الطرفين ودور القناصل في هذا الخصوص وكيف كان يتم اختيارهم أو تعيينهم ونشاطهم التجاري والمرتبات التي كانوا يتقاضونها ودورهم في فك سراح الاسرى الذين كانوا يقعون في أيدي بحرية الشمال الافريقي . وأخيرا كيف اتحدت الدول الاوروبية لمكافحة خطر بحرية الشمال الافريقي والحملة البحرية التي قادها اللورد اكسموت Lord Exmouth في ١٨١٦ م. لتحرير الاسرى الاوروبيين في كل من الجزائر وتونس وطرابلس . وقد بلغ عدد هؤلاء الاسرى ثلاثة الاف اسيرا أوروبيا من مختلف الدول التي كان لها نشاط تجاري بحري .

وفي ١٨١٨ عقدت الدول الاوروبية مؤتمر اكس Aix - La Chapelle وفيه تم الاتفاق فيما بينها على توحيد الجهود للقضاء على حركة القرصنة البحرية واسناد المهمة الى كل من انجلترا وفرنسا . وبسبب هذا الموقف الموحد الذي اتخذته الدول الاوروبية نجحت في القضاء على حركة الجهاد البحري الذي كانت تقوم به دول الشمال الافريقي خصوصا بعد أن تم

لفرنسا غزو الجزائر في سنة ١٨٣٠ م.

اما الفصل الثاني عشر فتخصصه الكاتبة للحديث عن موضوعين هامين أولهما انجلترا وعلاقتها بطنجة ويدخل هذا الموضوع في دراسة علاقة انجلترا بالبحر الابيض المتوسط والمملكة المغربية بالذات . اما الموضوع الثاني فهو يتعلق بدراسة الحرب التي قامت بين الولايات المتحدة الامريكية ويوسف باشا القره مانلي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر واسباب هذه الحرب وكيف تطورت ونتائجها وأثرها في التمهيد للقضاء على نشاط البحرية لدول الشمال الافريقي . والمؤلفة في دراستها هذه تستعرض الخطوط العريضة للعلاقات الامريكية الليبية في عهد يوسف باشا وهي تصلح أن تكون بداية لهذا النوع من الدراسة ولكنها لا تكفي للاحاطة بالموضوع على أحسن ما يكون .

وفي الفصل الثالث عشر تتناول الكاتبة الغزو الفرنسي للجزائر في ١٨٣٠ م. والغزو الفرنسي لتونس في ١٨٨١ م. أما الغزو الفرنسي للمملكة المغربية سنة ١٩١٢ فقد تناولته الكاتبة في الفصل الرابع عشر من الكتاب . وفي قراءة هذه الفصول الثلاثة فكرة عامة عن الاطماع الاوروبية في الشمال الافريقي وهي تلقي الضوء على موقف هذه الدول واطماعها من ليبيا التي تركت لكي تكون من نصيب ايطاليا . ولهذا نجد المؤلفة تخصص الفصل السادس عشر للكلام عن الغزو الايطالي لليبيا والموقف الدولي من هذا الغزو . وتختم الكاتبة كلامها في هذا الفصل بأنها ترى في الاستيلاء الايطالي على ليبيا عودة ايطاليا الى البلاد بعد غيبة أكثر من الف عام .

وبنهاية هذا الفصل استطاعت المؤلفة ان تستعرض تاريخ بلاد الشمال الافريقي منذ أقدم العصور حتى بداية القرن العشرين . وقد تناولت الكاتبة هذا التاريخ الطويل بطريقة افقية شملت جميع اقطار الشمال الافريقي في فترة معينة ولكنها كانت تلجأ من وقت لآخر لاثارة بعض الحقائق التاريخية التي تتعلق بقطر معين لتوضيح فكرة عامة . وقد كان لتاريخ ليبيا نصيب كبير من هذه الامثلة المختارة .

خلاصة القول أن الكاتبة استطاعت أن تتناول تاريخ اقطار الشمال الافريقي كوحدة واحدة تمثل فترة معينة من العصور التاريخية التي مرت بالبلاد . ولهذا نراها تتحاشى التفاصيل وتلجأ الى الموضوعات التي يصلح فيها التعميم . وقد اعطت الكاتبة اهتمامها لتحليل الاحداث وتفسيرها دون الاهتمام بالاكثار من ذكر التفاصيل حتى لا تضيع منها وحدة الموضوع . والكاتبة في هذا الاستعراض العام تتحمس لعواطفها الاوروبية

وحضارتها وان كانت قد اضطرت ان تشير اشارة عابرة الى الفظائع التي ارتكبها الاسبان مع مسلمي الاندلس في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر الميلادي الشيء الذي أجبر من عاش من مسلمي الاندلس على الهجرة والالتجاء الى بلاد الشمال الافريقي .

وبعد هذا العرض التاريخي العام تعود الكاتبة فتتحدث في الفصل السابع عشر عن الفن والآثار الرومانية في بلاد الشمال الافريقي . وهي تعطي عناية خاصة للجهود التي بذلها سمث Smith وزميله بورشير Porcher في القرن التاسع عشر في التنقيب عن آثار شحات وحمل الكثير منها الى متحف لندن حيث ما زالت تعرض في المتحف البريطاني للآثار .

أما الفصل الثامن عشر وعنوانه « اليوم » «To day» فقد خصصته الكاتبة لاستعراض النشاط السياسي لكل من مراكش والجزائر وتونس والحركات الوطنية التي تطالب بالاستقلال . وتعطي الكاتبة بعض اهتمامها لوصف ما كان في ليبيا في ذلك الوقت في عهد ولاية بالبو الذي لقي حتفه وهو يحلق بطائرته الحربية فوق ميناء طبرق اثناء الحرب العالمية الثانية .

وخاتمة الكتاب هي الفصل التاسع عشر وفيه تتحدث الكاتبة عن أوضاع مراكش وثورة الجنرال فرنكو التي بدأت من المنطقة الاسبانية بمراكش . وقد زحف فرنكو بقوات مغربية الى اسبانيا للاطاحة بنظام الحكم هناك . وهكذا عاد جنود المغاربة الى اسبانيا عبر مضيق جبل طارق كما فعلوا في اوائل القرن الثامن الميلادي وان اختلفت الصورة والهدف .

وتعطي الكاتبة جزءا من هذه الخاتمة للكلام عن ليبيا وقد أصبح حزب الفاشيست برئاسة موسوليني صاحب الكلمة في ايطاليا . وتشير الكاتبة الى عهد الكونت قولبي وسياسته الاستعمارية والى اهتمام الايطاليين بالطريق الساحلي وميناء طبرق والى زيارة موسوليني لليبيا في ربيع ١٩٣٧ والسياسة التي اعلنها تجاه ليبيا والليبيين في زيارته هذه . وقد تنبأت الكاتبة في ذلك الوقت بأن الخلاف الذي كان يسود الدول الاوروبية الى جانب ازدياد الشعور الوطني في بلاد الشمال الافريقي سيكون له الاثر الكبير في تقرير مستقبل هذه المنطقة وبانفصالها عن التبعية الاوروبية . كان هذا التنبؤ من الكاتبة في ١٩٣٨ عندما اخرجت كتابها وما أن حلت الحرب العالمية الثانية التي انتهت بهزيمة دول المحور حتى بدأت نبوءة هذه الكاتبة في التحقق .

74 — Tazi, Abdelhadi, Moroccan-American Relations. Translation of excerpts from a lecture delivered in Arabic by Ambassador Abdelhadi Tazi. Ministry of Information, Kingdom of Morocco. Printing - Office, «Imprimerie De Fedala», Mohammedia - Maroc, 26 - 1 - 67. 26 PP.

هذه مقتبسات من محاضرة عن « العلاقات المراكشية الامريكية » قام بالقائها الاستاذ عبد الهادي التازي باللغة العربية . وقد تمت ترجمتها باللغة الأنجليزية ، وقامت بنشر هذه الترجمة وزارة الاعلام بحكومة المغرب . وصاحب هذه المحاضرة هو الاستاذ عبد الهادي التازي السفير بوزارة الخارجية المغربية وقد جاء الى ليبيا سفيرا لبلاده ولكنه نقل منها سفيرا لبلاده في بغداد التي سبق أن شغل بها هذا المنصب قبل مجيئه الى ليبيا . والمؤلف معروف بنشاطه الثقافي والبحث العلمي وله عدة مقالات وابحاث تاريخية . وهو من اسرة فاسية وقد جمعت مدينة فاس لاهلها العلم والثروة. واثناء وجوده سفيرا للمغرب في ليبيا قام بعرض بعض الوثائق المغربية التي لها علاقة بتاريخ المغرب الحديث وارتباطه بليبيا وبالولايات المتحدة الامريكية في احدى صالات السفارة المغربية حيث كانت توجد في شارع خالد بن الوليد وذلك في شتاء ١٩٦٨ . وكان المعرض ناجحا من حيث الوثائق التاريخية وأهميتها .

ويهتم المحاضر في محاضرته هذه بالدور الذي لعبته البحريةالمراكشية في البحر الابيض وشمالي المحيط الاطلسي . ويبحث في العلاقات المراكشية الامريكية وتاريخها وتطورها . وتفيد هذه المحاضرة في دراسة العلاقات الامريكية مع دول شمالي افريقية بصفة عامة ومراكش بصفة خاصة . وهي ايضا تفيد في دراسة العلاقات الليبية المراكشية اثناء الحرب التي قامت بين يوسف باشا القره مانلي والولايات المتحدة الامريكية والمساعدات التي قدمتها مراكش في هذا الخصوص ودور التوسط الذي قامت به مراكش بين الطرفين الليبي والامريكي لتسوية النزاع بينهما .

75 — The Monthly Record, Austrian Expedition to The Sahara. The Geographical Journal January 1911. PP. 95 - 6.

كانت « المجلة الجغرافية » منذ صدورها تتابع اخبار الكشوف والرحلات التي يقوم بها الاوروبيون في الصحراء الكبرى وتنشر اخبارهم وتعلق عليها . ومن بين هذه الاخبار ما نشرته في عددها الصادر في يناير ١٩١١ بخصوص الرحلة التي كان يستعد للقيام بها بعض علماء النمسا لدراسة احوال بعض مناطق الصحراء في الطريق الى اواسط افريقية . وقد تسلمت المجلة اخبارا بخصوص الرحلة المزمع القيام بها من فينا عاصمة الامبراطورية النمساوية في ذلك الوقت . ويبدو أنه كان من المتفق عليه أن يصل الهر ارتبنر Herr Artbaner الى مدينة طرابلس في اكتوبر ١٩١٠ ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب بعض الصعوبات التي جاءت نتيجة لتصرفات الحكومة التركية . وهذا ما عللت به المجلة تأخير القيام بالرحلة . ولكن الرحالة النمساوي استطاع التغلب على هذه الصعوبات . وكان اللفتنانت كرافت فون هلمهكر Kraft Von Helmacker قد سبق زملاءه حتى يستطيع تكييف نفسه مع ظروف السفر في الميدان المختار . وتذكر المجلة أن خطة الرحلة كانت تحت الدراسة لعدة سنوات. واستطاع الهر ارتبنر أن يقوم بكل شيء يضمن نجاح الرحلة فقد سبق له أن سافر في البلاد العربية بآسيا وافريقية . وكان آخر نشاط له الرحلة التي قام بها في مراكش لمدة ثلاث سنوات أمضى نصفها في اكتشاف المعالم البشرية لمنطقة الريف . وقد أخرج نتيجة ابحاثه هناك في كتاب علمي قيم . اما الزميل الثالث في هذه الرحلة فقد كان الهر ستورش Herr Storch الذي كانت مهمته الاشراف على القافلة اثناء غياب رئيسها في جولاته الجانبية . ولم يكن في نية المجموعة الرئيسية زيارة منطقة تيبستي . وقد سبق للهر ستورش أن أقام ١١ سنة في شمالي افريقية . وكانت خبرته في هذا الخصوص ذات قيمة كبيرة .

وكان من المفروض أن تبدأ هذه البعثة رحلتها الى الجنوب في نهاية شهر مارس ١٩١١ أي في حوالي نهاية فصل الامطار. وكانت اولى مراحل البعثة الى واحة غدامس حيث تجد فيها ميدانا هاما للدراسات الجغرافية واعمال رسم الخرط . وبعد الانضمام الى بقية القافلة في مرزق كان على الهر ارتبنر Herr Artbaner أن يحاول الدخول في علاقات مع بعض التجار الذين كانت لهم علاقات مع تيبستي . واثناء قيام القافلة بمتابعة

السير نحو بحيرة تشاد كان ارتبنر سيقوم بمحاولات التغلغل في البلاد من الشمال أو الغرب واذا فشلت هذه المحاولة كان عليه أن يحاول التغلغل في البلاد من الشمال الشرقي أي من جهة واحة الكفرة مثلا . وكان على اعضاء البعثة الثلاثة أن ينضموا الى القافلة الرئيسية في بلدة كوكا Kuka في نيجيريا سواء أنجح الهر ارتبنر Herr Artbaner في محاولته اكتشاف تيبستي أم لم ينجح .

هذه بعض أخبار البعثة النمساوية التي كانت « المجلة الجغرافية » تتوقع انباءها وقد سبقت الرحلة فنشرت هذه المعلومات وخط سيرها المحتمل . ولكن المجلة لم تنشر بعد ما تم بخصوص تحقيق هذه الرحلة ولم تعلق على أخبارها كما تعودت أن تعمل مع الكثير من الرحلات التي عبر اصحابها الصحراء الكبرى .

ولكن هناك تعليق على مشروع هذه الرحلة في عدد ديسمبر سنة ١٩١١ من « المجلة الجغرافية » المذكورة ( ص ٣١٧ ) . وهذا التعليق يلقي الكثير من الاضواء على مصير هذه الرحلة التي أخذ هؤلاء العلماء النمساويون يستعدون للقيام بها . لقد كان من الصعب تحقيق هذه البعثة العلمية لان العضو الثاني فيها وهو اللفتنانت فون هلمهكر Von Helmhacker الذي وصل مقدما الى مدينة طرابلس للقيام بالدراسات والترتيبات الاولية اختلف على ما يبدو مع بقية اعضاء البعثة حول الترتيبات التي تتخذ استعدادا للبعثة . ولم يكن الدكتور ارتبنر Artbaner غادر فينا بعد . ولم تكن الاخبار التي تحصل عليها هلمهكر عن منطقة تيبستي والكفرة مشجعة اذ أكدت هذه الاخبار تحرك السلطات التركية في تيبستي حيث لم تكتف السلطات العثمانية بارسال قائمقام الى (٩٠) باردي Bardi بل أرسلت حامية عثمانية اليها . وتأكد للبعثة أن الحكومة العثمانية أرسلت قائمقام الى واحة الكفرة ولكنها لم ترسل اليها حامية عثمانية .

وهناك اشارة الى هذه البعثة في نهاية المقال الذي كتبه الاستاذ فرانك ر. كانا Frank R. Cana في العدد الصادر من «المجلة الجغرافية» بتاريخ نوفمبر ١٩١١ حول مشاكل الكشوف الجغرافية في افريقية (٩١).

---

٩٠ ــ تقع بلدة باردي الان في شمالي جمهورية تشاد .

91 — Frank R. Cana, Problems in Exploration: Africa, The Geographical Journal. November 1911. PP. 457 - 62.

76 — The Monthly Record; Commercial History of North - East Africa. The Geographical Journal. December, 1906. P. 636.

هذه كلمة عن تاريخ التجارة في شمالي وشرقي افريقية وقد نشرتها المجلة الجغرافية في عددها الصادر بتاريخ ديسمبر ١٩٠٦ وهي اساسا تشير الى المقال الذي نشره الكاتب الالماني Lieut Kurchoff في المجلة الالمانية المعروفة باسم «Geogr. Zeitschrift بعدديها الخامس والسادس من سنتها التاسعة عشرة . وقد كان هذا المقال العلمي يناقش تاريخ طرق التجارة ومراكزها في شمالي شرقي افريقية في المنطقة الممتدة من نيل فكتوريا جنوبا حتى بحيرة تشاد ومنطقة باجيرمي Bagirmi غربا . ويعتبر الكاتب أن هذا هو الحد العام لتجارة شمالي شرقي افريقية وشماليها الغربي . ويتناول كاتب المقال بصفة خاصة الفترة التاريخية التي تبدأ بالقرن التاسع عشر حتى القرن العشرين . ويذكر الكاتب أن نهر النيل يعتبر المدخل الاساسي لدخول وخروج التحركات البشرية والبضائع . ويعتبر كاتب الكلمة الفتح العثماني لمصر نقطة هامة في تاريخ التجارة الافريقية اذ أن القاهرة أصبحت المركز الرئيسي للتجارة مع الاراضي الجنوبية في وادي النيل . ويشير الكاتب الى أن سكان القاهرة كانوا اكثر من ٥٠٠ الف نسمة قبل ان ينتشر وباء الكوليرا في سنة ١٨٣٣ في عهد محمد علي باشا . وقد تسبب هذا الوباء في انخفاض عدد السكان الى ٣٠٠ الف نسمة .

وجاء في مقال « المجلة الجغرافية » أنه عند بداية القرن التاسع عشر كان هناك ثلاثة طرق رئيسية للقوافل لنقل العبيد والعاج من المناطق الداخلية في القارة الافريقية الى القاهرة . وكانت هذه الطرق الثلاثة تأتي اليها من واحة مرزق عاصمة فزان في ذلك الوقت ومن دار فور الواقعة الى الغرب من النيل الابيض ومن سنار التي تقع على النيل الازرق . وكانت القوافل التي تأتي الى القاهرة من واحة مرزق تصل اليها في العادة قبل شهر رمضان بقليل . ومن القاهرة كان جزء من القافلة يواصل الرحلة الى مكة . أما البقية الباقية من القافلة فقد كانت تنتظر في القاهرة عودة حجاج مراكش . ولكن بسبب الاوضاع السائدة في المناطق الداخلية في ذلك الوقت لم يعد وصول القوافل مرتبطا بتاريخ معين . وكان يحدث احيانا ان تصل قافلتان أو ثلاث في سنة واحدة واحيانا تمر سنتان أو ثلاث قبل وصول قافلة واحدة . وبهذا الشكل تستمر كلمة المجلة في

الحديث عن تجارة القوافل التي كانت قائمة بين السودان والقاهرة بعد أن تم اخضاع السودان للسيادة المصرية .

واذا كانت هذه الكلمة التي نشرتها «المجلة الجغرافية» تفيد في دراسة تاريخ تجارة القوافل وأهمية واحة مرزق في هذا النوع من النشاط الاقتصادي فانها تثير نقطة هامة في هذا النوع من الدراسة وهي مدى تأثير طرق القوافل التي تربط السودان بالقاهرة على طرق القوافل في ليبيا عندما خضع السودان لمصر واستطاع محمد علي باشا والي مصر أن يفرض الامن في بلاد السودان الشرقي ويؤمن سلامة القوافل بعكس الحال عندما اضطربت أحوال السودان خصوصا عند قيام ثورة المهدي في اواخر القرن التاسع عشر الشيء الذي أدى الى تحويل جزء كبير من تجارة القوافل بالسودان الى واحة الكفرة في جنوبي شرقي ليبيا ومنها الى مدينة بنغازي والى بقية الواحات الاخرى التي عرفت بنشاطها التجاري في جنوبي ليبيا .

***

77 — The Monthly Record, Completion of Mr. Visher's Journey Across the Sahara . The Geographical Journal, January , 1907. P. 88.

هذه هي الكلمة الرابعة التي تنشرها « المجلة الجغرافية » بخصوص رحلة هانز فيشر عن الصحراء الكبرى . وكانت هذه الكلمة منشورة في عددها الصادر في يناير ١٩٠٧ . والملاحظ أن « المجلة الجغرافية » قد تتبعت أخبار هذا الرحالة وجعلت المهتمين بأخباره على اتصال دائم به بفضل ما كانت تنشره من معلومات عنه من وقت لآخر . والمجلة في كلمتها هذه تشير الى البرقية التي تسلمتها الجمعية الجغرافية الملكية بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٠٦ م. وقد أعلنت هذه البرقية وصول هانز فيشر سالما الى شمالي نيجيريا . وبوصوله سالما استطاع ان ينجح في تحقيق غرضه بخصوص عبور الصحراء الكبرى عن الطريق الذي يقع الى الجنوب من مدينة طرابلس. ويبدو من ثنايا الكلمة أن القلق كان يسيطر على المسؤولين البريطانيين بخصوص هذا الرحالة خاصة وأن قافلته قد تعرضت للاعتداء.

كل هذه (٩٢) الكلمات تفيد في دراسة رحلة الرحالة فيشر عبر الصحراء الكبرى وتبين الاهتمام الذي كان يبديه رجال الجمعية الجغرافية الملكيـــة في لندن نحو هذه الرحلة بالذات .

***

78 — The Monthly Record, Consular Reports For 1896. The Geographical Journal. October, 1897. P. 440.

لا شك أن تقارير قناصل الدول الاوروبية عن ليبيا في العهد العثماني تعتبر من أهم المصادر التاريخية لدراسة الفترة التي سبقت الاحتـــلال الايطالي للبلاد . ومن بين هذه التقارير الهامة التقرير الذي كتبه المستر ديكسون Dixon في ١٨٩٦ عن الاحوال العامة في ليبيا والـذي جاء التعليق عليه جزءا من التقرير الشهري الذي نشرته «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر في اكتوبر ١٨٩٧ وان كان هذا التعليق خاصا بالتجارة في ليبيا . ويبدو من هذا التعليق المنشور بالمجلة ان تقريـر القنصـــل البريطاني في طرابلس قد سجل ركودا عاما في تجارة البلاد ولكنـــه في نفس الوقت سجل ازديادا خفيفا في واردات ليبيا من بريطانيا وكذلـك بالنسبة لصادراتها اليها . وسجل التقرير تحسنا في الاقبال على الاقمشة البريطانية ولكن المواصلات البحرية مع ايطاليا حافظت على مكانتها الاولى من حيث التفوق . ويستفاد من تعليق المجلة أن تقرير القنصل البريطاني في طرابلس قد سجل توقف تجارة طرابلس مـــع بورنيـــو Bornu بسبب موقف قبائل الطوارق والعداء المستحكـم بين رباح Rabah وامبراطور سوكوتو Sokoto في شمالي نيجيريا . وهـذه الاشارة القصيرة تصلح ان تكون منطلقا للحصول على الكثير من المعلومات عـــن العلاقات السائدة في ذلك الوقت بين السلطات العثمانيـــة في مدينـــة طرابلس وسلاطين الجهات الداخلية في منطقة السودان كما تصلـــح أن تعطينا بعض الصور عن المصاعب التي كانت تصادفها تجارة القوافـل في ليبيا في اواخر القرن التاسع عشر .

---

٩٢ ـ راجع رقم ٨٠ ورقم ٨٨ .

79 — The Monthly Record , Exploration of The Sahara. The Geographical Journal. August, 1906. P. 181.

نشرت « المجلة الجغرافية » في عددها الصادر بتاريخ اغسطس ١٩٠٦ كلمة صغيرة عن كشف الصحراء الكبرى في تقريرها الشهري بمناسبة الرحلة التي قام بها المستر (٩٣) هانز فيشر Hans Vischer وقد بدأ الرحلة من مدينة طرابلس . وكان رجب باشا واليا على البلاد . وتذكر هذه الكلمة الحقائق الآتية :

١ — أن المستر هانز فيشر كان موظفا مدنيا بحكومة شمالي نيجيريا وأن الرحالة كان يحمل شهادة الدبلوم في المساحة التي تمنحها الجمعية الجغرافية الملكية بلندن والتي ما زالت تصدر « المجلة الجغرافية » .

٢ — ان الرحالة غادر مدينة طرابلس يوم ٩ يوليو بقصد عبور الصحراء الكبرى وكشف منطقة تيبستي والمرتفعات الاخرى في الطريق اذا تمكن من ذلك .

٣ — تقول هذه الكلمة أن الرحلة كانت خالية من الهدف السياسي وأن السلطات الفرنسية والتركية قد وافقت عليها . ولكن القاريء للرحلة التي نشرت في ١٩١٠ يمكنه أن يتأكد من وجود غرض سياسي لهذه الرحلة بعكس ما جاء في هذه الكلمة التي نشرتها « المجلة الجغرافية » .

خلاصة القول ان هذه الكلمة رغم قلة سطورها تفيد في دراسة رحلة فيشر وصداها في الاوساط العلمية الانجليزية . وهناك خبر لاحق حول هذه الرحلة نشرته « المجلة الجغرافية » في عددها الصادر في نوفمبر ١٩٠٦ حيث اشارت الى البرقية التي تسلمتها وكالة رويتر من مدينة طرابلس بتاريخ ١٩ اكتوبر ١٩٠٦ بخصوص الهجوم الذي شنه الطوارق على الرحالة بالقرب من بلدة تيجري Tejirri التي تقع على الطريق الى الجنوب من واحة مرزق وعلى بعد ١٢٠ ميلا منها . وتقول البرقية أن الرحالة استطاع أن يصد المهاجمين بمساعدة أهل القرية . ولكن البرقية لم تذكر تاريخ حدوث هذا الهجوم .

---

٩٣ — راجع البحث رقم ٩٠ في الجزء الاول من هذا الكتاب .

80 — The Monthly Record, Exploration In Tripoli. The Geographical Journal. January, 1902. P. 88.

هذا عرض لكتاب « عبر ليبيا » لصاحبه الرحالة الفرنسي الاستـــاذ هنـــــري مهير دي ماثويســـــي H.M. De Mathuisieulx والذي صدرت طبعته الثانية بباريس في ١٩١٢ وقد سبق لنا الحديث (٩٤) عنه . وهذا العرض الذي نحن بصدده نشر في « المجلة الجغرافية » في لندن بتاريخ يناير ١٩٠٢ أي بعد صدور الطبعة الاولى للكتاب (٩٥) .

ويتحدث كاتب المقال عن هذا الرحالة الفرنسي بأنه محظوظ جـــدا بحصوله على هذه الفرصة لزيارة اجزاء كثيرة من ليبيا لم يسبق لأي أوربي ان عبرها منذ الزيارة التي قام بها الرحالة الالماني الدكتور هنري بارث H. Barth في ١٨٤٥ . وأعتقد ان هذا القول فيه مبالغة . وقد وقع في هذا الخطأ الكثير من الكتاب ومن بينهم صاحب هذه الرحلة وصاحب هذا العرض ويكفي ان نذكر الحقائق الآتية :

١ — قام الرحالة الالماني جيرارد رولفس بجولات في ليبيا ، وكانت له رحلة مشهورة الى واحة الكفرة في ١٨٦٩ الى جانب جولاته الاخرى التي قام بها في انحاء ليبيا .

٢ — بعد عودة رولفس الى بلاده بشهرين جاء الرحالة الالماني هنري فون مالتزان Heinrich Von Maltzan وهو المشهـــور باسم البارون مالتزان . وقد سجل انطباعاته في رحلة قام بها في تونس وطرابلس في كتابه الذي نشره في مدينة ليبزج Leipzig في ١٨٧٠ في ثلاثة اجزاء باســم «Reise in Den Regentschaften Von Tunis And Tripoli» وقد خصص الجزء الثالث من هذا الكتاب للكلام عن طرابلس (٩٦) .

٣ — وجاء الرحالة الالماني الدكتور نختجال بعد ذلك. وكانت له جولات في ليبيا في الطريق الى بورنيو Bornu . وقد سجل مشاهداتــه وآراءه في كتابه الذي نشره بمدينـــة برلين ١٨٧٩ في جزئين باســـم

---

٩٤ — راجع البحث رقم ٢٢ .

٩٥ — راجع البحث رقم ٩٠ .

96 — L. Charles Féraud; Annales Tripolitaines. Tunis, Paris; 1927. P. 424.

Sahara Und Soudan . وقد خصص الجزء الاول من كتابه للكلام عن رحلته في ليبيا (٩٧) . وهناك ترجمة فرنسية لهذا الجزء فقط .

وهناك الكثير من الرحالة الآخرين الذين اتوا الى ليبيا بعد الرحالة الالماني الدكتور هنري بارث ، وقد ترك هؤلاء الرحالة نتائج اعمالهم مسجلة ومنشورة وان كان بعضهم قد اكتفى بتقديم نتائج رحلاتهم الى المسئولين في بلادهم . وربما كانت بعض الاجزاء التي زارها هنري م. ماثويسبي لم يقم أحد بزيارتها اذا اخذنا الموضوع على اساس الجزئيات وان كانت هذه المناطق بصفة عامة قد قام بارتيادها بعض الرحالة الآخرين . وقد تنبهت «المجلة الجغرافية» فيما بعد الى هذا الخطأ الشائع الـذي ردده الكثير من الكتاب الاوربيين . وفي هامش صفحة ٧٠٠ من هذه المجلة في عددها الصادر في ديسمبر ١٩٠٣ قالت المجلة ان هذا القول غير صحيح وضربت مثلا لذلك برحلة المستر دودسن Dodson الى واحة مرزق بفزان والتي قام بها قبل ذلك بعامين .

***

81 — The Monthly Record, Geographers And Tripoli. The Geographical Journal. November, 1911. P. 533.

انتهز السير كليمنتس مارخام Sir Clements Markham اخبار العمليات الحربية الجارية في ليبيا بسبب الغزو الايطالي لها في خريف ١٩١١ م وبعث بالملاحظات الآتية الى «المجلة الجغرافية» لعلمه بأن للعلماء الجغرافيين اهتمام خاص بليبيا ويستدل على ذلك بالحقائق الآتية:

١ ــ ان اراتوستينز مؤسس علم الجغرافية منذ اكثر من ألفي سنة قد جاء من قورينا (شحات) .

٢ ــ ان الشبان الخمسة الذين جاءوا من قبيلة النسامونز والذين خلدهم المؤرخ اليوناني هيرودوت كانوا اول المكتشفين الافريقيين وقد بدأوا نشاطهم من شواطىء خليج سرت .

---

٩٧ ــ المصدر السابق ص ٤٢٥ .

٣ ـ ان مدينة طرابلس كانت نقطة البداية للمستكشفين الاوربيين منذ ايام كلابرتون Clapperton حتى ايام بارث Barth وما بعد ذلك.

٤ ـ ان سواحل ليبيا قد قام بمسحها الجغرافي اثنان من رؤساء الجمعية الجغرافية الملكية في لندن وهي التي تشرف على اخراج «المجلة الجغرافية» . وهذان الرئيسان هما الاميرال سمث Smyth والاميرال بيتشي Beechey وذلك فيما بين ميناء طرابلس وميناء درنة. وكان الاول يقوم بهذا المسح الجغرافي من سفينته المسماة «المغامرة» «Adventure» اما بيتشي فقد قام بعملية المسح بالسفر بحذاء الشاطىء .

ويعلق السير مارخام على غزو ايطاليا لليبيا بقوله انه على ايطاليا واجبا كبيرا لان ليبيا كانت احدى الولايات المزدهرة في الامبراطورية الرومانية وقد اصبحت صحراء . وأن علماء الجغرافية الطبيعية سيجدون ميدانا واسعا للبحث والدراسة .

ويختم السير مارخام ملاحظاته عن ليبيا بذكر اهمية الكتب التي تناولت البلاد بمعلومات قيمة مثل الكتب التي تركها بيتشي Beechey ولاين Lyon والكتاب الذي اشترك في اخراجه كل من مردوخ سمث Murdoch Smith وبورشير Porcher .

وهكذا أثار غزو ايطاليا لليبيا انتباه العلماء فبدأوا يدرسون أحوالها وينفضون الغبار عن معلوماتهم القديمة وينصحون غيرهم بالكتب التي يجب ان يرجعوا اليها اذا ارادوا المزيد من المعلومات عن ليبيا .



82 — The Monthly Record, Italian Survey In Africa. The Geographical Journal. April, 1912. P. 498.

بعد ان احتلت ايطاليا ليبيا وجدت من الضروري ان تقوم بمسح البلاد وتحديد حدودها . ولهذا نجد «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر في ابريل ١٩١٢ تشير الى الاخبار العلمية التي نشرتها المجلة الجغرافية الايطالية «Revista Geografica Italiana» في عددها الصادر في ديسمبر ١٩١١ بخصوص الفرقة التي كونها المعهد الجغرافي العسكري في يناير ١٩١٢ برئاسة الكولونيل ايوجنيو كابيوت

والاستاذ انطونيو لوبرفيدو Antonio Loperfido والكولونيل Col. Eugenio Caputo لبدء العمل في وضع قواعد عملية المسح المزمع القيام بها في المستقبل . وكان أول العمليات المطلوب القيام بها تحديد وضع ليبيا . وتستمر المجلة في الكلام عن الخطوات العلمية التي يتحتم القيام بها .

ويفيد هذا المقال في دراسة الجهود التي بذلت في سبيل التعرف على ليبيا وأحوالها الجغرافية وكيف كان النقص في هذه المعلومات احد الاسباب التي ساهمت في ضياع بعض اجزاء ليبيا عندما تم اخراج الصورة النهائية للحدود الليبية .

***

83 — The Monthly Record, H.S. Cowper: Tripoli. The Geographical Journal. May, 1896. PP. 551 - 2.

اعتادت «المجلة الجغرافية» ان تنشر في آخر اعدادها تقريرا شهريا يتناول النشاط الجغرافي في مختلف انحاء القارات والبلاد . وكان من بين موضوعات التقرير الشهري الذي نشرته هذه المجلة في عددها الصادر في مايو ١٨٩٦ الخطاب الذي تلقته الجمعية الجغرافية الملكية من الرحالة الانجليزي كوبر Cowper وقد أرسله اليها من مدينة طرابلس . وقد سبق لنا ان تناولنا الرحلة التي قام بها في ربيع ١٨٩٥ لمنطقتي ترهونة وغريان (٩٨) .

ويبدو من هذا الخطاب الذي نستعرضه في السطور التالية ان الرحالة كوبر لم يغادر مدينة طرابلس بعد جولته الداخلية التي قام بها في ١٨٩٥ . وهو يذكر في خطابه المؤرخ في ١٧ مارس ١٨٩٦ انه قد عاد حديثا من رحلة قام بها الى منطقتي مسلاته وترهونة وقد عرج على بلدة الخمس حيث زار اطلال لبدة . وقام بدراسة تخطيطية لوادي كعام وامتداده الجغرافي .

الخلاصة ان هذا الخطاب رغم قصره يعطي معلومات جديدة الى جانب المعلومات التي سبق ان ذكرها كوبر في مقاله السابق (٩٩) .

---

٩٨ ـ راجع الابحاث ١٦ ، ١٧ ، ٨٧ .

٩٩ ـ راجع البحث رقم ١٥ والبحث رقم ١٦ .

84 — The Monthly Record, Lieut Boyd Alexander's Grave. The Geographical Journal. July 1911. P. 74.

كانت الآنسة اوليف ماكلويد Miss Olive Macleod قد عادت حديثا في ١٩١١ من زيارتها لمنطقة السودان الاوسط عندما نشرت «المجلة الجغرافية» الملاحظات التي ارسلت بها هذه الرحالة . وأهم ما في هذه الملاحظات ما قالته الآنسة ماكلويد بخصوص اللفتنانت بويد الاسكندر Leut Boyd Alexander الذي وجدته مدفونا بالقرب من أخيه الاصغر كلود Claud الذي توفي سنة ١٩٠٤ م ودفن في المقبرة الصغيرة الموجودة في مايفوني Maifoni على أمل ان تكون هذه المقبرة مكانا مخصصا لدفن جميع الاشخاص البيض الذين يموتون في تلك المنطقة . وكان من بين الذين دفنوا في المقبرة الرحالة الالماني افرويج Overweg الذي كان له نشاط كبير في حركة الكشوف الجغرافية لهذه المنطقة . وقد مر هذا الرحالة الالماني بليبيا . وكذلك يوجد هناك قبر الرحالة بوردت Burdett الذي ساهم في هذا الميدان .

هذه الملاحظات التي بعثت بها الآنسة ماكلويد والتي نشرتها المجلة يمكن ان تفيد رغم قلتها أولئك الذين يريدون الكتابة عن الرحالة الاوربيين الذين كانت لهم جهود في حركة الكشوف الافريقية عبر الصحراء الكبرى وخاصة أولئك الذين مروا بليبيا وكان لهم نشاط جغرافي فيها .



85 — The Monthly Record, M. Pervinquiere's Journey to Ghadames. The Geographical Journal. September, 1911. P. 317.

سبق للمجلة الجغرافية ان كتبت عن موضوع الحدود بين ليبيا وتونس في عددها (١٠٠) الصادر في يوليو ١٩١١ وأشارت الى البعثة العلمية التي صاحبت عملية تعيين الحدود المشتركة والتي اسندت رئاستها الى عالم الجيولوجية المشهور المسيو برفينكويير Pervinquière الذي كلف بفحص

١٠٠ – راجع البحث رقم ٦ والبحث رقم ٤٥ .

المنطقة الملاصقة للحدود من الناحية الجيولوجية باختبار مواردها المعدنية. وبعد عودته قام باعطاء تقرير عن الرحلة أمام الجمعية الجغرافية في باريس . وقد نشرت مجلة هذه الجمعية هذا البحث في عددها الصادر في يونيو ١٩١١ .

ويعلق كاتب المقال في «المجلة الجغرافية» على المقال الفرنسي بأنه اذا كانت واحة غدامس قد قام بزيارتها الكثير من الرحالة في الازمنة السابقة الا انها اغلقت عمليا أمام الاوربيين طيلة الاربعين سنة الماضية . ولكن كاتب المقال يعود فيقول ان الرحالة كورنيتز Cornetz قد نجح في الوصول اليها ولكن بطريقة التنكر ولمدة قصيرة لا تزيد عن الساعات المعدودة .

ولكن العالم الفرنسي المسيو برفينكويير Pervinquière استطاع الوصول الى واحة غدامس في مدة ١٨ يوما بعد مغادرته لباريس بسبب الظروف المواتية التي صاحبت عملية بعثة تعيين الحدود الليبية التونسية. وكان التقرير الذي قدمه هذا العالم الفرنسي عن رحلته هذه هاما . وقد وصف فيه الطريق الذي سلكه في رحلته وعن الاحوال السائدة في واحة غدامس . وقد لاحظ الرحالة ان الحالة العامة في واحة غدامس توحي بالتدهور اذ ان الكثير من اراضيها الزراعية قد هجرها اهلها وان اشجار النخيل اهملت لتنتهي . ويشير الرحالة الى أهمية عين غدامس كمصدر اساسي للمياه والى فضلها في وجود هذه الواحة وان كانت كمية المياه التي تعطيها في ذلك الوقت لا تزيد عن ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ لتر من المياه في الدقيقة . وسجل الرحالة الفرنسي في تقريره ان النشاط التجاري للواحة قد اخذ في التدهور بالنسبة لما كان عليه الحال في السابق . ويعطي الرحالة فكرة عن سكان غدامس في ذلك الوقت وتكوينهم الجنسي ومدى غلبة مجموعة ايفوغه Ifogha من الطوارق عليهم . وقد كانت هذه المجموعة تقيم على مسافة ليست بالبعيدة من واحة غدامس . ويختتم الرحالة ملاحظاته عن غدامس قائلا بوجود بعض الأمل في احياء رخاء هذه الواحة تحت الحكم العثماني .

واذا كان جامي بك قد سجل لنا وصفا لاحوال واحة غات وتاريخها ودورها في تجارة القوافل فان هذا الرحالة الفرنسي بتقريره عن واحة غدامس قد قام بنفس المهمة (١٠١) . والواقع ان هاتين الواحتين كان

---

١٠١ ــ راجع البحث رقم ٣٩ .

لهما دور هام في تجارة القوافل والتاريخ الاقتصادي للبلاد ولا يمكن دراسة هذه الناحية دون الكلام عن غات وغدامس في هذا الخصوص بالاضافة الى أهمية واحة مرزق . وعلينا ان نلاحظ ان ما جاء بخصوص واحة غات على يد جامي بك وما جاء بخصوص واحة غدامس على يد هذا العالـــم الفرنسي قد سجل فـــي وقت متقارب مما يزيد فـــي اهمية هذيـــن التقريرين بالنسبة لموضوع تجارة القوافل ودورها فـــــي حياة البلاد الاقتصاديـــة .



86 — The Monthly Record, Mr. Cowper's Journey in Tripoli. The Geographical Journal. October 1895. PP. 384 - 85.

كان المستر هـ.س. كاوبر (١٠٢) H.S. Cowper قد انتهى من رحلته الاولى التي قام بها الى مرتفعات غريان وترهونة ومسلاته فـــي ١٨٩٥ . وقد قام هذا الرحالة باعطاء تقرير واف عن هذه الرحلة فـــي الاجتماع الذي عقدته الرابطة البريطانية في بلدة ابسويتش Ipswich وقامت «المجلة الجغرافية» في تقريرها الشهري الذي اعتادت ان تلحقه بآخر المجلة باعطاء بعض الملاحظات عن هذه الرحلة . ويذكر هذا التقرير خلاصة المحاضرة التي القاها كاوبر في هذا الاجتماع عـــن رحلته المشار اليها . وأهم ما جاء في هذه الخلاصة هو اعطاء بعض المعلومات البشرية والتاريخية والاجتماعية عن سكان ترهونة واعجاب المحاضر بهم . ويذكر هذا التقرير ان الرحالة كاوبر قد زار في رحلته هذه بعض المناطق التي لم يسبقه اليها اي رحالة انجليزي آخر . هذا وخلاصة هذا التقرير تفيد في دراسة النشاط الذي قام به هذا الرحالة وتعريفه بالبلاد في بعض الاوساط العلمية في وقت اخذت فيه الانظار تتجه الى تقرير مصير ليبيا كآخر جزء من املاك الدولة العثمانية في الشمال الافريقي .

---

١٠٢ ـ راجع الابحاث ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

37 — The Monthly Record, Mr Vischer's Journey Across The Sahara. The Geographical Journal, December 1906. PP. 635-36.

هذه كلمة ثالثة (١٠٣) عن رحلة هانز فيشر نشرتها «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر بتاريخ ديسمبر ١٩٠٦ . ولم يكن هذا الرحالة قد نشر كتابه عن الرحلة التي قام بها عبر الصحراء الكبرى من مدينة طرابلس الى شمالي نيجيريا .

تشير هذه الكلمة الى ان الرحالة هانز فيشر قد كتب بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٠٦ بعد وصوله الى مرزق تقريرا عن رحلته حتى واحة مرزق. ويستفاد من هذا التقرير انه قد اتبع طريق الرحالة الالماني الدكتور هنري بارث بصفة عامة مارا بمزده والحمادة الحمراء وبعد ذلك سار تقريبا مع طريق الرحالة إ. فون باري E. Von Bary الى قرية تكركيبه فمرزق. وقد استطاع الرحالة ان يأخذ بعض النقط والملاحظات لرسم خريطة للطريق وأنه بفضل الضابط التركي (١٠٤) الذي رافقه استطاع الحصول على معلومات كثيرة عن القبائل المنتشرة بطول الطريق . ويلاحظ الرحالة ان واحة مرزق قد تغيرت بعض الشيء عما كانت عليه ايام الرحالة الالماني رولفس والرحالة الالماني الآخر الدكتور نختجال الذي اتى بعده . ولكن اهمية مرزق كمركز للتجارة قد تدهورت . وكان الرحالة هانز فيشر يظن ان في الامكان استعادة الاهمية التجارية لمرزق باعادة الرخاء الى بورنيو. وتشير هذه الكلمة ايضا الى ان الوضع السياسي لم يكن حسنا تماما للرحالة الاجانب بسبب الاحتلال الفرنسي لواحة بلما Bilma ومحاولتهم الزحف نحو واحة غات وبسبب ما كان من منازعات بين التبو والطوارق . اما القبائل العربية الاخرى التي كانت تعيش في المناطق الشمالية فيبدو ان السيطرة عليها كانت أقل مما هو معروف وشائع . وتشير هذه الكلمة ايضا الى الفائدة العلمية التي تحصل عليها هذا الرحالة اثناء عبوره لمنطقة الحمادة ومنطقة الرمال الواسعة التي تقع الى الجنوب من الحمادة . وقد قام الرحالة ببعض الدراسات للآثار الرومانية والمساكن والمنشآت في جوف الارض في المنطقة الجبلية الواقعة فيما بعد غريان . وقد شاهد

---

١٠٣ ـ راجع الابحاث السابقة .

١٠٤ ـ اشارة الى جامي بك حاكم غات . راجع البحث رقم ٤١ .

الرحالة بقايا مساحات كبيرة من الغابات المتحجرة قبل الوصول الى واحة مرزق .

وبهذا العرض المختصر نجح الكاتب في اعطاء خلاصة لهذا التقرير الذي بعث به الرحالة من واحة مرزق بعد وصوله اليها .

***

88 — The Monthly Record, Natural Resources of Tripoli. The Geographical —Journal, May, 1901. P. 531.

هذا الجزء من التقرير الشهري الذي نشرته «المجلة الجغرافية» بعددها الصادر في مايو ١٩٠١ يتناول المصادر الطبيعية لليبيا . ويجب ان نلاحظ ان هذا العدد من المجلة الجغرافية هو اول عدد منها يصدر في بداية القرن العشرين حاويا بعض المعلومات التي تتعلق بالتاريخ الاقتصادي للبلاد في وقت كانت فيه المساومات الدولية على أشدها بخصوص تقرير مصير ليبيا . ويزيد من اهمية معلومات هذا التقرير انها مستقاة من التقرير الذي اصدرته وزارة الخارجية البريطانية حديثا في ذلك الوقت. وقد كان به الكثير من المعلومات المفيدة عن المصادر الزراعية والطبيعية للبلاد . ويمكن ان نعرف المساحة القابلة للزراعة في ليبيا في اول القرن العشرين وكمية الامطار والمحاصيل الزراعية التي كان في الإمكان الحصول عليها بالرجوع الى هذا التقرير . ويتحدث التقرير عن مصادر المياه الجوفية في ذلك الوقت والمصاعب التي كانت تعترض النمو الزراعي . وينتقل بعد ذلك الى زراعة الشعير وأهميته بالنسبة لحياة السكان كمادة غذائية اساسية . وكيف كانت بريطانيا أهم سوق لهذا المحصول في ليبيا الا ان ضعف المحصول في السنوات التي كانت فيما بين١٨٨٦ و١٨٩٩ جعلت كميات الشعير المستوردة تزيد عما كان يصدر منه . اما المحاصيل الاخرى التي كانت تنتجها البلاد في نهاية القرن التاسع عشر وقت صدور التقرير فكانت تشمل القمح والتمور والزيت والموالح . وكانت التمور غالبا ما تستهلك محليا اذا قل محصول الشعير وأما بقية المحاصيل باستثناء القمح فكانت تصدر الى حد ما . وأما بقية الصادرات فكانت تعتمد اساسا على الحلفا والماشية والصوف والبيض والجلود الخام والمدبوغة . ويعطي التقرير احصائية مفيدة عن مقدار قيمة الواردات

والصادرات في السنوات العشرة النهائية من القرن التاسع عشر اذ كان متوسطها ما بين ٣٠٠٠٠٠ و٤٠٠٠٠٠ جنيها استرلينيا سنويا . اما الجلود التي كانت تأتي بها القوافل من السودان فقد كانت تقدر قيمتها بحوالي ٢٠٠٠٠٠ جنيها استرلينيا . وفي النهاية يلخص الكاتب القوة الانتاجية للبلاد في ازدياد قوتها الاستهلاكية الخاصة والتي يمكن تقدير قيمتها بحوالي ١٦٠٠٠٠ من الجنيهات . اما ما مدى اثر مثل هذه المعلومات التي كانت تنشرها المجلات العلمية الانجليزية حول ليبيا وما يكتبه كتابها بخصوص ثروة البلاد وامكانياتها في التأثير على الاتجاه العام لسياسة ايطاليا التي كانت ترنو بنظرها الى ليبيا وتستعد لتحين الفرص للقيام باحتلال ليبيا فهذا من الصعب ادراكه الا من خلال المصادر الايطالية التي كانت تعارض السياسة الايطالية في مشروعها التوسعي في ليبيا وخاصة ما كان يقوم به كتاب الحزب الاشتراكي في هذا الخصوص .



89 — The Monthly Record, New Journey of M. de Mathuisieulx in Tripoli. The Geographical Journal, December 1903. PP. 700 - 701 .

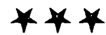
هذا عرض (١٠٥) تنشره «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر بتاريخ ديسمبر ١٩٠٣ عن رحلة الاستاذ هنري مهيير ماثويسيي في طرابلس والتي قام بها في ١٩٠١ اي في بداية القرن العشرين . واذا كان الكاتب قد اعتبر الرحلة الاولى في السنوات الحديثة لذلك الوقت الا ان المجلة علقت على هذا القول بأنه كثيرا ما تردد بين مختلف الاوساط بأنه لم يسمح لأي رحالة أوربي باستثناء الاستاذ ماثويسيي بالسفر في دواخل طرابلس الغرب في السنوات الحديثة في ذلك الوقت . ولكن هذا القول غير صحيح تماما لان المستر دودسن Dodson وصل الى مرزق منذ سنتين بالنسبة لظهور المقال . وقد اشار كاتب المقال الى استمرار الرحالة الفرنسي في نشاطه العلمي . وقد نشرت مجلة Tour du Monde في عددها

---

١٠٥ ـ راجع البحث رقم ٣٠ .

الصادر في ٢٩ اغسطس ١٩٠٣ بعض النشاطات التي قام بها الرحالة . ويذكر الكاتب ان الرحالة هنري مهير ماثويسيي قد نجح في جمع المعلومات العلمية عن المناطق التي زارها كما عاد ومعه الكثير من المواد المتعلقـــــة بدراسة جغرافية البلاد وثروتها الحيوانية ومعالمها البشرية وغير ذلك من المعلومات المفيدة . وقال الكاتب ان الرحالة الفرنسي سيقوم فــي القريب العاجل بتقديم تقرير كامل عن الرحلة الى وزير الاشغال العامة . وان هذا التقرير بدون شك سوف ينشر من وقت لآخر مثل تقرير الرحلة السابقة والموجود في اخبار ارشيف البعثات العلمية .

هذا المقال يفيد في دراسة تاريخ الرحالة الاوربيين الذين اتوا الـــى ليبيا وخاصة أولئك الذين سبقوا الغزو الايطالي . ويفيد في دراســـة الصدى الذي احدثته هذه الرحلة التي قام بها هنري مهير ماثويسيي في الاوساط العلمية الانجليزية .



90 — The Monthly Record, Notes on Tripoli. The Geographical Journal. June, 1893. PP. 448 - 49.

يشير الكاتب الى احد التقارير القنصلية السنوية التي كانت تبعث بها القنصلية البريطانية في ليبيا . وكان هذا التقرير القنصلي بتاريـــخ ١٨٩٣ وهو يتناول تجارة بنغازي . يذكر التقرير انه في ١٨٩١ م كانت حركة تصدير الحيوانات كبيرة بشكل غير عادي بسبب قلة كمية الامطار التي سقطت اثناء شهور فصل الشتاء مما ترتب عليـــه قلة المراعي. ويذكر الكاتب ان ١٩ الف رأس من الماشية قد تم تصديرها اي ضعف العدد الذي صدر في ١٨٩٠ م. وقد صدرت هذه الاعداد من الماشية الى مالطة وخانيا بجزيرة كريت والاسكندرية . وصدرت بنغازي كذلك حوالي ٤٠٠ حصانا وأكثر من ثمانية آلاف رأس من الغنم الى هذه البلاد السابقة الذكـــر بواسطة البحر . وصدرت أعداد اكثر من الاغنام برا الى مصر .

ويقول الكاتب ان التقرير يذكر ان هناك كانت تجارة محترمـــة بين بنغازي ووادای والبلاد الاخرى الواقعة في السودان الاوسط . وكانت هذه التجارة تتم بواسطة القوافل. وكانت هذه القوافل تأتي بكميات كبيرة

من العاج وريش النعام الى مدينة بنغازي وتأخذ معها عند العودة جنوبا الى السودان بضائع قطنية بريطانية . ويقول الكاتب ان هذه الحركة التجارية قد اخذت في نهاية ١٨٩١ تتعرض للخطر بسبب ما كانت تتعرض له من هجمات للقبائل الثائرة . ويذكر الكاتب ان طريق القوافل بين درنة ومصر لم يكن في أمان تام للاسباب نفسها . ويشير الكاتب الى تجارة الملح في بنغازي فيذكر ان كميات الملح المستخرجة من ملاحات بنغازي قد زادت بالتدريج خلال السنوات الخمسة مع ان الكميات المباعة قد تناقصت . اما عدد السفن والمراكب البحرية التي استخدمت في صيد الاسفنج فقد زاد في ١٨٩١ م. وكانت هذه الزيادة ملحوظة بشكل اكثر في السفن اليونانية . ويختم الكاتب كلامه بفقد الامل في حدوث تطور اقتصادي منتظم في بنغازي للحاجة الى الاتصال التلغرافي .

وهكذا نجد ما كتبه هذا الكاتب في تقريره الشهري يفيد في دراسة الاوضاع الاقتصادية للبلاد وثروتها الحيوانية وأسواقها . ويفيد كذلك في دراسة النشاط التجاري للقوافل مع الجهات الداخلية في السودان وانواع هذه التجارة والاخطار التي كانت تتعرض لها . ويفيدنا هذا التقرير في دراسة تاريخ صيد الاسفنج وتجارة الملح الذي كان يستخرج من ملاحات بنغازي .

وأخيرا يجب الا ننسى ان هذا التقرير يعطينا فكرة عن أهمية التقارير التي كان يقوم بها قناصل الدول الاجنبية في البلاد والاتجاهات التي تتناولها هذه التقارير التي كانوا يبعثون بها الى حكوماتهم والتي على ضوئها كانت ترسم هذه الحكومات سياستها الخارجية مع هذه البلاد .

***

91 — The Monthly Record, The Desert of Wadi Halfa; The Geographical Journal. April, 1908. PP. 442 - 44.

هذا التقرير الشهري الذي نشرته «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر في ابريل ١٩٠٨ يتناول منطقة الصحراء الواقعة الى الغرب من وادي حلفا . وقد تضمن هذا التقرير الملاحظات التي ارسلها الضابط كومين Comyn الى المجلة حول الرحلة التي قام بها في هذه المنطقة الصحراوية والتي لم تكن مطروقة كثيرا في ذلك الوقت حسب ما جاء في

المجلة . وكانت «وادي حلفا» نقطة بداية الرحلة وقد اتجه نحو الشمال الغربي مستفيدا من طريق القوافل القديم الذي كان يربط مدينة اسيوط في صعيد مصر بمنطقة دارفور الواقعة في غربي السودان . وما زال هذا الطريق معروفا بدرب الاربعين او طريق الاربعين يوما لان الزمن اللازم لقطعه كان يستغرق هذا العدد من الايام . وقد سبق للرحالة الانجليزي و.ج. براون W.G. Browne ان استفاد من هذا الطريق في أواخر القرن الثامن عشر .

وتضم الملاحظات التي بعث بها الرحالة كومين حول هذه المنطقة التي ارتادها وصفا لأهم معالم الحياة الحيوانية والنباتية التي شاهدها . وتضم كذلك وصفا لمعالم الواحات المتناثرة التي مر بها . ولكن اهم ما جاء في هذه الملاحظات امكانية فتح طريق عبر المنطقة التي ارتادها الى ليبيا بالاستفادة من هذه الواحات المتناثرة وآبار المياه الموجودة .

وجدير بالذكر انه بعد ستين سنة من نشر هذه الملاحظات نجد حكومة جمهورية السودان في عهد رئاسة محمد محجوب تفكر في محاولة الاستفادة من فتح طريق بري يربطها بليبيا شمالا للاستفادة من الموانى الليبية ولتنشيط حركة التبادل التجاري بين البلدين بعد ان أصيبت التجارة الخارجية للسودان بهبوط كبير بسبب اغلاق قناة السويس نتيجة للحرب التي قامت بين العرب واسرائيل في يونيو ١٩٦٧ . وقد أثار الوفد السوداني برئاسة محمد محجوب في الزيارة الرسمية التي قام بها لليبيا في ١٩٦٨ موضوع التبادل التجاري عبر الطريق البري الذي يربط واحة الكفرة ببلدة اجدابية .

هذا وقد اقترنت هذه الملاحظات العلمية عن هذه المنطقة بخريطة جغرافية لها تبين خط سير الرحالة وأهم المراكز التي مر بها .

***

92 — The Monthly Record, The Tunis - Tripoli Frontier. The Geographical Journal. Juby, 1911. PP. 74 - 5.

كان الشمال الافريقي باستثناء المملكة المغربية جزءا من الامبراطورية العثمانية حتى القرن التاسع عشر عندما بدأت الدولة العثمانية تفقد هذه المنطقة بالتدريج عندما اغارت فرنسا على الجزائر في ١٨٣٠ م وانتزعتها

لنفسها . وما لبثت فرنسا ان مدت نفوذها الى تونس واحتلتها في ١٨٨١ م كما احتلت بريطانيا مصر ١٨٨٢ م. وبقيت ليبيا حتى خريف ١٩١١ عندما اغارت عليها ايطاليا للاستيلاء عليها بعد ان كانت اشبه ما تكون بالمنطقة الفاصلة بين منطقة النفوذ البريطاني في الشرق ومنطقة النفوذ الفرنسي في الغرب' . وقد اخذ النفوذ البريطاني يتوغل مع وادي النيل جنوبا بعد الاستيلاء على مصر كما اخذ النفوذ الفرنسي يتوغل في السودان جنوبا عبر الصحراء الكبرى بعد الاستيلاء على الجزائر وتونس . وكان لهذا التوسع الاوربي الذي اخذ يتغلغل في المناطق المجاورة لليبيا أثره الواضح في مستقبل ليبيا وتقرير مصيرها . وكان من اهم هذه الآثار ظهور مشاكل الحدود لليبيا مع الجيران بعد ان تغيرت السيادة على المناطق المجاورة وتعددت عما كانت عليه في السابق في العهد العثماني .

وكان على العثمانيين اصحاب السيادة في ليبيا ان يواجهوا مسألة تحديد الحدود المشتركة بين ليبيا وتونس بعد ان بسط الفرنسيون حمايتهم على الايالة التونسية . وقد بدأت المفاوضات بين الطرفين في هذا الخصوص وانتهت باعلان النتيجة (١٠٦) في صيف ١٩١٠ .

وتذكر المجلة ان البعثة الفرنسية التي قامت بالمفاوضات كانت برئاسة الضابط دونو Donau . اما العمليات الطبوغرافية فقد كانت تحت اشراف الكابتن بوي Boué . ولكن المجلة بكل اسف لم تزودنا باسماء الوفد التركي الذي قام بالمفاوضات في هذا الخصوص .

وقد وردت في هذا التقرير الشهري بيانات أخرى تفيد في دراسة هذا الموضوع من أهمها الاشارة الى المجلة الفرنسية المعروفة باسم «المصور» «L'Illustration» التي صدرت بتاريخ ١٠ يونيو ١٩١١ م والتي كتب فيها م. برفينكوير M. Pervinquière تقريرا مختصرا عن العمليات التي اجريت بخصوص تحديد معالم الحدود المشتركة بين ليبيا وتونس . وقد كان م. برفينكوير على رأس بعثة علمية لدراسة المناطق الجنوبية لتونس . وأرفق الكاتب تقريره بخريطة توضيحية لما ذكر من بيانات جغرافية . وقد اقتبست «المجلة الجغرافية» هذه الخريطة الجغرافية ونشرتها مع هذا التقرير الشهري الذي نقوم باستعراضه في هذه السطور.

وتذكر «المجلة الجغرافية» ان الحدود المشتركة بين ليبيا وتونس تبدأ

---

١٠٦ – راجع البحث رقم ٩٤ .

من رأس اجدير Ras Ajedir على ساحل البحر الابيض المتوسط في اتجاه الى الجنوب الى نقطة تقع الى الغرب من واحة غدامس على بعد ثمانية اميال منها . وقد تم تحديد معالم هذه الحدود باعمدة . واعطيت تونس طريقا للقوافل نحو الجنوب لا يعوق عبورها الا بعض الرمال القليلة. وعلينا ان نلاحظ ان طرق القوافل كانت من أهم طرق المواصلات في ذلك الوقت .

وقد انتهزت البعثة الفرنسية هذه الفرصة وأقامت نصبا تذكاريا لسيىء الحظ ماركوي دي موري (١٠٧) Marquis de Morés في المكان المعروف باسم مشيجيج Mshigig شمالي غربي واحة غدامس وجنوبي غربي واحة سيناون وبالقرب من بئر الوطية Elwatia بالذات. وكان ماركوي موري قد قتل في ١٨٩٦ . واستطاع م. بروفينكوير السابق الذكر ان يحصل على تفصيلات هذا الحادث من خادم القتيل نفسه.

وبهذا التقرير خريطة جغرافية تبين تخطيط الحدود بين ليبيا وتونس كما وضعتها اللجنة المشتركة في ١٩١٠ . وقد نقلتها «المجلة الجغرافية» عن مجلة «المصور» الفرنسية . ولكن «المجلة الجغرافية» تعلق على هذه الخريطة في هامش ص ٧٥ بان هذا المخطط الجغرافي لا يعطي المواقع الصحيحة كما حددتها اللجنة المشتركة لتحديد الحدود بين البلدين .

وهكذا كان هذا التقرير الشهري رغم قصره غنيا بالمعلومات الطريفة بخصوص دراسة الحدود بين ليبيا وتونس من حيث المعلومات ومن حيث المراجع الاخرى التي يمكن الرجوع اليها للاستزادة في هذا الموضوع .

***

93 — The Monthly Record, The Tunis - Tripoli Frontier. The Geographical Journal, August, 1910. P. 221.

يتناول التقرير الشهري الذي نشرته «المجلة الجغرافية» بعددها الصادر في اغسطس ١٩١٠ نبذة عن الحدود الليبية الغربية المشتركة مع تونس . وقد جاء هذا التحديد بعد نزاع مستمر بين سكان الجهات المتجاورة الشيء

---

١٠٧ – راجع البحث رقم ٩٨ .

الذي أدى فيما بعد الى الاحتكاك بين القوات التركية والفرنسية . وقد تم اخيرا تسوية هذا الموضوع بين الطرفين على ان يمتد خط الحدود بين رأس اجدير على الساحل شمالا الى جناين جنوبا وقد تركت دهيبات لتونس ووازن وما حولها من مراع لليبيا . وبهذا التحديد استطاعت تونس ان تؤمن سيطرتها التامة على طريق القوافل المتجه الى واحة غدامس مع آبار منتصر وكريشم الهوجا Kreshem el Hauja وتيارات Tiarat بينما قسمت آبار زار Zar ومشيجيج Meshigig بين البلدين (١٠٨).

وينتهي تقرير المجلة بالاشارة الى موضوع تحديد الحدود بين ليبيا والجزائر والذي لم ينته بعد . ويشير الكاتب بذلك الى تحديد تبعية واحة جانت Janet التي كانت الموضوع الرئيسي في سبيل الوصول الى الاتفاق بين السلطات الفرنسية في الجزائر والسلطات العثمانية في ليبيا بخصوص الحدود الليبية الجزائرية المشتركة . وعلينا ان نلاحظ ان هذا النزاع جاء نتيجة لبسط السيادة الفرنسية على كل الجزائر (١٨٣٠) وتونس (١٨٨١) ونتيجة لتغلغل النفوذ الفرنسي في الصحراء الكبرى واصطدامه بالسيادة العثمانية التي تشمل اجزاء كبيرة من الصحراء الكبرى والتي امتدت حتى شملت شمالي تشاد . وقد انتهى هذا النزاع بخصوص واحة جانت فيما بعد بخروجها من الحدود الليبية .

بقي ان نقول ان «المجلة الجغرافية» قد نشرت في عددها الصادر في نوفمبر ١٩١٠ مقالا للاستاذ ادوارد هيود Edward Heawoods الموظف بمكتبة الجمعية الجغرافية الملكية وقد استعرض فيه ما كتبه الاستاذ هـ . مارشاند H. Marchand باللغة الفرنسية بخصوص ما وقع بين الاتراك والفرنسيين على الحدود الليبية وذلك في المجلة الفرنسية المعروفة باسم «Reu. Francaise 35» . وقد جاء المقال بعنوان «La Tripolitaine et l'incident Franc - Turc»



94 — The Tripoli Enterprise, The Geographical Journal, March, 1914. P. 328.

نشرت «المجلة الجغرافية» في عددها الصادر بتاريخ مارس ١٩١٤

---

١٠٨ ـ راجع البحث رقم ٩٣ .

عرضا للكتاب «ايطاليا في شمالي افريقية» «Italy in North Africa» تحت عنوان «المشروع الطرابلسي» . ومؤلف هذا الكتاب هو و.ك. مكليور W.K. Mecclure . وقد صدر الكتاب في لندن في ١٩١٣ . وكان المؤلف قد اقام في مدينة طرابلس مدة اربعة او خمسة شهور فيما بين ١٩١١ و١٩١٢ اي اثناء الغزو الايطالي للبلاد واشتداد المعارك بين الطرفين. ويعتبر كاتب المقال الغزو الايطالي لليبيا حادثا هاما في تاريخ البحر الابيض. وهو يعتبر الغزو الايطالي لليبيا استرجاع لهذه البلاد لاصحابها ويستدل على ذلك بكثرة الآثار الرومانية المنتشرة فيها وقد كانت جزءا من الامبراطورية الرومانية . وكاتب المقال في قوله هذا يساير بعض الكتاب الذين كانوا يحاولون تبرير الحملة الايطالية على ليبيا ويتلمسون لهـا الاسباب والمبررات . ونسي الكاتب ان انجلترا كانت جزءا من الامبراطورية الرومانية وكان عليه ان يبدأ بالمناداة بهذه التبعية الرومانية بالنسبة لبلاده. ولما كانت الآثار الرومانية الموجودة في ليبيا هي السند الاساسي لتبرير استيلاء ايطاليا على ليبيا لهذا نجد مؤلف الكتاب يعطي اهمية خاصة لهذه الآثار ويتناولها بالشرح والوصف . وقد اشار كاتب المقال الى اهتمام هذا المؤلف بآثار صبراته ولبدة . ويشير كاتب المقال الى الحالة التي كانت عليها سواحل ليبيا وهضبة الجبل الاخضر من ازدهار في العهد الروماني ويستدل على ذلك بوجود بقايا قنوات وخزانات المياه والتماثيل والنقود والفخار وقطع الفسيفساء والقبور وكلها تشير الى ما كانت عليه هـذه المنطقة من رخاء وما يؤيد فكرة امكانية احياء هذه المنطقة برجوع ايطاليا اليها .

يعطي كاتب المقال اهمية خاصة لاستعراض الفصل الاول من كتاب «ايطاليا في شمالي افريقية» اذ ان مؤلف هذا الكتاب يسجل الاحداث العالمية الكبرى وتطوراتها منذ ١٨٣٨ م عندما كان مازيني (١٠٩) Mazzini رسول الحرية والقومية في ايطاليا ومؤسس جمعية ايطاليا الفتاة يطالب بشمال افريقية لايطاليا مع ان ايطاليا لم تكن قد ظهرت حتى ذلك الوقت كوحدة سياسية . ويعطي كاتب المقال ايضا بعض الاشارات الهامة لما جاء في الفصل الختامي لهذا الكتاب .

خلاصة القول ان مقال «المجلة الجغرافية» حول كتاب «ايطاليا فـي

---

١٠٩ – عاش ١٨٠٥ – ١٨٨٢ م.

شمالي افريقية» قد اعطانا صورة عامة لما يحتويه هذا الكتاب ودعـــوة التأييد التي قام بها المؤلف بخصوص احتلال ايطاليا للبلاد بعكس ما جاء في كتاب «حرب ايطاليا من اجـــل صحراء» لمؤلفه فرانسيس مكـــولاغ Francis Mccullagh والذي تم استعراضه (١١٠) .

***

95 — Todd, Mabel Loomis; Tripoli The Mysterious. London, 1912. xv, 214 PP.

قامت السيدة مابل لوميز تود Mabel Loonis Todd بتأليـف هذا الكتاب «طرابلس الغامضة» وقد صدر في لندن في ١٩١٢ . وهذه السيدة من مواليد ١٨٥٨ وقد زارت مدينة طرابلس مرتين بصحبة زوجها . وكانت المرة الاولى في ١٩٠٠ اما المرة الثانية فقد كانت في ١٩٠٥ . وهذا الكتاب جاء نتيجة لهاتين الزيارتين وهو اول كتاب لسيدة امريكية يكتب عن ليبيا وثاني كتاب يكتب باللغة الانجليزية لامـــرأة بعد كتاب مس توللي (١١١) فيما أعلم . والملاحظ ان الكتاب خفيف القراءة كما هي العادة في معظم كتب السيدات . وقد تناول اشياء من جوانب البلاد قد لا يسهل على الرجل الالتفات او الوصول اليها .

جاءت هذه السيدة الامريكية بصحبة زوجها الاستاذ تـــود Todd الاستاذ بجامعة مساتشوستس الامريكية Massachuestts الى مدينة طرابلس في مايو ١٩٠٠ ثم عادت اليها في اغسطس ١٩٠٥ . وكان الغرض من حضور زوجها الى مدينة طرابلس مشاهدة ظاهـــرة كسوف الشمس وتسجيل بعض الظواهر الفلكية المتعلقة بالكسوف باعتبار انه كان أوضح ما يكون في مدينة طرابلس وقت حدوثه . واستطاعت هذه السيـــدة ان تسجل ما شاهدته من ظواهر اجتماعية واقتصادية وسياسية في المدينة حتى اذا اغارت ايطاليا على ليبيا في أواخر ١٩١١ عادت هذه السيدة الى ما سبق لها ان سجلته ونشرته في هذا الكتاب .

---

١١٠ ـ راجع البحث رقم ٥٠ .

١١١ ـ راجع البحث رقم ٨٦ في الجزء الاول .

والملاحظ ان الكتاب يمثل نوعا من القراءة الخفيفة وان كل فصل منه يتحدث عن موضوع خاص لا رابط بينه وبين الموضوع الأخر الا ارتباط كل الموضوعات بمدينة طرابلس وأحوالها . ومع هذا استطاعت الكاتبة ان تثير بعض النقط الهامة في تاريخ البلاد وأن تلقي الضوء على بعض أحداثها. هذا فضلا عن اهمية الكتاب كمصدر هام في دراسة تاريخ مدينة طرابلس بصفة خاصة وتاريخ ليبيا بصفة عامة في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وأعني بذلك فترة ما قبل الاحتلال الايطالي .

وبخلاف التقديم نجد الكتاب يحتوي على ثلاثين فصلا بما في ذلك المقدمة التي كانت الفصل الاول للكتاب . وهناك فهرس للاسماء وعـــدد كبير من الصور التي اصبح لبعضها قيمة تاريخية لدراسة بعض اماكن المدينة وما حدث فيها من تطور منذ بداية القرن الحالي وبعضها يتعلـــق بأحداث او مناسبات تاريخية معينة شاهدتها مدينة طرابلس ويصعب علينا الآن تصورها .

ومع ان الكتاب في موضوعاته يتناول الفترة السابقة للغزو الايطالي وما يتعلق بها من أحداث تاريخية الا ان الكاتبة بدأت كتابها بمقدمة تناولت فيها عملية الغزو الايطالي التي نكبت بها المدينة في أوائل خريف ١٩١١ . وقد استطاعت الكاتبة أن تحصل على وصف لنزول القوات الايطالية في مدينة طرابلس من صديقة انكليزية لها كانت تقيم في طرابلس وقـــد شاهدت عملية ضرب المدينة من جانب السفن الايطالية كما شاهدت نزول القوات الايطالية الى الساحل وما صاحبها مـــن أحداث . وعلى ضوء هذه المعلومات المستقاة من شاهدة العيان اعطت المؤلفة وصفا دقيقا لحالـــة المدينة وما صاحب الغزو الايطالي من أحداث واجتماعات بين قناصل الدول الاجنبية لمواجهة هذا التغيير الدولي وما قد يسببه من متاعب لرعاياهم .

اما مقدمة الكتاب فقد تناولت بعض الجوانب من مظاهر تاريخ مدينة طرابلس التي اعتبرتها «ابنة البحر والصحراء» «Daughter of Sea and Desert» وبهذا التعبير المختصر لخصت الكاتبة تاريخ هذه المدينة على اساس العامل الجغرافي وأهميته في نشأة المدن وتطورها التاريخي . ولعل الكاتبة بهذا التعبير المختصر تشير الى الدور الكبير الذي لعبته مدينة طرابلس فـــي تجارة القوافل كسوق للتبادل التجاري بين انتاج مناطق السودان والانتاج الذي يصل اليها عبر البحر الابيض .

وتعتبر المؤلفة حوادث الغزو الايطالي التي تعرضت لها مدينة طرابلس في أواخر ١٩١١ بداية جديدة لاحداث تاريخية هامة تضاف الى تاريـــخ

المدينة الذي بدأ بتأسيس الفينيقيين لها واستمر طيلة العصور التاريخية التالية دون توقف كما حدث في بعض المدن الاخرى . هذا وتشير الكاتبة الى الرؤساء الدينيين للطائفة اليهودية في مدينة طرابلس واعتمادها عليهم في الحصول على الكثير من المعلومات التاريخية للبلاد . وقد وجدت فيهم على حد تعبيرها في مقدمتها للكتاب موردا طيبا للمعلومات . وأمام نهاية هذه المقدمة نشرت الكاتبة صورة لصيدلية ايطالية كما يتبين ذلك من اللوحة المعلقة على باب الصيدلية . وقد اخذت الكاتبة الصورة اثناء زيارتها للمدينة .

اما الفصل الثاني من الكتاب وعنوانه «طرابلس الغامضة» فقد بدأته الكاتبة واصفة الموقع الجغرافي للمدينة بأنها تقف بقدميها في مياه البحر الابيض المتوسط الزرقاء ورأسها في نار جهنم مولية ظهرها للصحراء الصامتة منذ الابد وهي تنتظر مصيرها النهائي . الى جانب هذه الكلمات المعبرة نجد الكاتبة تذكر ان معظم تجارة طرابلس كانت بأيدي اليهود والمالطيين بينما كانت هناك مصالح كبرى لايطاليا في البلاد . ولهذا تقول الكاتبة بأن الاحاديث كانت تهمس بأن طرابلس ستكون من نصيب ايطاليا في يوم ما «Sometime Tripoli Will be Italian» (ص ٣) . وبهذه العبارات الواضحة سجلت الكاتبة رأيها بخصوص مستقبل ليبيا بعد ان قامت بزيارة طرابلس في ١٩٠٠ وفي ١٩٠٥ . وشاهدت الكاتبة بنفسها مقدمات هذا المصير الذي كان ينتظر البلاد وما سمعته من احاديث في هذا الخصوص . وتعترف الكاتبة في هذا الفصل بأن ليبيا كانت تقوم بدور الفاصل بين تونس ومصر ولكن كل من فرنسا وبريطانيا كانت تنظر اليها نظرة مختلفة . وقد رجح معظم الساسة الاوربيين احتمال وقوع البلاد من نصيب ايطاليا . لقد كانت روما في يوم ما صاحبة السيادة في الشمال الافريقي فلماذا لا تطالب مرة اخرى بجزء من ميراثها القديم ؟ ومدينة طرابلس بحكم موقعها الطبيعي كمنفذ لثروة السودان يمكن جعلها ذات اهمية خاصة اذا قدر لها ان تكون في ايدي حكيمة . وتختم الكاتبة هذا الفصل بوصف حالة البلاد تحت الحكم العثماني ببعض الجمل القصيرة التي تدين الادارة العثمانية تمهيدا لتقرير مصير البلاد .

وفي الفصل الثالث تتحدث الكاتبة عن رحلة الكسوف الى مدينة طرابلس . وهي تعني بذلك مجيئها الى مدينة طرابلس في ١٩٠٠ والعودة اليها في ١٩٠٥ صحبة زوجها الفلكي لتسجيل ظاهرة كسوف الشمس التي كانت أوضح ما تكون في مدينة طرابلس بسبب العوامل الجغرافية والفلكية

المتوفرة للمدينة في ذلك الوقت . وما زلت اذكر حديث الوالد بخصوص هذا الكسوف وقد كان واضحا في مدينة مسراته وكيف تشاءم الناس من حدوثه واخذوا ينتظرون حدوث ما كانت تخبأه لهم الايام ممثلا في الغزو الايطالي في خريف ١٩١١ . وتشير الكاتبة الى جهاز الارصاد الذي أحضره زوجها معه وكيف اثار استغراب الاهالي مع ان العرب كانوا اول من اهتم بعلم الفلك . وقد قام الاستاذ تود زوج الكاتبة بتركيب جهاز الارصاد فوق مبنى القنصلية الانجليزية الذي كان يوجد بالمدينة القديمة في ذلك الوقت.

وتتحدث الكاتبة في الفصل الرابع عن الوصول الى مدينة طرابلس والطرق التي تؤدي اليها سواء عن طريق ايطاليا عبر جزيرة صقلية وجزيرة مالطة او عن طريق مارسيليا عبر تونس وموانيها الساحلية . وتعطـــي الكاتبة وصفا عاما لشوارع مدينة طرابلس وما فيها من حركة في الفصل الخامس وتسجل في كتابها ظاهرة حمل المفاتيح الكبيرة للابواب والسير بها في الشوارع . وتقول الكاتبة ان هذه العادة ملاحظة كذلك في مراكش والجزائر ولكنها هناك ربما تعني شيئا آخر وهو الاعتقاد الذي ما زال قائما بأن المغاربة الذين طردوا من الاندلس سيعودون يوما ما الـى بيوت اجدادهم وان هذه المفاتيح الكبيرة ستستعمل مرة أخرى وأنها المفاتيح الخاصة بهذه البيوت وقد احضرها معهم اجدادهم عندما اجبروا على ترك بلادهم في ١٤٩٢ م.

وتذكر الكاتبة انها لاحظت وجود جنسيات مختلفة بين سكان المدينة وان كان هناك ثلاث قنصليات اوربية هي القنصلية الفرنسية والقنصلية الايطالية والقنصلية الانجليزية . ولم تذكر الكاتبة وجود قنصلية للولايات المتحدة الامريكية في مدينة طرابلس وان كانت قد عادت فيما بعد وذكرت ان القنصلية الامريكية فتحت في ١٩١٠ م (ص ٤٨) مع ملاحظة ان الولايات المتحدة الامريكية قد بدأت نشاطها القنصلي في أواخر القرن الثامن عشر.

وتستعرض الكاتبة تاريخ البلاد بشكل مختصر جدا في الفصل السادس من هذا الكتاب ولكنها تخصص الفصل السابع للحديث عن العلاقـــات التاريخية بين ليبيا والولايات المتحدة الامريكية . وقد بدأت هذه العلاقات في الوجود عند نهاية الثورة الامريكية وفي ١٧٨٤ م على وجه التحديـــد بسبب تعرض السفن التجارية الامريكية وبحارتها للاسر نتيجة لما كانت تقوم به البحرية الليبية من نشاط بالاشتراك مع بحرية الشمال الافريقي تجاه السفن الاوربية وحلفائها . ولكن الملاحظ ان الكاتبة تكتفي في هذا الفصل ببعض الاشارات الخاطفة . وكان من المنتظر بحكم جنسيتهـــا

وزيارتها لمدينة طرابلس ان تعطي هذا الموضوع اهمية خاصة حتى يجد عندها القارىء المتخصص معلومات اكثر دقة وعمقا .

اما الفصل السابع فتخصصه الكاتبة للكلام عن قلعة الباشا او ما يعرف الآن بالسراي . وكانت هذه القلعة تضم الادارة العثمانية بمكاتبها المختلفة وعلى رأسها مكتب الباشا . وتعطي الكاتبة وصفا لاعمال ادارة المدينة من اضاءة وتنظيف . وكان في المدينة مجلس يختار الباشا اعضاءه للاشراف على هذه الاعمال وهو ما يمكن تسميته بالمجلس البلدي . وتعطي الكاتبة وصفا للاحتفال الذي اقامته الولاية في اول سبتمبر بمناسبة عيد جلوس السلطان على العرش . وقد ارفقت هذا الوصف بصورة لهذا الاحتفال الذي بدا منظما . وقد شارك فيه عليه القوم من الليبيين والموظفين الاتراك .

ويعتبر الفصل التاسع من أهم فصول الكتاب اذ تحدثت فيه الكاتبة عن سكان المدينة وحرفهم والمدارس الموجودة بها . وبما ان مصادر دراسة تاريخ التربية في ليبيا قليلة فان ما كتبته المؤلفة هنا يصلح لان يعطي فكرة واضحة عن أحوال التعليم في مدينة طرابلس في أواخر العهد العثماني . وبهذا الفصل صورة لتلاميذ المدرسة التركية مع أسرة التدريس فيها . وبدراسة هذه الصورة يمكن استنتاج الكثير من الحقائق التي تساعد في دراسة تاريخ التربية بالبلاد في ذلك الوقت .

وفي الفصل العاشر تتحدث الكاتبة عن القنصلية البريطانية حيث كانت توجد فيما يعرف الان بالمدينة القديمة . وتعطي الكاتبة وصفا حيا لها ولمكتبتها . وقد اشارت الكاتبة الى كتاب مس توللي الموجود بمكتبة القنصلية وأهميته وأفادت بأن خطابات المس توللي التي كان يضمها هذا الكتاب كانت موجهة الى Lady Marry Wortley Monta gu
واذا كان هذا صحيحا فتكون السيدة مابل لوميس تود مؤلفة هذا الكتاب اول من اهتدى الى هذه الحقيقة التي حاول ان يعرفها الكثيرون .

اما الفصل الحادي عشر فقد تحدثت فيه المؤلفة عن قوس ماركو اوراليو Marcus Aurélius المعروف باسم قوس الرخام كما تحدثت فيه عن الآثار القديمة الاخرى وأهمها آثار لبدة . ونشرت المؤلفة صورة لهذا الاثر الروماني وقد وجدته تحول الى محل لبيع الخمور ومستودع للفحم . ونجحت المؤلفة في تسجيل النصوص اللاتينية التي نجت من الضياع . وما كتبته المؤلفة بخصوص هذا القوس يفيد في دراسة تاريخ هذا الاثر الروماني والتطورات التي حلت به حتى يومنا هذا اذا تتبعنا أقوال الرحالة

المتتابعين الذين زاروا مدينة طرابلس وتركوا لنا وصفهم لهذا الاثر الروماني وانطباعاتهم عنه .

وابتداء من الفصل الثالث عشر حتى نهاية الفصل الثامن عشر نجد الكاتبة تعطي وصفا لعادات وتقاليد الاهالي وقد شاهدت معظمها وسجلت انطباعاتها . ولهذا تفيد هذه الفصول في دراسة بعض الظواهر الاجتماعية التي ما زال معظمها موجودا حتى يومنا هذا . اما الفصل التاسع عشر فقد خصصته المؤلفة للكلام عن ظاهرة كسوف الشمس الذي حدث في ١٩٠٠ والذي من اجله جاءت المؤلفة مع زوجها الى مدينة طرابلس للمشاهدة والدراسة . وبعد ذلك تعود الكاتبة في بقية الفصول لوصف بعض الاماكن الهامة التي لفتت انتباهها واكمال الصورة بخصوص وصف التقاليد والعادات المتبعة . ولكنها خصصت الفصل الثالث والعشرين للحديث عن المنفيين الاتراك الذين كانت السلطات العثمانية تقوم بابعادهم الى طرابلس. وخصصت الفصل السابع والعشرين لوصف الاستعدادات اللازمة لمشاهدة كسوف الشمس الذي حدث في ١٩٠٥ ، وقد تكلمت عنه ايضا في الفصل التالي .

خلاصة القول ان الكتاب ليس بالعميق في معلوماته ولكنه يصلح للقراءة الخفيفة وقد كتب للاجانب لاعطائهم بعض المعلومات عن ليبيا . وقد قام «الفرجاني» بمدينة طرابلس في ليبيا بنشر الكتاب باللغة العربية في ١٩٦٨ تحت عنوان «اسرار طرابلس» وان كان اسم المترجم لم يذكر في الترجمة العربية . ويلاحظ على هذه الترجمة العربية كثرة الاخطاء في الاسماء مع تفكك في الاسلوب . هذا وللكتاب نقد خاطف في سطور قليلة نشرته «المجلة الجغرافية الانجليزية» في عددها الصادر في نوفمبر ١٩١٢ (ص ٥٥٢) .



96 — Vischer; Adolf; Tripoli. The Geographical Journal. November, 1911. PP. 487 - 94.

صاحب هذا المقال هو الدكتور ادولف فيشر Dr. Adolf Vischer وهو غير الرحالة هانز فيشر Hans Vischer الذي سبق استعراض كتابه الصادر في ١٩١٠ واستعراض مقالته المنشورة بالمجلة الجغرافية

الانجليزية (١١٢) بتاريخ مارس ١٩٠٩ .

يعتبر مقال ادولف فيشر عن «طرابلس» من اهم المقالات التي نشرتها «المجلة الجغرافية» عن ليبيا ويتبين لنا ذلك اذا عرفنا انه قد صدر في نوفمبر ١٩١١ اي بعد ان اعلنت ايطاليا الحرب على تركيا في اواخر سبتمبر ١٩١١ وبعد ان غزت القوات الايطالية السواحل الليبية ببضعة اسابيع وقبل عقد معاهدة أوشي في ١٩١٢ التي تم بمقتضاها تخلي الدولة العثمانية عن ليبيا . وبهذا التوقيت الذي اختير لنشر المقال في هذه المجلة العلمية التي لها مكانتها بين رجال السياسة والمهتمين بالثقافة العلمية نستطيع ان ندرك الغرض من نشر هذا المقال . ويتأكد لنا ذلك اذا عرفنا الحقائق العلمية والسياسية التي تناولها الكاتب في مقاله هذا .

قدم الكاتب بحثه بعدة سطور لخص فيها الأسس التي يقوم عليها بحثه وهي النواحي الجغرافية لهذه الولاية العثمانية التي كانت تمثل آخر اجزاء الامبراطورية العثمانية في الشمال الافريقي والجوانب التاريخية لهذه الولاية وعلاقاتها ببقية العالم وهو يعني بذلك استعراض العلاقات التاريخية لهذه الولاية بالدول الاوربية . اما الاساس الاخير لهذا البحث التاريخي فهو استعراض للاحوال الاقتصادية السائدة في ليبيا في ذلك الوقت والتي عليها يجب ان تعتمد في تطوير مستقبلها . وبهذا الشكل حدد الكاتب الخطوط العريضة لبحثه . وقد استفاد في ذلك من المعلومات التي كان قد جمعها عن هذه الولاية . وكان الكاتب موفقا الى حد كبير في تلخيصها وعرضها على القراء بأسلوب سهل وترتيب علمي يستهوي القراء . وعلينا ان نعرف ان الدكتور ادولف فيشر كان في مدينة طرابلس في ١٩١٠ كما جاء في مقاله هذا (ص ٤٩٢) . ويبدو انه عرف كيف يستفيد من زيارته هذه كما استفاد من المراجع التي اعتمد عليها وقد الحقها بآخر المقال وعددها خمسة عشرة مرجعا اغلبها من المراجع الاساسية في البحث. وبعض هذه المراجع باللغة الانجليزية وبعضها الآخر باللغة الايطالية . وقد اخذت المراجع الالمانية نصيبها في القائمة . ولم يكتف الكاتب بذكر المراجع بل تناول كل مرجع باعطاء فكرة عنه وتقييمه من حيث الفائدة العلمية وان كان هذا التقييم مختصرا جدا الا انه يفيد من يريد الاستزادة والاستفادة من هذه المراجع المذكورة بآخر المقال .

---

١١٢ – جا – ص ٢٠٣ – ص ٢٠٨ .

وقد دعم الدكتور ادولف فيشر بحثه بخريطة جغرافية للبلاد ولكنها من مقياس ١ : ١٥٠٠٠٠٠٠ ولهذا جاءت بياناتها غير واضحة وليس من السهل قراءتها لصغرها . بقي ان نقول ان الكاتب اتخذ كلمة «طرابلس» بدلا من «ليبيا» عنوانا للمقال لان هذه التسمية هي التي كانت سائـــدة ومعروفة قبل الغزو الايطالي للبلاد .

بعد المقدمة التي بدأ بها الكاتب مقاله تناول الناحية الجغرافية للبلاد فتحدث عن اقاليم ليبيا المختلفة من حيث المعالم الجغرافية لكل اقليم . ويلاحظ عند حديث الكاتب عن اقليم طرابلس ان المساحات التي يمكـــن البلاد ان تحصل منها على الموارد المائية قليلة الشيء الذي سيكون له تأثيره الهام في العمليات الحربية التي يمكن ان تجري فيها . والكاتب في كلامه هذا يشير الى المصاعب التي يحتمل ان تواجهها الجيوش الايطالية في حملتها على البلاد . وبعد ذلك يشير الكاتب الى منطقة المنشية واحاطتها بمدينة طرابلس وان كان يخطىء في اسمها باطـــــلاق كلمة «Meshia» بدلا مـــن Al Manshia . ويرد هذا الخطأ كثيرا في بعض الكتب الاجنبية الشيء الذي قد يسبب الالتباس خصوصا لاولئك الذين لا يعرفون البلاد ومناطقها . ويتحدث الكاتب عن سهل الجفارة وما به من تلال رملية تحملها رياح «القبلي» من الصحراء جنوبا . وهناك بين هذه التلال تنبت بعــض الاعشاب التي تصلح لتربية الأبل . وتتخلل بعض الاودية سهل الجفارة من الجنوب الى الشمال .

أما سلسلة الجبال فهي على بعد يتراوح ما بين ٤٠ و٨٠ ميلا عــن الساحل ويراها الكاتب امتدادا للمرتفعات التونسية والجزائرية . ويأخذ بعد ذلك في تعديد اسماء الجبال في هذه المنطقة مبتدئا من الغرب بجبل نفوسة ثم جبل يفرن ثم جبل غريان الذي يمكن رؤيته من الحدود الجنوبية لمنطقة المنشية التي تحيط بمدينة طرابلس . اما جبل ترهونة فهو يكون بروزا يتجه مقتربا من الساحل جنوبي مسراته . وهنا نجد الباحث يخطىء اذ المعروف ان مرتفعات ترهونة ومسلاته تمتد الى الساحل الى الشمال الغربي من بلدة الخمس . ويعطي الكاتب وصفا لهذه المرتفعات من حيث اتجاه حافتها الشمالية بشكل منحدر في الوقت الذي تنساب بالتدريج نحو الجنوب . ويرى الكاتب ان هذا الانحدار الشديد الذي تأخذه هذه الجبال في اتجاهها نحو الشمال له أهميته الخاصة في العمليات الحربية للحملة الايطالية اذ انه يشكل عقبة صعبة امام تقدم القوات الايطالية في زحفها من مدينة طرابلس الى الجهات الداخلية للبلاد . ويرى الكاتب ان

أعلى ارتفاع في اقليم طرابلس يوجد في غريان حيث يوجد جبل تكوت Tekut الذي يصل ارتفاعه الى ٢٨٠٠ قدما . اما من ناحية الجنوب فتبدو البلاد حجرية وجافة وتأخذ في الجفاف الاكثر حتى تصل الى الحمادة الحمراء حيث نجد هضبة صخرية مساحتها ٤٠٠٠٠ ميلا مربعا مغطاة باحجار حمراء صغيرة .

اما مناخ الجفارة ومنطقة الجبل فهو مناخ البحر الابيض مصحوبا بالامطار من نوفمبر الى فبراير . ويعتبر الثلج في غريان شيئا غريبا في الشتاء . ويذكر الكاتب نقلا عن احد الرحالة الذين زاروا المنطقة حديثا في ذلك الوقت انها لم تر المطر في السنوات الثلاثة عشرة الاخيرة .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى الكلام عن سكان اقليم طرابلس والحرف التي يقومون بها كالزراعة والصناعة . واستطاع الكاتب ان يعطي عددا تقريبيا لاولئك الذين يسكنون المدن الساحلية والجبلية فهو يقدرهم بثلاثمائة الف نسمة . ويقوم بعض السكان بحرفة الرعي وهم في هذه الحالة يعتبرون من القبائل الرحالة . ويلاحظ الكاتب ان هذه القبائل كانت موزعة بين سهل الجفارة وبرقة وفزان . ويرى انه من الصعب عليه تقدير عدد افراد هذه القبائل وان كان يرى انها لا تزيد عن ٥٠٠٠٠ نسمة . والكاتب في هذا التقدير لم يحالفه الصواب . أما اليهود فقد قدر عددهم ١١٠٠٠ وكانوا يعيشون في مدينة طرابلس وغريان حيث توجد مستعمرة قديمة لليهود ترجع في أصولها الى احدى الهجرات اليهودية التي حدثت في العهد الروماني . اما سكان مدينة طرابلس فيقدرهم الكاتب بخمسين الفا منهم اربعة آلاف من المالطيين والاوربيين . وأما الصناعات الرئيسية في مدينة طرابلس فقد كانت الصناعات المعدنية والجلدية وصناعة السجاد. وكان بالمدينة عدة آلات لكبس الحلفا وكانت تملكها شركات اوربية . ويتم جلب الحلفا من الجهات الجبلية الى مدينة طرابلس . والى جانب ذلك تقوم جماعات من اليونان بصيد الاسفنج في المياه الاقليمية . ويلاحظ الكاتب ان صناعة صيد الاسفنج تؤثر في البلاد تأثيرا ضعيفا .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى الكلام عن اقليم فزان الذي يمثل بواحاته بروزا في الصحراء الكبرى التي تحيطه من الشرق والجنوب والغرب . ويعتبر الكاتب جبال تمو Tummo الحدود الجنوبية لفزان بينما تقع هضبة تاسيلي Tasili في الركن الجنوبي الغربي من فزان . وتوجد بعض الاودية في فزان اهمها وادي الشاطي . وتقوم الزراعة في هذه الاودية . ويقدر الكاتب سكان فزان باربعين الفا وهم موزعون على حوالي

ثمانين مكانا . وكان على اهل فزان ان يقاوموا خطر الصحراء التي تهددهم بالزحف على واحاتهم . وليس في فزان من المراعي ما يكفي لسد حاجيات السكان ولهذا كانوا ينتقلون بحيواناتهم الى منطقة خليج سرت حيث تتوفر المراعي . ويقوم اهل فزان ببيع تمور نخيلهم الى البدو الذين كانوا يأتون الى فزان في اواخر الصيف ومعهم الحنطة والشعير للمقايضة . ويرى كاتب المقال ان الموارد لم تكن كافية لتغذية الاهالي هناك . وهذا هو سبب وجود عدد كبير من اهل فزان بمدينة طرابلس ومدينة تونس كصناع وعمال ولكنهم كانوا دائما يعودون الى فزان بعد مدة كافية .

واقليم فزان هو الموطن القديم لقبائل الجرامنت ولكن بسبب الحروب الكثيرة التي تعرضت لها البلاد اختفت اكثرية السكان الاصليين أما اولئك الذين بقوا على قيد الحياة فقد اختلطوا بالقبائل الجديدة التي وفدت الى فزان من الشمال او الجنوب . وفي غربي فزان نجد قبائل الطوارق في واحة غات اما في منطقة تجري Tejeiri فتعيش قبائل التبو . ويرى الكاتب ان اهالي القطرون Gatrun لهم كل الملامح التي تشير الى أصلهم الذي يعود الى بلاد بورنيو بينما يجد الكاتب في اهالي وادي الشاطي وواحة مرزق بقايا العنصر البربري مختلطة بالعناصر العربية . ويرى الكاتب ايضا ان العنصر الزنجي موجود في كل مكان في منطقة فزان. ولا شك ان العنصر الزنجي ظهر ببداية تجارة القوافل عبر الصحراء وبتكوين المستعمرات التي انشأها حكام بورنيو للعبيد في فزان لاستخراج مادة الملح واستغلال مناجم البوتاس وتسهيل مهمة مرور القوافل بين الموانى الساحلية والمناطق الداخلية في السودان لان منطقة فزان بواحاتها تشكل محطة هامة لهذه القوافل التجارية التي تربط موانى البحر الابيض بمنطقة تشاد .

وبعد ذلك يأخذ الكاتب في الحديث عن منطقة برقة مستشهدا ببعض الفقرات التي جاءت في تقرير ج.و. جريجوري (١١٣) J.W. Gregory بخصوص جغرافية برقة وان كان لم يشر الى صفحات هذه الفقرات المقتبسة من هذا التقرير مع انه وضعها بين علامتين . وكان هذا التقرير

---

311 — J.W. Gregory, Report On the Work of The Commission to Examine the Territory Proposed for a Jewish Settlement in Cyrenaica. London, 1909.

قد صدر حديثا وكان له صداه في الاوساط العلمية والسياسية . وقد قدر الكاتب سكان برقة بعدد لا يزيد عن ١٥٠ الفا كما قدر سكان مدينة بنغازي بحوالي ١٢ الفا بينما كان سكان مدينة درنة نصف ذلك العدد . ويتحدث الكاتب عن الثروة الاقتصادية للمنطقة من حيث انتاج الشعير والقمح والذرة وان كان الانتاج الحيواني كان اهم بالنسبة لبقية حاصلات البلاد . وكان الاهالي يقومون بتصدير الحيوانات الى جزيرة كريت وجزيرة مالطة وان كان اغلبية ما يصدر منها يذهب برا الى مصر . واذا حصل جفاف بالبلاد فان الاهالي كانوا يستوردون ما يحتاجونه من مواد غذائية من الخارج . ويختم الكاتب كلامه عن الناحية الاقتصادية بالتقليل من قيمتها بعكس ما كان يراه بعض الرحالة . ويبدو ان الكاتب في تقديره هذا متأثر بما جاء في تقرير البعثة اليهودية التي ترأسها الاستاذ جريجوري . والكاتب في ترديده لهذا القول ربما كان يهدف الى تنبيه الايطاليين الى قلة الفوائد التي يمكنهم الحصول عليها من غزوهم للبلاد .

ويشير الدكتور ادولف فيشر الى مينائي البمبة Bomba وطبرق Tobruk كمينائين طبيعيين يقعان على الساحل الشرقي لبرقة كما يشير الى قيمتهما العالمية بعكس الحال بالنسبة لمينائي بنغازي ودرنة . ومع تقدير الكاتب لمينائي طبرق والبمبه الا انه يشيد بأهمية ميناء طبرق وأفضليته عن ميناء البمبة . ويؤيد الكاتب رأيه هذا بما قاله الرحالة الالماني سكوينفورث Schwe infurth الذي يضع ميناء طبرق في مستوى اهمية ميناء بنزرت بتونس . وبعد ذلك يقوم الكاتب بعمل مقارنة بين المسافة الواقعة بين ميناء برنديزي في ايطاليا وميناء طبرق من جهة وبين المسافة الواقعة بين هذا الميناء الايطالي وميناء الاسكندرية وينتهي بأن المسافة الاولى تبلغ ثلثي المسافة الثانية . ولهذا كان الرحالة الالماني سكوينفورث يرى مد خط حديدي بين طبرق والاسكندرية مع ضمان خدمات خط بحري يربط ميناء برنديزي بطبرق الشيء الذي يوفر وقتا يمكن تقديره بعشرين ساعة لرحلة الهند .

بعد هذا الاستعراض الجغرافي لأهم ملامح البلاد وأثرها الاقتصادي والبشري ينتقل الى استعراض الجانب التاريخي للبلاد مبتدئا بالعصر الروماني تاركا ما قبله من عصر فينيقي في منطقة طرابلس وعصر اغريقي في برقة ولعله يقصد من وراء ذلك الاشارة من طرف خفي الى عودة الايطاليين من جديد الى ليبيا . وينتقل الكاتب بعد ذلك الى مجيء العرب الى الشمال الافريقي دون ان يهتم بنتائج هذا التحول الجديد حتى اذا

انتقل الى العهد العثماني وقع في بعض الحقائق التاريخية الملتوية التي قد تصبح اخطاء اذا أخذها القاريء العادي ورددها على أنها حقائق تاريخية . ومن مثل هذه الاحداث التاريخية المحرفة تنتشر الاخطاء التاريخية ويتكرر وقوعها اذا لم تقع في يد من يمحصها ويعرف كيف يتحقق منها .

وينتقل الدكتور ادولف فيشر الى الكلام عن الحدود السياسية للبلاد ويقول أنها لم تحدد بالضبط فيما سبق باستثناء الحدود الليبية الممتدة من الساحل الى غدامس والتي كانت موضوع الاتفاق الذي عقدته السلطات العثمانية مع فرنسا في سنة ١٩١٠ . والكاتب بقوله هذا يجعل القاريء غير الملم بتاريخ البلاد يعتقد بأن ليبيا لم تعرف حدودا لها في السابق . ولكن علينا أن نعرف أن الدولة العثمانية كانت صاحبة الكلمة في الشمال الافريقي قبل أن تغزو فرنسا الجزائر وتبسط حمايتها على تونس وقبل أن تحتل بريطانيا مصر وتتوغل جنوبا في السودان . ولكن عندما بدأت الدولة العثمانية تفقد املاكها بالتدريج في الشمال الافريقي نتيجة لهذا التوسع الاوروبي بدأت مشاكل حدود ليبيا تظهر وتأخذ أهميتها . ولو قدر لتركيا أن تستمر في سيادتها على ليبيا لوجدت نفسها في مشاكل مع بقية الجيران الذين حلوا محلها في البلاد المجاورة . وهذا ما حدث لايطاليا بعد أن أصبحت صاحبة السيادة في ليبيا اذ أنها وجدت نفسها في مشاكل مع المجاورين لها في ليبيا . وبدأت تدخل في عقد اتفاقيات دولية لتصفية هذه الاوضاع التي جاءت نتيجة لتعدد تبعية دول الشمال الافريقي لدول مختلفة بعد أن كانت تابعة لدولة واحدة . واذا كانت تركيا قد نجحت في تسوية حدود البلاد المشتركة مع تونس فيما بين البحر الابيض وغدامس فانها خرجت من البلاد ولم تكن قد نجحت في تسوية بقية الحدود الليبية الغربية الواقعة الى الجنوب من غدامس اذ النزاع بينها وبين فرنسا استمر من أجلها حتى أصبحت ايطاليا صاحبة السيادة في ليبيا وأصبح عليها أن تواجه مشاكل الحدود في ليبيا .

وعندما يتحدث الكاتب عن المواصلات في ليبيا يذكر خلو البلاد من السكك الحديدية . ولعله في ذلك يريد ان يجعل القاريء يتصور المصاعب التي ستصادفها ايطاليا في تحركات جيوشها ونقلها الى جهات القتال . ويشير الكاتب الى طرق القوافل واعتمادها على حيوان الجمل . وكان على هذه القوافل أن تسلك طرقا معلومة . ويذكر الكاتب انه كان هناك ثلاثة طرق رئيسية تخرج من مدينة طرابلس لتتجه جنوبا . وكان أحد هذه الطرق الطريق الذي يمر بنالوت وسيناون الى غدامس ومن

هناك الى تمبكتو الواقعة على حافة الصحراء على ضفاف نهر النيجر في جمهورية مالي الحالية . اما الطريقان الآخران فكانا يصلان مدينة طرابلس بواحة مرزق عاصمة فزان في ذلك الوقت . وهذان الطريقان يختلفان فيما بينهما من حيث الطول والموقع . وأقصر هذين الطريقين كان يقع الى الغرب مارا بالحمادة الحمراء . وهو أصعب في العبور من الطريق الآخر الذي يقع الى الشرق منه فضلا عن انه معروف بقلة موارد مياهه . اما الطريق الآخر فيقع الى الشرق وهو اكثر التواء ويصل مدينة طرابلس بواحة مرزق عن طريق بونجيم وواحة سوكنة . وهذا الطريق هو الذي يسلكه حاملو البريد فيما بين العاصمة وواحة مرزق في ذلك الوقت . وكان هذا الطريق يقطع عادة في ١٨ يوما ولكن البريد كان يصل كل ١٤ يوما لظروف خاصة . وهناك في واحة مرزق كان يخرج طريقان عبر الصحراء الكبرى . كان يتجه أحدهما الى زندر Zinder وكانو Kano مارا بواحة غات وآير Air والآخر يتجه الى بورنو Bornou مارا بتيجري Tejerri عن طريق بيلما Bilma . وكان هناك طريق آخر يخرج من واحة مرزق متجها نحو الشمال الشرقي مارا بواحة زلة وواحة أوجلة ثم واحة سيوة منتهيا في وادي النيل. وكان هذا الطريق معروفا منذ العصور التاريخية القديمة . وهكذا يصور لنا الكاتب أهمية واحة مرزق كمركز لتوزيع طرق القوافل وكنقطة التقاء لها . أما في منطقة برقة فقد كان هناك طريق للقوافل يتجه جنوبا الى واحة الكفرة ومن هناك الى منطقة واداي بالسودان. ويشير الكاتب الى ان هذا الطريق الاخير لم يسبق أن سلكه بأجمعه أي أوروبي وان كان الرحالة الالماني جيرهارد رولفس Gerhard Rohlfs قد قام بمحاولة جريئة لاتمام هذه الرحلة ولكنه لم ينجح الا في الوصول الى واحة الكفرة حيث نهبت قافلته . اما الرحالة روزيتا فوربس Rositta Forbes فقد قامت برحلتها بعد كتابة هذا المقال وفي بداية العشرينات من القرن الحالي .

وبمناسبة الحديث عن طرق القوافل رأى الكاتب من الضروري ذكر بعض الشيء عن التجارة التي كانت تمر بالصحراء الكبرى وكيف تدهورت في الاعوام الاخيرة من القرن التاسع عشر . ويذكر الدكتور ادولف فيشر أنه في الايام السابقة عندما كان غربي افريقية بأنهاره غير معروف للاوروبيين كانت مدينة طرابلس تعتبر نهاية للنشاط التجاري الذي كان يعبر الصحراء الكبرى ، وكانت القوافل تصل من بلاد الهوسا وبلاد النيجر محملة بريش النعام والعاج والمعادن والجلود والعبيد . وتعود هذه القوافل

من مدينة طرابلس الى الجنوب محملة بالصناعات الاوروبية . ولكن الكاتب يلاحظ أنه منذ اواسط القرن التاسع عشر أخذت هـذه التجـارة في التدهور والهبوط بالتدريج لان السلطات العثمانية اخذت تحارب تجـارة العبيد وتلاحقها تمشيا مع المباديء الانسانية العامة التي أخذت تسود في القرن التاسع عشر . وكانت القنصليات الاوروبية بفروعها في ليبيا تلاحق هذا النوع من النشاط التجاري وتكتب عنه التقارير لحكوماتها لمتابعـة الموضوع مع السلطات العثمانية . ويبدو لنا أن الكاتب في ملاحظاته عـلى تجارة العبيد قد بالغ بعض الشيء حتى أنه حدد الزمن التاريخي الذي تم فيه منع تجارة العبيد . ولكن المعروف أن هذه التجارة استمرت بشـكل محدود وللتوزيع المحلي بعد أن كانت للتصدير الخارجي حتى زمن متأخر فيما بعد مجيء الايطاليين الى ليبيا في ١٩١١ . وقد سجلت السيـدة روزيتا (١١٤) فوربس وجود بقايا هذه التجارة في الكفرة عند زيارتها لها في ١٩٢١ . والملاحظ أن الكاتب نفسه يعود ويشير الى استمرار تجـارة العبيد فيما بين واداي وبنغازي بطريقة سرية . والواقع أن تجارة العبيد ودورها في ليبيا وأثرها الاقتصادي والبشري على البلاد موضوع هـام يستحق الدراسة الخاصة للكشف عن الكثير من الحقائـق التي أصبحت غير معروفة الآن وأن بقية اثارها تتفاعل في تكوين المجتمع الليبي الى يومنا هـذا .

أما العامل الثاني الذي تسبب في تدهور تجارة القوافل فيرجعـه الكاتب الى تقدم الادارة الاوروبية في بلاد الهوسا وبلاد النيجر . ان هذا العامل السياسي الهام بالاضافة الى احتلال فرنسا لتونس في سنة ١٨٨١ واحتلال بريطانيا لمصر في سنة ١٨٨٢ دفع جميع القبائل الحريصة عـلى استقلالها وحريتها الى منطقة فزان وما يجاورها من جهات ملاصقـة . وهناك أخذت هذه القبائل الوافدة تضايق القوافل التجارية وتنهبها .

وأخيرا يذكر الكاتب ان تسهيلات الشحن بالسفن زادت في نهـري النيجر وبنوي . واصبحت البضائع ترسل من بورنو وكانـو جنوبا الى خليج غانة . ومن هناك تصل الى اوروبا في اسبوعين من الزمن . وكان هذا الطريق البحري الجديد الذي اخذت تسلكه التجـارة مـع السودان

---

114 — The Geographical Journal. London, September 1921, P. 165 .

الغربي اكثر امانا وأقل تكاليفا وأقصر في الزمن مما كان عليه الطريق التقليدي القديم حيث كان على التجارة ان تقطع ٢٠٠٠ ميلا عبر الصحراء. ويستدل الدكتور ادولف فيشر على صحة كلامه هذا بذكر عدد من الارقام لتصوير الهبوط الذي طرأ على تجارة القوافل في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر . ويقول الكاتب أن تجارة ريش النعام التي كانت تساوي في ١٨٩٠ م. مبلغ ٢٥٠٠٠٠ جنيها أخذت تهبط حتى وصلت في ١٩٠٥ م. مبلغ ١٢٠٠٠ جنيها . وان كمية العاج التي كانت تساوي في ١٨٩٠ م. مبلغ ٢٥٠٠٠ جنيها أصبحت تساوي ١٥٠٠ جنيها في ١٩٠٥ م وكانت البضائع المرسلة الى الجنوب في ١٨٩٤ م. تساوي ٤٠٠٠٠٠ جنيها أصبحت تساوي فيما بعد في ١٩٠٦ م. مبلغ ٧٠٠٠٠ جنيها . ويقول الكاتب أن الطريق الوحيد الذي كان يربط بنغازي بواداي ما زال يسلكه بعض تجار القوافل . ولكنه كان يتوقع ان تأخذ تجارة منطقة واداي اتجاها غربيا او جنوبيا عندما يتم احتلال فرنسا لهذه المنطقة .

والحقيقة أن تجارة القوافل في الصحراء الكبرى موضوع هام جدا وله جوانب كثيرة لم يستطع الكاتب حصرها في هذا الجزء من مقاله وان استطاع القاء بعض الضوء عليها بطريقة تعكس وجهة النظر الاوروبية السائدة في ذلك الوقت . ومن المؤكد أن تغلغل النفوذ الاوروبي في وسط افريقية وعلى سواحلها الغربية كان من أهم العوامل التي ساعدت على تدهور تجارة القوافل . ولكن هناك عوامل أخرى كثيرة لها دورها في الوصول بتجارة القوافل الى هذه النتيجة . واذا كان الكاتب لم يتناولها كما تناول امتداد النفوذ الغربي في اواسط افريقية فعذره معه . ولكن على الباحث أن يبحث عنها حتى يعطي صورة أوضح مما حصلنا عليه من مقال ادولف فيشر فمثلا هبوط تجارة ريش النعام الذي ذكره الكاتب في مقاله هذا لم يكن بسبب تحول تجارة المناطق الافريقية الواقعة الى الجنوب من ليبيا الى السواحل الافريقية الجنوبية والغربية بل بسبب ما طرأ على مودة استعمال ريش النعام في العالم من تطور واهمال حتى اختفت هذه المودة تماما . ولم يعد الاشخاص يزينون قبعاتهم وملابسهم بهذا الريش. كل ذلك الى جانب انتشار فكرة الرأفة بالنعام وضرورة ترك هذه المودة لما فيها من قسوة حتى أصبحنا الآن لا نرى لهذه التجارة أي نشاط يذكر .

وعلينا الآن وقد استقلت هذه المناطق الافريقية التي كانت من أهم موارد تجارة القوافل أن نعيد النظر في كلام الدكتور ادولف فيشر بعد أن تقدمت طرق المواصلات وبعد أن أصبح في الامكان تعاون هذه الدول

الافريقية في مد الطرق البرية نحو الشمال مع الاستفادة من أنواع معينة من السيارات ذات الحمولة الكبيرة لاعادة النشاط التجاري مع الموانيء الليبية ومنها في الاسواق الاوروبية . وفي هذا احياء لهذه التجارة التي كانت الجمال وسيلتها . على العموم اذا كان علينا أن نسلم بالبيانات التي اعطاها الدكتور ادولف فيشر في ١٩١١ فان الوضع السياسي لافريقية قد تغير وان المواصلات قد تطورت وفي أمكانها ان تتطور الى ما هو أحسن مما هي عليه الآن في غربي افريقية بسبب كثرة الامطار وتعطيل الطرق في فصل الامطار ونمو الغابات مع محاولة التخلص منها وطول في الزمن تحتاجه السفن الاوروبية بدورانها حول غربي افريقية بعكس الحال بالنسبة لموانيء الشمال الافريقي وخاصة موانيء ليبيا التي تقترب الى اواسط افريقية بسبب وجود خليج سرت وتوغله في داخل القارة الافريقية الشيء الذي يقصر المسافة للطرق البرية ويساعد السفن البحرية على الحركة اكثر للاقتراب من مواطن واسواق هذه التجارة .

ويقول الكاتب ان الصحراء الكبرى اذا كانت قد فقدت أهميتها في التجارة العالمية الا انها ما زالت وستبقى معبرا للكثير من مسلمي بلاد افريقية الغربية الذين يقومون بالحج الى الاراضي المقدسة . ومن أهم هذه الطرق التي يسلكها هؤلاء الافريقيون المسلمون الطريق الذي يصل نيجيريا بمدينة طرابلس .

وكان الكاتب يعتقد أن مستقبل ليبيا يعتمد على الزراعة وقد شكك في امكانية العثور على أي معادن لها قيمتها في تدعيم اقتصاديات البلاد . وهو في هذا القول يأخذ بوجهة نظر الاستاذ جريجوري Gregory والاستاذ بيرفينكوير اللذين فقدا الامل في الحصول على أي ثروة معدنية تماما في كل من برقة وطرابلس . والواقع ان الايام اثبتت عدم صحة المعلومات التي وصلت اليها البعثتان العلميتان التي ترأسهما هذان العالمان الانجليزي والفرنسي . وكان في ذلك كل الخير لمستقبل ليبيا حتى اذا تحررت ليبيا من الاستعمار الايطالي وبدأت تخطو خطواتها الاولى في مرحلة الاستقلال الاقتصادي تم كشف النفط بكميات كبيرة جعلت ليبيا دولة نفطية في مصاف الدول الاولى المصدرة للنفط . ورغم التفاؤل الذي جاء في مقال الكاتب بخصوص المستقبل الزراعي للبلاد فانه لم يكن واثقا من ذلك تماما . وربما كان الكاتب متأثرا في ذلك بما جاء في تقرير الاستاذ جريجوري الذي كان يرى أن الكتاب الرومان قد بالغوا في تقدير الامكانيات الزراعية للبلاد وان كان ادولف فيشر لم ينس أثر العوامل المناخية في

الاضرار بالامكانيات الزراعية للبلاد الى جانب خطر زحف تلال الرمال الذي كان يهدد المساحات الزراعية في منطقة المنشية المحيطة بمدينة طرابلس .

ويختم الكاتب مقاله بأن معالم منطقة طرابلس معروفة تماما بعكس ما كان عليه الحال في كل من برقة وفزان حيث كانت توجد بعض الاجزاء التي لم تعرف تماما والتي كانت تعتبر من الاماكن غير المعروفة في القارة الافريقية . ويشيد بفضل جهود الرحالة الذين يرجع اليهم الفضل فيما وصل اليه الاوروبيون من معلومات عن ليبيا ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر . وأخذ الكاتب يذكر بعض اسماء الرحالة الاوروبيين الذين ساهموا بنشاطهم الكشفي في ليبيا امثال ريتش Ritchie ولاين Lyon ودنهام Denham وريتشردسون (١١٥) Richardson وبارت Barth ورولفس Rohlfs ونختجال . ويعتبر بارت في نظر الكاتب اشهر الرحالة جميعا . ويرى الكاتب أن أعمال هؤلاء الرحالة تعطي أحسن المعلومات عن البلاد حتى ذلك الوقت . ويعود ادولف فيشر ليقول أنه خلال الخمسين سنة الاخيرة استطاع عدد قليل جدا من الاوروبيين زيارة الجهات الداخلية في ليبيا . ويقول أنه لم يستطع أي اوروبي الوصول الى واحة غات منذ وفاة الرحالة اروين فون باري Erwin Von Barry في تلك الواحة سنة ١٨٧٧ م. أما العالم الفرنسي (١١٦) بيرفينكوير Pervinquière الذي قام برحلة الى غدامس في ربيع ١٩١١ فانه كان اول زائر اوروبي لها في فترة الاربعين سنة الماضية (١١٧) . اما واحة مرزق فقد زارها اثنان فقط من الاوروبيين في السنوات العشر الاخيرة . ويذكر الكاتب انه منذ ١٨٨٠ م. أصبح من الضروري استصدار فرمان سلطاني خاص لاي رحلة تمتد فيما وراء الاراضي المحيطة مباشرة بمدينة طرابلس . وهو يعزو ذلك لعدم توفر الامن في بعض اجزاء البلاد وخوفا من وقوع أي حادث ربما يتعرض له أي رحالة قد يسبب تصدعا في العلاقات مع أي دولة اجنبية . ولهذا رأت السلطات العثمانية أنه من الصواب وقف الرحلات جميعها . ويقول الكاتب انه باستثناء الساحل فان البلاد لم يعمل لها اي مسح جغرافي والخرط الموجودة تعتمد في اساسها

---

١١٥ ـ راجع البحث رقم ٧٥ في الجزء الاول من الكتاب .

١١٦ ـ راجع البحث رقم ١٨ .

١١٧ ـ راجع البحث رقم ٦ .

على تخطيطات عامة لمختلف الرحالة .

وبهذا الشكل يختم الكاتب مقاله ثم يذكر قائمة المراجع التي اعتمد عليها مع تحليلها بالاضافة الى ما استفاده من زيارته لليبيا في ١٩١٠ كما جاء في بحثه . وعلينا أن نلاحظ وجود خريطة جغرافية للقارة الافريقية في آخر المجلة . وهي تبين الجهات المعروفة من البلاد الافريقية ودرجات هذه المعرفة .

بقي ان نقول ان الدكتور ادولف فيشر في بحثه هذا لم يكن مشجعا للاطماع الايطالية في ليبيا وان كان يبدو في ثنايا السطور محبذا لاستيلاء ايطاليا عليها على أمل النجاح في تطويرها . وهذا ما كان يبرر به دعاة التوسع نشاطهم الاستعماري اثناء نشاط الحركة الاستعمارية في افريقية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . والحق يقال أن الكاتب رغم صغر بحثه نجح في اثارة الكثير من النقط التي تصلح ان تكون موضوعا بل موضوعات للبحث والدراسة .

***

97 — Vivian, Herbert; Tunisia And The Modern Barbary Pirates. London, 1899. xvi, 341 PP.

هذا كتاب عن تونس وقراصنة بلاد الشمال الافريقي وقد صدر في لندن في ١٨٩٩ أي في السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر وقد تم لفرنسا بسط حمايتها على تونس في ١٨٨١ وبعد أن أغارت على الجزائر في ١٨٣٠ . وكانت بريطانيا قد استولت على مصر وتوغلت مع وادي النيل الى السودان . وكان موضوع مصير ليبيا آخر بقايا الامبراطورية العثمانية في الشمال الافريقي معلقا ومتروكا للمساومات الدولية .

واذا كان الكتاب في معظمه يتناول تأريخ تونس القطر الشقيق وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية الا أن المؤلف أتى بمعلومات تفيد في الموضوعات الآتية :

١ — في الفصل الثاني من الكتاب يعطي المؤلف معلومات عامة عن تونس . وفي آخر هذا الفصل يتحدث المؤلف عن تشجيع السلطات العثمانية للتجارة بين ليبيا وتونس . ويتكلم عن المراكز الجمركية على

الحدود التونسية الليبية ويؤكد عدم وجودها في ذلك الوقت حتى لا تثير السلطات الفرنسية الاهالي بالاكثار من جمع الضرائب منهم . وهذه الحقيقة التاريخية تفيد في دراسة العلاقات التجارية بين البلدين في فترة معينة من تاريخهما المشترك والهدف من هذه السياسة الاقتصادية بالنسبة للسلطات الحاكمة في كل من تونس وليبيا في ذلك الوقت ( ص ٤١ - ٤٣ ) .

٢ - وفي الفصل الثاني عندما يتحدث المؤلف عن التجارة والزراعة في تونس يتكلم عن تجارة القوافل مع المناطق الداخلية من افريقية وكيف كانت هذه التجارة رائجة قبل مجيء الفرنسيين الى الشمال الافريقي وكيف أصبحت تلاقي الصعوبات المتزايدة بعد مجيئهم الى الجزائر ثم تونس . ويتكلم المؤلف باختصار عن تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى وكيف كانت تتحكم فيها طرق معينة تتوفر فيها المياه اللازمة رغم اتساعها كما كانت تتحكم محطات الفحم في خط سير البواخر في البحار . ويقوم المؤلف بعمل مقارنة بين الصحراء والبحر من حيث الظروف المتشابهة بينهما في طبيعة السفر . وبعد ذلك يتكلم المؤلف عن طرق القوافل ويحدد عددها واتجاهها بين وسط افريقية والموانيء الشمالية للقارة الافريقية . وهنا يذكر المؤلف الطرق التي كانت تمر بليبيا وكيف كانت ليبيا تتمتع بأربعة اخماس قيمة تجارة القوافل التي كانت تمر عبر الصحراء الكبرى في ١٨٩٠ . ويدلل على ذلك بذكر بعض الاحصائيات التي تحصل عليها . ويتحدث بهذه المناسبة عن المشروعات الفرنسية في سبيل التحكم في تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى بانشاء خط حديدي يربط واحة بسكرة او ميناء قابس ببحيرة تشاد والنيجر . ويرى المؤلف ان اي دولة يمكنها الحصول على اذن من السلطان العثماني بانشاء سكة حديد عبر الصحراء الكبرى على ان تنتهي عند مدينة طرابلس او مدينة بنغازي ستكون بداية طيبة في هذا الخصوص .

اما المشروع الآخر الذي كان يفكر فيه الفرنسيون للتحكم في هذه التجارة فكان يهدف الى تحويل تجارة غدامس الى قابس في تونس بدلا من ذهابها شمالا الى مدينة طرابلس . وهناك مشروع آخر حاولته فرنسا لزيادة تحكمها في تجارة القوافل عندما بذلت جهدها فيما بين ١٨٩٠ و ١٨٩٦ لبناء تجارة القوافل بين غدامس وتاتاوين Tatawin الواقعة في أقصى جنوب تونس . ولكن وفاة ماركوي دي موري Marquis de Mores على أيدي الطوارق سبب وجود علاقات سيئة

لم يكن أثرها قد زال حتى ذلك الوقت . ولهذا ترك الفرنسيون تحقيق هذا المشروع (١١٨) .

٣ ـ يلخص المؤلف في هذا الفصل وجهة نظر فرنسا في تحديد تبعية الاراضي الداخلية التي تقع الى الجنوب من الساحل الشمالي . وكانت وجهة النظر الفرنسية تقوم على اساس ان الاراضي الداخلية تخضع للدول التي تملك السواحل الشمالية والواقعة ضمن خطوط الطول التي تصل الساحل بالداخل . وهم يقصدون من ذلك المطالبة بواحتي غدامس وغات لانهما تقعان الى الغرب من خط طول بلدة زرزيس Zarzis الواقعة على الساحل فيما بين تونس وطرابلس ، ولهذا كان المؤلف لا يدهشه ان يسمع في أي لحظة قيام الفرنسيين بالاغارة على واحتي غدامس وغات . ويؤكد المؤلف تبعية هاتين الواحتين لليبيا واستيلاء الحامية العثمانية عليهما . وقد ورد ذكر هاتين الواحتين على هذا الاساس في المعاهدات . ويرى المؤلف أنه على أية حال اذا كان ولا بد من توزيع الاراضي الداخلية وتحديد تبعيتها فان فرنسا في امكانها المطالبة بالجهات التي لم يسبق أن احتلتها القوات العثمانية عمليا .

٤ ـ وبمناسبة مناقشة موضوع السيادة على الاراضي الداخلية من الشمال الافريقي وذكر واحتي غدامس وغات يقوم المؤلف باعطاء وصف لهاتين الواحتين وأهميتهما في تجارة القوافل وانواع البضائع التي كانت تمر بهما . وهو في حديثه عن واحة غات يعتبرها أهم سوق في الصحراء الكبرى ان لم يكن في العالم ( ص ٢٦٢ ) . ولا ينس المؤلف أن يعطي بعض المعلومات المفيدة بخصوص الحامية العثمانية في كل من الواحتين وتاريخ مجيء هذه الحامية وعددها . وينساق المؤلف اثناء حديثه عن هاتين الواحتين الى الكلام عن الطوارق وعلاقتهم بفرنسا التي كانت تتربص الفرص بهم لبسط سيادتها على الصحراء الكبرى الى الجنوب من الجزائر وتونس .

٥ ـ في آخر هذا الفصل يتحدث المؤلف عن صيد الاسفنج في شواطيء تونس وأهم أنواعه وثمن كل نوع منها وطريقة الصيد . وهنا يقوم المؤلف بشرح الطريقة التي كان يتبعها اليونانيون في صيد الاسفنج . ويذكر أن السلطات العثمانية في ليبيا في ذلك الوقت منعت هذه الطريقة

---

١١٨ ـ راجع البحث رقم ٩٣ .

لانها كانت تجتث الاسفنج وتأتي عليه مرة واحدة .

٦ ـ عندما يتكلم المؤلف عن الحيوانات والطيور في تونس في الفصل العاشر يشير الى المعلومات التي وصلته بخصوص منع السلطات العثمانية في طرابلس للاجانب من السفر الى داخل البلاد . وربما كان المؤلف في هذا الكلام يشير الى الفرمان السلطاني الذي صدر في ١٨٨٠ م. في هذا الخصوص . ولكن رغم صدور هذا الفرمان كان بعض الرحالة الاجانب قد استطاعوا الحصول على الاذن بالسفر الى داخل البلاد والامثلة كثيرة على ذلـــك .

ويخصص المؤلف الفصل الاخير من كتابه وهو الفصـــل الحادي عشر للكلام عن مدينة طرابلس حيث يعطي وصفا حيا لها في ذلك الوقت . وبعد ذلك ينتقل الى الحديث عن ضواحي المدينة وحدائقها الغنية بالاشجـــار المحملة بالفواكه . ويخصص الكاتب جزءا من هذا الفصل للحديث عـــن الامن والحامية العثمانية ورجال الشرطة في المدينة . ويشيـــد المـؤلف بأخلاق أهل مدينة طرابلس وبشاشتهم نحو الاجانب ويسجل عدم وجود أي جريمة ضد اليهود في مدينة طرابلس اسوة بما كان يحدث في البـلاد الاخـرى .

وبعد ذلك يتكلم المؤلف عن الحركة التجارية ويذكر أن مدينة طرابلس كانت تسيطر على تجارة هذه المنطقة في الشمال الافريقي . وقد ساعـد على ذلك عدم نجاح الفرنسيين في انشاء قوافل للتجارة بـــين تـــونس والجهات الداخلية بعد أن تم لهم الاستيلاء على تونس . ويشيد المؤلف بأثر وجود الحامية العثمانية في واحة غدامس لحفظ الامن هناك . ويذكـــر المؤلف ان معظم تجارة القوافل كانت بأيدي تجار من اليهـــود . كانـــوا معروفين بالمبالغـــة في اسعارهم . ويشير المؤلف الى تجارة الحلفـــا واستمرارها بكمية لا بأس بها . اما تجارة طرابلس مع تونس فقد أصبحت تعاني في ذلك الوقت متاعب كثيرة نتيجة فرض الضرائب العالية عـــلى الواردات من طرابلس الى تونس عبر البحر . ولكنهـا كانت تعفى مـــن الضرائب اذا جاءت برا . ويشير المؤلف الى النظام الذي كان يتبعه الاتراك في المعاملة الجمركية بالنسبة للبضائع التي كانت تنقل بـرا بين الولايات المختلفة من الامبراطورية العثمانية . وهذا ما كان يطبق على التجارة فيما بين تونس وطرابلس لان السلطات العثمانية في طرابـلس كانت تعتبـــر تونس ولاية عثمانية حتى بعد أن اعلنت فرنسا حمايتها عليها .

وبعد الحديث عن شراب « اللاقبي » المستخرج من اشجار النخيـــل

ينتقل المؤلف الى الحديث عن مستقبل ليبيا . وهو يسجل عدم اهتمام السياسيين البريطانيين تماما بليبيا . ولهذا نراه يحذرهم في كتابه حتى لا يكون مصير ليبيا نفس المصير الذي لاقته تونس . واذا كان المؤلف يسلم بصحراوية ساحل ليبيا الذي يساوي في طوله ساحل تونس وساحل الجزائر مع خلو الساحل الليبي من الكثافة السكانية الا انه يشيد بأهمية مدينة طرابلس كنهاية لطريق تجاري هام يربط ساحل الشمال الافريقي بالجهات الداخلية في افريقية. ويبدي المؤلف مخاوفه من فرنسا وايطاليا في التماس الاعذار للاستيلاء على ليبيا . ويشير الى أهمية الخط البحري الذي أسسته ايطاليا مع ميناء طرابلس لربطها بالموانيء الايطالية . ويختم المؤلف كلامه بعبارة في غاية الاهمية توضح لنا وجهة النظر التي كانت عند بعض البريطانيين بخصوص مستقبل ليبيا الذي كان موضوعا للمساومات الدولية في ذلك الوقت قائلا بأنه اذا جاءت فرصة استيلاء فرنسا أو ايطاليا على ليبيا فعلى البريطانيين أن يذكروا هاتين الدولتين معا بأن مدينة طرابلس كانت يوما ما خاضعة لمالطة . وهو في هذا القول يشير الى فترة تبعية مدينة طرابلس وضواحيها لسلطة فرسان القديس يوحنا في جزيرة مالطة بعد أن تنازل لهم عنها شارل الخامس ملك اسبانيا في سنة ١٥٣٠ م. وقد ظل فرسان مالطة يحكمونها بصعوبة حتى ١٥٥١ م عندما حررها العثمانيون بالتعاون مع أهل البلاد . ولما كانت جزيرة مالطة قد أصبحت جزءا من املاك الامبراطورية البريطانية بعد حروب نابليون بونابرت فقد أصبحت تبعية مدينة طرابلس بالتالي للامبراطورية البريطانية شيئا مسلما به في نظر المؤلف . لقد كان المؤلف في فهمه للاحداث التاريخية واتخاذها مبررا للاطماع التوسعية يمثل تماما عقلية رجال القرن التاسع عشر وقد انعكست هذه العقلية في هذه الاقوال التي اشرنا اليها بخصوص مصير ليبيا والاطماع الدولية فيها . واذا كان المؤلف قد رأى في تبعية مدينة طرابلس وضواحيها لفرسان مالطة فترة لا تزيد عن واحد وعشرين سنة كافية لان تكون مبررا للمطالبة بالاستيلاء على هذه المدينة وبقية البلاد فانه من باب اولي أن يتذكر المؤلف كيف كانت الاندلس جزءا من الامبراطورية العربية لمدة ثمانية قرون وكيف كانت جزيرة صقلية مركزا آخر للاشعاع الثقافي العربي في البحر الابيض والجنوب الاوروبي لمدة تزيد عن القرنين . وهكذا بالنسبة لجزيرة كريت وغيرها من البلاد التي خضعت للسيادة العربية مدة طويلة .

اخيرا بقي أن نقول أن الكتاب سهل الاسلوب مزود بالصور والرسوم

الايضاحية الى جانب فهرس الاسماء . والكتاب وان كان خاصا بتاريـخ تونس وأحوالها في نهاية القرن التاسع عشر الا انه غني بالمعلومـات التي تفيد في دراسة احوال ليبيا وتاريخها في نهاية القرن التاسع عشر .

***

98 — Wallace, William Kay; Greater Italy. New York, 1917 . X, 312 PP.

صدر كتاب « ايطاليا الكبرى » في مدينة نيويورك سنـة ١٩١٧ أي والحرب العالمية الاولى في أشد اشتعالها وايطاليا مشغولـة بأعمالهـا العدوانية في ليبيا بعد أن بدأت غزوها في خريف ١٩١١ . ومؤلف الكتاب هو الاستاذ وليم كي وللس William Kay Wallace .

كان هدف المؤلف من كتابه هذا تتبع تاريخ نشأة المملكـة الايطاليـة كوحدة سياسية مع اعطاء الاهمية الخاصة للدور الـذي لعبـه الشعب الايطالي في الشؤون العالمية اثناء فترة الثلاثينات التي سبقت اخراج هذا الكتاب . ويعتقد المؤلف ان الدور الذي قامت به ايطاليا في تكييف تاريخ اوروبا اثناء هذه الفترة المشار اليها سابقا كان دورا عظيما .

يحتوي الكتاب على ١٢ فصلا تفيد في دراسة تاريخ ايطاليا الحديث واطماعها الاستعمارية ومشاكلها الداخلية . وعلى كل من يصدر نفسـه لدراسة الاطماع الايطالية في ليبيا والغزو الايطالي لها أن يقرأ الكتـاب وسيجد فيه الكثير من المعلومات المفيدة . ولكن عليه أن يعلم أن الكتاب مكتوب بروح ودية للسياسة الايطالية . ففي الفصل الثالث الذي اختار المؤلف له عنوانا « التحالف الثلاثي » نجد المؤلف يتحدث عن فترة حـكم كرسبي Crispi لايطاليا والتوسع الاستعمـاري في عهـده والحرب الحبشية . وفي هذا الفصل يذكر المؤلف كيف تحول كرسبـي بانظاره الى ليبيا بعد فشله في تحقيـق مشروع التوسـع الايطالي في الحبشة وكيف اخذ كرسبي يخطط لتحقيق سياسته في ليبيا بالعمل على كسب صداقة رؤساء العشائر في ليبيا وفي مقدمتهم حسونـة باشـا القره مانللي الذي عرفت ايطاليا كيف تستفيد من خدماته فيما بعد عندما بدأت تنفيذ مشروعها التوسعي في ليبيا في خريف ١٩١١ . ويقول المؤلف ان الفضل في توجيه اطماع ايطاليا الى ليبيا يعود الى كرسبي وان كانت

هذه الاطماع قد تحققت بعد عشرين سنة من التخطيط لها ( ص ٥٥ ) .

وفي الفصل الخامس الذي يتحدث فيه المؤلف عن دكتاتورية جوليتي Giolitti رئيس وزراء ايطاليا نجده يشير الى الموقف الايطالي نحو التوسع الفرنسي في مراكش وتأييدها لهذا التوسع في مقابل الحصول على الموافقة الفرنسية على التوسع الايطالي في ليبيا ( ص ١٠٠ – ١٠١ ). وفي نفس الفصل نجد المؤلف يشير الى الجهود التي بذلت في سبيل الاعداد النفسي للشعب الايطالي لتحقيق التوسع في ليبيا ( ص ١١٢ ) . ويشير المؤلف الى شبح الاطماع الالمانية في ليبيا الشيء الذي أخذ يقلق بال الرئيس الايطالي جوليتي .

ويعتبر الفصل السادس أهم فصول الكتاب بخصوص دراسة تاريخ ليبيا الحديث . وقد خصصه المؤلف للحديث عن « الحرب الليبية » وهو يقصد بذلك الحملة الايطالية على ليبيا التي ابتدأت في اواخر ١٩١١ واستمرت فيما بعد تاريخ صدور هذا الكتاب . ويبدأ الكاتب في هذا الفصل بتتبع بداية الاطماع الايطالية في ليبيا ويعود بها الى ما قبل تحقيق الوحدة الايطالية . ويرى المؤلف أن هذه الاطماع ترجع الى حوالي سنة ١٨٣٨ أي بعد نهاية الحكم القره مانللي في ليبيا بثلاث سنوات عندما عادت ليبيا الى الحكم العثماني المباشر . في ذلك الوقت كان الزعيم الوطني مازيني Mazzini ( ١٨٠٥ – ١٨٨٢ ) مؤسس جمعية ايطاليا الفتاة وبعض زملائه من الايطاليين المغالين في الوطنية ينادون بضرورة بسط السيادة الايطالية على ليبيا. وفي ١٨٦٦ نجد الزعيم الالماني بسمارك Bismarck يكتب الى مازيني Mazzini مشجعا له على الاهتمام باحياء الامبراطورية الايطالية القديمة في البحر الابيض المتوسط والتي يجب أن تكون الشغل الشاغل المستمر لايطاليا ووزرائها والهدف الاساسي لحكومة فلورنسا . وقد عرف بسمارك في رسالته هذه كيف يثير عواطف الايطاليين وكيف يضرب لهم على الوتر الحساس قاصدا اثارة البغضاء بين ايطاليا وفرنسا. وقد كانت الاخيرة من أكبر معارضي الوحدة الالمانية . وبعد ذلك يأخذ المؤلف في تتبع الاطماع الايطالية ورسوخ فكرتها بعد أن كانت حلما يراود النفوس الايطالية بفضل الجهود التي بذلها السنيور كرسبي في سبيل الاستيلاء على ليبيا وضمها الى الاملاك الايطالية . وكان كرسبي قد قام بالاتصال ببعض المواطنين في ليبيا حتى يكونوا عونا لايطاليا في تحقيق اطماعها . ويقول الاستاذ وللس مؤلف الكتاب ( ص ١١٥ ) أن حسونة باشا القره مانلي كان في مقدمة هؤلاء

الليبيين الذين اتصل بهم كرسبي . ويبدو ان حسونة باشا كان يرى في عودة ليبيا الى الحكم العثماني المباشر والقضاء على اسرته الحاكمة ما دفعه الى التعاون مع من يضمن له الاخذ بالثأر من العثمانيين ولو كان هـــذا الضامن هو ايطاليا نفسها . وبعد ذلك يشير المؤلف الى جهود كرسبي في التفاهم مع بريطانيا بخصوص تحقيق مشروعه التوسعي الذي لم يتحقق في ذلك الوقت لعدم استمراره في الحكم بسبب الهزيمـة التي حـلت بالقوات الايطالية في حربها ضد الحبشة للاستيلاء عليهـا في ١٨٩٦ . ولكن استيلاء الفرنسيين على تونس في ١٨٨١ م. واستيـلاء البريطانيين على مصر في ١٨٨٢ م احيا أمل الايطاليين من جديد في الحصول على نصيبهم في الاملاك العثمانية بالاستيلاء على ليبيا . وقد زاد من حـدة التوتر عند الايطاليين وهلعهم الاتفاق الذي تم بين فرنسا وبريطانيـا في مارس ١٨٩٩ بخصوص تحديد مناطق النفوذ بين الدولتين في اواسـط افريقية الشيء الذي كان يمس الحدود الليبية الجنوبية التي تتوغل جنوبا وتحد تلك المنطقة التي تم بشأنها الاتفاق بين الدولتين دون علم ايطاليا . وكانت ايطاليا ترنو بنظرها الى الفرصة التي تمكنها من تحقيق اطماعها في ليبيا والتي تمكنها من تعويض الخسارة التي حلت بها بسبب استيـلاء فرنسا على تونس . ويوضح المؤلف الجهود التي بذلتها ايطاليا في سبيل حصولها على موافقة فرنسا للتوسع في ليبيا في مقابل اعتراف ايطاليـا بالتوسع الفرنسي في مراكش . وهكذا ارتبط تقرير مصير مراكش بتقرير مصير ليبيا في اذهان الساسة الايطاليين . ويستعين المؤلف في بحثـه باقتباس بعض الفقرات التي توضح وجهـة نظره بالرجـوع الى محاضر البرلمان الايطالي ( ص ١١٧ ) والى بعض الخطابـات التي كان يتسلمهـا أو يرسلها الساسة الايطاليون .

ويشير المؤلف في هذا الفصل الى الاطماع الالمانية في ليبيا . وقـد أصبحت ايطاليا تخشى أن تقوم المانيا باحتلال ليبيا ان لم تسارع هـي باحتلالها . وقد اظهرت المانيا اهتماما خاصا بليبيا في السنوات الاخيرة وافتتحت لها قنصلية في مدينة طرابلس التي ربطتها بخط بحري منتظم مع الموانيء الالمانية . وبدأت الاموال الالمانية تمارس نشاطها الاستغلالي في المشروعات المحلية في ليبيا . وفي نهاية ربيع ١٩١١ م علمت ايطاليا بأن جماعة من الالمان كانوا في طريقهم للحصول على بعض الامتيازات الاقتصادية من السلطات العثمانية في الوقت الذي رفضت فيه هذه السلطات منـح الايطاليين أي امتياز اقتصادي ( ص ١١٧ ــ ص ١١٨ ) . وقـد ظـلت

السلطات الايطالية تخشى منافسة المانيا لها في احتلال ليبيا حتى فيما بعد بداية الغزو الايطالي . وهذا الخوف يعلل لنا اهتمام القوات الايطالية بالنزول في منطقة طبرق لاحتلالها بدلا من الاستمرار في انزال القوات الايطالية في طرابلس ( ص ١٢١ ) . ويقول المؤلف ان الحكومة الالمانية كانت تتوقع ان تعطى طبرق لاستخدامها كقاعدة بحرية لها في البحر الابيض المتوسط في مقابل استيلاء ايطاليا على بقية ليبيا (ص ١٢٤ ــ ١٢٥) وقد انعكس موقف المانيا من الاحتلال الايطالي لليبيا في صحافتها التي هاجمت هذا العمل واعتبرته من اعمال القرصنة ( ص ١٢٠ ). وهكذا تغير موقف المانيا من التوسع الايطالي في البحر الابيض عما كان عليه الحال في عهد بسمارك الذي كان يعمل على تشجيع ايطاليا على الاتجاه في توسعها الى حوض البحر الابيض المتوسط حتى يخلق تنافسا بينها وبين فرنسا في هذه المنطقة لتخفيف الضغط الفرنسي على المانيا .

وبعد أن يتناول المؤلف موقف كل من بريطانيا وفرنسا والمانيا من الاطماع الايطالية في ليبيا يذكر الاسباب التي تعللت بها ايطاليا لاحتلال ليبيا وانتزاعها من السيادة العثمانية والجهود التي بذلتها السفارات الايطالية في الخارج لتبرير الخطوات الايطالية فيما يخص احتلال البلاد وانتزاعها من السلطات التركية ورد الفعل الذي قابلت به السلطات التركية التحدي الايطالي في آخر جزء من املاكها في شمالي افريقية ( ص ١١٨ ــ ١١٩ ) . ويسجل المؤلف الانذار النهائي الذي تقدم به القائم بأعمال السفارة الايطالية في اسطنبول الى السلطات العثمانية يوم ٢٨ سبتمبر بخصوص تصميم ايطاليا على الاستيلاء على ليبيا لحماية الكرامة الايطالية ومصالحها هناك . وكيف ردت السلطات التركية على هذا الانذار الايطالي وكيف تذرعت ايطاليا باعلان الحرب بعد مجيء الرفض التركي للانذار الايطالي .

وباعلان الحرب الايطالية على تركيا يأخذ المؤلف في تتبع اصداء اعلان هذه الحرب في أوروبا ويسجل المؤلف أهمية العمليات الحربية التي قامت بها القوات الايطالية في سبيل الاستيلاء على البلاد . وكان المؤلف الى جانب القوات الايطالية في معاركها مع أهل البلاد . ويستعين ببعض الاقتباسات التي أخذها من صحيفة التايمز اللندنية ( ص ١٢٢ ــ ١٢٣ ) .

وأمام المقاومة العنيفة التي واجهتها القوات الايطالية في احتلالها لليبيا قامت ايطاليا بمهاجمة بعض القطع البحرية الحربية التركية في البحر الاحمر واغرقتها . وضربت البحرية الايطالية ميناء بيروت بالمدافع واحتلت

جزيرة رودس . وحاولت نقل القتال الى تركيا الاوربية وسعت الى تأليب دول البلقان ضد تركيا . وكادت ايطاليا باعمالها هذه تحيي من جديد موضوع المسألة الشرقية . وكان قصد ايطاليا من كل هذه الاعمال الحزبية والجهود السياسية ارغام تركيا على قبول الصلح والتنازل عن حقوقها في ليبيا . وقد تم هذا الصلح بين الدولتين بعقد صلح أوشي Ouchy بالقرب من مدينة لوزان Lausanne بسويسرا في اكتوبر ١٩١٢ . ويذكر المؤلف أهم شروط هذه المعاهدة (ص ١٣٣) . وبعقد هذه المعاهدة خرجت تركيا نهائيا من آخر املاكها في القارة الافريقية . ولكن مقاومة الاهالي الليبيين للغزو الايطالي استمرت رغم عقد الصلح بين ايطاليا وتركيا الشيء الذي أزعج الحكومة الايطالية وأثار قلق الشعب الايطالي الذي اصبح يخشى الهزيمة وتكرار ما حدث للجيش الايطالي في الحبشة في معركة عدوة ١٨٩٦ . وكانت تكاليف الحملة الايطالية باهظة واخذت في الارتفاع باستمرار المقاومة الليبية . وقد قدرها المؤلف بمليون ليرة ونصف المليون يوميا اي ما كان يعادل ستين الف من الجنيهات الاسترلينية في ذلك الوقت (ص ١٢٨) . وقد بلغت تكاليف الحملة الايطالية في ليبيا حتى عقد صلح أوشي مع تركيا اكتوبر سنة ١٩١٢ ٤٥٨ مليونا من الليرات الايطالية اي ما يعادل ١٨٠ر٣٢٠ر٠٠٠ مليونا من الجنيهات الاسترلينية . وقد استمرت هذه التكاليف في الارتفاع حتى وصل تقديرها الى ٤٦ مليون من الجنيهات الاسترلينية في ١٩١٤ م (ص ١٣٥) . ولم تقف التكاليف عند هذا الحد بل استمرت باستمرار المقاومة . والله يعلم مقدار ما انفقته ايطاليا في سبيل تحقيق مشروعها الاستعماري الفاشل ولو انها انفقت هذه المبالغ في اصلاح بلادها والاخذ بيد اهلها لكانت الفائدة أضمن وأعم . ولكن الرغبة في التوسع والعدوان واستعباد الغير كان سبب كل هذه الخسائر التي لم تنجح الا في خلق العداوة وتعميقها بين بلدين متقابلين كان من اللازم ان يعيشا في سلام وتعاون في سبيل تقدم العلاقات الانسانية وتطويرها لفائدة الجميع . ولقد حاول رئيس الوزراء السنيور جوليتي Giolitti ان يخفف من وقع هذه الخسائر التي تكبدها الشعب الايطالي في سبيل الاستيلاء على ليبيا في خطابه الذي القاه في البرلمان الايطالي يوم ٣ ديسمبر ١٩١٢ بمناسبة الانتهاء من عقد الصلح مع تركيا في اكتوبر ١٩١٢ عندما قال بأن ايطاليا اصبحت بفضل هذا الصلح اقوى مما كانت عليه واكثر احتراما وأن هذه المعاهدة قد اعطت ايطاليا مستعمرة كبيرة في البحر الابيض المتوسط

فيما يقابلها . وأضاف قائلا ان هذا الصلح اعطى ايطاليا مهمة عليها ان تقوم بها . وليس شيء بسيط لشعب ايطاليا العظيم ان تكون له مهمة ليقوم بتحقيقها الى آخر هذا النوع من الكلام العاطفي المبني على العظمة والابهة (ص ١٣٤) . ويا ليت السنيور جوليتي قد عاش حتى رأى بنفسه خروج آخر ايطالي من ليبيا يوم ٧ اكتوبر ١٩٧٠ م !!!

ويختم المؤلف حديثه عن الحرب الايطالية الليبية بالكلام عن اثر هذه الحرب في السياسة الايطالية مع الدول الاوربية وحلفائها . وبالكلام عن رئيس الوزراء السنيور جوليتي وتقدير اعماله والحالة التـــي ترك عليها ايطاليا بعد ان قرر ان يعتزل الحياة السياسية في مارس ١٩١٤ م.

خلاصة القول ان المؤلف في كتابه يبدي روحا ودية نحو ايطاليا . ومع هذا لم يستطع ان يخفي حقيقة المقاومة الليبية التي بدأها الشعب الليبي نحو العدوان الايطالي . والكتاب يفيد في استعراض وجهة نظر أولئـــك الذين أيدوا ايطاليا في عدوانها على ليبيا . وقد زود المؤلف كتابه بفهرس للاسماء ولكنه لم يأت وافيا كما زود المؤلف كتابه بالخروط الجغرافيـــة اللازمـــة .



99 — Williams, Harry; Quest Beyond The Sahara. London , 1965. 190 PP.

يتبين من النبذة التي سجلها الناشر في غلاف الكتاب ان المؤلف هاري وليمز من مواليد ١٩٠٣ م وانه قد سبق له الاشتغال باحدى مزارع الشاي بجزيرة سيلان التي امضى فيها مدة طويلة مكنته من اخراج كتاب عنها . وكان للمؤلف نشاط علمي في الصحافة والتأليف . وفي ١٩٦٥ اخـــرج المؤلف كتابه هذا بعنوان «البحث فيما وراء الصحراء الكبرى» .

ويستعرض المؤلف في كتابه هذا جهود بعض الرحالـــة الجغرافيين الذين كان لهم نشاط كشفي في المنطقة الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى وهي منطقة السودان . ولكن الملاحظ ان المؤلف قد اقتصر في كتابه هذا على ثلاثة من الرحالة الانجليز هم ديكســـون دنهام Dixon Denham وكان هذا الرحالة من مواليد ١٧٨٦ وقد توفي في ١٨٢٨ م وقد خصص المؤلف الباب الاول من كتابه بفصوله الخمسة للحديث عن هذا الرحالة .

اما الباب الثاني بفصوله الثلاثة فقد خصصه للحديث عن الرحالة الانجيلزي هوغ كلابرتون Hugh Clapperton وهو من مواليد ١٧٨٨ وقد توفي في ١٨٢٧ م. والباب الثالث والاخير بفصوله الاربعة خصصه المؤلف للحديث عن الرحالة الانجليزي ريتشارد ليمون لاندر Richard Lemon Lander وهو من مواليد ١٨٠٤ وقد توفي في ١٨٣٤ م. وهكذا كان نشاط هؤلاء الرحالة في النصف الاول من القرن التاسع عشر . وقد ماتوا جميعا في ريعان شبابهم بعد ان حققوا الكثير من الانتصارات في ميدان الكشوف الجغرافية سواء في الصحراء الكبرى او في منطقة السودان ومهدوا الطريق أمام من اتى بعدهم من رحالة وعلماء . والملاحظ ان الرحالة الاول والرحالة الثاني قد حضرا الى مدينة طرابلس في عهد يوسف باشا القرهمانللي واتخذا من هذه المدينة قاعدة لانطلاقهما جنوبا عبر الصحراء الكبرى . وقد استفاد كل منهما من نفوذ القنصل البريطاني الكولونيل وارنجتون Warrington لدى يوسف باشا وبين سكان البلاد الشيء الذي سهل للرحالة الانجليز مهمتهم عند قدومهم الى طرابلس في وقته . وكان لهؤلاء الرحالة ايضا في القوافل التي كانت تربط مدينة طرابلس بالجهات الداخلية ما ساعدهم على الاستفادة منها للوصول الى الجهات الداخلية .

يفيد الكتاب اولئك الذين يريدون دراسة حركة الكشوف الجغرافية في الصحراء الكبرى ومدى ارتباطها بليبيا كمنفذ لها . ويفيد الكتاب ايضا في دراسة تجارة القوافل والاوضاع السائدة في البلاد والمنطقة المجاورة في بداية القرن التاسع عشر .

الكتاب مزود بالخرط الجغرافية وبعض الصور للرحالة الذين تناولهم في كتابه وبعض الصور الجغرافية لاجزاء من المناطق التي قام هـــؤلاء الرحالة بزيارتها .

***

100 — Woodberry, George E.; North Africa And The Desert . Scenes And Moods. New York, 1914. 364 PP.

هذا كتاب لرحالة امريكي آخر زار مدينة طرابلس في اواخر العهد العثماني قبيل الغزو الايطالي في ١٩١١ م. ومن الملاحظ ان الامريكيين بدأوا يكثرون من المجيء الى مدينة طرابلس في أواخر العهد العثماني .

وقد ترك هؤلاء الرحالة بعض الكتب والمقالات التي سجلوا لنا فيها انطباعاتهم وقد تم استعراض بعضها في هذا الجزء من «المختار» . ومؤلف هـــذا الكتاب هو جورج ي. ودبيري George E. Woodberry . وكتابه كان بعنوان «شمالي افريقية والصحراء» . وقد نشره في مدينة نيويورك في ١٩١٤ اي بعد ان تم لايطاليا غزو البلاد في ١٩١١ م والتغلغل في اجزائها الداخلية . ولم يذكر المؤلف التاريخ الذي بدأ فيه زيارته لبلاد الشمال الافريقي وان كان قد ذكر تاريخ نشر الكتاب . ولكن بالرجوع الى فصول الكتاب يتبين لنا ان الرحالة جاء الى مدينة طرابلس في عهد ولاية رجب باشا وان كان لم يذكر لنا اسمه (ص ٣١٦ ، ٣٤٦) وقبيل قيام ثـــورة الاتحاديين الاتراك واطاحتهم بحكم السلطان عبد الحميد في ١٩٠٨ . بدأ الرحالة بزيارة مدينة تونس ومنها ذهب الى بعض مدن الجزائر ومن هناك عاد الى جزيرة جربة ثم جاء الى مدينة طرابلس عن طريق البحر .

يسجل الرحالة انطباعاته عن مدينة طرابلس ويصف أحوالها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في الفصل الثامن من هذا الكتاب ويذكر الحقائق الآتيــة :

١ ــ ان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن لها قنصلية في مدينـــة طرابلس وقت مجيء الرحالة اليها بعكس بعض الدول الغربية الاخرى وفي مقدمتها الجمهورية الفرنسية التي كانت تعتبر قنصليتها حامية لكـــل المسيحيين الكاثوليك في مدينة طرابلس حتى ان اهل البلاد عندما كانوا يقولون «القنصل» كانوا يعنون بهذه الكلمة «القنصل الفرنسي» . ولهذا بدأ الرحالة الامريكي برنامجه بزيارة القنصلية الفرنسية وقد اعطانا وصفا لها (ص ٣١٦ ــ ٣١٧) .

٢ ــ يتكلم الرحالة عن اسواق المدينة ونشاطها التجاري ويخص بالذكر سوق الحلفا ويصف كيفية اعدادها للشحن (ص ٣١٩) .

٣ ــ يتحدث عن اهمية مدينة طرابلس في ميدان تجارة القوافل مع بلاد السودان (ص ٣٢١) مع ملاحظة ان هذه التجارة كانت قد بـــدأت تشاهد ايامها الاخيرة بعد ان تم للدول الاوربية الوصول الى بلاد السودان وتحويل تجارة هذه المنطقة الى اوربا عبر الموانئ الغربية لافريقية .

٤ ــ يصف الرحالة احوال مدينة طرابلس في الليل من حيث وسائل الاضاءة ومن حيث وسائل التسلية من مقاه ومسارح وما كان يتم في هذه المسارح من تمثيليات والعاب . وكان من اهم هذه المسارح المسرح الايطالي اليوناني الذي كان يكثر من التردد عليه سكان المدينة من اليونان والايطاليين

من جزيرة صقلية (ص ٣٢٣) . وكان هناك مسرح تركي احسن استعدادا من المسرح الاول (ص ٣٢٩) .

٥ ــ يصف المؤلف زيارته للباشا الوالي العثماني في محل اقامته بالمنشية في ضواحي المدينة وكيفية مقابلة الباشا له .

٧ ــ زيارته لأهم مساجد مدينة طرابلس وقد استطاع ان يحقق هذا الهدف بفضل رعاية القنصل الفرنسي له . وكان هذا القنصل احد كبار المستشرقين الفرنسيين الذين أمضوا مدة كافية في بلاد الشرق . ولهذا تمكن من اللغة العربية والاطلاع على أحوال المسلمين . وقد انتهز القنصل الفرنسي هذه الفرصة وقام بزيارة اهم مساجد طرابلس مع هذا الرحالة الامريكي . ومع ان الرحالة يتحدث عن مدينة طرابلس كمدينة متعصبة (ص ٣٣٣) الا انه يناقض نفسه عندما يذكر ان السلطات العثمانية وافقت على زيارة المساجد في الحال (ص ٣٣٤) . وقد تمت هذه الزيارة في شكل رسمي برئاسة مدير الشرطة .

٨ ــ قام الرحالة بزيارة مدرسة الفنون والصناعات وقد رتب القنصل البريطاني هذه الزيارة . وقام حسن بك مساعد الوالي بمرافقة الزوار . ويسجل الرحالة وصفه لهذه الزيارة وانطباعاته عنها . ويعطي المؤلف معلومات دقيقة عن اعمال هذه المدرسة ونشاط تلاميذها مما يصلح في دراسة تاريخ التربية في ليبيا بصفة عامة وتاريخ هذه المدرسة بصفة خاصة ودورها في المجتمع الليبي (ص ٣٤٣) .

٩ ــ بعد زيارته لمدرسة الفنون والصناعات قام حسن بك مساعد الوالي بدعوة الضيف لزيارة مدرسة البنات لصناعة السجاد الشيء الذي أدهش الرحالة لوجود مثل هذه الخطوة التعليمية . ويصف الرحالة كيف تمت هذه الزيارة مما يفيد في دراسة تاريخ تطور تعليم البنات في ليبيا . ويذكر الرحالة انه كانت هناك مدرسة أخرى للسجاد في مدينة أخرى ولكنه لم يذكر اسمها وان كان قد سجل اعجابه بهذه الخطوة في سبيل تعليم البنت (ص ٣٤٤) .

١٠ ــ يسجل زيارته لمدرسة اليهود بمدينة طرابلس التي أسسها احد اثرياء اليهود لتعليم الفقراء من اولادهم . وكان عدد تلاميذ المدرسة حوالي ٥٠٠ تلميذ . ويصف المدرسة من حيث البناء والادوات المدرسية . ويبدي اعجابه بما شاهده الامر الذي يتنافى وما كان يدعيه بعضهم من اضطهاد لليهود في ليبيا قبيل الغزو الايطالي (ص ٣٤٤ ــ ٣٤٥) .

وما كتبه الرحالة بخصوص مدرسة الفنون والصناعات ومدرسة

السجاد للبنات ومدرسة اليهود يفيد تماما في دراسة تاريخ التربية في ليبيا . ويفيد ايضا في تصحيح الكثير من الافكار الخاطئة التي الصقت ببعض الجوانب الإجتماعية في البلاد وما على الباحث الا الرجوع الى ما كتبه هذا الرحالة الذي ادهشه ما وجده وما شاهده بعكس ما كان ينتظره. ولم يخف الرحالة انطباعه بل جاء واضحا فيما سجله في هذا الخصوص (ص ٣٤٥) .

١١ – يبدي الرحالة اعجابه بطرق المدينة ويقول انهـا كانت ممتازة The roads were excellent (ص ٣٤٥) . ويشير الى الارصفة الجديدة التي وضعت والى المشروعات العمرانية الجديدة بعد ان ازيلت البوابات القديمة للمدينة وبعد ان اخذت المباني السكنية الجديدة تنتشر فيما وراء اسوار المدينة القديمة في المنطقة المعروفة باسم «بالخير» وان كان المؤلف لم يذكر اسم المنطقة بالتحديد .

١٢ – يتحدث المؤلف عن الطريقة العساوية وحلقات الذكر فيها . وقد شاهد احدى هذه الحلقات وسجل انطباعاته عنها . وهذا يفيد الى حد ما في دراسة الطرق الدينية ونشاطها في ليبيا .

١٣ – يسجل الرحالة حديث القنصل البريطاني عن نهر الليثي Lethe الموجود بالقرب من مدينة بنغازي وقد ورد اسم هذا النهر في كثير من الاساطير الاغريقية . وكان حديث القنصل البريطاني حديث الملم بالموضوع وقد كان على دراية بمنطقة البحر الابيض المتوسط فضلا عن انه كان قنصلا لبريطانيا في بنغازي قبل ان يأتي الى مدينة طرابلس .

١٤ – يشير المؤلف في حديثه مع القنصل البريطاني الى الحفريات الاثرية التي كان يقوم بها الامريكيون في منطقة بنغازي ولكنه لم يلق عليها الضوء ولعله يقصد الحفريات التي كانت تقوم بها احدى البعثات العلمية الامريكيةوالتي كانتبرئاسة الاثري هربرت فلا Herbert Fletcher Decout الذي قتله اهالي المنطقة وقد سبق الاشارة الى موضوعه (١١٩) .

١٥ – يشير المؤلف اشارة خاطفة الى القسيس الايطالي الذي قتل في مدينة درنة قبيل الغزو الايطالي . ولكنه لم يلق الضوء على هذا الحادث وملابساته خصوصا وانه كان من بين الاسباب التي تذرعت بها ايطاليـــا

---

١١٩ – راجع البحث رقم ٢٣ .

لتبرير غزوها للبلاد على اساس انه مظهر من مظاهر عدم استتباب الامن في البلاد وكدليل على عجز الحكومة العثمانية عن القيام بواجبها .

ومع ان الرحالة حصر نشاطه في مدينة طرابلس وضواحيها ولـــم يتوغل في داخل البلاد ولم يزر أهم اماكنها الاثرية كأطلال لبدة وصبراته وشحات الا انه استطاع ان يسجل انطباعاته عن مدينة طرابلس وأحوالها السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية في فترة هامة من تاريخ البلاد في أواخر العهد العثماني الثاني وقبيل الغزو الايطالي في خريف سنة ١٩١١ .

# ملحق رقم (١)

« Lieut Presley Neville O'Bannon Who departed this Life September 12, 1850, aged 74 Years. The Hero of Derne, Wlio, as Captain of the W.S. Marines in Tripoli, North Africa, Was the first to plant the American flag on Foreign Soil». *

العبارات المنقوشة على قبر الضابط البحـري «برسلي نيفـل اوبانون» الذي اشترك في الحملة الامريكية على درنة ١٨٠٥ * .

---

· * Charles Lee Lewis, Famous American Marines. Boston , L.C. Page And Company Publishers, 1950. P. 54.

# ملحق رقم (٢)

« Il est à remarquer que dans tout le nord de l'Afrique, la férocité des mœurs et le fanatisme vont sans cesse en s'affaiblissant depuis le Maroc Jusqu'à l'Egypte. Les Arabes de la Tripolitaine sont vraiment les meilleures gens du monde, quoique n'ayant pas la mollesse des fellahs d'Egypte et se montrant même braves et résolus. Ils sont assez généralement des principes de probité que se démentent rarement» . *

بعض ما جاء في مقال الكاتب الفرنسي الاستاذ م.إ. بلليسيه بخصوص ليبيا وأهلها * .

* M.E. Pellissier, La Régence De Tripoli. Les Révolutions Et Les Deys De Tripoli, Les Pachas Turcs Et Les Beys Arabes . Revue Des Deux Mondes. Paris, 1er Octobre 1855. P. 38.

# ملحق رقم (٣)

«أما هذه العائلات الايطالية التي وفدت الى البلاد في العهد الايطالي فيجب ان ترحل الى بلادها لاعطاء الفرصة لأهل البلاد بعد ان كابدوا الكثير وحرموا حق التمتع بما في بلادهم من فرص استحوذت عليها هذه العائلات لصالحها الخاص . ولا يرجى للبلاد اي نهضة ما دام الايطاليون يهيمنون على أهم شئونها ويزاحمون الاهالي في حياتهم ويظهرون بمظهر الاقلية المتضامنة التي تعمل على رفع شأنها واسترجاع ما كان لها يوم ان كانت البلاد خاضعة لسيادتهم . ولا شك ان وجود مثل هذه الاقلية سيسبب الكثير من المتاعب للأهالي ويثير بعض المشاكل الدولية لأنها تمثل بقية عهد لا يذكره الاهالي الا وذكروا ما قاسوه من شدائد في سبيل الدفاع عن استقلالهم وما فقدوه من فرص لترقية بلادهم . ولا شك ايضا ان البلاد بحالتها الطبيعية لا تساعد على وجود مثل هذه الاقلية لانعدام الرابطة بينها وبين سكان البلاد الاصليين ، بل ان ماضي علاقاتها يحتم ترحيلها تدعيما لأمن البلاد وحفظا للسلام في انحائها . واذا كان الحلفاء قد تتبعوا بقايا النظام الفاشستي وقضوا عليه لتدعيم السلام العالمي والقضاء على النزعة الحربية فان وجود هذه العائلات الايطالية في لوبيا مظهر آخر للنظام الفاشستي يجب على الدول ان تقضي عليه بارجاع هذه العائلات الى وطنها الاصلي والا بقيت البلاد تعاني متاعب النظام الفاشستي لتغلغله في نفوس هذه العائلات التي ترى فيه العصر الذهبي في حياتها . كل هذه العوامل وغيرها دفعت اللوبيين الى التمسك بضرورة جلاء هذه العائلات خوفا من ان تكون مدعاة لتدخل ايطاليا في شئون لوبيا وهم لا يسمحون بان تكون بلادهم فلسطينا أخرى لايواء الايطاليين بعد ان لفظتهم بلادهم» * .

---

* مصطفى عبد الله بعيو . المجمل في تاريخ لوبيا – الاسكندرية سنة ١٩٤٧ ص ١٣٥ .

انتهى الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث



https://archive.org/details/@hassan_ibrahem



# SELECTION

# OF

# BIBLIOGRAPHY OF LIBYA

VOLUME II

BY

MUSTAFA ABDALLAH BAIOU

1392 - 1972

AL - Taliah Publishing Co.